

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سِرُّ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ إِسْلَامِيَّة جَامِعَةٌ

الْعِدَدَانِ السَّابِعَ عَشَرَ وَالثَّامِنَ عَشَرَ . السَّنَةُ الْخَامِسَةُ مُحَرَّم - جَادِي الْآخِرَةِ ١٤١٧ م. ق.
١٩٩٦ /

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي:

* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم. ص.ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

* هاتف: ٧٤٠٢٩٤ فاكس: ٧٣٥١٧٩.

رسالة الثقلين

محتويات العدد

مجلة اسلامية جامعة

□ كلمة التحرير

* رسالة الثقلين بين الواقع والاهداف... «دعوة تقويمية» بقلم رئيس التحرير ٤

□ من آفاق القيادة الاسلامية

* بركة القرآن الكريم ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (دام تله) ٨

□ دراسات

* اخلاق قرآنية: للتزكية سبيل السعادة الوحيد..... الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي

ترجمة: عباس الاسدي ١٢

* معالم المجتمع المسلم في فاتحة الكتاب السيد منذر الحكيم ٣٠

* المفاسل الرئيسية لقضية الامامة من خلال حديث الامام الصادق(ع)

..... عز الدين سليم (العراق) ٧١

* نظام العلاقات الاجتماعية العامة في مدرسة أهل البيت(ع)

القسم الثاني: (البناء الفرقي للعلاقات) السيد محمد باقر الحكيم ٩٣

* جذور حركة الاجتهاد في مدرسة أهل البيت(ع) للشيخ فؤاد كاظم المقدادي ١٦٢

* ثورة أم و ثورة شعاع الشيخ عيسى أحمد قاسم (البحرين) ٢٣١

□ من فقه مدرسة أهل البيت(ع)

* مسألة تغير قيمة العملة الورقية وأثرها في الاموال المؤجلة

..... الشيخ محمد علي التسخيري ١٩

□ من سيرة أهل البيت(ع)

* الجانب السياسي في حياة أئمة أهل البيت(ع) ... ولي أمر المسلمين آية الله الخامنئي (دام تله)

ترجمة: الدكتور محمد علي آذرشب ٤٤

□ نقد

* التعددية بين الرؤية والواقع الدكتور صالح عظيمية (فرنسا) ٢٠٣

□ شبهة ورد

* البداء في كفة الميزان (٢) الشيخ محمد هادي معرفة ١٣٠

● تعنى باحياء المعارف

الاسلامية من منبع

الثقلين والدفاع عن

حريم القرآن الكريم وسنة

الرسول الشريفة وخط

أهل البيت الاطهار (عليه السلام)

● تستقبل نتائج العلماء

والمفكرين والكتاب

الاسلاميين التي تصب

فسي رسالة الثقلين

لتكريس وحدة الأمة

الاسلامية وتثبيت

شوكتها في أرجاء

العالم.

● الآراء الواردة في

الموضوعات لا تعبر

بالضرورة عن رأي

المجمع أو المجلة.

● تسلسل الموضوعات

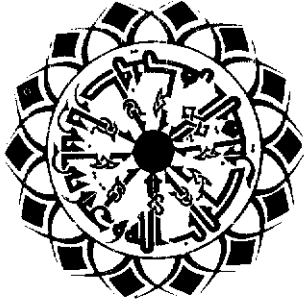
يخضع لاعتبارات فنية.

● يرجى ممن يرقد المجلة

بمنتجاته الاحتفاظ

بصورته منها، فإنها لا

تعاد نشرت أم لم تنشر.



هَدَايَةُ
الْمَجْمُوعِ الْعَالَمِيِّ لِلْأَهْلِ الْبَيْتِ
الطَّيِّبِينَ
الطَّبَعِ ١٤٧٠ هـ - ١٣٩٥ م

□ سؤال وجواب

* حول الاجتهاد والتقليد الشيخ محمد مهدي الأصفي ١٨٤

□ تقويم

* نقاط حول المنهج المتبع في مجال اعداد القواعد الاصولية والفقهية لدى الامامية
..... الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت (ع) ٢٧٠

□ رأي

* أسئلة حائرة حول الديمقراطية محمد كاظم انبارلوي
ترجمة: عباس الاسدي ٢٢٤

□ استطلاع

* الاسلام في أذربيجان احمد اللواسطي (العراق) ٢٨٤

□ فنون وآداب

* قصيدة: حب الله السيد عبد الهادي الحكيم ١٥٩
* خاطرة: وثبة الضمير الحي حسين فرج الله (العراق) ٢٠٠
* أهل البيت (ع) في الشعر العربي (١)
(صفي الدين الحلبي شاعر الولاء الصادق) .. الشيخ عبد المجيد فرج الله (العراق) ٢٥٤

□ أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

* روايات الامام علي (ع) - القسم الثاني ناصر البيدهندي ٢٦٤

□ من غرر حكم أهل البيت (ع)

* هل الدين إلا الحب اعداد: عبد القادر فرج الله ٢٩٧

□ من أنباء القوم

* أنباء وتقارير ٣٠٤

□ مع قراء النقلين

* رسائل القراء ٣٤٢

الْمَجْمُوعِ الْعَالَمِيِّ لِلْأَهْلِ الْبَيْتِ

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي

رَبِيعُ بْنُ الْغُرَيْرِ:

الشَّيْخُ مُحَمَّدُ

قَوْلُهُ كَذَلِكَ لِقَوْلِ الْإِسْلَامِ

الْعِدَدَانِ السَّابِعَ عَشَرَ

وَالثَّامِنَ عَشَرَ

السَّنَةِ الْخَامِسَةِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي

١٤١٧ هـ / ق. ١٩٩٦ م

رسالة الثقلين

بَيْنَ الْوَلَاءِ وَالْإِفْقَالِ
دَعْوَةُ تَقْوِيٍّ مَعِيٍّ



كلمة التحرير

* بقلم

رئيس التحرير

في عامها الخامس تواصل مجلة رسالة الثقلين المباركة صدورها وهي تجاهد باسم الله الذي يصعد إليه الكلم الطيب.. على هدي احبائه محمد ﷺ وآله الطاهرين ﷺ؛ فالكلمة الطيبة ﴿كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ تؤتي اكلها كل حين بإذن ربها^(١)، فكانت ثمانية عشر عدداً متوالية واربعة كتب مفعمة بالحب والولاء لله ولرسوله ولاهل بيته المعصومين ﷺ.



(١) ابراهيم: ٢٤ - ٢٥.

ولابد لنا بعد هذه السنوات المليئة بالاحداث والمستجدات على طريق حركة الاسلام في الامة والعالم، من وقفة تقويمية نعرف من خلالها مدى نجاحنا في السير على نهج تحقيق الاهداف التي رسمت لهذه المجلة الرسالية الشريفة، وكم كانت قيمتها وامانتها في احياء المعارف الاسلامية وبيانها من منبع الثقلين المباركين، والدفاع عن حريم القرآن الكريم وسنة الرسول الامين ﷺ واهل بيته الطاهرين ﷺ؟ وكم استوعبت من نتاجات العلماء والمفكرين الاسلاميين في مصب رسالة الثقلين الكبرى؟ وما هو مستوى النجاح الذي حققته في دفع مسيرة الترشيح الالهي والتأصيل المحمدي للامة الاسلامية وتكريس وحدتها

الرسالية والحركية وتقوية شوكتها في أرجاء العالم؟

وللاجابة على هذه الاسئلة لابد لنا من أخذ الحقائق التالية بنظر الاعتبار:

١- أن المبلغ والداعية الاسلامي في مدرسة أهل البيت عليه السلام يضاف إلى كونه متميزاً بالعلم والمعرفة الرسالية، أن دوافعه في التبليغ والدعوة الاسلامية دوافع الهية ومنطلقه قائم على اساس التكليف الشرعي الملزم بأدائه، وليست دوافع ومنطلقات قائمة على أساس وظيفي جاف ومن خلال الاطر الشكليه والادارية للمؤسسات؛ وهذه الميزة من ابرز الميزات التي تنفرد بها طريقة الدعوة والتبليغ الاسلاميين في مدرسة أهل البيت عليه السلام خصوصاً وأنها تربت على ذلك طيلة قرون من مسيرتها الرسالية الكبرى، سواء في عهد الحضور لأئمة اهل البيت عليه السلام أو في عهد الغيبة الكبرى للامام المنتظر (عج)، وما رافق ذلك من ظلم واضطهاد وفتنة في دعوتهم إلى الاسلام على صراط الله ورسوله واهل بيته الطاهرين عليه السلام، على يد أئمة الطاغوت وسلاطين الجور الذين توالوا على رقاب المسلمين، خصوصاً في العهدين الاموي والعباسي حتى السقوط تحت نفوذ الجاهلية العلمانية الحديثة وسطوة دولها الاستكبارية وعملائها في البلاد الاسلامية. ولم تتغير الدوافع ولا المنطلقات بعد قيام الثورة الاسلامية المباركة في ايران، بل اشتدت وتأكدت لتتناسب وتعاضم المسؤولية واتساع المهمة الرسالية؛ فلم يكن للمؤسسات الاسلامية والصيغ التشكيلية والادارية المستحدثة بعد ذلك إلا دور التنظيم والتوظيف الاكفأ للطاقات المتخصصة والمتنوعة، واكتشاف النواقص فيها والتخطيط لسدها وتكميلها واسنادها بإمكانيات التقنية الحديثة وتطويرها كماً ونوعاً لتستوعب مهماتها الكبرى التي استجدت، ولتؤثر على أوسع دائرة من مخاطبيها على اختلاف ثقافتهم ولغاتهم ومستوياتهم.

٢- انتشار الصحوة الاسلامية بعد الثورة الاسلامية الرائدة بقيادة الامام الخميني الكبير عليه السلام وانفتاح الشعوب، وخصوصاً الاسلامية منها، على معرفة معالم الاسلام الاصيل واستهداء التجربة الرائدة لنهج الامام الراحل، بكل ما يزخر به من حقائق تجلت على يديه بعد أن طمرت دول الطواغيت وجور السلاطين عبر تاريخ مسيرة الامة الاسلامية. وليس ادلّ على ذلك من هذه الحركة

الاسلامية الشاملة التي نشاهدها اليوم في اوساط المسلمين بمختلف قومياتهم وبلدانهم، بل ما نشاهده أيضاً من اقبال كبير على الاسلام في اوساط الشعوب غير الاسلامية خصوصاً في اوربا وأميركا. وقد أكدت آخر الاحصائيات التي نشرت في بعض البلدان الاوربية وجود نسبة مثوية كبيرة من الاوربيين، يبحثون عن دين جديد ينقذهم من الضياع والانحطاط المعنوي المريع الذي هم فيه، ويحقق لهم حياة كريمة مليئة بالفضيلة والمعاني السامية، كما أن الكثير من هؤلاء يستقبل الكتاب الاسلامي بشغف ليعرف المزيد عن الاسلام وسر عظمته وما يزره به من قيم ومثل عليا.

٣- أن بروز الاطروحة الاسلامية على المستوى العالمي بأفقهها الشامل للحياة بكل جوانبها الاخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ودخولها معترك الصراع الواسع على صعيد الامم والدول جعلها وجهاً لوجه امام التحديات، ووطع حملة هذه الاطروحة امام مفترقين لا ثالث لهما: إما التراجع امام هذا التحدي والانكفاء على الذات، وهو خلف عالمية الرسالة الاسلامية وأنها دعوة للناس كافة في كل زمان ومكان لقوله تعالى: ﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً...﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(٣)، وخلف كمالها وهيمنتها وظهورها على الاطروحات الاخرى، بل على الدين كله لقوله تعالى: ﴿وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾^(٤)، ولقوله سبحانه: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(٥)؛ وإما قبول التحدي، وهذا لازمه الحتمي هو المواجهة بمنطق العلم والدليل وبمنطق التصميم والارادة والعزم، لتتحقق بذلك المصادقية والمثل الاعلى لقوة الاطروحة الاسلامية وهيمنتها وظهورها المطلق على كل الثقافات السائدة في المجتمعات الانسانية، وعلى كل الاطروحات الحاكمة فيها. وهذا يعني فيما يعني أن يكون الخطاب الاسلامي خطاباً قوياً منيعاً شاملاً بَيِّناً لا ترد فيه ولا نقص، يذعن له العقل السليم وتنتفتح له القلوب التواقّة للحق والعدل، وتتساقط أمامه الشبهات... وتتهوى دون منطق التهم والباطيل، ويستوعب المستجدات

(٢) سبأ: ٢٨.

(٣) الانبياء: ١٠٧.

(٤) المائدة: ٤٨.

(٥) التوبة: ٣٣.

ويفصل في الحوادث الواقعة.

من هنا نجد أن مهمة الدعوة والتبليغ للإسلام على مختلف المستويات، سواء كانت عامة جامعة أو نوعية تخصصية، هي مهمة خطيرة وعظيمة خطورة هذا التحدي وعظمة الرسالة التي يبشر بها.

وبعد، فإن لحاظنا للحقائق السالفة واخذنا لها بعين النظر سيجعل تقويمنا منطلقاً من هذه الرؤية وبمستوى هذه المهمة الكبرى.

ولا شك أن الاجابة على هذه الاسئلة وتقويم مدى نجاح هذه المجلة الرسالية الشريفة في تحقيق اهدافها المرسومة لا يقتصر على القائمين عليها فحسب، بل لابد أن يكون لأهل الرأي الآخر من اهل الاختصاص من العلماء والمفكرين رؤية تقويمية لها، وللمخاطبين وهم اصحاب الحس المباشر والتماس التفصيلي بالواقع المستهدف بالخطاب الاسلامي رؤية تقويمية لها أيضاً، وبذلك يتكامل تقويم المجلة ونحصل على اساس متين لتطوير مضامينها وسدّ نواقصها وتفعيل خطابها، لتكون بذلك بمستوى التحدي الثقافي الذي دخلت معتركه مفردة من مفردات الخطاب الاسلامي الرائد.

وعليه فإننا ندعو اهل الاختصاص من العلماء والمفكرين وكل قرائنا الكرام أن يبادروا ويوجدوا علينا بأرائهم التقويمية الهادفة، ليسهموا في ترشيد هذه المهمة الرسالية وتطوير مجلتهم المباركة (رسالة الثقلين)، رسالة المدرسة الاسلامية الكبرى لأهل بيت النبوة والعصمة عليهم السلام؛ ورائدنا في ذلك قوله تعالى:

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)

صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

بَرَكَاتُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

من آفاق
القيادة الإسلامية

* ولي أمر المسلمين
آية الله السيد الخامني
(دام ظله)

ملقطات من بيانات ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله
السيد علي الخامنئي (مد ظله) للمشاركة في المسابقات الدولية لحفظ وتلاوة
وتفسير القرآن الكريم التي تقام سنوياً في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.



نشكر الله ونحمده حيث نخطو كل عام خطوة إلى الامام.
إننا كنا بعيدين عن القرآن سنوات طويلة، فقد أبعد سلاطين الظلم
والحكام الغرباء عن القرآن هذا البلد القرآني عنه، والحق أننا متخلفون في هذا
المجال، فلا تكفي خطوة واحدة كل عام.

إن القرآن نور ينير الروح والقلب، فلو أنستم بالقرآن لرأيتم أن قلوبكم
وأرواحكم منيرة؛ فببركة القرآن تُزال الكثير من الظلمات والمبهمات من قلب
وروح الانسان، وببركة القرآن يخرج الانسان من ظلمات الأخطاء والاهام
والزلات إلى نور الهداية. يقول الباري تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ
الظلمات إلى النور﴾.

إن القرآن كتاب معرفة، فكثير من أمور الحياة والمستقبل، وفي مجال
التكليف الفعلي، وفي الهدف من الخلق، وكثير من المجالات الاخرى قد تحدث
عنها القرآن، فالانسان مشحون بانواع الجهل، والقرآن يكسبه المعرفة.

إذن القرآن كتاب نور ومعرفة ونجاة وسلامة ورفي وسمو وتقرب الى الله؛
فمتى نكتسب هذه الامور من القرآن؟

وهل يكفي ان نضع القرآن في جيوبنا؟ وهل يكفي العبور من تحت القرآن
عند السفر؟ وهل تكفي المشاركة في جلسات القرآن فقط؟ أو هل يكفي أن
نرتل القرآن أو نستمع الى ترتيله بصوت حسن ونلتذ به؟ كلا، بل هناك حاجة
الى شيء آخر، فما هو هذا الشيء؟ إنه التدبر في القرآن، فلا بد من التدبر فيه،
والقرآن بنفسه يدعونا في موارد عديدة الى التدبر؛ فإن عرفنا كيف نأنس
بالقرآن ونتدبر فيه كسبنا كل ما قلناه.

إننا ما زلنا بعيدين عن القرآن فعلياً أن نتقدم؛ وإن كنتم ترون منذ انتصار
الثورة الاسلامية اهتمام المسؤولين والمخلصين في البلاد بتلاوة وحفظ
القرآن ومتابعة المراسيم القرآنية فإنما ذلك لكي تقترب أكثر من القرآن؛ فكلما
مضى عام [على عمر الثورة] كلما كان اهتمام شعبنا بالقرآن - والله الحمد -
أكثر شمولية وتجذراً، وهذه هي ميزة القرآن الكريم، فكلما ازدادت معرفة
المرء به انجذب اليه أكثر.

إننا في بداية الطريق، وحيث إننا نبلغ ستين مليون نسمة تقريباً، فكم عدد
الذين لديهم معرفة بالقرآن؟ على سبيل المثال لو كان من بين الستين مليون
نسمة عشرة ملايين لم يتعرفوا على القرآن لأي سبب كان سواء العمر أو
غيره، فيبقى خمسون مليوناً، فكلما نقص عدد العارفين بالقرآن عن الخمسين
مليوناً كنا متأخرين، فيجب ملء هذا الفراغ.

لقد كان الطريق - طريق معرفة القرآن الكريم - مغلقاً بوجه الشعب قبل
انتصار الثورة الاسلامية، لكن الثورة فتحت ذلك الطريق، فانطلق أبناء الشعب
فيه، والتحق الناس - ولا سيما الشباب - بهذه القافلة، والآن جاء دور الاحداث،
فلننظر كم لهم من حضور في مجالس القرآن؟ ولماذا جاءوا اليها؟ وما الذي
جُرهم الى هذه المجالس القرآنية؟ إنه لا شيء سوى الفطرة الايمانية المتجذرة
في اعماق هذه الامة، والروح القرآنية الحاكمة في هذه البلد، وجاذبية القرآن،
فيجب أن يزداد هذا الامر يوماً بعد يوم.

لقد قلت مراراً إنه لو أردنا أن يكون جميع الشعب في المستوى المتوسط،

فيجب أن تكون هناك مجموعة على مستوى عال، وعدد آخر أقل على مستوى أعلى. فميزة الأفضلين جذب المتوسطين وتطوير مستواهم، وعلى هذا الأساس يزداد تدريجياً عدد القراء وذوي الاصوات الحسنة والحفاظ والمتبحرين في القرآن كما وكيفاً.

وما اود قوله لقراء القرآن الاعزاء هو ألا يقنعوا بحد معين، لأن بإمكانهم أن يطوروا انفسهم اينما كانوا، فما زال هناك فاصل في المستوى بين قرائنا الاعزاء وقراء العالم الممتازين من الموجودين على قيد الحياة والمتوفين منهم. بالطبع إن قراءنا افضل من قراء الكثير من الدول وحتى من بعض القراء المعروفين، لكن الفاصل كبير بينهم وبين القراء الممتازين؛ فيجب أن يبلغوا مستواهم بل يسبقوهم لأنهم شباب ثوريون، والاجواء القرآنية سائدة في البلد وجميع الاسباب مهيئة، فلا داع للتخلف والتأخر.

وبناء على ذلك لا يمكن أن نقنع بحد معين، بل يجب أن نطور أنفسنا من حيث الصوت والمعنى واللحن وفن التلاوة الحسنة - وهذا الاخير يختلف عن سوابقه -، وعلى حفاظ القرآن السعي للابقاء على محفوظاتهم، لانها تزول، فليسعوا لئلا تزول، فهذه نعمة عظيمة، وعلى قراء القرآن وذوي الاصوات الحسنة السعي ليكونوا حفاظاً للقرآن، ليكتملوا اكثر وليعينهم على التلاوة ايضاً؛ إن تلاوة القرآن بصوت حسن أمر جيد جداً، فقد روي أن الناس عندما كانوا يمرون أمام بيت أحد الامامين السجادة او الباقر عليه السلام، تجذبهم تلاوتهما عليهما السلام، فيمكثون في اماكنهم حتى ينهي الامام تلاوته فينصرف الناس؛ فتلاوة القرآن بصوت حسن، وبآدابه الخاصة، وبأسلوب ونغمة وطريقة خاصة حسن ويقرب الانسان الى الله تعالى. لكنها غير كافية، ولنضرب لذلك مثلاً يقربنا من المعنى المقصود؛ لنتصور القرآن الكريم عمارة واسعة وعظيمة ذات غرف وطبقات مختلفة، ولهذه العمارة باب ومدخل، فان كان المدخل جميلاً، رغب الناس في دخول هذه العمارة.

كذلك فإن مدخل هذا البناء الرفيع هو هذه التلاوة الجيدة، فالتلاوة الجيدة شيء لازم، وإنني أشجّع وأبجل الذين اناقونا حلاوة القرآن بتلاوتهم الجيدة، وعلى قرائنا الشباب واليافعين الاعزاء في ايران أن يتعلموا من هؤلاء الاساتذة

القدامى الذين قدموا من الخارج وبالأخص من مصر والبلدان الإسلامية الأخرى، فقد تلووا القرآن تلاوة حسنة، لكن كل هذه مقدمة لدخول ذلك البناء العظيم والرفيع، فلا بد من دخول هذا البناء ولا بد من حفظ القرآن.

انني رأيت أطفالنا الصغار قد حفظوا من القرآن خصائص تتعلق بالآية والسورة والصفحة والسطر، وهذا عمل مثير وجميل جداً، ولا بد من تكريم آبائهم وأمهاتهم الذين سعوا لتربيتهم هكذا؛ وبهذا الصدد يجب أن أشير إلى أنه ليس من اللزوم معرفة عدد الحروف أو الكلمات، فلا تشغلوا أذهان الأطفال بهذه الأعداد الكمبيوترية، فما الداعي لمعرفة عدد حروف هذه السورة. نعم كانت الحاجة في يوم ما إلى ذلك خوفاً من التحريف، لكن اليوم وقد طبع القرآن آلاف الطباعات، فمن يتجرأ أن ينقص حرفاً من القرآن أو يزيد عليه؟ فبدلاً من حفظ هذه الأشياء ليتدربوا مثلاً على حفظ نهاية الآيات فيعلموا مثلاً من ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ كم مرة جاءت كلمة (سميع) أو (عليم)؟ وكم مرة جاءت معاً؟ فلهذا أثر في فهم معاني الآيات. ومن باب المثال كم مرة تكررت كلمة (الوحي)؟ وفي كم آية أشير إلى أن القرآن يوحى إلى النبي ﷺ؟ وما عدد الآيات التي تحدثت عن الوحي في السورة التي يريد أن يتلوها القارئ، فهذه الأمور مهمة، ولكن أن يحفظ رقم الصفحة التي وردت فيها الآية، فهذا غير مهم؛ فإنه ليس لدينا مصحف واحد بل مئات المصاحف المطبوعة، فقد ترد آية في الصفحة (٣٢٥) في إحدى طباعات القرآن وفي آخر في صفحة أخرى.

فليتعلم الأطفال الأمور اللازمة والمفيدة التي تقرّبهم إلى فهم معاني القرآن، ليتربّسوا في أذهانهم كالنقش على الحجر، وتعود عليهم بالبركة إلى آخر العمر. وهكذا ينمو المجتمع الإسلامي، ويحفظ تماسكه ويضمن استقلاله، وهكذا يتوجه مسلمو العالم للبحث عن طريق الهداية في الإسلام، واليوم قد عرف الناس أن طريق الهداية يكمن في الإسلام، فلا بد من حثهم على ذلك.

لا سيما وأن بلادنا قائمة على نشر المعارف القرآنية، والنظام الإسلامي دائب على نشر وتوسيع نطاق هذه المعارف بين الناس حتى يأتي اليوم الذي يكون فيه هذا البلد غير قابل للهزيمة بانن الله.

أَخْلَاقُ قُرْآنِيَّةٍ التزكية سبيل السعادة والوحيد

دراسات

* الشيخ محمد تقى
مصباح اليزدي
ترجمة: عباس الأسدي

تقابل «التقوى» و «الفجور»

يستخدم في اي نظام اخلاقي مفهومان متضادان، احدهما يدل على الاخلاق الحميدة، والآخر على الاخلاق الذميمة، واللفظ المشترك الذي يجمع بين هذه النظم في كلا المفهومين يختزل في كلمتي الخير والشر؛ ولكن ثمة مفاهيم أخرى تحمل معاني أرقى من المعاني التي يتضمنها مصطلحي الخير والشر، ومنها المفاهيم التي اوردها آيات سورة الشمس، حينما استعملت مفهومي «الفجور» و «التقوى» تارة و «التزكية» و «التدسية» تارة أخرى بدلاً من استخدام مصطلحي الخير والشر؛ ويفيد مفهوم الفجور والتقوى المعنى المنشود أكثر مما يفيد مفهوم الخير والشر، إذ يعالج السبب الذي يكمن وراء ضرورة اجتناب الاخلاق الذميمة، وهو خروجه عن حدوده الفطرية وضياعه؛ في مقابل ممارسة فعل الخير وكل ما يدخل ضمن الاخلاق الحميدة التي تحفظ الفطرة الانسانية وتحميها.

آيات أخرى في السورة المباركة اطلقت لفظي التزكية والتدسية عوضاً عن

التقوى والفجور، ورغم أن التزكية والتقوى هما مصداقان للخير، إلا أنهما يحملان مفهومين مختلفين بعض الشيء، فالتقوى هي التزكية والفجور هو التدسية، لكن مفهوم التزكية يحمل في طياته معنى أكبر مما يقدمه لنا مفهوم التقوى، ذلك أنه يحث على العمل، فضلاً عن أنه يمنع عن النفس المخاطر ويحفظها من الرذائل، فمصطلح التزكية يفيد هذا المعنى أكثر مما يفيد مصطلح التقوى وبالمقابل، فإن ممارسة الفعل القبيح يؤدي إلى دخول عنصر مناقض للفطرة في الإنسان يفسده كما يفسد السم الحلوى عندما يُدس فيها^(١).

دليل تقدم ذكر «الفجور» على «التقوى»

قد يطرح هنا سؤال عن سبب تقدم الفجور على التقوى في الآية: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾^(٢)، فيما تقدمت التزكية على التدسية في الآية: ﴿قد أفلح من زكّاها﴾^(٣) وقد خاب من دساها^(٤)، فماذا يمكن أن يكمن وراء ذلك التقدم والتأخر؟ إن أول ما تنمو فيه - بطبيعته - هي الغرائز الحيوانية التي تولّد فيه الاتجاه المادي الذي يعتبر مصدراً للشر والفساد والتدسية، وبالطبع فإن أصل الغريزة الحيوانية ليست شراً بذاتها؛ فالميل إلى الطعام والجنس المخالف ليس مذموماً بعد ذاته، إنما الإفراط فيه هو المذموم، واستخدام الغرائز في غير محلها يؤدي إلى التدسية. وعليه فإن الدوافع المادية تظهر في الإنسان قبل الدوافع المعنوية والالهية؛ فالطفل تبرز أول ما تبرز فيه غرائزه الحيوانية من ميل إلى الطعام والشراب واللعب، ومن ثم الميل إلى الجنس الآخر، وفي مرحلة البلوغ يبرز في الإنسان الميل إلى المعنويات والعبادة، لكن هذا الميل لا ينمو تلقائياً، بل يحتاج إلى التربية بعكس الغرائز الحيوانية التي تنمو قبل غيرها وتمارس نشاطها وتلح على الإنسان أن يبادر لإشباعها، فإذا استجاب لها دون أن يكبحها بعنصر التزكية فقد تجره إلى مستنقع الفساد والضلال.

اذن، فالآية الكريمة أتت بذكر المفهومين حسب تسلسل ظهورهما الطبيعي في الإنسان بلحاظ أن الفجور هو من نتاج الغريزة الحيوانية التي تبدأ بالظهور في الإنسان قبل غيرها^(٥).

(١) التدسية: مصدر دسّ، وأصل الفعل دسّس، فلما تواتت السينات قلبت إحداهن ياء، وهو من الدس بمعنى الاخفاء، وتدسية النفس: إغواؤها وإفسادها.

(٢) الشمس: ٨.

(٣) الشمس: ٩ - ١٠.

(٤) هناك عدة وجوه لتفسير ﴿فألهمها﴾، أحدها إيقاظ هذه الغرائز والدوافع الفطرية والطبيعية.

والسؤال الذي ربما يطرح هنا هو: لماذا يستخدم مفهوم الفطري والطبيعي مترادفين، بينما يُطلق المصطلح الاول على الخير فقط؟

وجواباً نقول: إنه يُراد من هذا المصطلح معانٍ عديدة؛ فهو يأتي تارة في مقابل مصطلح الاكتسابي، فحينما يقال إن هذه الغريزة فطرية فانما يُراد أنها ليست مكتسبة؛ وبلحاظ ذلك فإن جميع الغرائز الانسانية منها والحيوانية هي فطرية، ويأتي تارة أخرى معبراً عن الغرائز او الدوافع الباطنية السامية التي تعلو على الغرائز الحيوانية فتسمى دوافع فطرية، وقد استخدم الشهيد مرتضى المطهرى رحمته الله المعنى الثاني للفطرة في معظم مؤلفاته، وهو اصطلاح خاص، وإلا فإن معنى الفطرة في الاصل هو ما ذكرناه أولاً. وربما يقال ايضاً إن الميل الى الخير والميل الى الشر كلاهما فطري، اي ليس اكتسابياً، حيث جعل الله تعالى في الانسان كلا الميلين الخير والشر.

واذا اخذنا بالاعتبار المعنى الثاني في ﴿فألهمها﴾، فسيصبح مفهوم الآية هو أن هذه الميول الفطرية مودعة في داخل الانسان، اي الاشياء التي تسوق الانسان - طبقاً للنظرة الاسلامية - نحو الفجور والتحلل، ولتأكيد هذا المعنى يمكن الاستشهاد بالآية الكريمة: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه * بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ (٥).

(٥) القيامة: ٢-٥.

فالانسان يطمح أن يكون حراً لا تقيدته حدود، وهذه الحالة تدفعه لإنكار الاسس العقائدية؛ لأن الإيمان بالقيامة والحساب يحد من هذه الحرية التي تقود الى التحلل والتفسخ الخلقي، لكونه يعلم بأن وراء ثواباً وعقاباً، وأن اعماله سيحاسب على كل صغيرة وكبيرة منها، ومن ثم فإنه سيراقب نفسه وسلوكه ولا يطلق لهما العنان؛ أما الانسان الذي لا يفكر في تقيد نفسه وتحديد سلوكه فإنه ينكر منذ البدء الاسس العقائدية وينفي وجود القيامة.

السعادة أو الشقاء

اللافت للنظر هنا أن هذه الآيات تلقي ضوءاً ساطعاً على أهمية تزكية النفس وتهذيب الاخلاق، وتعطيها اولوية خاصة؛ فالسائد في الاوساط هو أن تهذيب

الاخلاق يأتي في المرتبة الثانية من الاهمية، شأنه شأن المستحبات، لكن هذه الآية تضع الانسان امام مفترق طريقين لا ثالث لهما: إما التزكية أو التدسية؛ فإذا اختار طريق التزكية فقد أفلح، وإن سلك الطريق الثاني فقد خاب وشقي.

العلاقة الوثيقة بين الاخلاق والعقائد

ثمة ارتباط وثيق بين الاخلاق والعقائد، نستنتجه من الآية الكريمة التي اعطت اولوية خاصة لتزكية النفس، فإذا كانت العقائد تشكل البنى التحتية والاسس الرصينة للدين الاسلامي فإن الاخلاق هي الأخرى ركيزة هي من اهم ركائز هذا الدين. صحيح أن العقائد مهمة جداً بالنسبة للمسلم، ولكن يمكن أن تنحرف هذه العقائد او تزول اذا لم يبادر المرء الى تزكية نفسه وتهذيب اخلاقه، وهذه حقيقة لم نكن لنتوصل اليها لولا أن كشف عنها القرآن الكريم؛ لأن الاعتقاد السائد هو وجود نوع من الحدود بين الاخلاق والعقائد، إلا أننا اذا رجعنا الى القرآن الكريم والروايات الواردة في تفسير بعض الآيات القرآنية، يتضح لنا أن بعض العادات والاخلاق تحول دون الايمان. مثال ذلك نصارى نجران الذين دعاهم الرسول ﷺ للمباهلة، حيث امتنعوا عن اعتناق الاسلام لا بسبب أنهم لم يدركوا حقيقته، وإنما بسبب حبهم لبعض المحرمات مثل الخمر ولحم الخنزير، حيث كان عليهم أن يهجرها لو دخلوا في الاسلام وآمنوا به. إذن، ليس هناك حد فاصل بين الاخلاق والاعتقادات، بمعنى أن العقيدة لا تُستحصل فقط بطريق العقل والدليل، وإنما هناك صلة مباشرة بين الاثنين؛ إذ إن الاخلاق الطيبة الحسنة يمكن أن تمهد لإيمان المرء، كما حصل في زمن النبي ﷺ حينما آمن الكثير من الناس بالنبي ﷺ بسبب صدقه واخلاقه الحسنة. يقول تعالى عن النصارى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴿٦﴾.

فالنصارى خلاف اليهود الذين كانوا ينطلقون من نفس استكبارية معاندة، وكانوا يعتبرون انفسهم شعب الله المختار، ولهذا قال تعالى عن اليهود:

(٧) المائدة: ٨٢.

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ﴾ (٧).

ومن هنا تتضح العلاقة بين الاخلاق والعقائد؛ إذ إن التواضع هو سبب قرب النصاري من المسلمين وإيمانهم، أما التكبر والغرور فهو سبب بُعد اليهود وعداوتهم للمؤمنين.

واعتبر القرآن الكريم أيضاً أن أخلاق إبليس هي السبب في كفره وطرده من رحمة الله، لا لكونه جهل السبب في سجوده لآدم، فالقرآن غني بمسألة استكبار إبليس وقال: ﴿ أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ (٨).

(٨) البقرة: ٣٤.

فالأخلاق السيئة تمنع الإيمان، كما أن الصفات الذميمة بإمكانها أن تزيل الإيمان حتى وإن كان صاحبها قد قام بأعمال حسنة وعرض نفسه للمخاطر في ميادين الجهاد قال تعالى في المنافقين: ﴿ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ (٩)، فقد كان هؤلاء مؤمنين عاهدوا الله أن ينفقوا أموالهم في سبيله إن أغناهم من فضله، لكنهم نقضوا عهدهم فزال إيمانهم وظهر النفاق في قلوبهم.

(٩) التوبة: ٧٧.

إنّ يجب ألا ننظر إلى تزكية النفس وتهذيب الاخلاق بعين الاستصغار، فإذا غفل المرء عن عيوبه ولم يبادر إلى اصلاحها أدّى به الأمر إلى الشرك والاحاد والكفر، فالتأكيد الذي جاء في كتاب الله في مسألة التزكية وحصر الفلاح فيها ﴿ قد افلح من زكّاها ﴾ إنما يكشف عن أهمية هذه المسألة وعظمتها، لأن الاخلاق تلعب دوراً كبيراً في حياة الانسان الذي ينتظره مستقبل خطير جداً لو لم يبادر إلى مراقبة نفسه ومعالجة سوء اخلاقه.

ما هي النفس؟ وما هي الروح؟

السؤال الآخر الذي يمكن أن يطرح هنا هو: ما المراد بالنفس في الآية ونفس وما سواها * فآلهما فجورها وتقواها؟، فقد استخدم لفظ النفس في القرآن الكريم بعدة صور، فهو تعالى يقول في الآية ٥٣ من سورة يوسف ﴿ إن النفس لأقار باليسوء إلا ما رحم ربي ﴾، ثم يقول في الآية ٢٧ من سورة الفجر: ﴿ يا أيّها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾.

فهل النفس خَيْرَة أم شَرِّيرة ؟ وهل النفس تعني الروح، أم هي امر آخر يستخدم في قبال العقل؟

تتحدث كتب الاخلاق عن صراع بين النفس والعقل، وتقول إن هناك صراعاً دائماً بين النفس والعقل في وجود الانسان، فتتغلب النفس تارة، ويتنصر العقل تارة اخرى؛ فالنفس هنا تقف في الجهة المقابلة للعقل. ويفسر الفلاسفة هذه الآية وامثالها وفقاً لمفهومها الفلسفي؛ حيث تكون النفس في ذلك المفهوم بمعنى الروح، ولكن يبقى السؤال: هل المراد بالنفس في هذه الآية الروح؟ وهل النفس والروح شيء واحد في المصطلح القرآني ام إنهما امران يختلفان عن بعضهما؟

قبل أن نجيب لابد أن نشير الى أن البعض يعتقد بأن الانسان مكون من ثلاثة عناصر: الجسم والنفس والروح، (وقد اضاف اليها آخرون عناصر غيرها مثل القلب والعقل وهو خارج بحثنا)، ولكن الشائع هو أن الانسان مركّب من عنصرين هما: الجسم والروح.

وحرى بنا أن نقول هنا: إن معنى النفس حسب المصطلح الفلسفي لا ينطبق على المعنى القرآني لها، إلا في بعض الحالات. قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون﴾ (١٠)، حيث تصوّر هذه الآية لحظة موت الكافرين؛ فماذا يحصل لدى قبض الروح؟

في هذه اللحظة تنفصل الروح عن الجسد، ولهذا عبّر الله تعالى عن هذه اللحظة بجملة: ﴿أخرجوا انفسكم﴾ ولم يقل: أخرجوا ارواحكم، فما هو الشيء الذي تقبضه الملائكة؟ إنها الروح التي أطلق عليها اسم النفس في هذه الآية.

الآية الأخرى التي يراد من النفس فيها الروح قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ (١١).

ونحن هنا لسنا بصدد تفسير الآيات الكريمة ومعانيها، وانما أردنا أن نشير الى بعض الحالات التي يتطابق فيها معنى النفس مع معنى الروح، ولكن ليس الامر كذلك في كل الاحوال، فالمصطلحات القرآنية أوسع من المفاهيم الفلسفية، إذ إن القرآن الكريم قد يطلق كلمة النفس ويرمي بها إلى معانٍ أخرى

(١٠) الانعام: ٩٣.

(١١) الزمر: ٤٢.

غير الروح، فحينما يقول تعالى في الآية ٥٣ من سورة يوسف: ﴿إِنَّ النِّفْسَ لِأُمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ لا يعني أن كل روح تتصف بهذه الصفة، وإنما أراد بذلك بعداً خاصاً في الروح، وإلا فإن الروح البشرية تميل نحو الخير أيضاً؛ مثال ذلك أرواح الانبياء والاولياء أو الأرواح التي غني أصحابها بتربيتها واعادتها إلى فطرتها الطاهرة.

أذن، فالنفس هو مصطلح خاص استخدمه علماء الاخلاق في قبال العقل، فيقال مثلاً: تغلبت النفس على العقل؛ ولا يقال تغلبت الروح على العقل، لأن العقل بذاته يعتبر إحدى قوى الروح، وبالتالي فهو ليس في حالة صراع معها. ففي كل انسان اتجاهان: أحدهما يدفعه إلى الرقي والسمو، والآخر يحثه نحو الإخلاق إلى الأرض والغور في الماديات والشهوات؛ وقد أطلق علماء الاخلاق على الاتجاه إلى الخير اسم «العقل» والاتجاه نحو الشر اسم «النفس». وكلمة «النفس» في الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ مؤنث مجازي، والمراد منها الشخص الانساني الذي يتكون من جسم وروح، وله هويته الانسانية التي لولاها لم يبق من الانسان إلا جسمه، ومفهوم «التسوية» من ﴿فَسَوَّاهَا﴾ يعني مرتبة تكميل الخلقة، بمعنى أن الله تبارك وتعالى قد اكمل خلق هذا الكائن، وما عليه إلا أن يتحرك باتجاه مسيره التكاملي.

التزكية سبيل السعادة الوحيد

آخر ما نريد أن ننبه عليه هو عبارة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، فالإنسان بطبيعته الفطرية يطمح إلى الفلاح والسعادة، ولا تجد انساناً يطلب العذاب والشقاء؛ لانها رغبة مخالفة للفطرة، ومن يتصور أن الانسان مجبر على طلب الفلاح والسعادة فهو تصور خاطئ؛ بل الافضل أن نقول: إن الانسان مجبول على هذا الشيء رغم أن استخدام كلمة مجبول هو تعبير مجازي؛ فإن الإنسان يرغب في تحقيق السعادة والفلاح هدفاً أساسياً لنفسه.

فماذا يجب أن نفعل لكي نحصل على هذا الفلاح؟ يجب القرآن بأن طريق السعادة هو تزكية الاخلاق والنفس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وعبارة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ هنا هي عامل لحث الانسان ودفعه نحو تزكية نفسه وتهذيب اخلاقه.

من فقه مدرسة

اهل البيت

* الشيخ

محمد علي التفتيزي

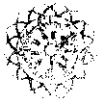
مسألة تغيير قيمة

العُملة الورقية



ولا تُرْفأ في الإسلام إلا بملة

١- توضيح المسألة وحقيقة الإشكال فيها:



بعد أن حلّت الأوراق النقدية محلّ النقد الخلفي (الذي له قيمته الذاتية كالذهب والفضة)، وطرأت عوامل التضخم وتقلب الأسعار الحادّ، الذي يؤثر تأثيراً كبيراً على القوة الشرائية لهذه الأوراق، مما يؤدّي إلى قلّة سعرها أمام المنافع والسلع والخدمات المقدمة، جاءت هذه المشكلة ولاسيما في مجال الديون، كما تطلّب الحديث عنها في مجالات أخرى كوجوب الزكاة وأحكام الصرف وأحكام الضمان وغير ذلك وسنركز في الديون خاصة، وحقيقة الإشكال تكمن في بحثنا هذا في مقتضيات أمرين متخالفين:

الأول: مثلية هذه الأوراق، والمثلي هو ما تماثلت آحاده بحيث يقوم بعضها مقام بعض، ويشمل المكيالات والموزونات والمعدودات، وفي قبالة القيمي كالحيوان والعروض والعقار، وعليه فإذا اقترض ورقة نقدية أو إذا غصبها كان عليه رد مثله لا غير.

الثاني: العدالة، فكثيراً ما يقرض المرء غيره مبلغاً من المال وفقاً به، فإذا حلّ

أجل الوفاء وجد المقرض هذا المبلغ أقل بكثير مما دفعه من حيث قدرته الشرائية، ويأتي هذا في الديون والمهور حيث يطرأ عليها التغيير الفاحش، مما يكون له آثار فاحشة على المستويات الدولية والفردية ويحقق شبهة الظلم ونقض العدالة بلا ريب.

وكل ما طرح من حلول يحاول رفع هذا التناقض إما من خلال التركيز في قيمة الأوراق المالية المتبادلة؛ باعتبارها لا ملازمة بين هذا الدليل وبين المدعى إذ ما أكثر السلع التي لها قيمة استعمالية ومع ذلك تعد من القيميات كما أن هناك ما ليس له قيمة استعمالية ومع ذلك يعتبر من المثليات كبعض المحفزات مثلاً لو قيل بالضمان فيها وعلى أي حال ليس الملاك في القيمي فقد القيمة الاستعمالية. لا تملك أية قيمة استعمالية في نفسها، في حين تملك الأشياء الأخرى حتى النقدان الذهب والفضة، بل حتى الفلوس النافقة (التي كانت تقوم مقام النقدين في الأشياء الصغيرة فكانت قيمتها التبادلية أعلى من قيمتها الاستعمالية) قيماً استعمالية، مما يحقق لها نوعاً من المثلية. أما هذه الأوراق فهي بطبيعتها قيمية ولا سيما بعد أن تم فصلها تماماً عن الغطاء الذهبي وعادت أموالاً عرفية^(١)، أو من خلال تأكيد أن مقتضيات العدالة رغم أنها المعتمدة في نظام المعاملات بعد تقرير القرآن الكريم له بقوله تعالى: ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢) إلا أن هذه الموارد ترتبط بالجوائح والحوادث الحاصلة للأموال بعد ثبوتها، وأن العدالة إذا كانت تقتضي هنا جبر الخسارة فإنها تقتضي حفظ النظام وعدم الإخلال به. فإذا ركزنا في قيمة النقد اختل النظام العام للديون وحدثت مضاعفات أخرى لا يمكن جبرها، كما نرى فيما بعد.

(١) لا مجال للحديث عن التطور النقدي وعلاقة الأوراق النقدية بالذهب والفضة، وإنما الذي استقر عليه الوضع الحالي هو انفصال النظم النقدية تماماً عن الذهب والفضة وامثالها، وتحول الأوراق النقدية إلى وضع يشبه السلع التي تخضع لمستوى العرض والطلب، والسلع قيمة بلا ريب.

(٢) البقرة: ٢٧٨.

٢- التكيف الفقهي للعملة الورقية وهل هي مثلية أم قيمية؟

شكلت العملة الورقية كما قلنا وضعاً جديداً غير مألوف لدى الفقهاء، مما أثر في نظراتهم لها، فلا هي سلعة متعارفة تستمد قيمتها التبادلية من منفعتها الاستعمالية ومدى الرغبة الاجتماعية فيها، ولا هي سند معبر عن رصيد ذهبي

(٣) البنك اللاربوي للشهيد
الصدر: ١٥٠.

بحيث يعتبر مالها مالاً لذلك الرصيد، فيكون معنى التعامل بها «هو التعامل بقيمتها ذهباً في ذمة الجهة المصدرة»^(٣)، فقد قطعت علاقة هذه الأوراق بالذهب تماماً، واختار الصندوق المالي العالمي فكرة حقوق السحب الخاصة بديلاً لاحتياطي الذهب، حيث يستحق أعضاء هذا الصندوق سحب كمية معينة من عملات شتى الدول لأداء ديونهم إلى الدول الأجنبية الأخرى، واعتبر مقدار ٨٨٨٦٧٦ غراماً من الذهب معياراً لتعيين هذه الكمية.

وهكذا عادت هذه الأوراق تمثل قوة مفترضة وثماً قانونياً للأشياء تحمل ماليتها معها، فإذا تلفت تلفت ماليتها وليس لها أية منفعة استعمالية، فلا يمكن اعتبارها شيئاً حتى فلوساً نافقة، فإن هذه الفلوس لها قيمة ذاتية لما فيها من معدن «إلا أن تنتفي قيمة هذا المعدن أو تضل تماماً»، في حين لا تحمل الأوراق شيئاً حتى هذا المستوى من القيمة الذاتية.

والحقيقة هي أن الأوراق النقدية هي اليوم (سلع) اعتمادية خاصة لا غير، وإنما قلنا إنها سلع خاصة لكي نوضح الفرق بينها وبين السلع القيمية التي لها منافعها الاستعمالية، في حين لا تعتمد هذه الأوراق على منافعها الاستعمالية، وإنما تركز على منافعها التبادلية وتستمد هذه القدرة من خلال القدرة الاقتصادية للدول التي تصدرها، وتتعهد بقيمتها دون أن تربط هذه القيمة بأي غطاء.

وهذه السلع الخاصة تعتمد في قيمتها التبادلية على قوانين العرض والطلب، التي تعتمد بدورها على القدرة الاقتصادية للدول المصدرة، وعلى مدى رغبة هذه الدول في الاحتفاظ بالقيمة والقدرة التبادلية لهذه الأوراق، وكذلك على مدى رغبة الدول الأخرى في التعامل مع هذه الدولة، فكلها عوامل مؤثرة في هذه القوانين.

وبتعبير آخر: إن الأشياء سوف تكون على أربعة أقسام، فهناك أشياء يلحظ فيها الجانب الاستعمالي قبل الجانب التبادلي كالسلع العادية، وهناك ما يلحظ فيه الجانبان معاً كالذهب المسكوك، وهناك ما يلحظ فيه الجانب التبادلي أكثر من الجانب الاستعمالي كالفلوس أو حتى الذهب الذي تتجاوز قيمته

التبادلية قيمته الاستعمالية، وهناك ما يلحظ فيه الجانب التبادلي لا غير وهو الأوراق النقدية، وهذا يعني أن (المالية) هي كل قوام هذه الاوراق، فإذا كانت الأفراد الأخرى لهذه الأوراق؛ بما فيها من أوراق أخرى في طول الزمان، تقوم مقامها كانت مثلية، أما إذا كانت تختلف عنها عرضاً كما في الدنانير الأردنية مثلاً في قبالة الدنانير العراقية، أو طولاً كما في الاوراق التي يختلف سعرها في الظروف الزمانية الأخرى، فلا يمكننا اعتبار المثلية هنا لأننا قلنا إن المثلية تقوم بتمائل الآحاد والأجزاء من الأموال، بحيث يمكن أن يقوم بعضها مقام بعض دون فرق متعدد به عرفاً.

إن كان المقصود هو الفرق حتى في المالية (طولاً أو عرضاً)، فالامتعة كلها أو جلها يختلف سعرها من زمان إلى زمان، مع أن كثيراً منها يبقى مثلياً رغم ذلك، وإن كان المقصود هو الفرق الحسي في الشكل والصورة، فالمفروض أن الدراهم والدنانير الورقية لا يختلف بعضها عن بعض في ذلك، فلماذا صارت قيمية؟

وعلى هذا يمكننا القول إن الأوراق المالية يمكن أن تكون مثلية كما يمكن أن تكون قيمية باعتبار وحدة القيمة واختلافها، وهي في الواقع قيمية قبل أن تكون مثلية؛ لأن اعتبارها بماليتها. كون الاعتبار بالمالية موجباً لكون الشيء قيمياً في باب الضمان هو اول الكلام. ومنشأ الخلط هو التشابه في المعنى اللغوي بين كلمتي المالية والقيمة حسب الظاهر.

وهذا المرحوم الأصفهاني^(٤) عندما يتعرض للمسألة المعروفة حول كيفية الضمان في عهدة من غصب ثلجاً في الصيف وأراد الوفاء في الشتاء، يؤكد أن وجوب رد المثل إنما يكون دليلاً على التضمين والتغريم، فلا بد من رعاية حيثية المالية؛ إذ المال التالف لا يتدارك إلا بالمال -وأضاف- ومنه يتبين الفرق بين سقوط العين عن المالية وسقوط المثل عنها، ورد العين إنما يكون بلحاظ ماليتها لا بلحاظ ماليتها، لكن التضمين والتغريم إنما هما بلحاظ المالية فيجب حفظها - كما سيأتي - هذا الكلام خاص بموارد سقوط الشيء عن المالية نهائياً - كما صرحوا بذلك وكما يدل عليه التمثيل بالثلج في الشتاء - ولا يشمل موارد

(٤) المسائل المستحدثة

للروحاني: ٣٨.

النقص في المالية فقط في مثل موارد التضخم.

فالضمان المفروض على الغاصب إنما هو بلحاظ الأثر المالي، وهذا الأثر يختلف في الصيف عنه في الشتاء، بخلاف مسألة الملكية نفسها وهي علاقة وضعية لا تختلف. وعندما نحاول معرفة الأشياء المثلية نجد أن تعاريف المثلية مختلفة سيما وأن المثلية لم ترد في نص شرعي.

فالمقدس الأردبيلي يؤكد أن الأمر يحال إلى العرف، وهو كل ما يقال إن لهذا مثلاً عرفاً يؤخذ به، فإن تعذر أو لم يكن أصلاً فالقيمة، بل ينبغي ملاحظة مثل المتلف فلا يجزئ مطلق الحنطة عن الصنف الخاص المتلف، بل لا فرق بينها وبين الثوب بل الفرس وغيرهما إذا كان لهما أمثال عرفية.

ويعترض صاحب الجواهر على هذا بأنه مخالف للإجماع، ويفسره بأنه لا يراد به المثل العرفي بل هو شيء فوق ذلك، وهو المماثلة في غالب ما له مدخلة في مالية الشيء، ويضيف وهذا لا يكون إلا في الأشياء المتساوية المتقاربة في الصفات والمنافع والمعلوم ظاهرها وباطنها. وبعد أن ينقل التعاريف الأخرى يقول: «وبالجملة فالمراد من التعاريف واحد، وهو التساوي الذاتي في غالب ما له مدخلة في الرغبة والقيمة»^(٥).

ويضيف: «على أنه يمكن أن يقال بل قيل: إن الظاهر من الآية^(٦) وخصه المالك بأخذ المثل بالمماثلة العامة إرفاقاً بالمالك، فلا يجوز للغاصب التجاوز عنه مع تقاضيه ذلك، لأنه لا يجوز للمالك مطالبة الغاصب بالقيمة، فإن الظاهر أن التالف في حكم المثلن والعوض في حكم الثمن والتخيير بيد البائع في التعيين، فيجوز للمالك مطالبته بالقيمة ولا يرضى إلا بذلك في عوض ماله، ولا يمكن التمسك بأصالة براءة الغاصب عن لزوم القيمة، لاستصحاب شغل الذمة الموقوف براءتها بأداء حق المالك وإرضائه لكونه مطلوباً».

بل ربما يقال: «إن النقيدين هما الأصل في الأعواض في الغرامات وغيرها، كما يشعر به بعض النصوص التي تقدمت في كتاب الزكاة^(*)»^(٧).

وهكذا يتأكد ما قلناه من أن حقيقة الأوراق النقدية في وضعها الحالي قيمية (عند اختلاف القيم) بلا ريب، وليس من الممكن قياسها إلى النقيدين، باعتبار

(٥) جواهر الكلام ٣٧: ٩١.

(٦) قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٩٤: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.

(*) يرى المعلق أنه ربما أراد قوله ﷺ في موثق إسحاق بن إبراهيم: «لأن عين المال الدراهم، وكل ما خلا الدراهم من نهب أو متاع فهو عرض مردود تلك إلى الدراهم في الزكاة والديات».

(٧) جواهر الكلام ٣٧: ٩٢.

عدم تغيير السعر إلا بقدر متفاوت متسامح به عرفاً، كما لا تقاس حتى إلى الفلوس النافقة (كما فعل البعض)^(٨)؛ لوجود قيم ذاتية ضئيلة وللتسامح العرفي فيها باعتبار أنها كانت تستعمل في الأشياء الحقيرة، وعدم تصور التغيير الكبير فيها، اللهم إلا إذا كان التغيير في سعر الأوراق المالية أيضاً طفيفاً متسامحاً به عرفاً.

وعلى هذا يمكن القول رد القيمة له محله الخاص من الاعتبار ولا معنى للاستناد للإجماع في رد المثل؛ لأنه غير متحقق أولاً، ولأنه إجماع مدركي حتى لو تحققنا منه، ولا قيمة للإجماع المدركي لدى الإمامية.

تقريبات القائلين برد المثل:

١- إن ذمة الدين مشغولة بما اشتغلت به من العملة، وهو مثل ما إذا اشتغلت ذمته بالمتاع والعروض، وكما لا ريب في عدم اشتغال الذمة بأزيد من المقدار الذي كانت العروض مشغولة به، وأنها لا تتغير لمجرد رخص القيمة وقتها فذلك هنا.

وهذا أهم إشكال متصور في البين، فإذا غصب عيناً مثلاً فإن عليه إرجاع العين حتى لو انخفض سعرها، فذلك النقد بلا فرق في ذلك.

ولكن رأينا من قبل أن الفقهاء لا يتفقون على مجرد إعادة العين إذا كان هناك فارق معتد به في القيمة؛ لاختلاف الزمان والمكان باعتبار أن المنظور إليه هو القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية وهما مختلفتان.

على أننا ذكرنا أن هناك فرقاً كبيراً بين النقد والمتاع؛ باعتبار أن مصب النقد على قيمته المالية، ويتجلى هذا واضحاً جداً في الأوراق النقدية التي لا تحمل أية منافع استعمالية، فلا معنى لقياس الأوراق النقدية بالأمثلة، ولا ينبغي أن يقاس نقص قيمة الأمثلة على زيادتها؛ فإن هناك أموراً أخرى تلحظ في البين من قبيل التمسك بقاعدة الثبات في الملكية بالنسبة للغاصب، باعتبار بقاء العين نفسها على ملك مالكيها الأول لو كانت باقية، وبعد تلفها يكون ملزماً بأشد الحالات.

(٨) راجع مجلة مجمع الفقه الاسلامي العدد ٣ الجزء ٣ ص ١٦٩٧ المتضمن لرأي الشيخ العثماني.

نعم يمكننا أن نلتزم بأخذ الزيادة بعين الاعتبار بالنسبة للنقود الورقية.

٢ - هناك بعض الروايات التي تلغي الفارق في السعر من قبيل:

أ - صحيحة معاوية بن سعيد: «في رجل استقرض دراهم من رجل وسقطت تلك الدراهم أو تغيرت ولا يباع بها شيء، ألساحب الدراهم الدراهم الأولى؟ أو الجائزة التي تجوز بين الناس؟ فقال عليه السلام: لصابح الدراهم الدراهم الأولى»^(٩).

(٩) وسائل الشيعة ١٢: ٤٨٨.

ب - رواية يونس: «كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه كان لي على رجل عشرة دراهم، وأن السلطان أسقط تلك الدراهم وجاءت دراهم أغلى من تلك الدراهم الأولى، ولها اليوم وضيفة فأني شيء لي عليه؟ الأولى التي أسقطها السلطان أو الدراهم التي أجازها السلطان؟ فكتب: لك الدراهم الأولى»^(١٠).

(١٠) المصدر السابق.

ولكن جاءت رواية صحيحة عن يونس نفسه يقول فيها: «كتبت إلى الرضا عليه السلام أن لي على رجل ثلاثة آلاف درهم، وكانت تلك الدراهم تنفق بين الناس تلك الأيام وليست تنفق اليوم، فلي عليه تلك الدراهم بأعيانها أو ما ينفق اليوم بين الناس؟ قال: فكتب إلي: لك أن تأخذ منه ما ينفق بين الناس كما أعطيته ما ينفق بين الناس».

ويبدو أن المرحوم الكليني والمرحوم الشيخ الطوسي حلًا هذا التعارض الظاهري بالقول بأنه متى كان له عليه دراهم بنقد معروف فليس له إلا ذلك النقد، ومتى كان له عليه دراهم بوزن معلوم بغير نقد معروف فإنما له الدراهم التي تجوز بين الناس^(١١).

(١١) المصدر السابق.

وسواء صح هذا الجمع العرفي بين الصنفين من الروايات أم لا، فإن الملاحظ أن الفارق في السعر يبدو طفيفاً جاء التعبير عنه بكلمة (الوضيفة) وهو غير موردنا، إذ لعله لوجود التسامح العرفي في البين، ثم إن الرواية المعللة تنسجم أكثر مع ما قلناه من التركيز في النقد في العنصر التبادلي.

وعلى أي حال لا يقاس موردنا الذي لا نظر فيه إلا إلى الجانب التبادلي على

هذه الموارد.

هذا ومما يذكر استطراداً أن صاحب الجواهر ذكر بعدما أيد استحقاقه

للدراهم الأولى خلافاً لرأي الصدوق في المقنع إذا أوجب التي تجوز بين الناس انه من الممكن حمله على مهر الزوجة أو ثمن المبيع، ولكنه ردّه بأن حكمهما حكم القرض، ثم طرح إمكان ثبوت الخيار في المعاملة بها مع عدم العلم لأنه كالعييب بالنسبة إلى ذلك (١٢).

(١٢) جواهر الكلام ٢٥: ١٦٦.

هذا وهناك روايات تنفعنا في البين من قبيل:

أ- مكاتبة محمد بن الحسن إلى أبي محمد عليه السلام: «رجل استأجر أجيراً يعمل له بناءً أو غيره، وجعل يعطيه طعاماً وقطناً وغير ذلك، ثم تغير الطعام والقطن عن سعره الذي كان أعطاه إلى نقصان أو زيادة، أحتسب له بسعر يوم أعطاه أو بسعر يوم حسابه؟ فوق عليه السلام: يحتسب له بسعر يوم شارطه فيه إن شاء الله» (١٣).

(١٣) وسائل الشيعة ١٢: ٤٠٢.

ب- في رجل كان له على رجل مال، فلما حل عليه المال أعطاه به طعاماً أو قطناً أو زعفراناً ولم يقاطعه على السعر، فلما كان بعد شهرين أو ثلاثة ارتفع الطعام والزعفران والقطن أو نقص، بأي السعرين يحسبه؟ قال: لصاحب الدين سعر يومه الذي أعطاه وحل ماله عليه، أو السعر الذي بعد شهرين أو ثلاثة يوم حسابه؟ فوق عليه السلام: ليس له إلا على حسب سعر وقت ما دفع اليه الطعام إن شاء الله» (١٤).

(١٤) المصدر السابق.

والملاحظ أن أمثال هذه الروايات تؤكد القيمة التي تحملها السلع يوم إيصالها إلى الآخرين، حتى لو لم يتم نقلها بعد إليهم باعتبارها أجرة عمل أو وفاء لدين، فالملاحظ هو قيمة يوم الدفع.

وهناك مجال للمناقشة في مثل هذا التأييد.

٣- ما رواه الخمسة عن ابن عمر قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: أنا رجل أبيع الإبل بالنقيع، فأبيع بالدنانير وأخذ الدراهم، وأبيع بالدراهم وأخذ الدنانير، فقال: لا بأس أن تأخذ بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شيء».

فابن عمر كان يبيع الإبل بالدنانير أو بالدراهم، وقد يقبض الثمن في الحال وقد يبيع بيعاً آجلاً، وعند قبض الثمن ربما لا يجد مع المشتري بالدنانير إلا دراهم، وقد يجد من اشترى بدراهم ليس معه إلا دنانير، أفياخذ قيمة الثمن

يوم ثبوت الدين أم يوم الأداء؟ فبين بسم الله الرحمن الرحيم أن العبرة بسعر الصرف هو يوم الأداء، واعتبره الدكتور السالوس اصلاً في أن الدين يؤدي بمثله لا بقيمته. والظاهر أنه لا دليل فيه على ما نحن فيه، وكفينا الفرق الكبير بين النقدين والأوراق النقدية، على أن الفارق الكبير غير متصور هنا والباقي متسامح به عرفاً لتحقيق الاستقرار السوقي، ثم إن احتمال الصلح هنا كبير، وهناك مجال كثير للحديث حول هذا الموضوع وهذه الرواية.

٤ - الاستدلال بالإجماع وقد رأينا أنه لا إجماع في البين، ثم إنه إجماع له مدركه ودليله ولا حجة فيه لدى الإمامية.

٥ - القول بأن القبول بهذا يعني دخول الجهالة المفضية إلى النزاع والخلاف، إلا أن هذا لو تم فهو يتم أيضاً في القيمات التالفة، ومع ذلك يلتزم الجميع بدفع القيمة ولا نزاع بعد الرجوع إلى العرف، بل بعد الرجوع إلى المقاييس الدقيقة اليوم.

٦ - إن الذين دعوا إلى رد القرض بقيمته نظروا إلى الانخفاض فقط، ولو أخذ بالقيمة لوجب النظر إلى الزيادة والنقصان معاً. والحقيقة هي أننا نستطيع أن نلتزم بالاثنتين معاً على ضوء القدرة الشرائية لكل منهما بملاحظة العدل العام، ولا مانع في ذلك إذا كان التغيير فاحشاً.

٧ - قيل: إن التضخم من مساوئ النظام النقدي المعاصر، فهل المقترض هو الذي يتحمل هذه المساوئ؟ ولماذا لا نبحث عن نظام نقدي إسلامي نقدمه للعالم؟

ومثل هذا لا يمكن أن يعد اعتراضاً وجيهاً بعد التسليم بالأدلة المذكورة، نعم علينا أن نقدم البديل الإسلامي للعالم للتخلص من مثل هذه المساوئ.

٨ - وقيل: إن القرض عقد إرفاق له ثوابه وجزاؤه من الله عز وجل، وقد ينتهي بالتصدق: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَكُمْ﴾، فكيف اتجهت الأنظار إلى المقترض بالذات ليتحمل فروق التضخم.

والحقيقة هي أن الآيات التي منعت من الربا في القرض أو المعاوضة قررت

مبدأ العدالة: ﴿لا تظلمون ولا تظلمون﴾، والمدعي لهذا الرأي يركز في اقتضاء العدالة لذلك، على أن الدليل أضيق من المدعى؛ لأنه يختص بعقد القرض فقط والمدعي يشمل كل مبلغ مؤجل.

٩ - إن تغيير قيمة النقود لا يظهر في القروض والديون فقط، وإنما يظهر أيضاً في عقود أخرى، فمؤجر العقار مثلاً في معظم البلاد الإسلامية ليس من حقه إنهاء العقد واسترداد ما يملك إلا بموافقة المستأجر، ولهذا يمتد العقد إلى عشرات السنين، وقد تصبح قيمة الإيجار لا تزيد عن واحد أو اثنين في المائة من قيمة النقود عند بدء العقد.

ونحن لم نستطع أن نتعرف على وجه الاستدلال هنا، وهل نستطيع أن نحاكم الإسلام على ضوء قوانين وضعية؟ فإذا ما افترضنا أن الإلزام جاء من حكومة إسلامية كان من الطبيعي أن يلاحظ الحاكم الشرعي مقتضيات العدالة الإسلامية، فيفترض شروطاً للتخلص من عوارض التضخم.

١٠ - علينا أن نعمم هذا المعنى لمجمل الحياة، فالموظف الذي يبقى راتبه ثابتاً لا يستطيع أن يفي بمقتضيات الزيادة العددية التي تعوض نقص القيمة، ما لم نعمل لتعويضه شخصياً عما أصابه، وهذا أمر طبيعي يجب الالتفات إليه إلا أنه لا يمكن أن يؤثر في نتائجنا^(١٥).

١١ - وقيل: إن المالية الاعتبارية للأوراق النقدية منتزعة من اعتبار من بيده الاعتبار، وهي مالية غير مضمونة، وبتعبير آخر: إن العين بما لها من الخصوصيات تكون في العهدة إلى حين الأداء، وهي في الفرض حين الأداء لا قيمة لها، فلا وجه لتدارك القيمة قيمة يوم الأخذ، والفائدة إنما هو اعتبار المعبر لا شيء من المأخوذ^(١٦).

وهذا الأمر غريب حقاً؛ وذلك أن حقيقة الأوراق النقدية ليست سوى الاعتبار المعطى من قبل المصدر، فإذا جردناها منه فلا قيمة لها ولا خصوصيات.

(١٥) راجع لمعرفة تفاصيل أمثال هذه الاعتراضات مقال الاستاذ الدكتور السالوس في مجلة مجمع الفقه الاسلامي، الدورة الثالثة، الجزء الثالث من ص ١٨٠٩ إلى ص ١٨١٥.

(١٦) المسائل المستحدثة للروحاني: ٣٦.

الرأي النهائي في المسألة:

يتبين لنا مما سبق:

١ - أننا نميل إلى اعتبار الأوراق النقدية من القيميات، إلا إذا اتفقت وحداتها

وأفرادها على قيمة واحدة.

٢ - أن السيرة العرفية المقبولة شرعاً ترجح استقرار النظام التعاملى على

الاختلاف اليسير في السعر، فهي تلغيه عرفاً.

٣ - أن الاحتياط يقتضى المصالحة فيما إذا كان الفرق كبيراً، وهو سبيل

حسن في حالات الاقتراض والمهور والديون.

٤ - أما في حالات الغصب فيلزم الغاصب بأشد الحالات.

٥ - للدولة الإسلامية أن تفرض سبيل الاحتياط في مختلف الحالات بعد أن

كان صدر الأدلة يتسع لذلك.

مَعَالِمُ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ

د. طه حسين

فاتحة الكتاب

دراسات

* السيد

مندر الحكيم

تمهيد:

إن مفاتيح كنوز القرآن الكريم قد جمعت في فاتحة الكتاب صورة كلية رائعة لمن يروم الورود إلى هذا الكتاب الالهي، وخطوطاً عريضة لجميع مفاهيم القرآن المجيد، وهي تشتمل على روح الكتاب وتتصف بأعجازه ووضوحه وجماله.

إنها «أم الكتاب» ومفتاحه وأساسه. فلكل ذي اختصاص أن يتوجه إليها ناشداً ضالته، ليحصل منها على ما يروي ظمأه.

إن «فاتحة الكتاب» كلام رب العالمين وأدبه الذي أراد تأديب عباده عليه، وإيجاب قراءتها على كل مسلم عشر مرات على الأقل في كل يوم، لكل فريضة مرتين، يشير إلى ضرورة التأكيد على مفاهيمها، ولزوم تجسيدها عملياً في واقع الحياة، والتحلي بجمال ما فيها من قيم. لذلك فقد وجبت تلاوتها في السفر والحضر، والحرب والسلم، على الرجال والنساء، والشباب والكهول، فرادى وجماعة، جهراً وإخفاً، لزوماً للتأديب بالأدب الرباني والاستهداء بهدية

المتسامي.

إن التصريح بطلب الهداية من الله سبحانه بصيغة الجمع «اهدنا» وبأسلوب الدعاء والتضرع يعني أن هذه السورة تخاطب الإنسانية بأجمعها، وترشدها لتتجه إلى مصدر الهداية التي هي أحوج ما يكون إليها الإنسان في كل جوانب الحياة وكل مراحلها، فطلب الهداية إلى الصراط المستقيم يعني طلب معرفة هذا الصراط، وطلب التوفيق والمعونة للسير والثبات عليه، لأنها أهم ما يحتاجه الإنسان في حياة تتشعب فيها السبل، وتتعدد الطرق، ويحيط الجهل بكل جانب، وتسيطر قوى الضلال على كل سرب، وتهيمن عوامل الهدم على عالم يموج بركام الجاهلية، التي تمسخ الإنسان الذي قُطر على العروج إلى سماء الفضيلة، وتكيد الشر له بإغرائه وإلباس الباطل لباس الحق، والحق لباس الباطل.

إن هذه القوى الممسوخة تجعل الإنسان في ظرف حالك ومأزق شديد. فما أحوجه إلى التطلع إلى النور والجمال والكمال والاستعانة بمصدر الخير والهدى والقدرة والغنى؟ وما أحوجنا لمعرفة الحق والعمل به والثبات عليه؟ وتتكفل سورة الفاتحة بإيضاح هذا الأمر، وتحدد للإنسان المسلم المعالم الواضحة الأبعاد للمجتمع الذي ينبغي له أن يصنعه ويعيش فيه.

ويمكن تلخيص معالم المجتمع المسلم في سورة الفاتحة في النقاط التالية:

١ - الرؤية التوحيدية الناصعة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين﴾.

٢ - العبادة المستمرة أو الخضوع المطلق للقانون الرباني في الحياة: ﴿اياك نعبد﴾.

٣ - الاعتزاز بمصدر القوة والاستغناء بالله عن غيره أو الاستعانة المطلقة بالله والاعتزاز به: ﴿واياك نستعين﴾.

٤ - التوجيه السليم للعاطفة والحياة الهادفة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.

٥ - القدوة الصالحة والمجتمع الصالح: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾.

٦ - معرفة الأعداء والحذر منهم وتجنبهم: ﴿غير المغضوب عليهم ولا

الضالين».

الرؤية التوحيدية الناصعة:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين﴾.

١ - لقد نص القرآن الكريم على أنه «ذكر للعالمين» و «ذكرى للبشر» فهو كتاب الله للبشرية جمعاء للفرد والمجتمع.

٢ - ان تكلم الفرد مع ربه بضمير الجمع تأكيداً - لافت للنظر - على الطابع الاجتماعي لمحتوى آيات سورة الحمد (نعبئ، نستعين، اهدنا).

٣ - إن الرؤية الكونية للانسان الفرد وللأمة تتجسد في كل مفردات السلوك اليومي للانسان فرداً ومجتمعاً.

وقد تجسدت الرؤية التوحيدية في كل مقاطع هذه السورة:

- من ابتداء القراءة، وهي سلوك يومي مستمر، بالله وحده دون غيره.

- وتخصيص كل الحمد والثناء به سبحانه.

- ومصدريته تعالى لكل عوالم الوجود.

- ونشوء كل مصاديق الرحمة من رحمته المطلقة.

- ومالكيته لمصير كل موجود وهيمنته عليه بدءاً وانتهاءً.

- وحصر استحقاق المعبودية به وتخصيص العبادة الدائمة له.

- وحصر القدرة المطلقة فيه وحصر الاستعانة به.

- وتخصيصه بطلب الهداية منه دون سواه.

- وتخصيصه بكونه المنعم بالنعيم كلها على المنعم عليهم.

- وأنه هو الحق ومنه الهدى، وغيره الباطل وطريقه الضلال.

- وفي النهاية إن الغضب الذي ينبغي اتقاؤه والفرار منه إنما هو غضبه

دون سواه.

إن ابتداء التلاوة - وهي مفردة من مفردات السلوك البشري - باسم الله الرحمن الرحيم، نموذج من سلوك انساني مرضي لله سبحانه، بل هو أدب من

آداب العبودية لله سبحانه، يلزم الاقتداء به في كل سلوك اختياري بشري فردي أو اجتماعي، وليس هذا للمسلم شعاراً كاشفاً عن رؤيته التوحيدية فحسب، بل هو تمثيل لقيمة عليا من قيم الحياة البشرية، وهي ضرورة التحرك في كل عمل إرادي اختياري عن داعٍ إلهي لا يشوبه أدنى شك أو شرك، لأن كل إنسان لابد له من مثل أعلى يختاره ويتحرك على أساسه في كل خطوة من خطى حياته بأمل الوصول إليه. فإن كان هذا المثل الأعلى، أعلى بحق كان سلوك الإنسان سُلماً يرتقي به إلى ذلك المثل الأعلى وإن لم يكن هذا المثل مثلاً أعلى بحق بل توهم الإنسان أنه كذلك كانت رؤيته سراباً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

ومن هنا نفهم سر قوله ﷺ: «كل أمر ذي بالٍ لم يبدأ باسم الله فهو أبتر» ومن هنا يُلقي الضوء على مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الضَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾^(١)، وقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(٢).

فإن صدور كل عمل اختياري عن نية أمر لابد منه، وهذه النية هي كينونة هذا العمل، وهي روحه وحقيقته، كما ورد عن النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

ولا يحصل الإنسان على ثمرة عمله هذه إلا بمقدار ما ينطوي عليه هذا العمل من سلامة النية وخلوص القصد، أي بمقدار ما يحتوي عليه من داعٍ مقرب نحو ذلك الهدف الأعلى للإنسان. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾^(٣)، فصدور كل عمل عن داعٍ أمثل يرفع هذا العمل إلى مستوى الإثمار، فيكون حصاد هذا الزرع ثماراً صالحة أيضاً ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا﴾^(٤)، ولذلك يلزم اقتران هذا الداعي بالعمل طيلة مدة العمل، وكلما ازداد التوجه إليه ازداد تأثيراً واشتد نوراً وتوهجاً. وإقران العمل بـ «اسم الله تعالى» إن هو إلا تصعيد للحالة الشعورية اللازمة لإثراء العمل، وتصعيد لدرجة إنتاجه وإثماره. قال ﷺ: «إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها»^(٥).

(١) النور: ٣٩.

(٢) إبراهيم: ١٨.

(٣) الاسراء: ١٩.

(٤) الانعام: ١٦٠.

(٥) بحار الأنوار ٨٤: ٢٤٩.

ثم إن استشعار المسلم بكون مثله الاعلى في الحياة مستجمعاً لجميع صفات الكمال والجمال أي الله سبحانه، ثم التنصيص على اتصافه بشمول الرحمة ودوامها «الرحمن الرحيم» ألا يعني أن نظرة الفرد المسلم والمجتمع المسلم إلى الحياة بل الوجود نظرة متفائلة بالخير والرحمة ؟ إنه الأمل الذي يُسرع بعجلة الحياة إلى قمة الكمال، والرجاء الذي يُتَوَجَّح حياة الإنسان بالنصر والفلاح.

إن الرؤية التوحيدية رؤية شاملة، فلا يشذ سلوك الإنسان المؤمن بالله عن صدوره من هذه الرؤية، كما لا يشذ شيء في الوجود عن فاعليته سبحانه وتعالى، وحضوره والقيومة عليه ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾^(٦)، فالحمدُ والثناء سلوك اختياري يصدر عن الإنسان، وينشأ من توجهه لجمال أو كمال يرى استحقاق تقديره وتثمينه، فيلججُ بذكره مدحاً وثناءً، وإذا تعمق الإنسان في كل جميل أو ذي كمال، وَجَدَهُ كمالاً مستعاراً وجمالاً عارضاً له من مصدر الكمال والجمال، فإذا أراد الثناء عليه كان حرياً به أن يثني على مصدر الجمال والكمال كله.

فالمسلم هو الذي عرف الحق فأمن به، وعرف الكمال المطلق الذي لا يتعدى عنه إلى غيره، وإنما يتجلى في كل شيء، فكل جمال ينشأ منه ويعود إليه، وكل ثناء في الوجود إنما يستحقُّه هو، وفي الحقيقة يختص به.

إن هذه الرؤية وهذه المعرفة تفيدان الإنسان نظرة جديدة إلى ظاهر هذه الحياة، فهو لا ينبهر بجمال غير جماله سبحانه وتعالى، ولا يستغرق في وصف شيء والثناء عليه إلا إذا كان وصفه وصفاً له تعالى، وثناء عليه وحمداً له.

وهكذا تفرُّفُ ظلال الرؤية التوحيدية على كل ساحة، وعلى كل جانب، وعلى كل رؤية وسلوك. وهذه إحدى دلالات هذا النص المعجز: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أي كل حمد في الوجود يختص بالله سبحانه، إنها الربوبية المطلقة لكل عوالم الوجود، فعوالم العقلاء - بالذات - كلها خاضعة لربوبيته التكوينية والتشريعية سواء بسواء. والربوبية تستبطن الانشاء والملكية والرعاية

(٦) البقرة: ٢٥٥، آل عمران:

والهيمنة الدائمة للمربوب، فالربوبية تستدعي خضوع المربوب للرب خضوعاً ناشئاً عن الافتقار والتعلق بالرب المنشئ، والمالك الذي يرعى مملوكه ويربيه ويتدرج به في مراحل تكامله في الوجود. فالمجتمع البشري مدين لربه شاء أم أبى، والمجتمع المسلم يدرك هذه الحقيقة بكل عمق ويؤمن بهما أشد إيمان.

إن وحدة المنشأ هذه هي أهم عوامل وحدة المجتمع البشري، على الرغم من كل الفوارق التي تتميز بهما الأمم والشعوب ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (٧).

(٧) الحجرات: ١٣.

والربوبية التي تكون على أساس الانشاء والمالكية تستلزم السيطرة، والسيطرة قد تكون مقرونة بالتجبر، أو تكون مفعمة بالطف والرحمة. وبهذا المنظار يمكن ملاحظة القيم والاهداف والموازنة بينها وبين الوسائل، وعوامل الهدم، وعوامل البقاء، وعوامل التقدم نحو الاهداف العليا، فتستدعي الدفاع والجهاد وإقامة الحدود وحمل السيف ما دام السيف وسيلة لاحقاق الحق بعد انسداد كل السبل السلمية والارشادية. قال تعالى ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ (٨). فالمجتمع المسلم تبع لمثله الأعلى وسيدته الذي سبقت رحمته غضبه، وغضبه تبع لرحمته الشاملة والدائمة.

(٨) الحديد: ٢٥.

إن وحدة المرجع كوحدة المنشأ، حرية بأن تكون عاملاً من عوامل توحيد المجتمع المسلم، والتفافه حول هذا المحور الذي تتهاوى عنده كل عوامل التفرقة والتنازع.



العبادة المستمرة والخضوع المطلق للقانون الرباني في الحياة:

﴿إياك نعبد﴾.

إن رؤية الانسان للوجود والحياة تتجلى في سلوكه بلا ريب، والرؤية التوحيدية تستدعي التوجه الدائم، والركون المطلق، والخضوع والانصياع المستمر لصاحب الولاية المطلقة، والقيومة الشاملة والربوبية الدائمة، والرعاية المستمرة للكون وللانسان بالذات.

(٩) القصص: ٨٨.

إن انحصار الحق في مجمع صفات الكمال والجمال، يلزمه أن لا يكون لغيره من الثبات والدوام والحقانية إلا بمقدار تحققه وارتباطه بالحق الدائم الذي لا يزول ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(٩). وهذه الرؤية تستلزم نفي كل توجه أصيل لغير الله سبحانه، وقصر النظر على الله سبحانه وكل ما يمت إليه بصلة، ويكون وسيلة لبلوغ الغاية إليه.

إن وحدة المثل الأعلى هي المحور الثابت والاصيل والدائم، الذي يستحق أن تجتمع البشرية على أساسه وتتمحور عليه. وهذا يعني الانصياع للهيمنة الالهية في كل شؤون الحياة. وهذا الانقياد يستلزم رفض سائر أنواع الهيمنة على الانسان في حياته. فنظام الحكم في المجتمع الاسلامي، بل نظام الحياة هو نظام الولاية الالهية من جانب، وعبودية الانسان - فرداً ومجتمعاً - عبودية اختيارية بالنسبة لله سبحانه وتعالى من جانب آخر.

إن هذه العبودية الاختيارية بالنسبة لله سبحانه هي التي تضمن للانسان انسانيته وتكامله وصعوده في سلم الوجود. وكل عبودية سواها سوف تخرجه من انسانيته الى مهبط الحيوانية، والتردي في هاوية الخسران، كما قال الله جل ذكره ﴿والعصر * ان الانسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾^(١٠).

(١٠) سورة العصر.

إن هذه الصيغة العبادية ينبغي أن تطفئ على المجتمع ولا تقتصر على الفرد، فتكون فاعليتها وشموليته بحيث تغطي كل جوانب الحياة، وكل طبقات المجتمع وشرائحه.

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يؤكد على الطابع الاجتماعي للايمان فضلاً عن طابعه الفردي، فالطابع الاجتماعي أو الجمعي للعبادة يعني المجتمع العابد، بل المستمر في العبادة مع حمله لشعار عبادة الله وحده. وقد جاء الاسلام ليربي الانسان وليصوغ منه مثلاً للكمال البشري، ولا بد أن يكون منهجه منهجاً واقعياً يتماشى مع ضرورات الحياة وتطوراتها. ولهذا لا يمكن تجريد الفرد عن المجتمع لأنه خلاف الطبيعة البشرية والضرورات الحيوية.

إن لا بد من تربية الانسان وصياغته وهو في مجتمع. فما هو المجتمع الذي يستطيع أن يحقق للانسان كماله اللائق به؟ إنه المجتمع العابد لله

سبحانه، الكافر بعبادة غيره.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِإِلَهِهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (١١) فلا بد من رفض كل هيمنة غير إلهية، إذ إن كل هيمنة لا تمتُّ إلى الله بصلة حقيقية فإنها تكون هيمنة طاغوتية، تجر الإنسان إلى التردّي والخسران.

إن تقبّل العبادة والتهيؤ لها والاستمرار عليها، والتصميم والعزم على انتهاج هذا المنهج الإلهي ضرورة ملحة، ولا يستطيع الإنسان بدون هذا العزم الراسخ، وبدون الاستمرار في هذه العبادة أن يجني ثمارها حتى مرحلة اليقين. قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (١٢).

إن حمل المجتمع شعار العبادة لله وحده يعني تحكيم الشريعة الإلهية، والقانون الرباني على كل فصائل المجتمع البشري. وقد صرح بذلك القرآن الكريم وجعله هدفاً أساسياً يسعى إليه. قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (١٣)، وكذلك قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (١٤)، وهذه الرؤية هي التي دعت أحد قادة جيش المسلمين للموقف بوجه أحد القادة الجاهليين قائلاً له: «جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله سبحانه» ولكن الجاهليين - سواء تلبسوا بلباس الكفر أو النفاق أو الفسق - انما يشكلون جبهة واحدة. وقد تكون متلاحمة تستهدف انقاذ أوضاعها الآخذة بالتردّي، وقد قال تعالى مخبراً عن هذه الحقيقة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (١٥). وهنا يشعر المجتمع العابد بالحاجة الماسة إلى القدرة والدعم الإلهيين. لكن هذا الدعم لا بد أن تنطلق شرارته من المجتمع نفسه، بعد الشعور بالحاجة وبالفاقة، ليتحرك بإعداد العدة وتحصيل القدرة من مصدرها الاصيل.

الاستغناء بالله عن غير الله والاستعانة المطلقة به والاعتزاز بها:

﴿وَايَاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

إن الجهل لا يرفعه إلا العلم، والعجز لا تدفعه إلا القدرة، والعلم سلاح

(١١) البقرة: ٢٥٦.

(١٢) الحجر: ٩٩.

(١٣) البقرة: ١٩٣.

(١٤) التوبة: ٣٣.

(١٥) البقرة: ٢١٧.

لتحصيل القدرة أيضاً. وكما يحتاج الفرد الى العون، فالمجتمع كذلك أحوج ما يكون الى العون، ولا بد من توجه الجمع نحو هذا المحور، ولا بد من الايمان بهذا المحور الذي ينبغي أن يكون قادراً على إفاضة القدرة والعزة والغنى، ليستغني العاجز به عن سواه، ويحتفظ بروح التوحيد ويبتعد عن التمزق والاضطراب.

إن الايمان بهذا المصدر المحيط بكل شيء، والعزيم الذي لا يعجز لجديراً بأن يعطي للمجتمع المؤمن والفرد المؤمن حالة الاعتزاز بمصدر العزة، فالضعيف لا بد أن يعتز بشيء يجبر ضعفه.

إن الاقرار بالحاجة الى العون، والاقرار بأننا محتاجون الى العون الإلهي، وأن هذا العون يتقدمه طلب أكيد من مصدر القدرة، وهو الله سبحانه، وأن هذه الاستعانة إنما هي على طول الخط ولا تختص بحقبة زمنية خاصة، كل هذا قد خصه لنا القرآن الكريم في جملة واحدة فقط هي: ﴿واياك نستعين﴾.

إن تكرار هذه الجملة وتلقين الانسان بأنه رغم كونه في جمع، والجمع علامة القدرة والقوة عادة، فإن هذه القدرة لا تغني عن قدرة الله سبحانه، بل الجمع كله بما يملك من طاقات بحاجة دائمة ومستمرة للتوجه وطلب العون منه سبحانه، فإن هذا الاقرار هو رمز الانشداد الدائم، وهو الكفيل بأن لا يغتر الانسان بقدرته الفردية أو الاجتماعية. بل لا يغتر المجتمع مهما حصل على طاقات وقدرات «إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟ إلهي أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي؟ إلهي إن اختلاف تدبيرك، وسرعة طواء مقاديرك، منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء، والياس منك في بلاء»^(١٦).

إنه منتهى المعرفة وقمة الكمال هو الشعور بالعجز الواقعي عند القدرة، وبالجهل الذاتي عند العلم، وبالرعاية الالهية في أشد الظروف قساوة وأحرج اللحظات.

إن الاستعانة بالله وحده تعني الاستقلال التام في كل الجوانب التي تحكم حياة الفرد والمجتمع، وهذا نتيجة طبيعية للاستعانة التامة بمصدر القوة، وحصر العون بالرعاية والتسديد الالهية، لذلك فإن المجتمع إذا تمتع بهذه

(١٦) من دعاء الامام الحسين عليه السلام في عرقات (مفاتيح الجنان).

الرؤية العميقة، فإنه سوف يصمد امام أي اختراق ثقافي أو سياسي أو عسكري أو اقتصادي، من أي قوة لا تبتني على اصول الرؤية التوحيدية الخالصة. ففي المجتمع المسلم تجد تجسيدا حقيقيا لقوله تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾.

إذن فحصر التوجه بالتوجه إلى الله، وحصر الاستعانة بالاستعانة بالله تعالى ركنان اساسيان لا يستغني المجتمع المسلم عن أحدهما بتاتا.

التوجيه السليم للعاطفة... الحياة الهادفة:

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.

الانسان عاجز بطبيعته، فهو بحاجة إلى القدرة ولا بد أن يستعين بذی القدرة، واحسن من يستعان به وأولى من يكون قادراً على الاعانة، هو مصدر كل القدرات ومعينها الذي لا يفنى، وهو الله سبحانه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

والانسان جاهل بطبيعته فهو بحاجة إلى العلم، بل بحاجة إلى الهداية والارشاد، إذ رُب عالم قد قتله جهله، ورُب علم لا ينفع، فالذي يحتاجه الانسان بحق إنما هو الهدى، ولذا قال الرب لمربوبيه: ﴿فإِذَا يَأْتِيَكُم مِّنْهُدًى فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧).

(١٧) البقرة: ٢٨.

إذن فإن حاجة الانسان الفرد بل حاجة المجتمع البشري إنما هي إلى الهداية التي هي فوق العلم، وكم من المجتمعات ما ينتشر فيها العلم وتنتشر معه الغواية والتردي والضلال والطغيان والدمار؟

إن أهم حاجة للانسان في هذه الحياة هي حاجته إلى الهداية، والهداية إنما هي بمعرفة الهدف، للوصول إلى المطلوب. وإذا عرف الهدف فقد لا يؤمن به الانسان، وإذا آمن به فقد لا يدرك الطريق اليه، وإذا أدرك الطريق اليه فقد لا يؤمن به، وإذا أدرك وجوده فقد لا يعرف تفاصيل الامور وقد لا يعرف العقبات والآفات، وقد يخطو الانسان نحو الهدف عدة خطوات ثم يستشعر من خلالها الضعف والانهايار.

ولهذا كله فهو يحتاج الى الهداية نحو النور، وإلى الصراط المستقيم الذي هو اقرب الطرق للوفود على الله سبحانه - وهو الكمال المطلق الذي ينشده كل مخلوق - وهي الهداية المستمرة والتسديد المتتابع، تسديداً يُبقي مشعل الايمان بالهدف وبالطريق متوهجاً، ويدفع كل وحشة تنال الانسان إذا شعر بوعورة الطريق.

وطريق الهدى يمتاز بقلّة اهله، فينبغي للمؤمن أن لا يستوحش فيه، ولهذا فهو احوج ما يكون الى طلب الهداية من الله مباشرة، الهداية المستمرة الى الصراط المستقيم والثبات على هذا الصراط الحق الذي لا معدل للانسانية عنه. وهذا الطلب لا يكون فردياً فصحب، بل لابد أن يشكل ظاهرة اجتماعية، ولا يكون كذلك إلا اذا شعر عامة أفراد المجتمع بالحاجة الماسة لذلك.

إنّ الطلب الدائم من المجتمع العابد هو طلب التسديد الالهي عن طريق هدايته لصراطه المستقيم، والدعاء طلب وتوجه، أو شعور وإبراز لذلك الشعور في عاطفة جياشة، وإقرار بالعجز والجهل والحاجة والفقر إقراراً يقتزن بالعظمة التي تهيم على الداعي لتوجهه نحو مصدر الخير والهدى والقدرة، فيكون هذا توجيهاً للحب في مسار لا ينفد ولا ينضب، كما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ (١٨) فحب المؤمن لله أثبت وأعظم من أي حب ولأي محبوب.

(١٨) البقرة : ١٦٥.

القدوة الصالحة والمجتمع الصالح:

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾.

للانسان - في هذه الحياة - حاجات كثيرة، والحاجات متنوعة وليست كلها في درجة واحدة من الاهمية والضرورة. فبعضها كمالية وبعضها اساسية. والحاجات الاساسية بعضها أهم من بعض، حتى إن بعضها لا يمكن التغافل عنه لحظة واحدة.

وحاجات الجسم ليست باهم من حاجات الروح، ما دامت الروح هي محور السعادة والشقاء. وأهم حاجات الروح هي السلامة من الانحراف والاهتداء الى الصراط المستقيم، لتتزن الروح وتعالى على جذبات الجهل والهوى وثقل

الطين وظلمات المادة. فتنوع النعم الالهية من حيث اهميتها لهذا الانسان، ومدخليتها في اصاله الى الغرض المنشود من حياته على هذه الارض. وأهم النعم وأجدرها بالاهتمام - التي لا يمكن استبدالها بغيرها - هي نعمة الهداية الى الصراط المستقيم، بل هي النعمة الوحيدة التي ينبغي للانسان - في حياته هذه - أن يسعى اليها تحصيلاً وطلباً.

وهذا ما يوحيه لنا ذكرها في هذه السورة دون غيرها، ليعلم الانسان اهميتها وعدم وجود بديل لها، بل هي التي تجمع للانسان خير الآخرة والدنيا، كما أشار الى هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ (١٩).

(١٩) الاعراف: ٩٦.

ولكن هذه الهداية لا تحصل للانسان إلا أن يكون مستعداً لها، وذلك حين يطلبها من مصدرها، ويكون جاداً في طلبها ولا يتوانى لحظة عن إرادتها، فيكون دائم الطلب لها، فيقول بكل وجوده وفي كل لحظة: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، ويسعى بجده لتحصيلها بتوفير ما تستلزمه هذه الحاجة المهمة.

(٢٠) العنكبوت: ٦٩.

وقد عبر عن ذلك في قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (٢٠). ولكن التربية انما تتوفر مقوماتها إذا اقترنت النظرية بالتطبيق، والعلم بالعمل، والمفاهيم والقيم بالقدرة المجسدة لهذه المفاهيم وتلك القيم.

إن القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة اللازمة لتربية الفرد والمجتمع، وقد أولاها أهمية كبرى حيث قال: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ (٢١).

(٢١) البقرة: ٣٨.

كما قال أيضاً: ﴿ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ (٢٢).

(٢٢) الاعراف: ١٨١.

وقال أيضاً: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ (٢٣).

(٢٣) التوبة: ٣٣.

وقد اعتبر الرسل مهديين قبل أن يكونوا هداة، فقال عز من قائل: ﴿اولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده﴾ (٢٤)، وجعل الرسل أسوة لعباده الذين يريدون الوصول الى نعمة الكمال الانساني اللائق، فقال تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾ (٢٥).

(٢٥) الممتحنة: ٤.

وقد اعتبر القرآن الكريم نعمة الهداية اهم النعم الالهية، بل اعتبر النعمة الحقيقية هي نعمة الهداية فقال: ﴿فالولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين

(٢٦) النساء : ٦٨.

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴿٢٦﴾.

أذن الصراط المستقيم هو الصراط الذي تجسد في سلوك الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ودلالة القدوة الصالحة والأسوة الحسنة على الطريق دلالة حسية عملية، وهي أوقع في النفس وأدّل على المقصود وأهدى من حيث الوصول إلى المطلوب.

ولم يخل مجتمع بشري من الهداة المهديين، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٢٧).

(٢٧) الرعد : ٧.

(٢٨) يونس : ٣٥.

وقال: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ (٢٨). فالهداة هم الذين اهتموا بادئ ذي بدء وازدادوا هدًى، فهم قد سلكوا طريق الحق والصراط الالهي المستقيم، وهو صراط العبودية التامة لله سبحانه. وهكذا تتضح معالم النظرية الاسلامية القرآنية للحياة، وتنسجم النظرية مع التطبيق، وتؤدي القدوة الصالحة دورها الاساسي لبناء المجتمع الصالح، وتتحقق الاهداف المثلى للحياة الانسانية على وجه الارض، ويتحقق الجواب الالهي للملائكة حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

معرفة العدو وتجنب طريق الزيغ:

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

من هم المغضوب عليهم؟ ومن هم الضالون؟ ولماذا يجب تمييزهم؟ بل لماذا تجب معرفتهم؟

مما لا شك فيه أن الانسان إما أن يتعرف على الصراط المستقيم فيسلكه ويسير عليه، وإما أن يتعرف عليه ولا يسلكه، وإما أن لا يتعرف عليه بتاتاً، فالاول هو المهتدي والثاني هو الفاسق الذي يجحد الحق بفسقه، والحجة عليه أكد وأشد، لعرفانه وعلمه الذي ينجّز عليه التكليف ويتم عليه الحجة، فتركه للحق مع علمه به يجعله مستحقاً للغضب عليه، فهو أبعد عن الحق لوجود حاجز نفسي بينه وبين الحق الذي عرفه.

والثالث هو الضال الذي لم يتعرف على الحق ويكون مقصراً في التعرف عليه. وانحراف كلا الفريقين عن الصراط المستقيم أمر يبين. وينبغي تمييز خطي الحق والباطل تمييزاً كاملاً، لئلا يلتبس الحق بالباطل ويخوض الانسان غمار الباطل متصوراً أنه الحق. وكما تؤثر القدوة الصالحة في بناء المجتمع الصالح، تؤثر القدوة الفاسدة كذلك تأثيرها السريع في إيجاد المجتمع الفاسد والمنحرف. وكما ينبغي معرفة الحق وأهل الحق يجب معرفة الباطل وأهل الباطل كذلك، للحذر منهم ومن مكائدهم وخططهم الشيطانية والتبرؤ منهم على كل حال.

قال أبو عبد الله (ع) :

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَنَارٌ لِهْدَى وَصَبَاحُ
الدُّجَى فَلْيَجْلِ جِالَ بَصَرِهِ وَيَفْتَحْ لِبَصِيرَتِهِ
نَظْرَهُ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةٌ قَلْبُ الْبَصِيرِ
كَأَمْحَسِي الْمُسْتَنِيرِ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ

الرواية في ٢ : ٦٠٠

الجانب السياسي

في حياة

أئمة أهل البيت

من سيرة
أهل البيت

* ولي أمر المسلمين
آية الله السيد الخامني
ترجمة، الدكتور
محمد علي آذرشب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول رب العالمين وعلى



أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين^(١).

ضرورة الاهتمام بحياة الأئمة:

أرجو أن يتحقق في هذا الاجتماع أمل قديم من آمالنا في دراسة حياة أئمة
أهل البيت.

غربة هؤلاء الأئمة لم تقتصر على حياتهم، بل إن غربتهم استمرت بعدهم
على مدى القرون، متمثلة بعدم الاهتمام بالجوانب الهامة بل الأصلية من
حياتهم. المؤلفات التي دونت حول حياة أئمة الهدى على مدى القرون لها
دون شك أهمية قصوى، لأنها استطاعت أن تجمع شتات الروايات المرتبطة
بهم وتقدمها للأجيال، ولكن الروايات التي تتناول حياتهم السياسية خلال
مئتين وخمسين عاماً من عهدهم المبارك قد اختلفت - مع الأسف - بين الروايات
والاحاديث التي ركزت على الجانب العلمي والمعنوي من حياتهم.

حياة أئمة أهل البيت لا ينبغي أن تبقى في حدود ذكريات في الأذهان
والنفوس؛ بل لابد أن نتلقاها باعتبارها دروساً ومنهجاً للحياة، وذلك لا يتيسر
إلا بدراسة سيرتهم السياسية. من هنا كان لي اهتمام بهذا الجانب من حياة

الأئمة عليهم السلام

لا بأس أن أذكر أن توجَّهي بشكل جاد لهذا اللون من الدراسة بدأ أول مرة سنة ١٣٥٠ هـ. ش (١٣٩٢ هـ. ق) حين كنت أمضي فترة من فترات المحن الصعبة. نعم، لقد كنت قبل ذلك أنظر إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم مجاهدين كباراً مضحين على طريق اعتلاء كلمة التوحيد وإقامة الحكومة الالهية، لكن الفكرة التي انقدحت في ذهني آنئذ هي أن حياة هؤلاء العظام - رغم ما فيها من تفاوت ظاهر دعا بعض الدارسين إلى القول بوجود تناقض في منهج حياتهم - تشكل مجموعها حركة واحدة مستمرة متواصلة بدأت من السنة الحادية عشر للهجرة واستمرت مئتين وخمسين عاماً، أي حتى سنة مئتين وستين للهجرة إذ بدأ عصر الغيبة.

هؤلاء العظام يشكلون مجموعة واحدة وشخصية واحدة ويتجهون نحو هدف واحد. إذن لماذا ندرسهم بشكل تجزيئي؟ لماذا ندرس حياة الامام الحسن المجتبي والامام الحسين والامام علي بن الحسين السجاد عليهم السلام، كلاً على حدة؟ هذا اللون من الدراسة هو الذي أوقع بعض الدارسين في خطأ خطير حين فهم الاختلاف الظاهري في حياتهم على أنه تعارض وتناقض في سلوكهم. لا بد أن نعتقد أن حياتهم باجمعهم حياة إنسان واحد عثر مئتين وخمسين عاماً، دخل الساحة سنة إحدى عشرة للهجرة وواصل العمل فيها حتى سنة مئتين وستين للهجرة. عندئذ يمكن أن نفهم نشاط هذا الانسان الكبير المعصوم ونفهم خلفيات هذا النشاط.

كل إنسان عاقل حكيم - حتى ولو لم يكن معصوماً - يضع في خطته البعيدة المدى أو في استراتيجيته، ألواناً من الاساليب المناسبة للظروف أو ألواناً من التكتيك. قد يجد من المناسب في فترة أن تكون الحركة عنيفة سريعة، وقد يجد من المناسب في فترة أخرى أن تكون الحركة بطيئة. وقد يتطلب الامر منه أحياناً أن يعتمد إلى تراجع أو انسحاب حكيم، غير أن هذا الانسحاب نفسه في معايير العلم والحكمة والمعايير الرسالية يعتبر تقدماً إلى الامام. وبهذه النظرة تكون حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع حياة الامام المجتبي وحياة

الامام الحسين، وحياة الأئمة الثمانية من ولد الحسين عليهم جميعاً سلام الله حتى سنة مئتين وستين للهجرة حركة واحدة متواصلة، وهذا هو الذي أنقذ في ذهني تلك السنة، ثم رحت أدرس حياة الأئمة بهذه النظرة، وكلما تعمقت في الدراسة تأكدت لي هذه النظرة أكثر فأكثر.

الاتجاه السياسي في حياة الأئمة:

لا يسعني في هذه الجلسة أن أتوسع في هذه المقولة، ولكن أقصر كلامي على مسألة واحدة هي أن حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام كانت مقرونة باتجاه سياسي. وهذا ما سأتناوله إن شاء الله.

في العام الماضي كان لي في هذا المجلس كلمة تناولت فيها جانب الجهاد السياسي في حياة الأئمة عليهم السلام عامة وفي حياة الامام الثامن بشكل خاص، وأود أن أتناول هذا الجانب اليوم باذن الله تعالى بمزيد من التفصيل.

ما المقصود من الجهاد السياسي في حياة الأئمة عليهم السلام؟

المقصود أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يقتصر كفاحهم ونشاطهم على الجانب العلمي والعقائدي والكلامي، كما كان رائجاً لدى الاشاعرة والمعتزلة وغيرهم من أصحاب المقالات والملل والنحل في عصرهم. لم يكن هدفهم من حلقات دروسهم ومن تصديهم للرواية وبيان الاحكام مقتصرأ على تثبيت دعائم مدرستهم الكلامية أو الفقهية.

وليس المقصود من نشاط الأئمة السياسي هو الكفاح المسلح الذي تبناه زيد بن علي وأبناؤه ثم بنو الحسن وبعض آل جعفر في تلك القرون. لم يكن لأئمة آل البيت عليهم السلام مثل هذا النشاط. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأئمة لم يدينوا ذلك الكفاح المسلح بشكل مطلق، بل كانوا يدينون بعض الثائرين لأنهم ثائرون بل لاسباب أخرى تتعلق بأهداف أولئك الثوار. وكانوا يؤيدون بعض الثائرين تأييداً كاملاً، ويشاركونهم في ثورتهم ولو بدعم الصفوف الخلفية للثائرين، كقول الامام: «لا أزال وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد»

(٢) البحار ٤٦: ١٧٢.

ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعلي نفقة عياله»^(٢).

كانوا يقدمون لهم الدعم المالي والاعلامي، والمساعدة في التواري والاختفاء وأمثالها من المساعدات، لكنهم عليه السلام لم يكونوا يخوضون ساحة الكفاح المسلح بأنفسهم. يقول الراوي: «دفع إلي أبو عبد الله الصادق جعفر بن محمد ألف دينار وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد بن علي»^(٣). النشاط السياسي للأئمة لا نقصد به ذاك الأول ولا هذا الثاني، بل هو النشاط الذي يستهدف في المال إقامة حكومة اسلامية، أو - بتعبير آخر - حكومة علوية.

(٣) البحار ٤٦: ١٧٠.

التخطيط لإقامة حكومة اسلامية

الأئمة عليهم السلام نشطوا منذ لحظة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سنة مئتين وستين للهجرة لإقامة حكومة إلهية في المجتمع الاسلامي. وهذا هو أصل ادعائنا في هذا البحث.

طبعاً لا نستطيع أن نقول إن كل واحد من الأئمة استهدف أن يقيم حكومة إسلامية في زمانه، بل إن كل واحد منهم انتهج لتحقيق هذا الهدف خطة متوسطة المدى، أو بعيدة المدى، وأحياناً قصيرة المدى. على سبيل المثال نعتقد أن الامام الحسن المجتبي عليه السلام سعى لإقامة حكومة إسلامية في المستقبل القريب. وهذا ما نفهمه من قوله في خطبته لأصحابه بعد الصلح: «وقد بايعتموني على أن تسألوا من سألت، وقد رأيته أن أسأله، وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنى هذا الأمر. وإن أدري لعنه فتنة لكم ومناخ إلى حين»^(٤).

(٤) بحار الانوار ٤٤: ٥٦.

وقوله لحجر بن عدي لما خلا به: «واني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاء عليكم، والله تعالى كل يوم هو في شأن»^(٥).

(٥) بحار الانوار ٤٤: ٥٧.

وقوله للمسيب بن نجبة حين عاتبه على الصلح: «فارضوا بقضاء الله وقدره حتى يستريح بئز ويستراح من فاجر»^(٦).

(٦) اعيان الشيعة ١: ٥٧١.

وفي زمن الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام اقتضت الخطة - على ما أعتقد - أن تكون ذات مدى متوسط. ولي على ذلك شواهد سأتناولها في هذه

المحاضرة.

وفي زمن الامام الباقر عليه السلام كان التخطيط على أقوى الظن لاقامة حكومة على المدى القصير، وبعد استشهاد الامام الرضا عليه السلام كانت الخطة - على أكبر الاحتمال - لمستقبل بعيد. هذا معنى الجهاد السياسي. كل نشاطات الأئمة عليهم السلام - سوى الاعمال المعنوية والروحية المرتبطة بتربية نفس الانسان، وقربه من الله سبحانه - كانت تصب في هدف واحد، ولم يكن هذا الهدف سوى إقامة الحكومة الاسلامية. يشمل ذلك ما كانوا يتصدون له من دروس في التفسير والحديث والكلام، ومن حجاج مع خصومهم الفكريين والسياسيين، ومن مواقفهم السلبية أو الايجابية مع المجموعات العاملة في مجتمعهم. هذا ما ندعيه ونحاول أن نقدم له الشواهد التاريخية.

هذا الموضوع - كما ذكر فضيلة الشيخ الطبسي - موضع اختلاف. وأنا لا أريد أن أفرض رأبي، لكن أصّر على ضرورة متابعة هذه المسألة بالدراسة والتحصيل، ضمن منهج إعادة النظر في حياة الأئمة عليهم السلام.

الأدلة والوثائق:

كان سعينا خلال سنين هو تقديم الوثائق - رخيخة والروائية لاثبات هذا الموضوع بالنسبة لحياة كل إمام، ولحياة مجموع الأئمة عليهم السلام.

بعض الاستدلالات لها طابع عام مثل إيماننا بأن الامامة استمرار للنبوّة، وأن النبي هو أولاً إمام. وهذا الاستدلال ورد على لسان الامام الصادق عليه السلام إذ قال: «إن رسول الله كان هو الامام ثم كان علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين...» (٧). ورسول الله صلى الله عليه وآله كان دائب الحركة لاقامة نظام العدل الالهي في مجتمعه. وأقامه بعد جهاد دام طويل، ودافع عنه مدة حياته. ولذلك لا يمكن أن يكون الامام غافلاً عن هذه المهمة وهو وارث النبي وامتداده الرسالي. طبعاً هذا الاستدلال يمكن التوسع فيه بمزيد من البحث والتحقيق، بالنظر إلى أبعاده المختلفة.

وبعض الاستدلال يمكن أن يقوم على أساس كلمات الائمة عليهم السلام أو من

(٧) بحار الانوار ٤٧: ٥٨.

سيرتهم وطريقتهم في الحياة، إذ حين يتضح الهدف العام تصبح كل تلك الكلمات والمواقف ذات معنى.

والواقع أن فهم ظروف الأئمة عليهم السلام ومواقفهم يحتاج إلى تفاعل مع تلك الظروف، وهذا ما عانيناه بأنفسنا. فالإنسان في زنانات السجون المظلمة يفهم أكثر العبارات التي نردها دائماً بالنسبة لأئمة أهل البيت عليهم السلام كقولنا: السلام على المعذب في قعر السجون وظلم المطامير ذا الساق المروض بحلق القيود.

على أي حال هذا هو الاتجاه الذي أريد أن أسير فيه ببخني هذا، لأعرض على هذا الجمع الكريم بعض تصوراتي الذهنية.

إذا أردنا أن نبحث عن عنصر النشاط السياسي في حياة الأئمة عليهم السلام بالمفهوم الذي أوضحناه، أي بالمفهوم الذي ينأى عن الصراع الكلامي وعن الكفاح المسلح، نستطيع أن نشبّهه بالنشاط السياسي الذي انتهجه العباسيون خلال السنوات بين سنة مئة أو قبلها وسنة مئة واثنين وثلاثين من الهجرة، حيث أقاموا دولتهم. وهذا التشبيه لا يمكن فهمه إلا لدى الدارسين للحركة العباسية خلال القرن الثاني الهجري، مع فارق جوهري في تشبيها بين الأئمة وبني العباس في السلوك والاهداف والشخصية.

وجه الشبه التقريبي هو في النشاط والتخطيط. لذلك نجد خطأ في بعض المواضع بين التيارين. بنو العباس - لقرب أسلوب دعوتهم من آل علي - يدعون في المناطق البعيدة عن الحجاز والعراق أنهم يمثلون خط آل علي. حتى إن المسودة وهم طلائع دعوة العباسيين في خراسان كانوا يقولون في انتخاب اللون الاسود لملابسهم: «هذا السواد حداد آل محمد وشهداء كربلاء وزيد ويحيى»^(٨).

بل إن عدداً من قادتهم كانوا يتصورون بأنهم يعملون من أجل آل علي.

المسيرة العامة لنشاط الأئمة

بعد هذا التصوير لنشاط الأئمة في الحقل السياسي وتشبيّهه بنشاط بني

(٨) المستدرك الباب ٣٨ من أبواب أحكام اللباس.

العباس مع فارق كما قلنا في السلوك والاهداف والشخصية، أبداً أولاً باعطاء صورة للمسيرة العامة لنشاط الائمة عليهم السلام، بعد ذلك نعود إلى بعض معالم هذا النشاط.

سوف لا أتطرق في حديثي إلى حياة الائمة الثلاثة الاوائل أعني أمير المؤمنين علياً والحسن والحسين عليهم السلام؛ لأن البحوث المطروحة حولهم كثيرة، وليس لأحد تقريباً شبهة بشأن العنصر السياسي في نشاطهم وهدفهم. وأبدأ من عصر الامام السجاد عليه السلام وأعتقد أن حياة الأئمة منذ عصر السجاد، أي منذ سنة إحدى وستين هجرية حتى سنة مئتين وستين هجرية، وهي قرنان من الزمان، تنقسم بشكل عام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: من سنة إحدى وستين للهجرة وهي سنة إمامة السجاد حتى سنة مئة وخمس وثلاثين وهي سنة وفاة السفاح وخلافة المنصور. وفي هذه المرحلة بدأت الحركة من نقطة ثم تدرّجت ونمت وتعمقت واتسعت. وحين تولى المنصور الحكم تغير الوضع وظهرت مشاكل وعقبات، وتوقف كثير من معطيات الحركة، وهذا ما يواجه كل حركة تقريباً، ونحن واجهناه أيضاً في حياتنا السياسية.

الثاني: من سنة مئة وخمس وثلاثين حتى سنة مئتين واثنين أو ثلاث أي سنة استشهاد الامام الرضا عليه السلام.

وفي هذه المرحلة تبدأ الحركة من نقطة أرفع من نقطة سنة إحدى وستين وأعمق منها وأوسع، لكنها تبدأ بمواجهة مشاكل جديدة، وباستمرار تتجذر الحركة وتوسع، وتقرب من تحقيق النصر، حتى سنة استشهاد الامام الرضا عليه السلام. وعندها تتوقف الحركة ثانية.

الثالث: تبدأ بذهاب المأمون إلى بغداد وبها يُفتح فصل صعب شاق في حياة الأئمة عليهم السلام، يمكن تسميته بفصل محنة الأئمة. ومع أن انتشار التشيع كان في هذه المرحلة أكثر من أي وقت آخر، فإن محنة الائمة كانت أيضاً فيها - على ما أعتقد - أكثر من أي وقت مضى. وهذه هي مرحلة التخطيط والتحرك على المدى البعيد. أي إن الائمة ما كانوا يسعون خلالها لتحقيق مكسب قريب، بل

كانوا يمهّدون الاجواء للاجيال القادمة. وهذه الفترة تبدأ كما ذكرنا من سنة
مئتين وأربع وتمتد حتى سنة مئتين وستين، وهي سنة استشهاد الامام
الحسن العسكري عليه السلام وبدء عصر الغيبة الصغرى. ولكل من هذه المراحل
الثلاث خصائص أذكرها باختصار:

عصر الامام السجاد عليه السلام - جو الارعاب

المرحلة الاولى وهي عصر الامام السجاد تبدأ بصعوبات جمة. حادثة
كربلاء هزّت أركان الشيعة بل العالم الاسلامي بأجمعه. كان القتل والتشريد
والتعذيب موجوداً قبل هذه الحادثة، لكنّ قتل ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وأسر بيت
النبوّة وأخذهم من بلد إلى بلد على رؤوس الاشهاد، ورفع رأس الحسين على
الرمح أمام أنظار من يتذكر قبلات رسول الله على شفة صاحب هذا الرأس، كل
هذه المشاهد أصعقت العالم الاسلامي. لم يكن أحد يصدّق أن الامر يصل إلى
هذه الدرجة. وما يروى عن زينب عليها السلام من قولها:

ما توهمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدراً مكتوباً^(٩)

(٩) بحار الانوار ٤٥: ١١٥.

إنما هو إشارة إلى وضع الناس آنذاك بوغت المسلمون أن البطش أصبح
أكثر مما كانوا يتصورون لقد حدث ما لم يكن في الحساب، وكاد الخوف
يجبس الأنفاس في الصدور، ويخرس اللسان ويشلّ الطاقات، لولا ظهور
الثورات التي كسرت حاجز الخوف أمداً، ثم حين واجهت البطش وفشلت عاد
الخوف يلقي بظلاله الثقيلة أضعافاً مضاعفة. ثار التوابون في الكوفة سنة ٦٤هـ
وواجهوا عملية إبادة رهبة سنة ٦٥هـ، وثار المختار في الكوفة أيضاً انتقاماً
لشهداء كربلاء، وثار عبد الله بن الزبير في مكة، ولم يستطع ابن الزبير أن
يتحمّل وجود المختار في الكوفة، ففضى عليه عن طريق أخيه مصعب، وكاد
الامر يستتب لابن الزبير لولا خوف الناس من بطش الامويين، هذا الخوف هو
الذي يسّر لمروان بن الحكم أن يسيطر على الامور بعد أن انفرط عقد البيت
السفياي باستقالة معاوية بن يزيد. ثم بهذا التخويف وبعمليات البطش
والتنكيل هذه سيطر عبد الملك بن مروان على العالم الاسلامي، وأخضع بلاد

الاسلام بأجمعها إلى الحكم الأموي.

ويلزمنا الوقوف قليلاً عند وقعة «الحرّة»؛ فهي من الوقائع الهامة التي ظهرت فيها قسوة الأمويين بشكل سافر قاطع.

في سنة اثنتين وستين ولي المدينة المنورة عثمان بن محمد بن أبي سفيان «وهو فتى غيّر حدث لم يجزّب الأمور ولم يحنكه السن» أراد يوثّق علاقة رجال المدينة بيزيد، فأرسل وقدأ من أهل المدينة إلى يزيد فيهم عبد الله ابن حنظلة غسيل الملائكة، فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم، لكنهم استغربوا ما رأوه من فساد في بلاط الخليفة. حين عادوا إلى المدينة قالوا: «قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، وتعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الخُرَاب»^(١٠) وإنا نشهدكم أنا خلعهنا» فسير يزيد إلى أهل المدينة جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة، وهو الذي سُمّي مُسرفاً، دافع أهل المدينة دفاعاً شديداً وفيهم صحابة رسول الله، لكنهم انهزموا، فاباح مسلم المدينة ثلاثاً لم يتركوا فيها حرمة إلا انتهكوها، وارتكبوا من الفظائع ما يقصر اللسان عن ذكره. ثم دعا «مسرف» الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول ليزيد يُحكّم في دمائهم وأموالهم وأهلهم من شاء، فمن امتنع من ذلك قتله^(١١).

(١٠) أي اللصوص.

(١١) الكامل في التاريخ لابن

الاثير، وقائع سنة ٦٢ و٦٣.

الانحطاط الفكري

وثمة ظاهرة أخرى إلى جانب الارعاب والتخويف نشاهدها في هذا العصر هي الانحطاط الفكري لدى الناس في جميع أرجاء العالم الاسلامي، نتيجة لإهمال تعاليم الدين والاستخفاف بفرائضه خلال عقدين مضت من الزمان. تذكر لنا الروايات مشاهد كثيرة من تزلزل إيمان الناس في هذا العصر وفراغهم الفكري والعقائدي طبعاً كان في المجتمع قراء ومحدثون وزهاد ووعاظ، وسنأتي على ذكرهم، لكن عامة الناس كانوا يعانون من اختلال شديد في العقيدة والالتزام، وهذه الحالة هي التي جرأت ابن الزبير أن يلغي شهادة أن محمداً رسول الله من الخطبة في الجمعة وغيرها، وحين سُئل عن سبب ذلك

قال: «والله ما يمنعني من ذكره علانية أني لا أنكره سرّاً، وأصلي عليه، لكني رأيت هذا الحيّ من بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشترأبت أعناقهم، وأبغض الأشياء التي ما يسرهم وفي رواية: إن له أهيل سوء» (١٢).

(١٢) ابن أبي الحديد: ١٢٧.

١٢٨.

وهذه الحالة ذاتها هي التي جرأت خالد بن عبد الله القسري - وهو من مرتزقة بني أمية المنحطين - أن يفضل الخلافة على النبوة، وكان يستدل على هذا التفضيل بقوله: «أيهما أفضل خليفة رجل في أهله أو رسوله إلى أصحابه؟».

ويتضح من كلام القسري أن الخليفة هو خليفة الله، لا خليفة رسول الله وفي دراستي للشعر في العصر الأموي وجدت أن تعبير «خليفة الله» قد تكررت عند الشعراء منذ عصر عبد الملك بن مروان، واستمرت في العصر العباسي، حتى أوشك تعبير «خليفة رسول الله» أن ينسى. ونرى أن بشار بن برد حين يهجو الخليفة المهدي يستعمل كلمة «خليفة الله» أيضاً:

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود (١٣)

(١٣) الاغانى ٣: ٢٤٢.

ومثل هذا التعبير نجده عند جرير والفرزدق وغيرهم من الشعراء المشهورين.

الفساد الاخلاقي في مكة والمدينة

ويلاحظ في الوثائق التاريخية أن عملية الافراغ العقائدي والروحي كانت منصبّة بالدرجة الاولى على مكة والمدينة، حيث أبناء المهاجرين والانصار، وحيث التابعون القريبو العهد بعصر صدر الرسالة، فترى هاتين المدينتين المقدستين قد خطط لهما لكي تكونا مركزاً للهو والغناء والطرب. وبدأت الخطة على يد الامويين منذ زمن الخليفة الثالث، فملأوا المدينتين المقدستين بالآلات الموسيقية والمغنين والمغنيات، وانتشرت بيوت الطرب، وتشجّع الشعراء على هتك الحرمات والتعرض لنساء المهاجرين والانصار، والتغرّل بهنّ في أقدس المواسم وأقدس الامكنة هذا عمر بن أبي ربيعة يذكر النساء المسلمات في

شعيرة رمي الجمار ويقول:

بدا لي منها معصم حين جفرت وكف خضيب زينت ببنان
فلما التقينا بالثنية سلّمت ونازعني البغل اللعين عناني
فوالله ما أدري وإنّي لحاسب يسبع رمين الجمر أم بثمانى^(١٤)
وكان شعر عمر بن أبي ربيعة يجد في النفوس صدئ عميقاً، وينتشر بين
الناس انتشاراً واسعاً، وهذا أيضاً يدل على الوضع الخلقي لتلك الفترة الزمنية.
يروى أن عمر بن أبي ربيعة حين مات اشتد الحزن على جارية حبشية
بمكة، وراحت نحو المدينة أشد ما تكون حزناً وإعوالاً وهي تقول: «من لمكة
وشبابها وأباطحها ونزهها ووصف نسائها، وحسن جمالهن بعد عمر؟! فقالوا
لها: خفّي عليك، فقد نشأ من يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه، ويعنون العرجي. ثم
انشدوها شيئاً من شعر العرجي في الغزل، فمسحت عينيها وضحكت، وقالت:
الحمد لله الذي لم يضيّع حرمه»^(١٥). وهذا العرجي أيضاً والاحوص ممن
خاضوا في أعراض الناس، دون أن يردعهم أي رادع.

وتذكر لنا الروايات صوراً عن انتشار بيوت الطرب وإقبال صنوف الناس
عليها، فيهم الصعلوك مثل أشعب الطماع، وفيهم سراة قريش، وبعض بني
هاشم أيضاً ممن لا أود أن أذكر اسمه، بل تنقل لنا مجالس طرب النساء من
وجوه القرشيات واشترك المغنين الرجال فيها وهكذا انتشار الخمرة
والتهاون في إجراء الحدود على تعاطيها ويبلغ التهاون بالدين درجة أن الوالي
منع رفع الأذان في الحرم المكي في وقته بأمر عائشة بنت طلحة كي لا يقطع
الاذان طوافها، وحين اعترضوا عليه لتأخير الاذان والصلاة من أجل امرأة،
قال: «والله لو طال طوافها حتى صباح غد لما أجزت رفع الاذان».

الفساد السياسي

وفي هذا الجو المتحلل انهارت حتى معنويات بعض الشخصيات الإسلامية
البارزة، وسقطوا في سبيل تحقيق متاع رخيص وأمل دنيوي تافه من أولئك
محمد بن شهاب الزهري، فقد كان يوماً تلميذاً للامام السجاد^(عليه السلام)، غير أن

(١٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٣٦٢، ط. دار الكتاب العربي.

(١٥) الأغاني ١: ٢٨٧، ط. دار الكتب.

معنوياته الهابطة دفعته إلى الارتباط بالجهان الحاكم، وعلى أثر ذلك وجه إليه الامام السجاد رسالته المعروفة، وهي سند تاريخي هام. وعبارات الرسالة لها دلالات كبرى على الموقف السياسي للامام السجاد، منها قوله: «ولا تحسبن الله قابلاً منك بالتعذير ولا راضياً منك بالنقصير. هيهات هيهات ليس كذلك، أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: ﴿لَتَبَيَّنَتَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ واعلم أن أدنى ما كتبت وأخف ما احتملت أن أنست وحشة الظالم، وسهلت له طريق الغي بدؤك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت، فما أخوفني أن تبوء باثمك غداً مع الخونة، وأن تُسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة»^(١٦).

(١٦) تحف العقول عن آل الرسول، الحراني: ٢٧٥، ط. مؤسسة النشر الاسلامي.

مسؤولية الامام السجاد عليه السلام

في مثل هذه الظروف يبدأ عمل الامام السجاد عليه السلام على ثلاثة محاور:
الاول: نشر مفاهيم الدين، باعتبار أن الوعي الديني ضرورة لازمة لاقامة المجتمع المسلم والدولة الاسلامية.
والثاني: تبين مسألة الامامة ومعنى الامام، لأن الناس كانوا ينظرون إلى عبد الملك أنه هو الامام.

والثالث: إعلان إمامته هو، وأن يقول: إنه هو الامام.

وثمة روايات أخرى لها دلالات على الوضع الاجتماعي الذي عمل فيه الامام السجاد عليه السلام. منها قوله: «ارتد الناس بعد الحسين إلا ثلاثة...»^(١٧). ومنها قوله: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»^(١٨). ومنها قوله: «ما ندري كيف نصنع بالناس، إن حدثناهم بما سمعنا من رسول الله ﷺ ضحكوا، وإن سكتنا لم يسمعنا»^(١٩).

(١٧) بحار الأنوار ٤٦: ١٤٤.

(١٨) بحار الانوار ٤٦: ١٤٢ - ١٤٣.

(١٩) المصدر السابق.

مفهوم الامامة

ولابد أن أشير إلى أن مفهوم «الامام» الذي شاع عندنا خلال القرون الاخيرة يختلف كل الاختلاف عن معنى الامام في القرون الاسلامية الاولى. في القرون الاولى كان مفهوم الامام هو نفسه الذي نفهمه اليوم بعد قيام

الجمهورية الإسلامية أي حاكم الدين والدنيا، لكن القرون الأخيرة شهدت انفصال «الحاكم» عن «الامام». الحاكم يتولى أمور الساحة الحيوية بكل ما فيها من حرب وسلم وإدارة سياسية واقتصادية، والامام يتولى هداية الناس في عقائدهم وعباداتهم. وهذا الانفصال أدّى إلى أن نفهم الامام في القرون الأخيرة فهماً خاطئاً، فهمناه أنه العالم الذي يتولى أمر العقائد والعبادات، وأما أمر الدنيا فهو من شؤون الخليفة. لم يكن الأمر كذلك في القرون الأولى. كل المسلمين بكافة فرقهم كانوا يفهمون أن معنى الامام هو حاكم أمور الدين والدنيا. كان حكام بني أمية يدعون أنهم أئمة المسلمين، وحكام بني العباس كانوا يدعون ذلك أيضاً، رغم أن بين الحكام الأمويين والعباسيين مَن ضربوا أرقاماً قياسية تاريخية في مستوى فسقهم وفجورهم ما لا يسمح لنا الوقت بالحديث عنه أكثر، ونكتفي بالقول إن المجتمع الإسلامي في عصر السجاد كان له إمام، وهذا الامام هو عبد الملك بن مروان، وإن الامام السجاد اهتم بتوضيح الشروط التي يجب أن يتحلّى بها الامام وبين أبعاد مسألة الامامة؛ ليخلص إلى النتيجة الحقيقية وهي إفهام المجتمع أنه هو الامام.

ثم إن الانحطاط الخلقي في مجتمع الامام السجاد عليه السلام حمل الامام مسؤولية انتشار الافراد من مستنقع الرذيلة، وتوجيه الناس توجيهاً معنوياً، وهي عملية لازمة لاعادة الحياة الإسلامية. وما خلفه الامام السجاد من تراث عظيم جُمع في «الصحيفة السجادية» يبيّن نهج الامام في هذا السبيل. كان يركّز على الترفع عن السقوط، والتعامل مع الدنيا تعامل القائد لا المنقاد، وتعامل الحرّ لا العبد، وهي تعاليم الاسلام في الزهد: «ألا خُرَّ يدع هذه اللماظة لاهلها؟ فليس لانفسكم ثمن إلا الجنة فلا تتبعوها بغيرها».

والامام السجاد أشاع هذه المفاهيم، على الصعيد العام، وربّى أفراداً عليها في المستوى الخاص، وبذلك توفّرت الظروف المعنوية للالتحاق بمدرسة آل البيت عليهم السلام. ومن هنا يقول الصادق عليه السلام: «ثم إن الناس لحقوا وكثروا» بعد قوله: «ارتد الناس بعد الحسين».

نصان هاتان

ورثمة نصان هاتان في كتاب «تحف العقول» هما من أطول ما نقل عن الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، يبينان نهجين مختلفين للإمام في نشاطه الأول: يتحدث إلى عامة الناس، ويبدأ بعبارة «أيها الناس» يذكر فيها المخاطبين بواقع دنياهم ومسؤوليتهم تجاه ربهم ونبيهم ودينهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم أو عقاب، ويحذّرهم من المعاصي، ويحثّهم بشكل خفي على عدم الركون إلى الظالمين ويقول: «ولا تركنوا إلى الدنيا، فإن الله قال لمحمد عليه السلام: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾، ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وما فيها ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان، فأنها دار قلعة، ومنزل بُلغة، ودار عمل، فترؤدوا الأعمال الصالحة قبل تفرّق أيامها»^(٢٠).

هذا النص واضح في أنه كان خطاباً لعامة الناس، غير أن النص الثاني واضح في خصوصية خطابه، ولا بد أن يكون الإمام قد ألقاه على مجموعة خاصة من أصحابه حيث يبدأ كلام الإمام بقوله: «كفانا الله وإياكم كيد الظالمين، وبغي الحاسدين، وبطش الجبارين. أيها المؤمنون، لا يفتنكم الطواغيت من أهل الرغبة في الدنيا المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها»^(٢١).

وهكذا استمر عمل الإمام السجاد مدة خمسة وثلاثين عاماً بشكل هادئ في جوّ مظلم مدّ لهم، يسعى لانتشال الظالمين في دياجير الشهوات أو في حبائل السلطة المتجبرة أو علماء السوء من جهة، ومن جهة أخرى يسعى لتكوين المجموعة المؤمنة الصالحة لكي تكون قاعدة انطلاق لمراحل تالية من العمل الإسلامي.

حياة الإمام السجاد بحاجة إلى ساعات طوال، اكتفي بهذا القدر وانتقل إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

عصر الإمام الباقر عليه السلام

لقد سار الإمام الباقر على نهج أبيه مع فارق بين ظروفه والظروف السابقة. نهجه كان أيضاً نشر تعاليم الإسلام، لكن ظروفه قد تحسنت.

(٢٠) تحف العقول عن آل الرسول، الحراني: ٢٥٢، ط. مؤسسة النشر الإسلامي - قم ١٤٠٤ هـ.

(٢١) المصدر السابق.

فها هو يدخل المسجد وقد التف حوله أهل خراسان وغيرهم، ويتقدم إليه قتادة بن دعامة البصري فقيه أهل البصرة فيسأله ويتزود من علمه. روى الكليني في الكافي بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: «كنت جالساً في مسجد رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل فسلم، فقال: من أنت عبد الله؟ قلت: رجل من أهل الكوفة فما حاجتك؟ قال: أتعرف أبا جعفر محمد بن عليّ قلت: نعم، فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل؟ قال لي: يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تطاقون، إذا رأيتم أبا جعفر فأخبرني.

فما انتهى كلامه حتى أقبل أبو جعفر وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج. فمضى حتى جلس محله، وجلس الرجل قريباً منه، فجلست حيث استمع الكلام وحوله عالم من الناس. فلما قضى حوائجهم وانصرفوا التفت إلى الرجل، فقال له: من أنت؟ قال له: أنا قتادة بن دعامة البصري. فقال له أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم. فقال: ويحك يا قتادة، إن الله عز وجل خلق خلقاً فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه.

ويبدو أن قتادة أدرك منذ اللحظات الأولى للقائه بالامام أنه امام حجة الله في أرضه، فاضطرب، ولم يخف اضطرابه، فبعد سكوت طويل قال: «أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك. فقال له أبو جعفر: أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﴿بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغفوة والأصاال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ فأنت ثم، ونحن أولئك. فقال له قتادة: صدقت والله» (٢٢).

(٢٢) البحار ٤٦: ٣٥٧.

فالرواية تفصح عن التفاف الناس من أقاصي البلاد وأدانيها حول الامام وعن توجه الفقهاء إلى الامام للتزود من علمه. وثمة رواية عن الأبرش الكلبي قال فيها مشيراً إلى الباقر عليه السلام: «من هذا الذي احتوشه أهل العراق يسألونه؟» (٢٣).

(٢٣) البحار ٤٦: ٣٥٥.

التفاف الناس حول أهل البيت ازداد - إذن - في هذا العصر، وبنفس النسبة

ازداد زخم التحرك السياسي للامام الباقر عليه السلام.

لم يكن موقف السجاد صدامياً مع عبد الملك بن مروان. نعم كان أحياناً يجيبه بشدة، نحو ما فعل في رسالته الجوابية حين عيره عبد الملك بزواجه من أمته المحزرة^(٢٤). لكنه لم يكن يصطدم به. أما الامام الباقر عليه السلام في حركته ونشاطه فقد بثّ الرعب والخوف في قلب هشام بن عبد الملك، ورأى الخليفة أن لابد من أن يضع الامام تحت المراقبة، ولذلك طلب منه أن يقدم إلى الشام.

وثمة روايات تدل على أن الامام الباقر كان يدعو إلى إقامة حكومة عادلة ويبشر باقامتها، من ذلك قوله لشيخ: «إن تعش ثراً ما يقر الله به عينك»^(٢٥).

وثمة رواية هامة للغاية عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام تعين للخروج زمناً، وهي قضية مثيرة. في كتاب الكافي حديث عن أبي حمزة الثمالي بسند عال قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت، إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الامر في السبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه استمر غضب الله تعالى على أهل الارض فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث، فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»^(٢٦).

يقول أبو حمزة: «حدثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام، فقال: قد كان كذلك».

وسنة ١٤٠ سبقتها حادثة سنة ١٣٥ التي تولى فيها المنصور العباسي الحكم. ولو لم تكن واقعة تولي بني العباس، وتولي المنصور قد حدثت في التاريخ لكان التقدير أن تعلق راية الحكومة العلوية سنة ١٤٠. ولا أريد أن أدخل في تفاصيل هذه الرواية إذ تحتاج إلى فصول مستقلة، ولا أدري هل يسعني الوقت للوقوف عندها أطول أم لا، ولكن هي باختصار تصرح بأن من المقرر أن تقوم سنة ١٤٠ هـ حكومة إسلامية، ولقد أخبرناكم بذلك فافشيتم، فأخره الله إلى وقت لم يجعله عندنا.

أعود فأقول: إن طابع الكفاح السياسي لم يكن واضحاً في حياة الامام زين العابدين، وأصبح واضحاً في زمن الامام الباقر عليه السلام، ولكن لا بمعنى الكفاح المسلح.

وهنا أقف عند ظاهرة الكفاح المسلح، وأشير إلى أن عصر الامام الباقر عليه السلام

(٢٤) البحار ٤٦: ١٦٥.

(٢٥) البحار ٤٦: ٣٦٢-٣٦٣.

(٢٦) اصول الكافي ٢: ١٩٠.

لم يكن يسمح بذلك، لذلك حين استجازه زيد بن علي في القيام لم يأذن له، فلم يخرج.

وليس صحيحاً ما يقال من أن زيداً خالف أمر الإمام؛ فإن زيداً استشار الإمام الصادق عليه السلام بعد وفاة الإمام الباقر عليه السلام فشجعه على الخروج، وبعد شهادته رضوان الله عليه ترخّم عليه الإمام وتمنى أن يكون مع الخارجين معه. على أي حال، كان عصر الإمام الباقر عليه السلام عصر كفاح سياسي حاد، وبعد وفاته أوصى بما يجعل هذا الكفاح متواصلاً حين أوصى أن تندب النوادب «عشر سنين بمنى أيام منى» (٢٧).

(٢٧) راجع منلول هذه الرواية في قيادة الإمام الصادق للإمام الخامنئي (المترجم).

عصر الإمام الصادق عليه السلام

بدأ عصر إمامة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سنة ١١٤ هـ، واستمر حتى سنة ١٤٨ هـ، ومرّ بمرحلتين متميزتين، إحداها من سنة ١١٤ حتى سنة ١٣٢ هـ وهي سنة استيلاء بني العباس على الخلافة، أو حتى سنة ١٣٥ هـ وهي سنة تولّي المنصور. وهذه الفترة يمكن أن نسميها فترة انفراج، وهي الفترة التي عرفت بتوفر الفرصة لنشر معارف أهل البيت عليه السلام، بسبب النزاع بين بني أمية وبني العباس. وهذه الفرصة لم تتوفر في عصر الإمام الباقر عليه السلام، بل كان عصر الإمام الباقر مقروناً باقتدار بني أمية، «وكان هشام رجلهم» كما قيل، وأكثر خلفاء بني أمية قدرة بعد عبد الملك.

في هذه المرحلة الأولى من عصر الإمام الصادق كان العالم الاسلامي من إفريقيا حتى خراسان وما وراء النهر يعيش صراعات حادة، وواجه الحكم الأموي خلالها مشاكل متفاقمة ممّا وفّر الفرصة للإمام الصادق عليه السلام أن ينشر معارف أهل البيت، وأن يركّز على نفس المحاور التي ركّز الإمام السجاد عليها، وهي نشر مفاهيم الدين، وتبيين مسألة الإمامة، وإعلان إمامته هو. وهذه الثالثة مشهودة بوضوح في المرحلة الأولى من حياة الإمام الصادق عليه السلام.

ومن الامثلة على ذلك إعلان إمامته يوم عرفة (٢٨). ومن ذلك اتجاه الدعاة إلى خراسان للدعوة «إلى ولاية جعفر بن محمد» (٢٩)، وغيرها من الامثلة

(٢٨) البحار ٤٧: ٥٨.

(٢٩) البحار ٤٧: ٧٢.

والشواهد التي ترتبط على أغلب الظن بهذه المرحلة.

أما المرحلة الثانية التي تبدأ بتولي المنصور فتتغير الأوضاع فيها، وتعود إلى حالة قد تشبه عصر الامام الباقر عليه السلام. يسود جوّ من الارهاب والبطش، وينفى الامام مراراً إلى الحيرة أو واسط أو الرميّة أو أماكن أخرى، ويخاطبه الخليفة مراراً بحدة، وقال له مرة: «قتلني الله إن لم أقتلك» ^(٣٠)، وأمر مرة «أن أحرق على جعفر بن محمد داره»، ويمرّ الامام بين النيران وهو يردّد عبارات مليئة بالتوكل والتحدّي ويقول: «أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن إبراهيم خليل الله عليه السلام» ^(٣١).

(٣٠) البحار ٤٧: ١٧٤.

(٣١) أصول الكافي ١: ٤٧٣.

طبعاً هناك روايات عن تودد الامام وتذلل أمام الخليفة، وتوصلت بعد دراستي لها أنها مجعولة ولا أصل لها، وتتصل غالباً بالربيع الحاجب الفاسق القريب من المنصور. ومن الغريب أن بعضهم ذكر أن الربيع من الشيعة ومن الموالين لأهل البيت اين الربيع من التشيع؟! الربيع بن يونس خادم المنصور، تربى منذ نعومة أظفاره في جهاز العباسيين، ثم أصبح حاجب المنصور، وقدم لهذه الاسرة خدمات كثيرة، ثم بلغ منصب الوزارة. وعند وفاة المنصور أوشكت أن تخرج الخلافة من أسرة هذا الخليفة، وكان من الممكن أن تنتقل إلى أعمامه، غير أن الربيع زوّج وصيّة تقضي بانتقال الخلافة إلى المهدي. والفضل بن الربيع ابنه أصبح بعد ذلك وزيراً لدى هارون والأمين. وكلما قاله الربيع هذا بشأن الامام كذب واقتراء، وكان هدفه الاساءة إلى سمعة الامام، لاضعاف معنويات أتباع مدرسة أهل البيت.

على أي حال كانت المواجهة بين الامام الصادق والمنصور حادة انتهت باستشهاد الامام سنة ١٣٨ هـ.

عصر الامام الكاظم عليه السلام

في متابعتنا للمسيرة العامة لنشاط الامة نصل إلى فصل مهيج جداً تبلغ فيه حركة الكفاح ذروتها، يتمثل في عصر الامام الكاظم عليه السلام.

لا تتوفر بين أيدينا مع الاسف وثائق كافية عن حياة هذا الامام. ولكن

بعض هذا المتوفر منها يثير الدهشة والاستغراب.

بعض الروايات تذكر أن الامام كان مدة بعيداً عن أنظار أعوان السلطة، وربما كان خلالها متوارياً عن الأنظار. جهاز هارون يتعقبه ولا يعثر عليه. ويلقي القبض على أفراد فيعذبهم ليدلوا بمعلوماتهم عن مكان الامام الكاظم. وهذه ظاهرة فريدة في حياة الأئمة عليهم السلام.

ومن تلك الروايات ما ينقله ابن شهر آشوب إذ يقول: «دخل موسى بن جعفر بعض قرى الشام متنكراً هارباً»^(٣٢)! مثل هذا لا نجده في حياة أي واحد من الأئمة.

(٣٢) ابن شهر آشوب، المناقب

٤: ٣١١.

من هذه الروايات نفهم قضية سجن الامام المؤيد في الطوامير؛ لأن أمر الرشيد في بداية خلافته كان على نحو آخر مع الامام الكاظم عليه السلام. يروي الامين أن هارون حين قدم إلى المدينة بعد الحج وفد عليه الامام الكاظم وهو راكب على ظهر حمار، فأمر هارون ألا ينزل الامام من دابته إلا على بساطه، إجلالا واحتراما. فما زال يسير على حماره حتى سار إلى البساط، والحجاب والقواد محققون به.

والرواية تذكر بعد ذلك أن الامام تحدث إلى هارون عن ضائقة معيشته، وهو حديث يعرفه من مارس التقية في أيام الكفاح السياسي، فمثل هذه الاقوال تصرف عادة الخصم عن حال المتكلم ونشاطه، ويفترض بمثل هذا الحديث أن يستدرّ عطاء هارون، لكنه لم يزد على أن يعطيه مئتي دينار.

يقول الامين: «فمقت في صدره وقلت: تعطي أبناء المهاجرين والانتصار وسائر قريش، وبني هاشم، ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار، وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مئتي دينار، أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس؟ فقال الرشيد: اسكت لا أم لك، فإني لو أعطيت هذا ما ضمنت له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غدا بمئة ألف سيف من شيعة ومواليه. وفقر هذا وأهل بيته اسلم لي ولكم من بسط أيديهم وغناهم»^(٣٣).

يظن بعضهم أن هولجس الرشيد ناتجة عن سعاية الساعين، وليس الامر كذلك، ما كان يخشاه الرشيد إنما هو خطر حقيقي يهدده من الامام وأتباعه.

(٣٣) عيون أخبار الرضا ١:

٨٨، البحار ٤٨: ١٣١ - ١٣٣.

وهذا الاحساس بالخطر هو الذي دفع بالرشيد إلى أن يتعقب الامام ويطارده، ثم يسجنه حتى آخر عمره.

عصر الامام الرضا عليه السلام

عصر الامام الرضا يمتاز أيضاً بالانفراج وتحسن الاوضاع وانتشار التشيع، وينتهي بتولي الامام العهد. كان الامام في عصر الرشيد يعمل ويتحرك ضمن إطار التقية. ونستطيع أن نفهم عمل الامام الرضا عليه السلام في عصر الرشيد من خلال احتفال الامة عند إعلان ولايته للعهد. نرى وفود الشعراء مثل دعل الخزاعي وابراهيم بن العباس عليه وانشادهم قصائد تدل على فهم لمكانة الامام ومنزلته، كما نرى احتفالات غير معهودة في المدينة والري وخراسان ومناطق أخرى، وهذه لا يمكن أن تحدث فجأة من دون مقدمات. وما حدث خلال فترة تولي الامام ولاية العهد (وهي حادثة مهمة جداً أشرت في كلمتي الموجهة إلى المؤتمر السابق إلى أسبابها ومقدماتها) يدل بوضوح على مدى ارتباط الامة بآل البيت في عصر الامام الرضا عليه السلام.

على أي حال، الاختلاف بين الامين والمأمون والنزاع بين خراسان وبغداد على مدى خمسة أعوام وقر فرصة عمل واسعة للامام بلغ ذروته بمسألة تولي العهد، ولكن حادثة استشهاد الامام قد قطعت على هذه المسيرة طريق الاستمرار، وبدأ عصر جديد عادت فيه المحن تنصب على أهل البيت، وأعتقد أن عصر الامام الجواد عليه السلام وما تبعه هو أشد العصور وأقساها على أهل بيت رسول الله ﷺ. وهذه هي الصورة العامة للحياة السياسية لائمة أهل البيت عليه السلام.

بعض معالم التحرك النضالي

ذكرت من قبل أن بحثي هذا عن الجانب السياسي لحياة أئمة أهل البيت على قسمين: الاول يتناول المسيرة العامة لحياتهم السياسية، والثاني يقدم بعض معالم هذا التحرك.

لا يسع الوقت لأفصل الحديث في جميع هذه المعالم، بل أشير إلى بعضها، من خلال مذكراتي القديمة، ذاكراً عناوينها، تاركاً التفصيل لمن يريد البحث والدراسة فيها.

الدعوة إلى الإمامة

ادعاء الإمامة والدعوة إليها ظاهرة واضحة في حياة الأئمة، وهي دائماً تدل على موقف سياسي. والكتب الحديثية فيها كثير من هذه الروايات تجدها في الفصل المعقود تحت عنوان: «الأئمة نور الله»^(٣٤). ورواية الإمام الثامن في تعريف الإمامة^(٣٥). والعديد من الروايات في حياة الإمام الصادق ومناظرات أصحابه. وهكذا ما روي في حياة الإمام الحسين في أحاديثه مع أهل العراق، وروايات كثيرة أخرى.

(٣٤) الكافي ١: ٢٧٦.

(٣٥) عيون أخبار الرضا ١:

٢١٦.

انطباع الخلفاء عن تحرك الأئمة

تلاحظون أن فهم الخلفاء منذ عصر عبد الملك حتى زمن المتوكل لنشاط الأئمة كان بشكل واحد، كان الخلفاء وأعوانهم ينظرون إلى الأئمة نظرة تكاد تكون مشتركة، ومن الطبيعي أن يتخذوا تجاههم موقفاً مشتركاً واحداً. وهذه مسألة هامة يجب الوقوف عندها طويلاً والتعمق فيها. على سبيل المثال قيل عن موسى بن جعفر^(٣٦): «خليفتان يجبى إليهما الخراج»^(٣٦)، وقيل عن علي بن موسى الرضا^(٣٧): «هذا علي ابنه قد قعد والدّعي الامر لنفسه»^(٣٧) وأمثالها من العبارات التي تدل على كيفية فهم الخلفاء وأعوانهم لنشاط أئمة أهل البيت. وهذه مسألة هامة أخرى.

(٣٦) البحار ٤٦: ١٢٥.

(٣٧) البحار ٤٩: ١١٣.

إصرار الخلفاء على ادعاء الإمامة

إصرار الخلفاء على ادعاء الإمامة لأنفسهم، وحساسية الشيعة من ذلك، معلم آخر لموضوعنا هذا. نرى مثلاً الشاعر كثير بن عبد الرحمن - حين يلومه الإمام الباقر على امتداحه عبد الملك - يقول: «ما قلت له يا إمام الهدى»^(٣٨)

(٣٨) البحار ٤٦: ٣٣٨.

حساسية هذا الشاعر الموالي لآل البيت إذن من كلمة «إمام الهدى». وهذا أيضاً يشير من جهة أخرى إلى رغبة الخليفة في أن يقال له: «إمام الهدى».

ومروان بن أبي حفصة (الذي خدم بالبلاطين الاموي والعباسي ومدح خلفاء الاسرتين، وهذا من العجيب) كان يركز في مدحه لخلفاء بني العباس على إثبات إمامتهم للمسلمين ونفي أمانة أهل البيت عليه السلام، يقول:

أنتى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة الاعمام
فالنزاع إذن بين العباسيين وآل البيت كما صوره الشاعر هو نزاع حول الخلافة.

وينهض الشاعر الطائفي الشيعي فيجيبه:

لِمَ لا يكون وإنَّ ذاك لكائن لبني البنات وراثة الاعمام
للبنات نصف كامل من ماله والعَمَّ متروك بغير سهام^(٣٩)

(٣٩) الاحتجاج ٢: ٣٩٤.

تأييد الاثمة للتحرك النضالي العنيف

وهذا معلم هام آخر يدل على اتجاه نشاط الاثمة عليه السلام. من ذلك ما قاله الامام الصادق بشأن المعلّى بن خنيس عندما قتله داود بن علي، وبشأن زيد بن علي وبشأن الحسين بن علي شهيد فخ وآخرين.

وفي نور الثقلين رواية مثيرة عن علي بن عقبة قال: «إن أبي قال: دخلت أنا والمعلّى على أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام فقال: أبشروا! أنتم على إحدى الحسينيين، شفى الله صدوركم، وأذهب غيظ قلوبكم، وأنالكم من عدوكم، وهو قوله تعالى: ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ وإن مضيتم قبل أن تروا ذلك مضيتم على دين الله الذي رضىه لنبيه صلى الله عليه وآله ولعلي عليه السلام» (٤٠).

(٤٠) نور الثقلين ٢: ١٩٠.

وأهمية هذه الرواية أنها تتحدث عن جهاد وانتصار وقتل.

وزيد أهميتها أن المخاطب فيها المعلّى بن خنيس الذي نعرف مصيره. والحديث يبدأ بدون مقدمات كأنه يتحدث عن واقعة، وهي غير معلومة لدينا.

وعبارة «شفى الله صدوركم» تحتل أن تكون دعاء من الامام، وتحتل أن تشير إلى حادثة قد وقعت. هل كان هذان الاثنان قادمين من مهمة خطيرة يعلم

بها الامام؟ الا يحتمل أن يكون الامام هو الذي أرسلهما في هذه المهمة؟ على أي الاحتمالين، كلام الامام يدل على تأييده للحركات الحادة النضالية التي تتجلى في حياة المعلى بن خنيس.

ومن المهم أن نعرف أن المعلى «باب» الامام الصادق عليه السلام. وهذا التعبير (باب) من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة، فهؤلاء الذين اشتهروا بأنهم «باب» الاثمة قد استشهدوا غالباً أو هددوا بالقتل مثل: يحيى بن أم الطويل، والمعلى بن خنيس، وجابر بن يزيد الجعفي.

سجن الاثمة ونفيهم وتشريدهم

من الفصول التي أرى لزوم دراستها بدقة هذا الفصل من حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام. وفيه كثير من الابعاد والموضوعات والنصوص. ولا يسع الوقت للوقوف عندها.

صراحة لهجة الأئمة وحدثها مع الخلفاء

هذه الظاهرة أيضاً تجدها بوضوح في تعامل الاثمة مع الخلفاء، ولو كان الاثمة عليهم السلام محافظين ومهادنين لكانوا مثل بقية الوعاظ والزهاد في تلك العصور. كان أولئك الوعاظ والزهاد يدخلون على الخلفاء فيعظونهم، وكان الخلفاء يودونهم.

يقول الرشيد عن أحد هؤلاء:

كلكم يمشي رويد كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد
ينصحونهم ويعظونهم حتى يدفعونهم أحياناً إلى البكاء، لكنهم يحذرون أشد الحذر من أن يواجهوهم بكلمة تجرحهم. لا يذكرونهم أبداً بتجبرهم وطفغانهم وغصبهم. أما الاثمة فكانوا يصارحونهم بذلك، ولا يابسون أبداً لهيبة الخليفة وقدرته.

حدّة الخلفاء مع الائمة

وهو محور آخر يمكن دراسته في هذا المجال، كالذي حدث بين المنصور والامام الصادق عليه السلام، أو بين هارون والامام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد أشرنا إلى بعض ذلك من قبل.

استراتيجية الامامة

من المعالم الهامة لللطيفة في هذا المجال أقوال الائمة الدالة على استراتيجية الامامة. إننا نرى في بعض أقوالهم ومباحثاتهم عبارات غير عادية تكشف عن هذه الاستراتيجية.

من ذلك حوار بين الامام موسى بن جعفر عليه السلام وهارون الرشيد حول فدك. قال هارون للامام: «حُدّ لي فدكاً حتى أردّها اليك». ظنّ هارون أنه بذلك يستطيع أن يسلب آل البيت شعار ظلامتهم الذي طالما رفعوه مطالبين بفدك. امتنع الامام في أول الامر، وحين أصرّ عليه الرشيد قال الامام: «لا آخذها إلا بحدودها».

قبل الرشيد بذلك، وبدأ الامام يذكر حدود فدك فقال: «أما الحد الاول فَعَدَن» وَعَدَن تعني نهاية الجزيرة العربية. تقول الرواية: «فتغير وجه الرشيد وقال: إيها!» قال الامام: «والحد الثاني سمرقند» أي أقصى شرق حكومة هارون. فارتدّ وجه هارون. ثم قال الامام: «الحد الثالث إفريقية» أي أقصى غرب البلاد الاسلامية. فاسودّ وجه هارون وقال: «هيه!» ثم قال الامام: «والحد الرابع سيف البحر مماليك الجزر وأرمينية» أي أقصى شمال العالم الاسلامي آنذاك.

استشاط هارون غضباً وقال ساخراً: «فلم يبق لنا شيء، فتحول إلى مجلسي» أي اجلس على سرير الخلافة مكاني.

وتقول الرواية بعد ذلك: إن الامام قال: «قد أعلمتك أنني إن حدثتها لم تردّها» فعند ذلك عزم على قتله ^(٤١).

(٤١) البحار ٤٨: ١٤٤.

ومثل هذا المدعى نراه عند الامام الباقر والصادق والرضا عليهم السلام. وبمجموعه يرسم استراتيجية الامامة.

فهم الاصحاب لسيرة الاثمة

من المحاور الهامة في دراسة حياة الاثمة الكشف عن فهم أصحابهم لسيرتهم، فإنهم كانوا أقرب إلى الأثمة وأكثر فهماً لاهدافهم، فكيف كانوا يفهمون هذه الاهداف؟

نحن نرى أن هؤلاء الاصحاب كانوا ينتظرون «خروج» الاثمة. نرى رجلاً يقدم على الامام الصادق من خراسان ويخبره بأن بضعة آلاف من المسلحين ينتظرون في خراسان إشارته. يشك الامام في عدد الافراد، والخراساني يقلل العدد، ثم يؤكد الامام على «كيفية» الافراد، وفي الخاتمة يقول له: «لو كان لي عدد ما ذكرت من الافراد لخرجت».

كثير من الافراد يلتقون الامام ويطلبون منه «الخروج» على حد تعبير الروايات. وربما كان بين هؤلاء جواسيس بني العباس ايضاً، ويمكن أن نفهم ذلك من طريقة جواب الامام لهم.

كل هذه الظواهر تدل على أن مسألة الخروج لاقامة دولة الحق كانت في قاموس الشيعة آنذاك من الاهداف الحتمية. وكان أصحاب الاثمة ينتظرون الفرصة المناسبة للنهوض بهذه المهمة.

ورأيت في رجال الكشي رواية لطيفة تحكي عن فهم كبار أصحاب الاثمة مثل زرارة بن أعين لمسألة الخروج. تقول الرواية إن زرارة جاء الامام الصادق وأخبره أن أحد الاصحاب قد فرّ من الدائنين، وإذا كان «هذا الامر» قريباً فليصبر حتى يخرج مع القائم، وإن كان فيه تأخير فليصالحهم. يجيبه الامام «سيكون» يسأل زرارة: «حتى عام واحد؟» يجيبه الامام: «إن شاء الله سيكون». يعيد زرارة السؤال: «حتى عامين؟» يجيبه الامام: «إن شاء الله سيكون». ويقتنع زرارة أن حكومة آل علي سترتفع رايتها بعد سنتين.

لم يكن زرارة رجلاً عادياً، كان من أصحاب الامامين الباقر والصادق عليه السلام. ونراه ينظر إلى قيام دولة آل محمد عليه السلام بهذه الثقة واليقين.

وفي رواية أخرى عن هشام بن سالم أن زرارة قال له: «لا ترى على أعوادها غير جعفر»، والمقصود بالاعواد كرسي الخلافة. وحين توفي الامام

الصادق، قال هشام لزرارة: «أتذكر ما قتله؟ قال: نعم، لقد ذكرت - والله - رأيي في ذلك». (يريد أن يزيل شبهة نقل ذلك عن الامام).

من هذه الروايات التي تتحدث عن انتظار الخروج أو طلب الخروج على لسان أصحاب الاثمة، نفهم بوضوح أن إقامة الحكم العلوي والسعي له وانتظاره كان من الامور المسلمة في نظر الشيعة، بل في نظر المقربين من أصحاب الاثمة، وهذه قرينة حتمية تدل على هدف الاثمة ومسيرتهم.

حقد الخلفاء على الاثمة

لماذا كل هذه الخصومة من الخلفاء تجاه الاثمة (عليه السلام)؟ هل يعود ذلك إلى حسد الخلفاء بسبب التفاف الناس حول الاثمة؟ لا شك أن الاثمة محسودون. والامام يعلق على قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٤٢) فيقول: «نحن المحسودون» (٤٣). ولكن المهم أن نرى سبب هذا الحسد. هل هو حسد لما عند الاثمة من علم وتقوى؟ لقد كان هناك كثير ممن يعرفه الناس بعلمه وزهده آنذاك من أمثال: ابي حنيفة، وابي يوسف، والحسن البصري، وسفيان الثوري، ومحمد بن شهاب وعشرات من أمثالهم، وكانت لهم شهرة بين أوساط الناس، لكن الخلفاء لم يحسدوهم، بل كان بعضهم ذا حظوة لدى الخلفاء.

في اعتقادي أن هذا الحسد يجب أن نجد له جذوراً في دعوة الاثمة إلى إمامتهم. وهذه أيضاً مسألة تستحق الدراسة والتعمق.

معارضة أصحاب الاثمة

من المعالم التي توضح سيرة أئمة آل البيت (عليهم السلام) التحرك المعارض الحاد لأصحاب الاثمة (عليهم السلام) ضد جهاز الخلافة. ونجد مظاهر ذلك على مدى تاريخ حياة الاثمة. في عصر الامام السجاد، حيث الطغيان يبلغ ذروته، يقف يحيى بن أم الطويل، وهو من حواربي الامام، في المسجد ينادي بأعلى صوته مخاطباً الناس المستسلمين لجهاز الخلافة أو العاملين في هذا الجهاز، بالآية المباركة

(٤٢) النساء: ٥٤.

(٤٣) الميزان ٤: ٣٨٤.

(٤٤) المتحنة: ٤.

التي تلاها إبراهيم عليه السلام على الكافرين: ﴿كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء﴾ (٤٤).

وفي كناسة الكوفة يرفع صوته بمعارضة السياسة الحاكمة. والمعلّى بن خنيس يذهب إلى صلاة العيد مع الناس في حالة يرثى لها، وحين يقبل الخطيب المنبر ينهض قائماً ويرفع صوته بالنداء: «اللهم إن هذا مقام خلفائك وأصفياك وموضع أمانتك... ابتزوها...».

ومن المؤسف أن هذا الصحابي الجليل الذي اثنى الامام عليه ولعن قاتله يشك بعضهم في وثاقته، ولا نستبعد أن يكون لبني العباس يد في نشأة هذه النظرة السلبية.

التقية

والمسألة الهامة الاخرى هي «التقية» وهي مسألة ذات أبعاد واسعة وعميقة، ولا بد لفهمها من مراجعة كل الروايات المرتبطة بالكتمان وحفظ الاسرار، ودراستها على ضوء أهداف الائمة التي مرّ ذكرها، وعلى ضوء ظروف البطش والارهاب.

ومما لا شك فيه أن التقية لا تعني الانصراف عن النشاط، بل تعنى تغطيته. وهذا ما يتضح بجلاء عند دراسة الروايات. هذا جزء من المواضيع المرتبطة بحياة الائمة عليهم السلام. وهناك طبعاً مباحث أخرى حول الجانب السياسي من حياتهم لا يسع المجال لذكر حتى عناوينها. ولقد درست طويلاً في هذا الحقل، وليس لي اليوم فرصة - مع الاسف - لجمع شتات هذه الدراسات. وليت أصحاب الهمة ينهضون بهذه المهمة ويتابعون الحياة السياسية للائمة عليهم السلام، ليقدموها إلى الامة باعتبارها درساً للحياة ومنهجاً للعمل، لا باعتبارها فقط ذكريات خالدة في الازمان والنفوس.

دراسات

المقاصد الرئيسية لقضية الإمامية

مِنْ خِلَالِ حَرِيبِ الْأَئِمَّامِ الصَّادِقِ عليه السلام

* من الدين سليم
(العراق)

مقدمة:

نتناول في هذا البحث المتواضع قضية الإمامة الشرعية بعد
النبي صلى الله عليه وآله وطريقة الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تناولها



وعرضه لها.

لقد مثل مفهوم الإمامة عند عامة أهل البيت عليهم السلام قضية مركزية في حركة
الاسلام التاريخية، وليس لدى الامام الصادق عليه السلام فحسب، إلا أن الامام
الصادق عليه السلام كان من اكثر ائمة أهل البيت عليهم السلام اثارة وبلورة لهذه القضية بحكم
الظروف الموضوعية التي عاشها، والتي مكنته من أن يطرح كثيراً من مفاهيم
الاسلام الحنيف علانية بعد أن حاربتها السياسات الزمنية قبل عصره وفي
عهده.

على أن الامام الصادق عليه السلام كان قد واصل مسيرة أبيه الامام محمد بن علي
في نشر المعرفة بعد أن بقر ذلك الامام العظيم بطون العلم بقرًا (*) وأخرج
غوامضه، وافاض حقائق العلم النبوي على دنيا الانسان.

(*) لقب رسول الله صلى الله عليه وآله

حفيده محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي
طالب عليهم السلام بالباقر لكونه
يستخرج غوامض الرسالة،
ويفيض حقائقها على الناس.

وسيكون هذا البحث المتواضع حول الامامة الشرعية بعد النبي ﷺ، في ضوء ما قدمه امام المسلمين جعفر بن محمد الصادق ﷺ من احاديث وافكار طفت بها كتب المسلمين، ودونها المولعون بحفظ احاديث أهل البيت ﷺ، وسيسير بحثنا هذا متدرجاً حسب العناوين التالية^(١):

١ - مهمة الامام ﷺ:

من خلال استقراء سريع لاحاديث ائمة أهل البيت ﷺ حول حيثيات الامامة وشروطها وآفاقها العظيمة، نجد الامام أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ يسلط اضواء كاشفة على حقيقة المهام الكبرى التي ينهض بها الامام الحق في دنيا المسلمين، مع ما يتمتع به من صفات رفيعة تؤهله للنهوض بهذه الاعباء الثقيلة.

فمن خطبة للامام الصادق ﷺ يصف فيها ائمة الحق من آل محمد ﷺ، ويبسط القول في مسؤولياتهم الرسالية السامية تقتطف الفقرات الآتية:

«ائمة من الله يهدون بالحق وبه يعدلون. حجج الله ودعائه ورعائه على خلقه. يدين بهديهم العباد وتستهل بنورهم البلاد وينمو ببركتهم التلاد^(*). جعلهم الله حياة للانام ومصاييح للظلام ومفاتيح للكلام ودعائم للاسلام. جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها. فالامام هو المنتجب المرتضى والهادي المنتجى والقائم المرتجى. اصطفاه الله بذلك واصطنعه على عينه في الذر حين ذراه، وفي البرية حين براه فلا قبل خلق نسمة عن يمين عرشه، محبوباً بالحكمة في علم الغيب عنده. اختاره بعلمه وانتجبه لطهره. بقية من آدم ﷺ وخيرة من ذرية نوح ﷺ ومصطفى من آل ابراهيم ﷺ وسلالة من اسماعيل وصفوة من عترة محمد ﷺ. لم يزل مرعياً بعين الله يحفظه ويكلؤه بستره، مطروداً عنه حباثل ابليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ونفوث كل فاسق، مصروفاً عنه قوارف السوء^(*)، مبرأ من العاهات محجوباً عن الآفات معصوماً من الزلات مصوناً عن الفواحش كلها، معروفاً بالحلم والبر في يفاعه^(*) منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه امر والده صامتاً على المنطق في حياته، فإذا انقضت مدة والده إلى أن انتهت به مقادير الله إلى

(١) كان الامام الصادق ﷺ اكثر ائمة أهل البيت ﷺ حديثاً عن الامامة بعد النبي ﷺ، ضرورة وخصائص واهدافاً ومهمات. يراجع لذلك اصول الكافي للشيخ الكليني، وكمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق، وبصائر الدرجات لابن تروخ الصغار، وعلم اليقين للفيض الكاشاني، وينابيع المودة للشيخ الصنفي القندوزي وغيرها.

(*) في بعض النسخ (يدين بهم العباد)، وتستهل: تتنور، والتلاد: المال القديم.

(*) الوقوب: دخول الظلام، والفاسق: الليل المظلم، والنفوث: كالنفخ، وقرف فلانا بكذا أي عابه به، أو اتهمه به، ومنه القرفة وهي التهمة. (*) يفاعه: اوائل سنه.

مشيئته وجاءت الارادة من الله فيه إلى محبته وبلغ منتهى مدة والده، فمضى وصار أمر الله اليه من بعده وقلده دينه وجعله الحجة على عباده وقيمه في بلاده، وايداه بروحه وآتاه علمه وأنباه فصل بيانه واستودعه سره وانتدبه لعظيم أمره، وأنباه فضل بيان علمه ونصبه علماً لخلقه وجعله حجة على أهل عالمه وضياء لأهل دينه والقيم على عباده رضي الله به اماماً لهم. استودعه سره واستحفظه علمه واستخباها حكمته (*) واسترعاه لدينه (*) وانتدبه لعظيم أمره واحيا به مناهج سبيله وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل، (٢).

(*) استخباها: اودع عنده وأمره بكتمانه.

(*) استرعاه: أي اعنتي بشأنه، وفي بعض النسخ (واستدعاه).

(٢) اصول الكافي للثقة الاسلام الكليني الرازي ١: ١٥٨، ط. طهران.

٢- لم لا يكتفي المسلمون بإمامة القرآن والسنة؟

إن هذا السؤال قديم جديد، فقد طرحه بعض من المسلمين في الماضي ويطرحه بعض المسلمين في الحاضر.

ففي المهام العظيمة التي تطرح عادة للامام عليه السلام يأتي هذا السؤال: لم لا نكتفي بالقرآن الكريم وسنة المعصوم عليه السلام اماماً هادياً للعباد بعد غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وهذا السؤال القديم الجديد قد أجاب الامام جعفر بن محمد عليه السلام عنه اجابة تعد غرة على جبين الزمان.

فالقرآن الكريم بسبب تركيبة كلامه واساليبه الخاصة في العرض للافكار والاحكام والقضايا، تستطيع الخطوط الفكرية والسياسية المختلفة أن تستدل به على صحة توجهاتها وارتباطها بالحق؛ إذ يستطيع المجبرة أن يستعينوا ببعض الآيات لتبرير الكثير من افكارهم ومتبنياتهم، كقوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ الذي استفادوا من ظاهره في تبرير عقيدتهم في الجبر.

كما أن بمقدور اله جسمة أن يدعموا نزوعهم لتجسيم الله عز وجل بآيات يستفاد من ظاهرها ذلك، كقوله تعالى: ﴿يد الله فوق ايديهم﴾ و﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾.

كما يستطيع المعتزلة أن يبرروا نظرية الارادة المطلقة التي يعتقدونها بالنسبة لعموم البشر من خلال قوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء

فليكفر ﴿١﴾.

وهكذا بالنسبة لبقية المذاهب والمشارب والاتجاهات. والامر بالنسبة للسنة الشريفة اعقد لاسيما بعد شيوع ظاهرة الوضع والتزوير التي طالت المتن والسند معاً، حتى اختلق لرسول الله ﷺ صحابة لا اصل لوجودهم في شجرة البشرية (٣).

ومن اجل ذلك كان وجود القيم الحي على القرآن الكريم ضرورة لا بد لحياة هذا الدين السماوي الخاتم. واليك ما ورد عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن هذا الموضوع.

عن يونس بن يعقوب قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام، فقال: إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض وقد جئت لمناظرة اصحابك، فقال أبو عبد الله عليه السلام (والحديث طويل تأخذ منه موضع الحاجة): كلم هذا الغلام (يعني هشام بن الحكم وكان اصغر اصحاب الامام سناً)، فقال هشام ابن الحكم للشامي: يا هذا أريك انظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربي انظر لخلقه، قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: اقام لهم حجة ودليلاً كي لا يتشتتوا أو يختلفوا، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم. قال: فمن هو؟ قال: رسول الله ﷺ. قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ؟ قال: الكتاب والسنة. قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم. قال: فلم اختلافنا أنا وأنت وصرت الينا من الشام في مخالفتنا اياك؟ قال: فسكت الشامي، فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي: ما لك لا تتكلم؟ قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذبت، وإن قلت: إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت لأنهما احتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا اذن الكتاب والسنة، إلا أن لي عليه هذه الحجة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: سلّه تجده ملياً، فقال الشامي: يا هذا، من انظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام: ربهم انظر لهم منهم لأنفسهم، فقال الشامي: فهل اقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله رسول الله، والساعة من؟

(٣) راجع خمسون ومائة صحابي مختلف للباحث المحقق السيد مرتضى العسكري.

فقال هشام: هذا القاعد الذي تُشَدُّ اليه الرجال ويخبرنا بأخبار السماء والارض وراثته عن أب عن جد. قال الشامي: فكيف لي أن اعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدا لك. قال الشامي: قطعت عذري فعلي السؤال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا شامي، أخبرك كيف كان سفرك وكيف كان طريقك؟ كان كذا كذا، فاقبل الشامي يقول: صدقت. أسلمت لله الساعة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: بل أمنت بالله الساعة، إن الاسلام قبل الايمان وعليه يتوارثون ويتناكحون، والايمان عليه يثابون، فقال الشامي: صدقت فأنا الساعة اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنك وصي الأوصياء^(٤).

(٤) اصول الكافي لثقة

الاسلام الكليني الرازي ١:

١٢١

٣- من مات وليس له امام هدى مات على ضلال:

من مبادئ هذا الدين التي يتبناها المسلمون جميعاً أنه لا بد للمسلم من امام يقتدي به ويسلك دربه ويستتير بهداه. ولدى المسلمين احاديث رووها بطرقهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشأن. والمسلمون وإن اختلفوا في المصاديق أي فيمن يكون اماماً ويستحق هذا الموقع الحساس في دنيا المسلمين، إلا أنهم متفقون على وجود هذا المبدأ من الناحية النظرية على الأقل.

وهذه الحقيقة الاعتقادية يرسخها إئمة أهل البيت عليهم السلام في اذهان المسلمين؛ لأنها جزء من الحق الذي يحرصون على ارساء دعائمه وقواعده في عقول المسلمين وافكارهم.

وقد حرص الامام الصادق عليه السلام على ترسيخ هذه اللبنة في البناء العام لاطروحة الامامة الشرعية في اذهان المسلمين.

فعن الفضيل بن يسار قال: «ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوماً وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات وليس له امام فميتته ميتة جاهلية، فقلت: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: أي والله قد قال. قلت: فكل من مات وليس له امام فميتته ميتة جاهلية؟ قال: نعم»^(٥).

(٥) المصدر السابق: ٣٠٨.

عن ابن ابي يعفور قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات وليس له امام فميتته ميتة جاهلية. قال: فقلت: ميتة كفر؟ قال: ميتة ضلال. قلت:

(٦) المصدر السابق: ٣٠٨.

فمن مات اليوم وليس له امام فميتته ميتة جاهلية؟ فقال: نعم»^(٦).

٤- الامامة عهد رباني إلى الخلق:

ومن دعائم الامامة الشرعية أن تكون عهداً ربانياً يتلقاه العباد تبليغاً عن رسول الله ﷺ كما يبلغ العباد بسائر الاحكام الرئيسية التي يصدر بها النبي المرسل ﷺ ويدعو قومه اليها، وكما كشف كثير من احاديث الرسول ﷺ وآثاره عن تلك الحقيقة رأى الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام لزاماً عليه أن يدل الناس على ذلك، وهذه بعض اقواله بهذا الشأن:

عن عمرو بن الاشعث قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اترون الموصي منا يوصي إلى من يريد؟ لا والله ولكن عهد من الله ورسوله ﷺ لرجل فرجل حتى ينتهي الامر إلى صاحبه»^(٧).

(٧) المصدر السابق: ٢١٩.

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الامامة عهد من الله عز وجل معهود لرجال مبتهقين. ليس للامام أن يزويها عن الذي يكون من بعده»^(٨).

(٨) المصدر السابق: ٢١٩.

٥- الائمة صنفان:

وكما أن الرسول الحق يصدر مدع للرسالة والنبوة، وهو من الامتحنات التي تعرض لها العباد منذ بدايات عصر النبوة كذاك الحال بالنسبة للامامة، فمع ظهور امام للحق لابد أن يظهر امام للباطل يدعو الناس إلى باطله ويتلبس بلباس الحق ليؤهم العباد ويصدهم عن الله عز وجل.

وقد ازدحم تاريخ الرسالات - ولا سيما تاريخ المسلمين منذ بداية عصره - بأئمة الضلال، ومن أجل ذلك نص القرآن الكريم على هذه الحقيقة وأشار إلى أن الائمة صنفان: صنف يهدي إلى الحق وصنف يدعو إلى النار ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾^(٩)، ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾^(١٠).

(٩) السجدة: ٢٦.

(١٠) القصص: ٤١.

وهكذا اهتم ائمة أهل البيت عليهم السلام بتنقيف الامة وفتح قلوب ابنائها لهذه الحقيقة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولكي لا يضل الناس في ضجيج الادعاء المستطيل من ائمة السوء وقادة الضلال.

ولهذا رسخ أبو عبد الله الصادق عليه السلام أبعاد هذا المفهوم مرشداً ومحذراً بقوله: «إن الأئمة في كتاب الله عز وجل أمان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ لا يأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم. قال ﴿وجعلناهم أئمة يدعوون إلى النار﴾ يقدمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله يأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل» (١١).

(١١) اصول الكافي ١: ١٦٨.

وعن أبي جعفر الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾» (١٢) قال المسلمون: يا رسول الله الست امام الناس كلهم اجمعين؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا رسول الله إلى الناس اجمعين ولكن سيكون من بعدي ائمة على الناس من الله من أهل بيتي، يقومون في الناس فيكذبون ويظلمهم ائمة الكفر والضلال واشياعهم. فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعهم وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء» (١٣).

(١٢) الاسراء: ٧٣.

(١٣) اصول الكافي ١: ١٦٨.

٦- اذن بم يثبت امام الحق؟

وإذا كان الاهتداء إلى الامامة الشرعية من الامور التي يحيط بها الكثير من العقبات والاشواك كما لاحظنا، فما سبيل الاسلام الحنيف إلى الارشاد إلى ائمة الهدى يا ترى؟

لقد اطلب المتخصصون بعلم العقيدة من اتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام في توضيح هذه المسألة ودراستها، حتى ألف المحدث الاكبر الحر العاملي كتاباً ضخماً أسماه «اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات»، وأفرد الكثير من العلماء والعارفين فصولاً هامة في مؤلفاتهم للحديث حول كيفية اثبات الامام الحق والادلة على معرفته، ويذكرون لذلك امرين اساسيين هما الوصية أو النص، والمعجز. كما يذكرون اموراً أخرى هامة. وقد اهتم ائمة أهل البيت عليه السلام في تبيان هذا الامر وتسليط الضوء عليه. وكان الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام قد اعطى اولوية لهذا الموضوع في كثير من احاديثه:

عن عبد الأعلى قال: «قلت لابي عبد الله عليه السلام: المتوثب على هذا الامر المدعي له ما الحجة عليه؟ قال: يسأل عن الحلال والحرام» (*) . قال: ثم اقبل علي فقال:

(*) انما كان السؤال عن الحلال والحرام حجة على المدعي المتكلف إذا عجز عن الجواب أو كان السائل عالماً بالمسألة لا مطلقاً ولهذا اضرب عليه السلام عن ذلك وجعل الحجة امراً آخر وقد وقع التصريح بعدم حجيته في حديث آخر.

ثلاثة من الحجة لم تجتمع في أحد إلا كان صاحب هذا الأمر: أن يكون أولى الناس بمن كان قبله ويكون عنده السلاح ويكون صاحب الوصية الظاهرة التي إذا قدمت المدينة سألت عنها العامة والصبيان: إلى من أوصى فلان؟ فيقولون: إلى فلان ابن فلان»^(١٤).

(١٤) اصول الكافي ١: ٢٢٤.

والسلاح في النص يعني سلاح النبي ﷺ.

٧- الأئمة شهداء الله على خلقه:

ومن خواص الأئمة من آل محمد ﷺ، أنهم شهداء الله تعالى على خلقه، وحججه في أرضه وعلى عباديه. وقد وردت حول هذه الحقيقة طائفة من الأحاديث من أهل البيت ﷺ كالوارد عن أمير المؤمنين علي ﷺ والامام محمد الباقر ﷺ والامام موسى الكاظم ﷺ. وقد تحدث الامام الصادق ﷺ غير مرة حول هذا المفهوم.

قال ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَاكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قال: «نزلت في أمة محمد ﷺ خاصة في كل قرن منهم امام منا شاهد عليهم ومحمد ﷺ شاهد علينا»^(١٥).

(١٥) المصدر السابق: ١٤٦.

وعن بريد العجلي قال: «سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿وَكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ قال: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه. قلت: قول الله عز وجل: ﴿مَلَأْنَا بَرَكَةً فِي هَؤُلَاءِ لِيُؤْمِنُوا﴾ قال: إيانا عنى خاصة ﴿هو سَمَآكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾ في الكتب التي مضت ﴿وفي هذا﴾ القرآن ﴿ليكون الرسول عليكم شهيداً﴾ فرسول الله ﷺ الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عز وجل، ونحن الشهداء على الناس فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب كذبناه يوم القيامة»^(١٦).

(١٦) المصدر السابق: ١٤٧.

٨- أئمة أهل البيت هم الهداة إلى الله عز وجل:

ومن الخصائص الذاتية لأئمة أهل البيت ﷺ أنهم الهداة إلى الله تعالى بعد رسول الله ﷺ، فهم حبل الله المتين وصراطه المستقيم، ومثلهم في هذه الأمة كسفينة نوح ﷺ من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى، وهم الصراط المستقيم المتصل بالله عز وجل بعد النبي ﷺ وهم كهف الانام وهم الملاذ

وهم الموثل.

وإذا تتبعنا القرآن الكريم وسنة المعصوم عليه السلام لوجدنا من النصوص ما لا يحصى كثرة تؤكد عوامل كونهم الهداة إلى الله تعالى دون سواهم، إذ هم المطهرون من الرجس وهم نفس النبي صلى الله عليه وآله، وهم قرياه عليه السلام وأصله وعترته، وهم الراسخون في العلم، وهم الصادقون الذين دعا الله تعالى عباده للكون معهم، وهم ترجمان الوحي وباب مدينة علم الله، وهم صنو القرآن الكريم (بنص حديث الثقلين).

إن هذه الحقائق الناصعة التي اختص بها آل محمد عليه السلام هي التي دعت الرسالة الإسلامية أن تمنحهم صفة الهداة إلى الله تعالى دون سواهم. وقد عبرت السنة الحق عن ذلك صريحاً ودلت الناس اليه، فقد روى أبو بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أنه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مَنْذَرٌ لِّكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وعلي الهادي. يا أبا محمد، هل من هاد اليوم؟ قالت: بلى جعلت فداك. ما زال منكم هادٍ بعد هادٍ حتى دفعت إليك، فقال: رحمك الله يا أبا محمد. لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب، ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى» (١٧).

(١٧) المصدر السابق: ١٤٨.

روى هذا المضمون كثير من المحققين عن النبي صلى الله عليه وآله، كما في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام للمحدث ابن المغازلي الشافعي.

٩- الأئمة هم خلفاء الله في أرضه وولاية أمره في عباده:

والأئمة من آل البيت عليه السلام هم خلفاء الله في أرضه بعد النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، والانباء والأوصياء السابقين الذين عناهم الله عز وجل بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فخليفة الله تعالى في أرضه وعباده من يحمل مؤهلات الخلافة بحق لكي يكون حاملاً لوظيفة (خليفة الله) في الأرض، وفي إقامة حدود الله وإجراء شرعه في عباده.

ولقد خاطب الله عز وجل رسوله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴿.

فإمام العباد الذي يحمل صفة الخلافة لله عز وجل من أبرز صفاته أن لا يكون ظالماً لنفسه ولا للآخرين، وإذا كان ظلم الآخرين يعني الاعتداء على

حقوقهم أو التقليل من شأنهم أو غير ذلك، فإن من أوضح مصاديق ظلم العبد لنفسه الشرك بالله ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وعدم تهذيبها بقيم السماء، وخضوعها للهوى والشيطان وما إلى ذلك.

ومن أجل ذلك لابد لإمام العباد وخليفة الله تعالى فيهم أن يكون منزهاً من الآثام طاهراً من الرجس معصوماً عن الهوى والشيطان ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

ولقد كان الائمة من آل البيت (عليهم السلام) المصدق الحي لخلافة الله تعالى بعد النبي الخاتم (ﷺ)، لمؤهلات اشرنا لبعضها وسنعرض بعضها فيما يأتي من حديث.

ومن أجل ذلك أعلن الائمة (عليهم السلام) هذه الحقيقة جهاراً حتى قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «نحن ولاية أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله» (١٨) وقال حفيده الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): «الائمة خلفاء الله عز وجل في أرضه» (١٩).

(١٨) أصول الكافي ١: ١٤٨.

(١٩) المصدر السابق: ١٤٩.

١٠- الائمة هم الصادقون:

في كتاب الله تعالى آية تدعو المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، ويقفوا تحت رايته، ويتمسكوا بخطمهم، ويقفوا آثارهم. فمن هؤلاء الصادقون الذين يدعى المؤمنون للكون معهم ؟

نقل السيوطي في دره المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٠) عن ابن مردويه عن ابن عباس: «أي كونوا مع علي بن أبي طالب» ونقل مثله عن ابن عساکر عن محمد بن علي الباقر (عليه السلام). وذكر أخطب خوارزم المحدث موفق بن أحمد الحنفي بسنده عن ابن عباس قال: «الصادقون محمد وأهل بيته» وقد أورد صاحب ينابيع المودة الشيخ سليمان الحنفي القندوزي مثل ذلك عن أبي نعيم عن الصادق (عليه السلام)، وفيها وفي مناقب موفق بن أحمد الحنفي عن الرضا والباقر (عليهم السلام) قالوا: «الصادقون هم الائمة من أهل البيت (عليهم السلام)» وفي الكافي عن الامام الباقر (عليه السلام) في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: «إيانا عنى» (٢١).

(٢٠) التوبة: ١٢٠.

(٢١) أصول الكافي ١: ١٦٢.

(*) يعني الحسين عليه السلام، وقد
يقرأ بصيغة التثنية إشارة إلى
الحسن والحسين عليهما السلام معاً.
(٢٢) أصول الكافي ١: ١٦٣.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من أراد أن يحيا حياتي
ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن التي غرسها الله ربي بيده، فليتول علي بن أبي
طالب عليه السلام وليتول ولية وليعارِ عدوه وليسلم للأوصياء من بعده؛ فإنهم عترتي من
لحمي ودمي اعطاهم الله فهمي وعلمي. إلى الله أشكو امرأتي المنكرين لفضلهم
القاطعين فيهم صلتني. وإيم الله ليقتلن ابني (*) . لا أنالهم الله شفاعتي» (٢٢).

وتدل الآية الكريمة - فيما تدل - على عصمة الائمة من البيت عليهم السلام؛ لأن
الصدق المقصود هنا هو الصدق في الأقوال والأفعال لكونه مطلقاً، ولو كان
غير ذلك لما جازفت الآية الكريمة بفرض اتباعهم على سائر المؤمنين في كل
عصر وجيل. وتمثل الآية دعوة صريحة دالة على وجوب اتباع المسلمين
هؤلاء الصادقين، والاندماج بخطهم، والكون معهم دون غيرهم.

هذه بعض الحثثيات الهامة التي تعامل من خلالها حديث الامام أبي عبد
الله الصادق عليه السلام لإيضاح قضية الامامة الشرعية بعد النبي ﷺ.

قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ (ع) :

إِنَّ اللَّهَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنْ
أَنْ يَتْرَكَ الْأَرْضَ
بِغَيْرِ إِمَامٍ عَادِلٍ

الحدائق (١) : ١٧٨

محمد بن عبد الله بن أحمد بن حنبل

في المصباح السني

١

لحقيقات

* الشيخ

محمد جعفر الطوسي

حينما كنت اقوم بجمع ما ورد عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام حول سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، من الميلاد حتى الوفاة ألفت نظري الحديث المعروف «فاطمة بضة مني» المنقول في كتب الصحاح والسنن والمسانيد فافترزت ذلك مستقلاً ورتبته حسب التسلسل الزمني.

١ - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠ هـ) ٨: ٢٦٢ ط.

ط. دار بيروت للطباعة والنشر.



٢ - المصنف - أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العباسي الكوفي

(ت ٢٣٥ هـ) ٦: ٣٨٨ ح ٣٢٢٦٩، وفي نفس الصفحة ح ٣٢٢٧٤ ط. دار التاج -

بيروت.

٣ - مسند أحمد بن حنبل - أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) ٤: ٣٣٦

و ٣٢٨، ٣٣٢ ط. دار الفكر.

٤ - فضائل الصحابة له أيضاً ٢: ٧٥٥ ح ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ٧٥٦

ح ١٣٢٧، ١٣٢٨ ط. نشر جامعة أم القرى مكة.

٥ - الجامع في العلل ومعرفة الرجال له أيضاً ٢: ٢٢٢، ح ٢٠٣٧، ط. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

٦ - صحيح البخاري - أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ٢: ١٩٠، وكتاب الخمس ٢: ٣٠٢، وكتاب المناقب ٣: ٢٦٥، وكتاب النكاح و ٢٧٤ كتاب الطلاق، ط. دار المعرفة.

٧ - صحيح مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ٥: ٥٣، ح ٩٣، ٥٤: ح ٩٤، ٩٥، ٩٦، ط. مؤسسة عز الدين - بيروت.

٨ - سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ٢: ٢٢٥، ح ٢٠٦٩، ٢٢٦، ح ٢٠٧١، ط. دار الفكر.

٩ - سنن ابن ماجه - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ١: ٦٤٣، ح ١٩٩٨، ط. دار الفكر - بيروت.

١٠ - أنساب الأشراف - أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٨ هـ) ١: ٤٠٣، ط. دار المعارف - القاهرة.

١١ - سنن الترمذي - محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ٥: ٦٩٨، ح ٣٨٦٧، ٣٨٦٩، ط. دار الفكر - بيروت.

١٢ - نوادر الاصول - محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي (ت ٢٨٥ هـ) ٣: ١٨٢، ط. دار الجيل - بيروت.

١٣ - مسند البزار - أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢ هـ) على ما في مجمع الزوائد ٩: ٢٠٣.

١٤ - الخصائص - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ٣٥، ٣٦، ط. التقدم - مصر.

١٥ - مسند أبي يعلى - أحمد بن علي المثنى أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) ١٣: ١٣٤، ح ٧١٨١، ط. دار المأمون للتراث - دمشق.

١٦ - الذرية الطاهرة - أبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي (ت ٣١٠ هـ) ٧١: ٥٣، ٥٤، ٧٣، ط. الاعلمي - بيروت.

١٧ - المعجم الكبير - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ٢٢:

- ٤٠٤، ح ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ٤٠٥، ح ١٠١٣، ١٠١٤، ط. العراق.
- ١٨ - المعجم الأوسط له أيضاً على ما في مجمع الزوائد للهيتمي ٢٠٣: ٩.
- ١٩ - المعجم الصغير له أيضاً ٢: ١٦، ط. دار الفكر - بيروت.
- ٢٠ - الافراد - علي بن عمر الدار قطني (ت ٢٨٥ على ما في كنز العمال للمتقي الهندي) ١٦: ٦٠١، ح ٦٠١١، ط. مؤسسة الرسالة.
- ٢١ - المستدرك على الصحيحين - أبو عبدالله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ٣: ١٥٤، ١٥٨، ١٥٩، ط. دار المعرفة - بيروت.
- ٢٢ - حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ٢: ٤٠، ١٧٥، ط. دار الفكر - بيروت.
- ٢٣ - المحلى - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) ٦: ٣١٩، بتحقيق عبد الغفار سليمان البغدادي، ط. دار الفكر.
- ٢٤ - السنن الكبرى - أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ٧: ٦٤، ٣٠٨، ١٠: ٢٠٢، ٢٨٩، ط. دار المعرفة - بيروت.
- ٢٥ - المعتمد من المختصر - القاضي أبو الوليد الباجي المالكي (ت ٤٧٤ هـ) ١: ٣٠٧، ط. حيدر آباد - الهند.
- ٢٦ - مناقب أمير المؤمنين عليه السلام - علي بن محمد بن الطيب الجلابي الشافعي المعروف بابن المغازلي (ت ٤٨٣ هـ): ٣٨٠، ح ٤٢٨، ٤٢٩، ط. المكتبة الاسلامية.
- ٢٧ - المبسوط - شمس الدين السرخسي (ت ٤٨٣ هـ) ٤: ٢٠٧، ٣٠: ٢٨٨، ط. دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٨ - محاضرات الأدباء - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ٢: ٤٧٩، ط. بيروت.
- ٢٩ - ابن منده (ت ٥١٢ هـ على ما في اسد الغابة) ٤: ٣٢٦، ط. دار احياء التراث العربي.
- ٣٠ - شرح السنة - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) ١٤: ١٥٨، ح ٣٩٥٧، ١٥٩، ٣٩٥٨، ط. المكتب الاسلامي - بيروت.

- ٣١ - مصابيح السنة له أيضاً ٤: ١٨٥، ح ٤٨٠٠، ط. دار المعرفة - بيروت.
- ٣٢ - الجمع بين الصحاح الستة - رزين الدين العبدري (ت ٥٢٩ على ما في العمدة لابن بطريق) (ت ٥٢٣ هـ): ٤٤٩، ح ٦٩٦.
- ٣٣ - المناقب - أبو مؤيد موفق بن أحمد المكي الخوارزمي الحنفي (ت ٥٦٨ هـ): ٣٥٣، مؤسسة النشر الاسلامي.
- ٣٤ - مقتل الحسين عليه السلام له أيضاً ١: ٥٣، و ٥٤، و ٦٣، و ٧٠، منشورات مكتبة المفيد.
- ٣٥ - تهذيب تاريخ دمشق الكبير - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ١: ٢٩٨، ط. دار احياء التراث - بيروت.
- ٣٦ - الأغاني - أبو الفرج الاصبهاني (ت ٥٧٦ هـ) ٨: ٣٠٧، ط. دار الفكر - بيروت.
- ٣٧ - الروض الأنف - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي (ت ٥٨١ هـ) ١: ١٦٠، و ٢: ١٩٦، ط. مصر.
- ٣٨ - صفة الصفوة - أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ٢: ١٣، ط. دار المعرفة - بيروت.
- ٣٩ - التفسير الكبير - فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ٢٧: ١٦٦، في ذيل آية «المودة»، وفي ٣٠: ١٢٦ في ذيل الآية ﴿وفصلته التي تؤويه﴾ ط. دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٤٠ - جامع الاصول - المبارك بن محمد الجزري الشافعي المعروف بابن الاثير الجزري (ت ٦٠٦ هـ) ٩: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ح ٦٦٧٤، ٦٦٧٥، ط. دار الفكر - بيروت.
- ٤١ - النهاية في غريب الحديث والاثر له ايضاً ١: ١٣٥، ٣٥٧، ط. المكتبة العلمية - بيروت.
- ٤٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) ٤: ٣٦٦، ط. دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٤٣ - الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم - رضي الدين أبو الفضائل

الحسن بن محمد الصاغانى (ت ٦٥٠ هـ): ١٢١، ح ٣٥١، ط. مؤسسة الكتب الثقافية.

٤٤ - مطالب السؤل - أبو سالم بن طلحة الشافعى (ت ٦٥٢ هـ) ط. نشر دار الكتب التجارية - النجف الأشرف.

٤٥ - تذكرة الخواص - سبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ): ٢٧٩، ط. مؤسسة أهل البيت (عليه السلام) - بيروت.

٤٦ - شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد عبد الحميد بن هبة الله المعتزلى (ت ٦٥٦ هـ): ٤: ٦٤، ط. مصر.

٤٧ - كفاية الطالب فى مناقب علي بن أبى طالب (عليه السلام) - محمد بن يوسف الكنجى الشافعى (ت ٦٥٨ هـ): ٣٦٥، ٣٦٦، ط. دار احياء تراث اهل البيت (عليه السلام).

٤٨ - صحيح مسلم بشرح النووي - أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعى (ت ٦٧٦ هـ): ١٥: ٢، ط. دار احياء التراث - بيروت.

٤٩ - مختصر سنن أبى داود - زكى الدين أبو محمد المنذرى الشامى ثم المصرى (ت ٦٥٦ هـ)، ٣: ١٦، ح ١٩٨٥ و ١٧ ح ١٩٨٧، ط. دار المعرفة - بيروت.

٥٠ - المجموع - محيى الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ): ١٧: ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٠: ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٤٩، ط. دار الفكر، بيروت.

٥١ - الشرح الكبير - شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن قدامة المقدسى (ت ٦٨٢ هـ): ٨: ٥٠٥ و ١٢: ٧٢، ط. دار الكتب العربى - بيروت.

٥٢ - ذخائر العقبى - محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى (ت ٦٩٤ هـ): ٤٧، ٤٨، بتحقيق جميل ابراهيم حبيب.

٥٣ - اتحاف السادة المتقين - محمد بن سعيد شرف الدين البوصيرى (ت ٦٩٥ هـ): ٦: ٢٤٤، ٧: ٢٨١.

٥٤ - شرح مختصر صحيح البخارى - أبو محمد الأزدي الاندلسى (ت ٦٩٩ هـ)، ٣: ٩١.

٥٥ - مختصر تاريخ دمشق الكبير - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم

ابن منظور الاقريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، ٢٤: ٣٠٥، ٣٠٦، ط. دار الفكر - دمشق.

٥٦ - لسان العرب له أيضاً ١: ٤٢٥، ط. نشر ادب الحوزة.

٥٧ - منهاج السنة - أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)، ٤: ٤٢٤، و ٦: ٢٥٦، بتحقيق محمد رشاد سالم.

٥٨ - فرائد السمطين - ابراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني (ت ٧٣٠ هـ)، ٢: ٤٥، ط. المحمودي - بيروت.

٥٩ - مشكاة المصابيح - الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله التبريزي (ت ٧٣٧ هـ) ٣: ١٧٣٢، ح ٦١٣٠، باب مناقب أهل البيت (عليه السلام)، ط. المكتب الاسلامي.

٦٠ - الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان - علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، ٩: ٥٤، ح ٦٩١٧، و ٦٩١٨، ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

٦١ - تهذيب الكمال - جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي (ت ٧٤٢ هـ) ٣٥: ٢٥٠، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

٦٢ - تحفة الاشراف له أيضاً ٨: ٣٨٤، ح ١١٢٧٨، ٣٨٥، ط. المكتب الاسلامي - بيروت.

٦٣ - تاريخ الاسلام - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، مجلد عهد الخلفاء: ٤٤، ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

٦٤ - سير أعلام النبلاء له أيضاً ٢: ١١٩، و ١٢٥، و ١٣٢، و ١٣٣، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.

٦٥ - تلخيص المستدرک له أيضاً في ذيل مستدرک الحاكم ٣: ١٥٨.

٦٦ - نظم درر السمطين - جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي (ت ٧٥٠ هـ): ١٧٦، ط. مطبعة القضاء - النجف.

٦٧ - اعلام الموقعين - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ١: ١١٢، ط. دار الجيل - بيروت.

٦٨ - مرآة الجنان - أبو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي اليمني

المكي (ت ٧٦٨ هـ) ١: ٦١، ط. دار الكتاب.

٦٩ - البداية والنهاية - أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ٦:

٣٣٧، ط. دار الكتب العلمية.

٧٠ - تفسير ابن كثير له أيضاً ٣: ٢٦٧ في ذيل الآية ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا

أُنْسَابٌ﴾ المؤمنون / ١٠١، ط. دار المعرفة - بيروت.

٧١ - الفصول في سيرة الرسول ﷺ له أيضاً ٢: ٣٤، ط. مكتبة دار التراث -

المدينة المنورة.

٧٢ - المغني عن حمل الاسفار - عبد الرحيم بن عبد الرحمن الكردي

الرازناني الاصل المهراني المصري الشافعي يعرف بالعراقي (ت ٨٠٦ هـ) ٣:

٢٤، ط. عيسى الحلبي.

٧٣ - مجمع الزوائد - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) ٤:

٢٥٥، ٩: ٢٠٣، ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

٧٤ - طرح التثريب في شرح التقريب - ولي الدين ابن زرة احمد بن عبد

الرحيم العراقي المصري الشافعي (ت ٨٢٦ هـ).

٧٥ - الاصابة في معرفة الصحابة - علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، ٤:

٣٧٨، ط. دار صادر - بيروت.

٧٦ - تهذيب التهذيب له أيضاً ١٢: ٦٩، ط. دار الفكر - بيروت.

٧٧ - المطالب العالية له أيضاً ٤: ٦٨، ح ٣٩٨١، ٦٧، ح ٣٩٨٠، ط. مكة

المكرمة.

٧٨ - فتح الباري شرح صحيح البخاري له أيضاً ٧: ٧٨، و ١٠٥، و ٩: ٣٢٨،

ط. دار المعرفة - بيروت.

٧٩ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين أبو محمد محمود بن

أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ) ١٦: ٢٢٣، ط. دار احياء التراث.

٨٠ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة - علي بن محمد بن أحمد المالكي

(ت ٨٥٥ هـ): ١٤٦، ط. الأعلمي - بيروت.

٨١ - فضائل سيدة النساء - عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين أبو حفص

- (ت ٩٠٩ هـ): ١٠ (مخطوط على ما في احقاق الحق ١٠: ٢٠٦).
- ٨٢ - الجامع الصغير في احاديث البشير النذير - جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، ٢: ٢٠٨، ح ٥٨٣٣، ط. دار الفكر - بيروت.
- ٨٣ - الثغور الباسمة في مناقب سيدتنا فاطمة له أيضاً: ٨ ط. بمبي.
- ٨٤ - الحاوي للفتاوي له أيضاً ٢: ٢٩٤، ط. دار الكتب العلمية.
- ٨٥ - مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام) له أيضاً: ٥٠ ح ٥٣، ٥٤، و ١٠٢، ١٠٣، و ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، و ١٢٣، ١٢٤، ط. حيد آباد - الهند.
- ٨٦ - وفاء الوفا بأخبار المصطفى - نور الدين علي بن أحمد المصري السهمودي (ت ٩١١ هـ) ١: ٤٤٣، ط. دار احياء التراث - بيروت.
- ٨٧ - ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري - أبو العباس شهاب الدين أحمد القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) ٨: ٢٤٨، و ٢٤٩، و ٢٧٩، و ١٢: ٥٢ في ذيل ح ٥٢٧٨، ط. دار الفكر - بيروت.
- ٨٩ - المعواهب اللدنية بالمنح المحمدية له أيضاً: ١: ٢٥٧، ط. المكتب الاسلامي.
- ٩٠ - سبل الهدى والرشاد - محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢ هـ) ١١: ٤٥، ط. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩١ - تاريخ الخميس - حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت ٩٦٦ هـ): ٣٦٥، ط. مؤسسة شعبان.
- ٩٢ - كنز العمال - ملا علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ١٢: ١٠٦، ح ٣٤٢١٢، و ١٠٧ ح ٣٤٢١٥، و ١٠٨ ح ٣٤٢٢٢، و ١١١ ح ٣٤٢٤٠، و ٣٤٢٤١، و ٣٤٢٤٢، و ٣٤٢٤٤، و ١٦: ٦٠١، ح ٤٦٠١١، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٩٣ - منتخب كنز العمال له أيضاً في هامش مسند الامام احمد بن حنبل ٥: ٩٦، ط. دار الفكر.
- ٩٤ - عمدة الأخبار في مدينة المختار - أحمد بن عبد الحميد العباسي (ت القرن العاشر هـ): ٩٩، ط. المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
- ٩٥ - مرقاة المفاتيح - علي بن سلطان محمد القادري (ت ١٠١٤ هـ) ١١:

٣٧٤ و ٣٧٥.

٩٦ - الفقه الأكبر له أيضاً: ١٢٠، ط. مصر.

٩٧ - اخبار الدول - أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي
القرماني (ت ١٠١٩ هـ): ٤٢، ط. بغداد.

٩٨ - فيض القدير - عبد الرؤوف ابن تاج العارفين المناوي (ت ١٠٣١ هـ): ٤
٤٢١، ح ٥٨٣٣ و ٥٨٣٤.

٩٩ - وسيلة المآل - أحمد باكثير المكي الشافعي (ت ١٠٤٧ هـ): ٨٧، ط.
مكتبة الظاهرية - دمشق.

١٠٠ - روضة الأحباب - عبد الواحد بن أحمد الهروي (ت ١٠٧٠ هـ): ٦٦٥
(مخطوط على ما في أحقاق الحق ١٠: ٢٠٦).

١٠١ - البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث - إبراهيم بن محمد بن
كمال الدين الشهير بابن حمزة (ت ١١٢٠ هـ): ٢: ١١٦، ح ٧٢١، و ١١٧، و ١١٨، ط.
المكتبة العلمية - بيروت.

١٠٢ - شرح المواهب - أبو عبد الله الزرقاني المالكي (ت ١١٢٢ هـ): ٣: ٢٠٥.
١٠٣ - ذخائر المواريث - عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ): ٣: ٩٨، ط. دار
المعرفة - بيروت.

١٠٤ - الاتحاف بحب الاشراف - عبد الله بن محمد عامر الشبراوي
(ت ١١٦٢ هـ): ٦: ٢٤٤، ط. مصر.

١٠٥ - تاج العروس من جواهر القاموس - محب الدين مرتضى الزبيدي
(ت ١٢٠٥ هـ): ٢٠: ٣٣٤، ط. دار الهداية.

١٠٦ - نور الابصار - مؤمن بن حسن الشبلنجي (ت ١٢٩٠ هـ): ٥٢، ط. دار
الفكر - بيروت.

١٠٧ - ينابيع المودة - سليمان البلخي القندوزي (ت ١٢٩٤ هـ): ١٧١، و ١٧٢،
و ١٧٣، و ٣١٠ (أفست مكتبة بصيرتي).

١٠٨ - مرقاة الوصول - مصطفى بن سليمان الدمشقي (كان حياً عام ١٢٩٤
هـ): ١٠٩.

١٠٩ - تجهيز الجيش - الحسن بن المولوي إمان الله الدهلوي العظيم آبادي الهندي (ت بعد سنة ١٣٠٠ هـ): ٣٣، ١٧٤ (مخطوط على ما في احقاق الحق ١٠: ٢١٥).

١١٠ - النور الساري في هامش صحيح البخاري - حسن بن العدوي الخمرائي المصري المالكي (ت ١٣٠٣ هـ).

١١١ - نثر اللثالي - عبد الحميد بن عبد الله بن محمود الألويسي البغدادي (ت ١٣٢٤ هـ): ١٨١.

١١٢ - الأنوار المحمدية - يوسف بن اسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠ هـ): ٣١٦، ط. الادبية - بيروت.

١١٣ - تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذي - أبو العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٢ هـ) ١٠: ٣٦٩، ط. دار الفكر - بيروت.

١١٤ - التاج الجامع للاصول - منصور علي ناصف (ت بعد سنة ١٣٧١ هـ) ٣: ٣٥٣، ط. دار الكتب العلمية.

١١٥ - اسعاف الراغبين - محمد بن علي الصبان الشافعي، في هامش نور الابصار للشبلنجي: ١٨٨، ط. دار الفكر - بيروت.

١١٦ - شرح سنن ابن ماجة القزويني - أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي ١: ٦١٦، ط. دار الجيل - بيروت.

١١٧ - صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير - ناصر الدين الالباني ٢: ٧٧١، ح ٤١٨٨، و ٤١٨٩، ط. المكتب الاسلامي.

١١٨ - عون المعبود شرح سنن أبي داود - أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ٦: ٧٩، ط. دار الفكر - بيروت.

١١٩ - جمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوائد - محمد بن محمد بن سليمان ١: ٦١٠، ح ٤١١٩، و ٦١١٠ ح ٤١٢٠، ط. بنك فيصل الاسلامي - قبرص.

١٢٠ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - محمد فؤاد عبد الباقي ٣:

١٢١ - قرة العينين في أطراف الصحيحين له أيضاً ٢: ٣٠٩ ط. دار الفكر -

بيروت.

١٢٢ - هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري - عبد الرحيم الطهكاوي ١:

٣٨٧ ط. دار المعرفة - بيروت.

١٢٣ - علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ - الدكتور محمد عبده

اليمني: ٨٥ ط. مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

قال الرسول الكريم :

إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ
نُورُ عَيْنِي وَشَمْرَةٌ فُؤَادِي
يَسُوءُنِي مَا سَاءَ هَاوٍ وَسِيْرُنِي مَا
سَرَّ هَاوٍ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَلْحَقُنِي
مَنْ أَهْلَ بَيْتِي

بخار وروزگار ٤٣ : ٢٤



القسم الثاني

البناء الفوقي للعلاقات

* العهد

محمد باقر الحكيم

المبحث الثالث : البناء الفوقي للعلاقات

القسم الأول : البناء وأبعاد النظرية :



نقصد بالبناء الفوقي لنظام العلاقات الاجتماعية تفاصيل نظام المعاشرة أو العشرة الذي تناولته كتب الحديث، وهو مجموعة الأحكام الواجبة، أو الآداب والسنن الإسلامية المستحبة التي تناولت تفاصيل وأشكال المعاشرة، وشخصت الصيغة الصحيحة أو المثلى للعلاقات الاجتماعية بين الناس.

وسوف نتناول هذا الموضوع من النظرية بشيء من الإيجاز، وتقديم التصور العام عن علاقة هذه التفاصيل من النظام بالجانبين السابقين من النظرية: جانب أبعاد النظرية، وجانب القواعد والأسس، ليصبح الترابط واضحاً بين قواعد النظرية وأبعادها، والبناء الفوقي المتمثل بهذه التفاصيل من ناحية أخرى، ونترك التفصيل في عرض المفردات وتوضيحها إلى كتابنا الخاص ببحث النظرية الإسلامية في العلاقات الاجتماعية^(١).

(١) اعتمدنا أساسياً ما ذكره الحر العاملي في كتابه الجامع تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الجزء الثامن، مضافاً إلى بعض الموارد من كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجزء الحادي عشر.

وينقسم هذا البحث إلى قسمين:

الأول: البناء الفوقي المرتبط بأبعاد النظرية، والذي يؤكد هذه الأبعاد ويوضحها.

الثاني: البناء الفوقي المرتبط بالقواعد والأسس السابقة.

وسوف نتناول تفصيل هذا البناء حسب التسلسل السابق لعرض الأبعاد والقواعد.

القسم الأول: البناء الفوقي لأبعاد النظرية

أولاً: الانفتاح

أ- مؤشرات إضافية للانفتاح

فعلى مستوى بعد الانفتاح في العلاقات الاجتماعية، نجد مؤشرات إضافية أخرى تؤكد هذا البعد في تفاصيل النظام.

منها: التأكيد على أهمية إقضاء السلام بين الناس، حيث يكون السلام عادة مفتاح العلاقة العامة مع الناس.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عز وجل يحب إقضاء السلام» (٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من التواضع أن تسلم على من لقيت» (٣).

وجاء في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي، ثلاث كفارات: إقضاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام» (٤).

ومنها: التأكيد على أن من صفات الإنسان المؤمن أن يكون إنساناً يألف الناس ويألفونه، ولا يتحقق ذلك بطبيعة الحال إلا من خلال المعاشرة الواسعة والطويلة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أفضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطأون أكتافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وتوطأ رجالهم» (٥).

ومنها: ما ورد من حرمة الهجرة والقطيعة بين المسلمين، حيث إن هذا الحكم الشرعي يصب في نفس هذا الاتجاه من الانفتاح في المعاشرة، فإن هذه

(٢) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٨،

أبواب أحكام العشرة، ب ٣٤،

ج ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٨،

أبواب أحكام العشرة، ب ٣٤،

ج ٤.

(٤) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٩،

أبواب أحكام العشرة، ب ٣٤،

ج ٥.

(٥) وسائل الشيعة ٨ : ٥١٠،

أبواب أحكام العشرة، ب ١٠٥،

ج ١.

الحرمة عندما تأتي بهذا الشكل القاطع، وحتى في فرض أن يكون أحد الطرفين مظلوماً، نفهم من ذلك منهج الإسلام في ضرورة بقاء الباب مفتوحاً في العلاقات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا خير في المهاجرة»^(٦).

وعن القاسم بن الربيع قال: في وصية المفضل سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحق ذلك كلاهما» فقال له معتب: جعلت فداك، هذا الظالم فما بال المظلوم؟ قال: «لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته، ولا يتغامس له من كلامه. سمعت أبي عليه السلام يقول: إذا تنازع اثنان فعاز أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فإن الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم»^(٧).

وعنه عليه السلام قال: «قال أبي: قال رسول الله ﷺ: إنيما مسلمين تهاجرا فمكنا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب»^(٨).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من مؤمنين اختلفا فوق ثلاث إلا وبرئت منهما في الثالثة» قيل: هذا حال الظالم فما بال المظلوم؟ فقال: «ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول: أنا الظالم، حتى يصطلحا»^(٩).

ومنها: ما ورد في وجوب قبول العذر من الآخرين عندما يقعون في خطأ مع الإنسان، فيعتذرون منه، فإن ذلك يؤكد أهمية بقاء العلاقات واستمرارها، وسد كل أبواب القطيعة، ومحو أسبابها وآثارها، كما سوف يأتي توضيحه في موضوع الإحسان واليد العليا.

ب - الاستثناءات :

إلى جانب هذه المؤشرات الإضافية التي تؤكد موضوع الانفتاح في العلاقات، نجد النظرية الإسلامية تضع مجموعة من الاستثناءات في هذا الانفتاح، الأمر الذي يكمل الصورة في هذا البعد في النظرية من جانب، ويؤكد

(٦) وسائل الشيعة ٨ : ٥٨٤.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٤٤، ج ٢.

(٧) وسائل الشيعة ٨ : ٥٨٤.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٤٤، ج ٣.

(٨) وسائل الشيعة ٨ : ٥٨٥.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٤٤، ج ٥.

(٩) وسائل الشيعة ٨ : ٥٨٦.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٤٤، ج ١٠.

موضوع الانفتاح أيضاً من جانب آخر، لأن الاستثناء كما أنه يدل على خروج المستثنى من حكم المستثنى منه، كذلك يؤكد شمول الحكم للمصاديق الباقية تحت المستثنى منه كما هو واضح.

وقد أشرنا في سياق الحديث عن البعد الرابع للنظرية إلى بعض الاستثناءات على مستوى العلاقة العامة، وهنا نشير إلى مجمل هذه الاستثناءات التي يمكن تلخيصها في الخطوط الأربعة التالية:

اجتناب مواضع التهمة:

الأول: المصاديق من العلاقات التي تثير الالتباس والالتباس والشكوك حول طرف العلاقة، الأمر الذي يؤدي إلى الإضرار بالإنسان الذي يريد أن يوجد العلاقة الاجتماعية في نظر الناس وتشويه صورته ومن مفرداتها:

أ - علاقات التهمة في السلوك، كبعض العلاقات مع النساء التي تثير تهمة العلاقات غير المشروعة، بل حتى مع الأولاد أو الرجال، أو العلاقة مع الأغنياء والمترفين، وهذه التهمة قد يحققها أصل العلاقة أو شكلها وصورتها. وقد ورد النهي عن هذا النوع من العلاقات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده» (١٠).

وعن الفجيع العقيلي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في وصيته لولده الحسن عليه السلام: «وياك ومواطن التهمة، والمجلس المظنون به السوء، فإن قرين السوء يغتر جليسه» (١١).

وروي عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: اتقوا مواقف الريبه ولا يقفن أحدكم مع أمه في الطريق، فإنه ليس كل أحد يعرفها» (١٢).

ب - علاقات التهمة في الانحراف العقائدي أو الفكري أو السياسي، كصحبة أهل البدع والضلال، أو الجلوس إليهم، أو الدرس لديهم والأخذ منهم، حيث ورد النهي أيضاً عن هذا النوع من العلاقات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تصحبوا أهل البدع، ولا تجالسوهم فتكونوا عند

(١٠) وسائل الشيعة ٨: ٤٢٢.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٩.

ج ١٠.

(١١) وسائل الشيعة ٨: ٤٢٢.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٩.

ج ٤.

(١٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٢٢.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٩.

ج ٥.

(١٣) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٠ ،
أبواب أحكام العشرة ، ب ٢٧ ،
ج ١

الناس كواحد منهم. وقال رسول الله ﷺ : المرء على دين خليله وقرينه» (١٣).

الابتعاد عن قرناء السوء

الثاني: الأفراد الفاسدون في سلوكهم ممن يعتز عنهم بـ «قرناء السوء»، حيث تلحق بالإنسان نفسه الأضرار من خلال مصاحبتهم، ويتأثر بهم، لأن الإنسان يتأثر بطبيعة الحال بقرينه ويتفعل به.

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «انظروا من تحدثون، فإنه ليس من أحد ينزل به الموت إلا مثل له أصحابه إلى الله، فإن كانوا خياراً فخيّاراً، وإن كانوا شراراً فشراراً، وليس أحد يموت إلا تمثلت له عند موته» (١٤).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «قال عيسى عليه السلام: إن صاحب الشر يبعدي، وقرين السوء يردي، فانظر من تقارن» (١٥).

نعم، إذا كانت العلاقة لغرض صالح، كهدايتهم وإرشادهم، أو لوجود مصلحة دينية أو دنيوية مشروعة خاصة فلا مانع من ذلك.

وقرناء السوء الذين وردت عناوينهم وأسمائهم في الروايات هم:

أ - من كانوا من المنحرفين سلوكياً وأخلاقياً عن جادة الشرع، مثل الفاجر والكذاب وقاطع الرحم والبخيل والجبان والأحمق.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة: العاجن الفاجر، والأحمق، والكذاب. فأما العاجن الفاجر فيزين لك فعله، ويحب أن تكون مثله، ولا يعينك على أمر دينك، ومعادك، ومقاربتك جفاء وقسوة، ومدخله ومخرجه عار عليك. وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير، ولا يرجئ لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضررك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه. وأما الكذاب فإنه لا يهتلك معه عيش. ينقل حديثك وينقل إليك الحديث. كلما أفنى أصدوثة مطعها بأخرى مثله، حتى إنه يحدث بالصدق فما يصدق، ويفرق بين الناس بالعداوة فيثبت السخائم في الصدور. فانظروا لأنفسكم» (١٦).

وروى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قال أمير المؤمنين: لا ينبغي للمرء

(١٦) وسائل الشيعة ٨ : ١٦ ،
أبواب أحكام العشرة ، ب ٥ ،
ج ١

المسلم أن يؤاخي الفاجر، فإنه يزين له فعله، ويحب أن يكون مثله، ولا يعينه على أمر ديناه ولا أمر معاده، ومدخله اليه ومخرجه من عنده شين عليه» (١٧).

وعنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: ثلاثة مجالستهم تميم القلب: الجلوس مع الأذنال، والحديث مع النساء، والجلوس مع الأغنياء» (١٨).

ب - من كانوا من الجهال والأدنياء اجتماعياً، أو المتخلفين عقلياً وثقافياً كالمجانين والحمقى والسفلة والأذنال والأعراب وأولاد الزنى من الناس.

فعن عمار بن موسى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا عمار، إن كنت تحب أن تستتب لك النعمة، وتكمل لك المروءة، وتصلح لك المعيشة فلا تشارك العبيد والسفلة في أمرك، فإنهم إن انتمنتهم خانوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن تكبت خذلوك، وإن وعدوك أخلفوك» قال: وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «حب الأبرار للأبرار شواب للأبرار، وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار، وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار» (١٩).

وروي عن عمار الساباطي أن أبا عبد الله عليه السلام قال: «يا عمار، إن كنت تحب أن تستتب لك النعمة، وتكمل لك المودة، وتصلح لك المعيشة فلا تستشر العبيد والسفلة في أمرك، فإنك إن انتمنتهم خانوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن تكبت خذلوك، وإن وعدوك موعداً لم يصدقوك» (٢٠).

وقال رسول الله ﷺ: «خمسة يجتنبون على كل حال: المجذوم والأبرص والمجنون وولد الزنى والأعرابي» (٢١).

الثالث: أصحاب الحرف والمهن المحرمة، أو المحترفون للأعمال الفاسدة، والمستهزئون بالأحكام الشرعية والآداب الإسلامية العامة، مثل العناوين المذكورة في الروايات التالية:

عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: «سنة لا يسلم عليهم: اليهودي والنصراني، والرجل على غائطه، وعلى موائد الخمر، وعلى الشاعر الذي يقذف المحصنات، وعلى المتفككين بسبب الأمهات» (٢٢).

وعن الأصمعي بن نباتة عن علي عليه السلام في حديث قال: «سنة لا ينبغي أن يسلم

(١٧) وسائل الشيعة ٨ : ٤١٧،

أبواب أحكام العشرة، ب ١٥، ج ٢.

(١٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤٢١،

أبواب أحكام العشرة، ب ١٨، ج ١.

(١٩) وسائل الشيعة ٨ : ٤١٨،

أبواب أحكام العشرة، ب ١٦، ج ١.

(٢٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤١٨،

أبواب أحكام العشرة، ب ١٦، ج ٣.

(٢١) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣١،

أبواب أحكام العشرة، ب ٢٨، ج ٤.

(٢٢) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٢،

أبواب أحكام العشرة، ب ٢٨، ج ٥.

(٢٣) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٢،

أبواب أحكام العشرة ، ب ٢٨،

ج ٦.

(٢٤) الشعراء : ٢٢٤ - ٢٢٧.

(٢٥) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٢،

أبواب أحكام العشرة، ب ٢٨،

ج ٢.

عليهم: اليهود والنصارى، وأصحاب الخرد والشطرنج، وأصحاب الخمر والبريط والطنبور، والمتفكهون بسبب الأمهات، والشعراء» (٢٣).

ومن الواضح أن المقصود بالشاعر هو من يقذف المحصنات، أو يتجاوز الحدود الشرعية، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ﴿ وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿ (٢٤).

الرابع: ذوو الأمراض المعدية والعاهات السارية، كما لاحظنا ذلك في بعض الروايات السابقة، ومنها أيضاً ما روي عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام في حديث المناهي قال: «وكره أن يكلم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينه وبينه قدر ذراع». وقال عليه السلام: «فر من المجذوم فرارك من الأسد» (٢٥).

ثانياً: تقوية البناء الاجتماعي

مبادئ أخرى لتقوية البناء الاجتماعي

وأما على مستوى البعد الآخر، وهو تقوية البناء الاجتماعي، فيمكن أن نلاحظ مبادئ وأساليب أخرى، بالإضافة إلى ما سبق، حث عليها الإسلام وأهل البيت عليه السلام بشكل خاص:

الأول: منهج عقد الاجتماعات المنظمة لتدارس أمور الدين والدنيا، باعتبار أن ذلك من أفضل الأساليب التي تحكم بناء الجماعة الصالحة، ولعل هذا المنهج من أفضل الأساليب التي اختص بها أهل البيت عليه السلام، وحثوا عليها بشكل خاص. وقد أكدوا أن هذه الاجتماعات لها آثار متعددة دينية وروحية وأخلاقية، وسبب للقربى من الله تعالى، كما أنها تمثل إحياء لأمرهم، وراحة للنفس، وغفراناً للذنوب، وأنهم يحبونها ويتمنون المشاركة فيها.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تزاوروا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم، وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوت، وإن تركتموها ضللتكم وملكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم» (٢٦).

(٢٦) وسائل الشيعة ١١ : ٥٦٧،

أبواب فعل المعروف، ب ٢٢،

ج ٣.

وعن ميسر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: «أتخلون وتتحدثون وتقولون ما شئتم؟» فقلت: إنا لنخلو ونتحدث ونقول ماشئنا. فقال: «أما والله لو ددت أني معكم في بعض تلك المواطن، وأما والله إني لأحب ربحكم وأرواحكم، وإنكم على دين الله ودين ملائكته، فأعينوا بورع واجتهاد» (٢٧).

(٢٧) وسائل الشريعة ١١: ٥٦٧،

أبواب فعل المعروف، ب ٢٣،

ج ٥.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلا حضر من الملائكة مثلهم، فإن دعوا بخير أئمنوا، وإن استعاضوا من شر دعوا الله ليصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة شفّعوا إلى الله وسألوه قضاءها» (٢٨).

(٢٨) وسائل الشريعة ١١: ٥٦٨،

أبواب فعل المعروف، ب ٢٣،

ج ٧.

وعن معتب مولى أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول لداود بن سرحان: «يا داود، أبلغ موالي عني السلام، وإني أقول: رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكرا أمرنا، فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلا باهى الله تعالى بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإن في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا» (٢٩).

(٢٩) وسائل الشريعة ١١: ٥٦٨،

أبواب فعل المعروف، ب ٢٣،

ج ١٠.

وعن خيثمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم أن يعود غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإن في لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا» ثم قال: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا» (٣٠).

(٣٠) وسائل الشريعة ٨: ٤١٠،

أبواب أحكام العشرة، ب ٨٠،

ج ٦.

وعن شعيب العرقوفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: «اتقوا الله وكونوا إخوة برزة متحابين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوخوا وتلاقوا وتذاكروا وأمرنا وأحيوه» (٣١).

(٣١) وسائل الشريعة ٨: ٤١٠،

أبواب أحكام العشرة، ب ٨٠،

ج ٨.

النصيحة للمسلمين:

الثاني: الأمر بالنصيحة بمعنى الإخلاص في التعامل مع المسلمين، والنصح لهم في أداء الأعمال، وتقديم النصيحة لهم والحث على قبولها والرضا بها، بل الشكر عليها إذا كان فيها تشخيص لعيوب الإنسان.

ولا شك أن هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تقوي العلاقات بين الأفراد، وتضع لها القاعدة القوية القائمة على أساس الإحساس بالمسؤولية والثقة

والتفاهم للوصول إلى الحقيقة.

ومن الضروري أن يتم ذلك وفق قواعد الحكمة والموعظة الحسنة.

وقد جاءت النصوص في هذا المجال عديدة، وفي أبواب متفرقة. نشير إلى

بعضها.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن أن يناصح» (٣٢).

وقال عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب» (٣٣).

وقال رسول الله ﷺ: «الدين نصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله

ولرسوله ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين» (٣٤).

وعن أبي العديس قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: يا صالح اتبع من يبيحك وهو لك

ناصح. ولا تتبع من يضحك وهو لك غاش، وستردون على الله جميعاً فتعلمون» (٣٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوبي» (٣٦).

وقال عليه السلام: «لا يستغني المؤمن عن خصلة وبه الحاجة إلى ثلاث خصال: توفيق من

الله عز وجل، وواعظ من نفسه، وقبول من ينصحه» (٣٧).

التراحم والتعاطف والتزاور:

الثالث: الأمر بالتراحم والتعاطف والتزاور والألفة، فإن المضمون العاطفي

والروحي للعلاقة من أهم عناصر تقويتها وإرسائها على أساس محكم، كما

أشرنا إلى ذلك. وتجسيد هذه العواطف والمشاعر عملياً إنما يكون من خلال

هذا اللون من السلوك.

وقد وصف القرآن الكريم الجماعة الصالحة من أصحاب النبي ﷺ بأنهم

﴿رحماء بينهم﴾ وأنهم ﴿أذلة على المؤمنين﴾ وأن ﴿المؤمنون والمؤمنات

بعضهم أولياء بعض﴾. وقد أشرنا إلى هذا المبدأ في مواضع سابقة.

وقد عقد في الوسائل باباً لهذا المبدأ نذكر بعض نصوصه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون

على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما

أمركم الله عز وجل رحماء بينهم متراحمين، مغتمين لما غاب عنهم من أمرهم على ما

(٣٢) وسائل الشريعة ١١: ٥٩٤.

أبواب فعل المعروف، ب ٣٥.

ح ١.

(٣٣) وسائل الشريعة ١١: ٥٩٤.

أبواب فعل المعروف، ب ٣٥.

ح ٢.

(٣٤) وسائل الشريعة ١١: ٥٩٤.

أبواب فعل المعروف، ب ٣٥.

ح ٧.

(٣٥) وسائل الشريعة ٨: ٤١٣.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٢.

ح ١.

(٣٦) وسائل الشريعة ٨: ٤١٣.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٢.

ح ٢.

(٣٧) وسائل الشريعة ٨: ٤١٣.

أبواب أحكام العشرة، ب ١٢.

ح ٣. وفي المحاسن «وقبول

معن ينصحه».

(٣٨) وسائل الشيعة ٨: ٥٥٣،

أبواب أحكام العشرة، ب ١٢٤،

ج ٢.

(٣٩) وسائل الشيعة ٨: ٥٥٣،

أبواب أحكام العشرة، ب ١٢٤،

ج ٥.

مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ» (٣٨).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «رحم الله امرأ ألف بين وليين لنا. يا معشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا» (٣٩).

إصلاح ذات البين:

الرابع: الحث على إصلاح ذات البين، بحيث يكون ذلك أفضل من عامة الصلاة والصيام، حيث وردت النصوص العديدة التي تؤكد على فضل هذا العمل وأهميته، بماله من آثار في توطيد وتقوية العلاقة الاجتماعية العامة بين الناس، وإزالة العوائق والمشكلات.

وقد عقد الفقهاء كتاباً للصالح جاءت فيه الأحاديث والتشريعات التفصيلية. فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين والإمام الصادق عليه السلام في حديث معتبر أنهما قالاً: «لأن أصلح بين اثنين أحب إلي من أن أتصدق بدينارين» (٤٠).

وعنه عليه السلام: «صدقة يحبها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا» (٤١).

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولديه الحسن والحسين عندما ضربه ابن ملجم: «فإني سمعت جدكم رسول الله ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» (٤٢).

وعن أبي حنيفة سائق الحاج قال: «مر بنا المفضل وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثم قال: تعالوا إلى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمئة درهم، فدفعها إلينا من عنده، حتى إذا استوثق كل واحد منا من صاحبه قال: أما إنها ليست من مالي، ولكن أبو عبد الله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما» (٤٣).

بل إن الشارع المقدس اتخذ إجراء مهماً في هذا المجال، وهو الإذن بالكذب في مقام الإصلاح، وعدم جواز الصدق في مقام الإفساد بين المؤمنين.

وبالرغم من أن الكذب من أعظم الحرمات، ولكنه مع هذا يصبح جائزاً في حدود شرعية ذكرها الفقهاء في مقام الإصلاح لذات البين، وحل الخلافات

(٤٠) وسائل الشيعة ١٣: ١٦٢،

ب ١، ج ١ و ١٦٣، ج ٦.

(٤١) وسائل الشيعة ١٣: ١٦٢،

ب ١، ج ٢.

(٤٢) نهج البلاغة، القسم

الثاني، الرقم ٤٧.

(٤٣) وسائل الشيعة ١٣: ١٦٢،

ب ١، ج ٤.

والنزاعات.

فعن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، عن النبي ﷺ: «ثلاثة يحسن فيهن الكذب: المكيدة في الحرب، وعدتك وزوجتك، والإصلاح بين الناس، وثلاثة يقبح فيهن الصدق: النميمة، وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه، وتكذيبك الرجل عن الخبر...» (٤٤).

(٤٤) وسائل الشيعة ٨ : ٥٧٨

ب ١٤١ ح ٢.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الكلام ثلاثة: صدق، وكذب، وإصلاح بين الناس» قال: قيل له: جعلت فداك، ما الإصلاح بين الناس؟ قال: «تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبط نفسه فتقول: سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعته منه» (٤٥).

(٤٥) وسائل الشيعة ٨ : ٥٧٩

ب ١٤١ ح ٦.

الجيران وتقوية البناء الاجتماعي:

الخامس: الاهتمام بالجيران وحسن الجوار بدرجة عالية كما ذكرنا في بعد المعاملة الخاصة، فإن هذا المبدأ يمثل عملاً له أهمية خاصة في إحكام البنية الاجتماعية، حيث يمثل الجيران العلاقة الطبيعية الأخرى المهمة، إلى جانب العلاقة النسبية الأهم. وكلما كان التعاون بين الجماعة الساكنين في منطقة واحدة حسناً وجيداً أمكن تحقيق المزيد من الرفاه والاستقرار والأمن للمجتمع بشكل عام.

ويأتي في هذا المجال كل التفاصيل التي أشار إليها الشارع المقدس في موضوع الجيران، كما سوف تأتي الإشارة إليها في موضوع المعاملة الخاصة.

الإجراءات الوقائية:

السادس: اتخاذ مجموعة من الإجراءات العملية أو الوقائية لإحكام

العلاقات. منها:

أ - اجتناب شحناء الناس وعداوتهم وملاحاتهم ومشاورتهم والتباغض

معهم.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ وما كاد جبرئيل يأتي نبي إلا قال: يا

(٤٦) وسائل الشيعة ٨ : ٥٦٩

ب ١٣٦ ح ١.

محمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم» (٤٦).

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ما أتاني جبرئيل قط إلا وعظني، فأخر قوله لي: إياك ومشاراة الناس، فإنها تكشف العورة وتذهب بالعز» (٤٧).

وروى أيضاً عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث: «ألا إن في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين» (٤٨).

ب - وجوب رد السلام، وكذلك وجوب الرد على الكتاب والرسالة، والحث على التكاثر بديلاً عن التزاور واللقاء.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «رد جواب الكتاب واجب كوجوب رد السلام، والبادي بالسلام أولى بالله وبرسوله» (٤٩).

وعنه عليه السلام: «التواصل بين الإخوان في الحضر التزاور، وفي السفر التكاثر» (٥٠).
ج - الحث على الوفاء بالوعد ولو بعد سنة، مع أنه أمر غير واجب.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد» (٥١).

د - وضع شروط للصديق الذي يحسن بالإنسان أن يضع ثقته فيه.
روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «الصدقة محدودة، فمن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه إلى كمال الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء من تلك الحدود فلا تنسبه إلى الصداقة، أولها أن تكون سريرته وعلايته لك واحدة، والثانية أن يرى زينك زينته، وشينك شينه، والثالثة لا يغيره عنك مال ولا ولاية، والرابعة أن لا يمنعك شيئاً مما تصل إليه مقدرته، والخامسة لا يسلمك عند النكبات» (٥٢).

هـ - ما سوف نشير إليه في ضبط الانفعالات من استحباب المحافظة على التوازن في العلاقة، بحيث لا تذهب الحشمة والاحترام فتسوء العلاقات نتيجة لذلك.

أو التحذير من المبالغة في الثقة، لئلا يصاب الطرفان بالإحباط. وغير ذلك من المفردات التي نراها منتشرة في أحكام العشرة ذات العلاقة بهذه الإجراءات التي سوف نشير إلى بعضها الآخر في محله إن شاء الله.

(٤٧) وسائل الشيعة ٨ : ٥٦٩،

ب ١٣٦، ج ٦.

(٤٨) وسائل الشيعة ٨ : ٥٧٩،

ب ١٤١، ج ٧.

(٤٩) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٧،

ب ٣٣، ج ١.

(٥٠) وسائل الشيعة ٨ : ٤٩٤،

ب ٩٣، ج ٢.

(٥١) وسائل الشيعة ٨ : ٥١٥،

ب ١٠٩، ج ٢.

(٥٢) وسائل الشيعة ٨ : ٥٠٢،

ب ١٠٢، ج ٣.

المشورة حدودها ونتائجها

وفي ختام الحديث عن موضوع تقوية البناء الاجتماعي يحسن بنا أن نتحدث قليلاً عن الاستشارة وأحكامها وحدودها وآثارها المترتبة عليها، باعتبارها أحد الأسس المهمة لتقوية البناء الاجتماعي، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

كما أنها أحد الآفاق المهمة في العلاقات الاجتماعية.

أهمية الشورى

لقد أعطى الإسلام وأهل البيت عليهم السلام أهمية خاصة للشورى، بحيث يمكن أن نقول: إن نظرية الحكم على مستوى التنفيذ في رأي أهل البيت عليهم السلام تقوم على أساس الشورى^(٥٣)، ولكن على مستوى العلاقات الاجتماعية العامة نجد أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على أهمية الاستشارة.

فقد روى البرقي في المحاسن عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن، وتوفيق من الله. فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف، فإن في ذلك العطب»^(٥٤).

وفي رواية أخرى للبرقي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «في التوراة أربعة أسطر: من لا يستشر يندم، والفقر الموت الأكبر، وكما تدين تدان، ومن ملك استأثر»^(٥٥). وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الاستشارة عين الهداية»^(٥٦).

ومن أجل معرفة أهمية الشورى يمكن أن نلاحظ الأبعاد التالية في المشورة التي أشار إليها أهل البيت عليهم السلام:

القوة والإسناد

الأول: أن الشورى تمثل أفضل ظهير وسند للإنسان في عمله ومسيرته، وبذلك تكون الشورى قوة حقيقية في العلاقات الاجتماعية.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن فيما أوصى به رسول الله ﷺ علياً عليه السلام قوله: «لا مظاهره أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير»^(٥٧).

(٥٣) راجع الحكم الاسلامي
بين النظرية والتطبيق ١١٣ -
١٣٦.

(٥٤) المحاسن ٢: ٤٣٨.

(٥٥) المحاسن ٢: ٤٣٦.

(٥٦) نهج البلاغة، القسم
الثالث، الرقم ٢١١.

(٥٧) المحاسن ٢: ٤٣٥.

كما ورد في نهج البلاغة تأكيد هذا المعنى، حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأدب، ولا ظهير كالمشاورة» (٥٨).

(٥٨) نهج البلاغة، القسم الثالث، الرقم ٥٤.

التصميم والحزم

الثاني: أن الشورى تمثل الحزم في العمل، ذلك أن المستشار سوف يشعر - بطبيعة الحال - بالاطمئنان والركون إلى الموقف الذي يتخذه، والعمل الذي يلتزم به بعد الاستشارة.

وقد ورد عن الإمام الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «قيل لرسول الله ﷺ: ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي واتباعهم» (٥٩).

(٥٩) المحاسن ٢: ٤٣٥.

الطريق الأفضل لمعرفة الواقع

الثالث: أن الشورى تمثل أفضل الوسائل والطرق للوصول إلى الصواب والواقع، حيث يتوصل الإنسان إلى الواقع برأي أهل الخبرة والتجربة بعيداً عن العواطف والميول والرغبات، التي قد تستولي على الإنسان فتجعله يلتزم رأياً أو موقفاً أو عملاً معيناً.

وقد جاء التأكيد في حديث أهل البيت عليهم السلام على هذه الخصوصية، حيث روي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين أنه قال: «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها» (٦٠).

(٦٠) نهج البلاغة، القسم الثالث، الرقم ١٦١.

وقد سبق قوله عليه السلام: «الاستشارة عين الهداية».

وقد روى البرقي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «استشر العقائل من الرجال الورع، فإنه لا يأمر إلا بخير، وإياك والخلاف فإن مخالفة الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا» (٦١).

(٦١) المحاسن ٢: ٤٣٧.

وقد علم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولده محمد بن الحنفية كيفية الاستفادة من آراء العقلاء ومشاورتهم من أجل الوصول إلى الحق والصواب، فقد ورد في وصيته عليه السلام له: «اضمم آراء الرجال بعضها إلى بعض، ثم اختر أقربها من الصواب، وأبعدها من الارتياح» إلى أن قال: «قد خاطر بنفسه من استغنى برأيه، ومن استقبل

(٦٢) وسائل الشيعة ٨ : ٤٢٩،

ب ٢٥، ج ٢.

(٦٣) لعل السبب في النهي عن

استشارة النساء في الروايات

هو هذه الخصوصية والصفة،

باعتبارها ظاهرة عامة في

النساء، وخصوصاً في ذلك

المصر. وكذلك موضوع

العبيد باعتبار أن الوسط

الاجتماعي والتربية العامة

للعبيد يجعلانهم عناصر غير

مؤهلة لهذا العمل. ولذا نجد

في رواية أخرى في المحاسن

تذكر أن الإمام الكاظم عليه السلام

كان ربما شاور الأسود من

سودانه، فقيل له في ذلك فقال:

«... ربما فتح على لسانه»

راجع المحاسن ٢ : ٤٢٧.

(٦٤) المحاسن ٢ : ٤٣٦.

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) المحاسن ٢ : ٤٣٨، ج ٢٦.

وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ» (٦٢).

صفات المستشارين

وبهذا الصدد يحسن بنا أن نعرف منذ البداية صفات الأشخاص الذين نستشيرهم ونأخذ بأرائهم، وهي على الإجمال كما وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام الأمور التالية:

١ - التدبّر والورع والتقوى وخشية الله.

٢ - الإخلاص في النصيحة بحيث يكون موقفه من المستشار موقف الأخ الصديق.

٣ - العقل والخبرة.

٤ - الكتمان والمحافظة على الأسرار.

٥ - الاعتدال في الأخلاق الشخصية، بحيث لا يكون إنساناً متصفاً بما يوجب الخل في شخصية الإنسان، كالخبث والجبن والحرص.

٦ - الاستقامة في الوضع الاجتماعي، فلا يصح استشارة السفلة أو العبيد.

٧ - الاعتدال في الوضع النفسي والعاطفي، فلا يستشار أصحاب العواطف والأهواء (٦٣).

ونشير هنا إلى مجموعة من النصوص التي يمكن الاستفادة هذه الخصائص منها، بالإضافة إلى النصوص السابقة:

أ - عن أبي عبد الله عليه السلام في كلام له: «استشيروا في أمركم الذين يخشون ربهم» (٦٤).

ب - وعن علي عليه السلام في كلام له: «شاور في حديثك الذين يخافون الله» (٦٥).

ج - قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قبل له به أن يستشير رجلاً عاقلًا له دين وورع» ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «أما إنه إذا فعل ذلك لم يخذله الله، بل يرفعه الله، ورماه بخير الأمور وأقربها إلى الله» (٦٦).

د - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المشورة لا تكون إلا بحدودها، فمن عرفها بحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشار أكثر من منفعتها له.

فأولها أن يكون الذي يشاوره عاقلاً

والثانية أن يكون حراً متديناً.

والثالثة أن يكون صديقاً مؤاخياً.

والرابعة أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يستر ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً جهد نفسه في النصيحة لك، وإذا كان صديقاً مؤاخياً كتم سرك إذا أطلعه على سرك، وإذا أطلعه على سرك فكان علمه به كعلمك تمت المشورة وكملت النصيحة» (٦٧).

(٦٧) المصدر السابق.

هـ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: يا علي لا تشاورن جباناً فإنه يضيق عليك المخرج، ولا تشاورن بخيلاً فإنه يقصر بك عن غايتك، ولا تشاورن حريصاً فإنه يزين لك شرها، واعلم أن الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن» (٦٨).

و - قال أبو عبد الله عليه السلام لعمار الساباطي: «يا عمار، إن كنت تحب أن تستتب لك النعمة، وتكمل لك المروءة، وتصلح لك المعيشة فلا تستشر العبيد والسفلة في أمرك، فإنك إن انتمنتهم خانوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن تكبت خذلوك، وإن وعدوك بوعد لم يصدقوك» (٦٩).

(٦٨) وسائل الشريعة ٨: ٤٢٩، ب ٢٦، ح ١. وقد ورد هذا المضمون أيضاً في نهج البلاغة، في عهد الامام عليه السلام لملك الأستر، باختلاف في اللفظ.

ز - عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «يا علي ليس على النساء جمعة» إلى أن قال: «ولا تولن القضاء، ولا تستشار، يا علي، سوء الخلق شؤم، وطاعة المرأة دامة، يا علي إن كان الشؤم في شيء ففي لسان المرأة» (٧٠).

(٦٩) وسائل الشريعة ٨: ٤٢٩، ب ٢٦، ح ٢.

(٧٠) وسائل الشريعة ٨: ٤٢٩، ب ٢٥، ح ١.

وفي رواية أخرى معتبرة السند عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ذكر رسول الله ﷺ النساء فقال: اعصوهن في المعروف قبل أن يأمرنكم بالمنكر، وتعودوا بالله من شرارهن وكونوا من خيارهن على حذر» (٧١).

(٧١) وسائل الشريعة ١٤: ١٢٨، ب ٨٤، ح ١. وقد أشرنا إلى أنه لا يبعد أن تكون هذه الأحاديث عن المرأة وعن الأوساط الاجتماعية باعتبار طبيعة الظروف والأخلاق العامة التي كانت عليها النساء في ذلك العصر، أو باعتبار الجانب العاطفي الذي يتغلب على المرأة بشكل عام.

واجبات المستشار

وفي بعد آخر لهذا الحديث لا بد أن نعرف أن المستشار يجب عليه النصيحة في المشورة، وبذل الجهد في الدلالة على الصواب والواقع.

(٧٢) المحاسن ٢: ٤٣٦.

فقد ورد في الحديث أن «المستشار مؤتمن»^(٧٢)، كما ورد في حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من استشار أخاه فلم ينصحه محض الرأي سلبه الله رأيه»^(٧٣).

(٧٣) المحاسن ٢: ٤٣٨.

وبالإضافة إلى محض النصيح والإخلاص في المشورة يجب على المستشار كتمان سرّ المستشار فإن مقتضى مفاد «المستشار مؤتمن» هو كتمان السر، كما هو محض الإخلاص أيضاً، فإن مقتضى الأمانة ذلك كله. كما أنه يفهم ذلك من الحديث السابق الذي جاء فيه «والرابعة أن تطلع على سرّك، فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يستر ذلك ويكتمه».

وبهذا القدر يتضح أن موضوع الاستشارة من أهم المبادئ التي أكدها أهل البيت عليهم السلام في موضوع العلاقات الاجتماعية، وفي البناء الاجتماعي بشكل عام.

ثالثاً: الأخوة والمساواة

وأما على مستوى البعد الثالث، وهو أن محتوى العلاقة الاجتماعية هو (الأخوة والمساواة) فيمكن أن نجد معالم هذا البعد في مختلف تفاصيل نظام العلاقات الاجتماعية التي تناولت الأبعاد المختلفة للعلاقات، أو الأسس والقواعد لهذه العلاقات، كما يظهر ذلك واضحاً من خلال استعراضنا للأبعاد السابقة، وتفاصيل المؤشرات النظامية لها، مثل موضوع إقضاء السلام، وتحريم هجران المؤمن، والانفتاح الواسع في العلاقات، الذي يؤشر كله على أن البعد المنظور في محتوى العلاقة هو المساواة والأخوة.

وكذلك في موضوع تقوية البناء الاجتماعي، مثل الاجتماع واللقاء والتزاور أو التراحم والتعاطف، أو رد جواب الكتاب، أو غير ذلك من التفاصيل. ونجد ذلك أيضاً في القواعد والأسس العامة، خصوصاً في قاعدة الالتزام بالواجبات، والتودد والمجاملة.

حيث نلاحظ في القاعدة الأولى موضوع العلاقة العامة الشرعية المتساوية بين المسلمين، كأداء الأمانة، وإقامة الشهادة، والحقوق العامة الاجتماعية، كحضور الجنائز، وعيادة المرضى.

وكذلك الحقوق المادية للإنسان المسلم، مثل حرمة دمه وماله، فلا يصح قتله، ولا أخذ ماله، ولا التجاوز على عرضه وأهله، وحتى دخول داره والنظر فيها بدون إذنه.

وكذلك الحقوق المعنوية للإنسان المسلم، مثل المحافظة على عرضه وكرامته، وعدم جواز تحقيره وإهانته، أو إذلاله، أو غيبته، أو كشف سره، أو تعييره.

بل لا يصح ظلمه ولا خذلانه، أو إظهار السوء له، أو تهمة، أو إخافته، أو الطعن عليه، أو سبه ولعنه، أو إحصاء عثراته وتتبعها. كما سوف يأتي تفصيل ذلك.

كما نلاحظ ذلك أيضاً في القاعدة الرابعة بشكل واضح في مجمل المناهج والأساليب التي وضعها الله سبحانه وتعالى، وأكدها أهل البيت عليهم السلام، مثل إفضاء السلام، والابتداء به، وإطابة الكلام، والتعظيم والتوقير للآخرين، واللقاء بالبشر والتبسم، والمصافحة والمعانقة والتقبيل، إلى غير ذلك مما تأتي الإشارة إليه في مواضعه.

ولعل أحد المؤشرات الواضحة في هذا البعد هو ما ورد في باب السلام من وجوب رد السلام على الجميع تحقيقاً لهذه المساواة، وكذلك وجوب رد جواب الرسالة والكتاب.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «رد جواب الكتاب واجب كوجوب رد السلام، والبادي بالسلام أولى بالله وبرسوله» ^(٧٤).

وكذلك حرمة التسليم على الفقير المسلم بمستوى مختلف عن التسليم على الغني المسلم.

فعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «من لقي فقيراً مسلماً فسلم عليه خلاف سلامه على الغني لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان» ^(٧٥).

وكذلك إهانة المؤمن الفقير لفقره.

فعن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ في حديث المناهي قال: «ومن استخف بفقير مسلم فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة إلا أن

(٧٤) وسائل الشيعة ٨ : ٤٣٧.

ب ٣٣، ج ١.

(٧٥) وسائل الشيعة ٨ : ٤٤٢.

ب ٣٦، ج ١.

يتوب» (٧٦).

وعنه عليه السلام قال: «من استذل مؤمناً واحتقره لقلة ذات يده وفقره، شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» (٧٧).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «خمس لا أدعهن حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان» (٧٨).

ويؤكد هذه الحقيقة تأكيداً واضحاً ما ذكرناه في بيان هذا البعد من التكافؤ بين المؤمنين في موضوع الزواج.

رابعاً: مستويات العلاقة

وأما على مستوى البعد الرابع وهو مستويات العلاقة، فقد قلنا إن النظرية الإسلامية بالرغم من إيمانها بالمساواة في محتوى العلاقة، ولكن لأسباب موضوعية أو اجتماعية افترضت أن هذه العلاقة لها عدة مستويات، لحظناها ثلاثة:

أ - علاقة المجاملة العامة.

ب - علاقة الصحبة العامة (المكاشرة).

ج - علاقة الصحبة الخاصة (الثقة).

علاقة المجاملة العامة

أما علاقة المجاملة والمعاشرة العامة فيمكن أن نجد تفاصيل نظمها وأحكامها في مجمل ما ذكرناه في بعد الانفتاح في المعاشرة، وكذلك في مجمل ما يذكر في قاعدة التودد والمجاملة وحسن المعاشرة، وكذلك قاعدة ضبط العواطف والانفعالات، وقاعدة الإحسان واليد العليا، وغيرها مما يأتي بيان تفاصيله في القواعد المذكورة.

فإن هذه التفاصيل وإن كانت مرتبطة ارتباطاً مباشراً بهذه القواعد والأسس والأبعاد التي أشرنا إليها سابقاً، ولكنها تعبر في نفس الوقت عن هذا

(٧٦) وسائل الشيعة ٨ : ٥٨٨.

ب ١٤٦، ح ٤.

(٧٧) وسائل الشيعة ٨ : ٥٩١.

ب ١٤٧، ح ٤.

(٧٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤٤١.

ب ٣٥، ح ١.

الأصل أو الخط العام في العلاقات الاجتماعية المتمثل بضرورة وجود علاقة المجاملة مع جميع أفراد المجتمع بشكل عام، إلا في الاستثناءات التي تمت الإشارة إليها سابقاً.

علاقة الصحبة العامة (المكاشرة)

ويبدو من الأحاديث السابقة التي ذكرناها في بحث مستويات العلاقة، أن علاقة الصحبة العامة هي عبارة عن علاقة متطورة نسبياً لعلاقة المجاملة، فتنتهي بها إلى حالة الصحبة والرفاقة في الحياة، إما من خلال العمل المعاشي، أو من خلال السفر، أو السكن والجوار، أو الزمالة في الدرس أو التعليم أو المهنة أو غير ذلك من الأسباب الطبيعية، حيث يحسن بالإنسان في مثل هذه العلاقة أن يقف عند حدودها الطبيعية التي يكتسب فيها الإنسان المنافع الحيوية والمادية في حركته، كما ورد في الحديث «فإنك تصيب منهم لذتك، فلا تقطعن ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم» (٧٩).

والمطلوب فيها المبادلة في هذه المنافع واللذة «وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان» (٨٠).

ويمكن أن نجد تفاصيل التشريعات ذات العلاقة بهذا المستوى من العلاقة (صحبة المكاشرة) في مثل الأحكام ذات العلاقة بصحبة السفر وآدابه مع رفيق السفر، كما في الأبواب ٣٠ - ٣٤ من أبواب آداب السفر إلى الحج وغيره (٨١).

وكذلك في مثل بعض الأحكام ذات العلاقة بالمعاملة مع العمال والمستأجرين، أو بعض الأحكام ذات العلاقة بآداب التعليم والتعلم مما يرتبط بموضوع الرفاقة أو الصداقة.

أو بعض الأحكام ذات العلاقة بآداب المجلس أو الخطاب والحديث، مثل التوسعة في المجلس أو القيام له واحترامه، أو مخاطبته بالكنية ودعوته بأحب الأسماء إليه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ثلاث مصفين ود المرء لأخيه

(٧٩) وسائل الشريعة ٨ : ٤٠٤.

ج ٣، ١.

(٨٠) الحديث نفسه.

(٨١) راجع الوسائل ٨ : ٢٩٩ -

٣٠٤.

المسلم: يلتقيه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه» (٨٢).

(٨٢) وسائل الشريعة ٨ : ٤٣٤،

ب ٣٠، ج ٢.

وعنه عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب أحدكم أخاه المسلم فليساله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته، فإن من حقه الواجب وصدق الإخاء أن يساله عن ذلك، وإلا فإنها معرفة حمق» (٨٣).

(٨٣) وسائل الشريعة ٨ : ٥٠٦،

ب ١٠١، ج ٣.

أو الأحكام ذات العلاقة بالتناجي في المجلس.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان القوم ثلاثة فلا يتناج منهم اثنين دون صاحبهما، فإن في ذلك ما يحزنه ويؤذيه» (٨٤).

(٨٤) وسائل الشريعة ٨ : ٤٧٢،

ب ٧٢، ج ١.

وكذلك نجد مثل هذه التفاصيل على مستوى الاستثناء في هذه العلاقة، عندما ينصح الشارع المقدس بعدم مرافقة الفاجر والأحمق والكذاب، أو مشاركة العبيد والسفلة والفجار، أو مرافقة قاطع الرحم، أو مجالسة الأندال والمترفين والنساء، كما أشرنا إلى ذلك في بحث استثناءات الانفتاح.

وكذلك تقدمت الإشارة إلى بعض هذه المعالم وغيرها في بعد تقوية البناء الاجتماعي، حيث إن بعض النصائح في هذا البعد ترتبط بهذا المستوى من العلاقة كما هو واضح.

علاقة الصحبة الخاصة (الثقة)

وأما المستوى الأعلى للعلاقة فهو علاقة الثقة التي تمثل مستوى علاقة الاخوة الحقيقية، وتترتب عليها الحقوق والواجبات الخاصة بهذا المستوى.

ونجد معالم النظم والتشريعات ذات الصلة بهذا المستوى من العلاقة في بعض التشريعات التي تتحدث عن شروط الصديق والأخ الذي يجب أن يختاره الإنسان، مثل العقل والتقوى، والأمانة وحفظ الأسرار، والنصرة وعدم الخذلان، والاستعداد للمواساة والكرم، والصدق في المعاملة، والمحافظة على أداء الواجبات، وخصوصاً الصلوات، والإخلاص في المؤاخاة، وأن تكون هذه المؤاخاة في الله سبحانه وتعالى. وقد مرت الإشارة إلى بعض الأحاديث التي تتحدث عن بعض هذه الصفات في بعد مستويات العلاقة، وكذلك في البعد

الأول، وهو الانفتاح عندما تحدثنا عن الاستثناءات.

ويمكن ملاحظة بعض النصوص الأخرى.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا عليك أن تصحب ذا العقل وإن لم تحمد كرمه، ولكن انتفع بعقله، واحترس من سيئ أخلاقه، ولا تدعن صحبة الكريم وإن لم تنتفع بعقله، ولكن انتفع بكرمه بعقلك، وافرر كل الفرار من اللئيم الأحمق»^(٨٥).
وقال أبو عبد الله عليه السلام: «عليك بالتلاذ، وإياك كل محدث لا عهد له ولا أمانة ولا ذمة ولا ميثاق»^(٨٦).

(٨٥) وسائل الشريعة ٨: ٤٠٩،

ب ٨، ج ١.

(٨٦) وسائل الشريعة ٨: ٤١٢،

ب ١١، ج ٣.

وسوف نجد في بعد المعاملة الخاصة مع المؤمنين ما يؤكد هذا المستوى من العلاقة.

كما أن من جملة هذه التشريعات المهمة في هذا المستوى من العلاقة موضوع عقد الاجتماعات واللقاءات التي يتم بها تداول شؤون المسلمين، وإحياء أمر الدين، والقضايا الخاصة بالجماعة الصالحة فكرياً وعقائدياً واجتماعياً وسياسياً، كما عرفنا ذلك في الأبعاد السابقة.

خامساً: المعاملة الخاصة

في هذا البعد نجد تفاصيل كثيرة مذكورة في أبواب ومواضع عديدة من الفقه والشريعة يمكن التعرف عليها في محلها المناسب، ولكن نشير هنا إلى بعض النماذج التي وردت في أبواب وآداب العشرة، بالإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه، أو ما يمكن أن نجده في القواعد والأسس للعلاقات الاجتماعية، وهي محدودة نسبياً ولكنها مفيدة في توضيح التصور النظري تجاه هذا الموضوع:

آل الرسول وذريته

أ - فموضوع الصلاة على رسول الله وآله في جميع المواطن والحالات - كما سوف نشير إليه في نظام الشعائر والعبادات - يعبر عن هذه المعاملة الخاصة، حتى لنجد أن تقديم الصلاة على النبي وآله على الدعاء يكون سبباً في استجابة

هذا الدعاء، حيث لا يرد الله سبحانه وتعالى دعاء الصلاة، وهو بكرمه سوف يقرر استجابة الدعاء الآخر بها في عدم الرد، كما ورد ذلك عن علي عليه السلام في قوله: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على رسول الله ﷺ ثم سل حاجتك، فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى» (٨٧).

كما أن تحميد الله تعالى عند العطاس يحسن أن يقتنر بالصلاة على رسول الله وآله، بل في جميع الأحوال حتى الأحوال الخاصة، تعبيراً عن الاهتمام بهذه المعاملة الخاصة.

عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه قال: عطس رجل عند أبي جعفر عليه السلام فقال: الحمد لله، فلم يسمّته أبو جعفر عليه السلام وقال: «نقصنا حقنا» وقال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته» قال: فقال الرجل، فسمّته أبو جعفر عليه السلام (٨٨).

وفي كتاب الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون قال: «الصلاة على النبي ﷺ واجبة في كل موطن، وعند العطاس والذبائح وغير ذلك» (٨٩).

وبالإضافة إلى ذلك وردت أحاديث عديدة من طريق أهل البيت عليه السلام عن رسول الله ﷺ في التأكيد على المعاملة الخاصة لذرية الرسول من العلويين والسادات.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من صنع إلى أحد من أهل بيتي يبدأ كافأته به يوم القيامة» (٩٠).

وعنه عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أيها الخلائق، أنصتوا فإن محمداً ﷺ يكلمكم، فتنصت الخلائق، فيقوم النبي ﷺ فيقول: يا معشر الخلائق، من كانت له عندي يد أو منة أو معروف فليقم حتى أكافئه، فيقولون: بآبائنا وأمهاتنا، وأي يد أو أي منة أو أي معروف لنا؟ بل اليد والمنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق، فيقول لهم: بلن، من أوى أحداً من أهل بيتي، أو برّه، أو كساهم من عري، أو أشبع جائعهم فليقم حتى أكافئه، فيقوم أناس قد فعلوا ذلك فيأتي النداء من عند الله تعالى: يا محمد يا حبيبي، قد جعلت مكافأتهم إليك، فأسكنهم من الجنة حيث شئت. قال: فيسكنهم في الوسيلة، حيث لا يحجبون عن محمد وأهل بيته عليه السلام» (٩١).

(٨٧) نهج البلاغة، القسم الثاني، الرقم ٣٦١. وقد روي ذلك بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام راجع جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٣٣٩، ج ١٣.

(٨٨) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٤، ج ٦٣، ح ١.
(٨٩) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٥، ج ٦٤، ح ٢.

(٩٠) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٦، ج ١٧، ح ١.

(٩١) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٦، ج ١٧، ح ٣.

وعن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه» (٩٢).

(٩٢) وسائل الشيعة ١١:

٥٥٧، ب ١٧، ج ٦.

وعن الباقر عن أبيه عن جده عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من أراد التوسل إلي، وأن يكون له عندي يد اشفع له بها يوم القيامة فليصل على أهل بيتي ويدخل السرور عليهم» (٩٣).

(٩٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٨.

ب ١٧، ج ٧.

وعن الباقر عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، فينادي مناد: من كانت له عند رسول الله ﷺ يد فليقم، فيقوم عنق من الناس فيقول: ما كانت أياديكم عند رسول الله ﷺ؟ فيقولون: كنا نصل أهل بيته من بعده، فيقال لهم: اذهبوا فطوفوا في الناس، فمن كانت له عندكم يد فخذوا بيده فأدخلوه الجنة» (٩٤).

(٩٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٨.

ب ١٧، ج ٩.

الشيوخ

ب - واحترام ذوي الشبهة والشيوخ من الناس تعبيراً عن المعاملة تجاه هذا النوع من الناس من الضعفاء.

عن عبد الله بن سنان قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إن من إجلال الله عز وجل إجلال الشيخ الكبير» (٩٥).

(٩٥) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٦.

ب ٦٧، ج ٩.

وعنه عليه السلام قال: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا» (٩٦).

(٩٦) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٧.

ب ٦٧، ج ٣.

حامل القرآن

ج - واحترام حامل القرآن باعتباره نموذجاً للعالم بالدين والشرعية، ومبلغاً للرسالة، وتالياً لآيات الله تعالى.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم، فإن لهم من الله العزيز الجبار لمكانه» (٩٧).

(٩٧) وسائل الشيعة ٤: ٨٣٠.

ب ٤، ج ١.

المؤمن

د- وكذلك المعاملة الخاصة مع المؤمن^(٩٨)، من إدخال السرور عليه. فقد ورد ذلك في الأحاديث المعتبرة، مثل ما رواه الكليني عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر^{عليه السلام} يقول: «قال رسول الله ﷺ: من سرّ مؤمناً فقد سرّني، ومن سرّني فقد سرّ الله»^(٩٩).

وعن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال: «من أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ إدخال السرور على المؤمن: إشباع جوعته، أو تنفيس كربته، أو قضاء دينه»^(١٠٠).

أو قضاء حاجة المؤمن، كما ورد عن أبي عبد الله^{عليه السلام} أنه قال في حديث: «ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له يوم القيامة مئة ألف حاجة، من ذلك أولها الجنة، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أن لا يكونوا نَصَاباً»^(١٠١).

وعن أبي جعفر^{عليه السلام} قال: «إن المؤمن لخرّد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده يهتم بها قلبه، فيدخله الله بهمه الجنة»^(١٠٢).

أو تفريج كربته وإغاثة لهفته، فعن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله^{عليه السلام} يقول: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفس كربته، وأعانته على نجاح حاجته، كتب الله عزّ وجلّ له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لأفراع يوم القيامة وأهواله»^(١٠٣).

أو غير ذلك من أنحاء المعاملة من التعاون معه أو نصرته أو نصيحته.

الجيران

هـ- وكذلك المعاملة الخاصة للجيران، التي تقدم الحديث عنها، والتي تذكر تفاصيل كثيرة حولها في أحكام العشرة. ونشير هنا إلى بعض التفاصيل ضمن نصوص كما وعدنا.

١- عن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال: «قال رسول الله ﷺ: حسن الجوار يعمر الديار، وينسى في الأعمار»^(١٠٤).

(٩٨) هناك مجموعة من الأبواب، وعدد كبير من الأحاديث، في الوسائل وغيرها، يحسن مراجعتها والاطلاع عليها. يراجع مثلاً ج ١١ من ص ٥٦٩ - ٦٠١ حيث يتضح من خلالها المعاملة الخاصة للمؤمن، التي تعبر في الوقت نفسه عن المستوى العالي للعلاقة الاجتماعية مع هذا الوسط المتميز.

(٩٩) الكافي ٢: ١٨٨.

(١٠٠) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٠، ب ٢٤، ح ٦.

(١٠١) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٦، ب ٢٥، ح ١.

(١٠٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٦، ب ٢٥، ح ٣.

(١٠٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٨٦، ب ٢٩، ح ١.

(١٠٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٩، ب ٨٧، ح ١.

وعن أبي مسعود قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «حسن الجوار زيادة في الأعمار، وعمارة الديار» (١٠٥).

(١٠٥) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٩،

ب ٨٧، ح ٣.

وعن أبي ربيع الشامي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال والبيت غاص بأهله: «اعلموا أنه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره» (١٠٦).

(١٠٦) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٩،

ب ٨٧، ح ٥.

٢ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: «حد الجوار أربعون داراً من كل جانب، من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله» (١٠٧).

(١٠٧) وسائل الشيعة ٨: ٤٩١،

ب ٨٠، ح ١.

٣ - عن عمر بن عكرمة عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه رجل من الأنصار فقال: إني اشتريت داراً من بني فلان، وإن اقرب جيراني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شره. قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وسلمان وأبا ذر، ونسيت آخر وأظنه المقداد أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً، ثم أوماً بيده إلى كل أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله» (١٠٨).

(١٠٨) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٧،

ب ٨٦، ح ١.

٤ - عن الحسن بن عبد الله عن عبد صالح قال: «ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى» (١٠٩).

(١٠٩) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٤،

ب ٨٥، ح ٢.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث، ولربما اجتمعت الثلاث عليه: إما بعض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابه يؤذيه، أو جار يؤذيه، أو في طريقه إلى حوائجه يؤذيه. ولو أن مؤمناً على قلة جبل لبعث الله عز وجل عليه شيطاناً يؤذيه، ويجعل له من إيمانه أنساً لا يستوحش معه إلى أحد» (١١٠).

(١١٠) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٤،

ب ٨٥، ح ٣.

٥ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من القواصم التي تقصم الظهر جار السوء، إن رأى حسنة أخفاها، وإن رأى سيئة أفشاها» (١١١).

(١١١) وسائل الشيعة ٨: ٤٩١،

ب ٨٩، ح ١.

القسم الثاني: البناء الفوقي للقواعد والأسس

وأما البناء الفوقي للقواعد والأسس فيمكن أن نلخصه بالنقاط التالية أيضاً:

أولاً: الالتزامات والواجبات

النقطة الأولى: البناء الفوقي للالتزامات والواجبات الشرعية والعرفية،

ويمكن أن نلاحظه - كما ذكرنا - سابقاً في مثل الوفاء بالعهود والمواثيق، وأداء الأمانة، وحضور الجنائز وصلوات الجماعة، والاجتماعات العامة، وفي عيادة المرضى، ورد السلام، وجواب الكتاب وغير ذلك.

وبالإضافة إلى ذلك نجد الالتزامات والواجبات العامة التي أشرنا إليها في بعد تقوية البناء الاجتماعي، مثل مبدأ وجوب التناصر بين المسلمين، ووجوب الاهتمام بأمورهم، ووجوب التعاون بينهم، ووجوب النصيحة لهم، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن الجوار، والتشاور بينهم، إلى غير ذلك من الواجبات والمسؤوليات العامة.

الالتزام على مستوى الواجبات

وإلى جانب كل ذلك نجد بعض الحقوق والواجبات والمحرمات والالتزامات الشرعية والعرفية في مفردات كثيرة، نشير إلى بعضها في الآتي:

١ - يجب على الإنسان أن يحتفظ بأسرار أخيه المسلم في العلاقات الاجتماعية، عندما يسمع منه حديثاً في مجلس، أو يأتنيه عليه، فقد ورد أن «المجالس بالأمانة»، ولكن هناك استثناءات خاصة لهذه الحالة.

(١١٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٧١،

ب ٧١، ج ١.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: المجالس بالأمانة» (١١٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المجالس بالأمانة، وليس لأحد أن يحدث بحديث يكتمه صاحبه إلا بإذنه، إلا أن يكون ثقة أو ذكراً له بخير» (١١٣).

(١١٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٧١،

ب ٧١، ج ٣.

وقال رسول الله ﷺ: «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك فيه دم حرام، أو مجلس استحل فيه فرج حرام، أو مجلس يستحل فيه مال حرام بغير حقه» (١١٤).

(١١٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٧١،

ب ٧١، ج ٤.

٢ - حث الشارع المقدس على الوفاء بالوعود إلى جانب وجوب الوفاء بالعهود والعقود، حيث يرتقي بالوعد إلى درجة العهد.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليوف إذا وعد» (١١٥).

(١١٥) وسائل الشيعة ٨: ٥٦٥،

ب ١٠٩، ج ٢.

وعن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عدة المؤمن أخاه نذر

لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ، ولمقته تعرض، وذلك قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» (١١٦).

(١١٦) وسائل الشيعة ٨: ٥١٥،

ب ١٠٩، ج ٢.

٣ - وجوب الصدق في الحديث وفي التعامل مع الآخرين.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير أسنتكم، ليرؤا منكم الاجتهاد والصدق والورع» (١١٧).

(١١٧) وسائل الشيعة ٨: ٥١٣،

ب ١٠٨، ج ١.

وعن زيد بن علي عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أقربكم مني غداً وأوجبكم عليّ شفاعاة أصدقكم للحديث، وأداكم للأمانة، وأحسكم خلقاً، وأقربكم من الناس» (١١٨).

(١١٨) وسائل الشيعة ٨: ٥١٤،

ب ١٠٨، ج ٨.

٤ - وجود مجموعة من الواجبات والالتزامات الحقوقية بين المؤمنين، تحدثنا عن بعضها في بُعد المعاملة الخاصة بين المؤمنين، بالإضافة إلى حقوق أخرى أشرنا إليها في مناسبات متعددة، ونشير هنا إلى نموذج من الروايات يتناول جانباً من هذا الموضوع.

عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟ قال: «له سبع حقوق واجبات، مأمّنهن حق إلا وهو عليه واجب إن ضيع منه شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب». قلت له: جعلت فداك، وما هي؟ قال: «يا معلى، إني عليك شفيق أخاف أن تضيع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل». قلت: لا قوة إلا بالله. قال: «أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. والحق الثاني أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره. والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك. والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته. والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظلم، ولا تلبس ويعرى. والحق السادس أن يكون لك خادم وليس لآخيك خادم، فواجب أن تبعث خادماً فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهد فراشه. والحق السابع أن تبرّ قسمه، وتجب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه إلى أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولايتك» (١١٩).

(١١٩) وسائل الشيعة ٨: ٥٤٤،

ب ١٢٢، ج ٧.

الالتزام على مستوى المحرمات

وعلى مستوى المحرمات والممنوعات في هذا المجال نجد مفردات كثيرة أقرها الشارع المقدس لتجسيد هذا النوع من الالتزامات.

١ - عدم جواز دخول بيوت الناس بغير إذنهم، بل حتى وجوب إشعارهم عند الدخول، لأن للمسلم حرمة في دمه وماله وعرضه وشؤونه الخاصة. عن عبد الرحمان بن أبي عبد الله قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ قال: «الاستيناس وقع النعل والتسليم» (١٢٠).

(١٢٠) وسائل الشيعة ٨: ٤٥٤،

ب ٥٠، ج ١.

كما ينبغي للمسلم أن يجلس من الدار حيث أمره صاحبها. فعن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: «إذا دخل أحدكم على أخيه في رحله فليقعده حيث يأمره صاحب الرجل، فإن صاحب الرجل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه» (١٢١).

(١٢١) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٦،

ب ٨، ج ١.

٢ - تحريم المكر والحسد والغش والخيانة.

فعن علي بن موسى الرضا، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع، فإني سمعت جبرئيل يقول: إن المكر والخديعة في النار، ثم قال: ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً، ثم قال عليه السلام: إن جبرئيل الروح الأمين نزل علي من عند رب العالمين فقال: يا محمد عليك بحسن الخلق، فإن سوء الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة، ألا وإن أشبهكم بي أحسنكم خلقاً» (١٢٢).

(١٢٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٧٠،

ب ١٣٧، ج ١.

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس» (١٢٣).

(١٢٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٧١،

ب ١٣٧، ج ٤.

٣ - تحريم الكذب بكل أشكاله ودرجاته في مختلف المجالات، وخصوصاً في العلاقات مع الناس باستثناء بعض الموارد كالإصلاح بين الناس كما ذكرنا سابقاً.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عز وجل جعل للشرب أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب» (١٢٤).

(١٢٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٧٢،

ب ١٢٨، ج ٢.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخذة الكذاب، فإنه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدق» (١٢٥).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول لولده: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير. أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً» (١٢٦).

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا أن يعد أحداً صبيبه ثم لا يفي له، إن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال أحداً يكذب حتى يقال: كذب وفجر، وما يزال أحداً يكذب حتى لا يبقى موضع إبرة صدق» (١٢٧)، فيسمى عند الله كذاباً» (١٢٨).

٤ - النهي عن أن يكون الإنسان في علاقاته الاجتماعية ذا وجهين ولسانين. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار» (١٢٩).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً. إن أعطي حسده، وإن ابتلي خذله» (١٣٠).

٥ - حرمة قطع ولاء المؤمن، أو التعبير عن عداوته، أو إضمار السوء له. فقد ورد بطرق متعددة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا قال الرجل لأخيه المؤمن: أف، خرج من ولايته، وإذا قال: أنت عدوي كفر أحدهما، ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمّر على أخيه المؤمن سوءاً» (١٣١).

٦ - النهي عن سوء الظن بالمؤمن أو اتهامه. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا اتهم المؤمن أخاه انمات الإيمان في قلبه كما ينمات الملح في الماء» (١٣٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً» (١٣٣).

(١٢٥) وسائل الشيعة ٨: ٥٧٣،

ب ١٣٨، ج ٦.

(١٢٦) وسائل الشيعة ٨: ٥٧٦،

ب ١٤٠، ج ١.

(١٢٧) وفي أمالي الصدوق

٣٤٢: «حتى لا يبقى في قلبه

موضع إبرة صدق».

(١٢٨) وسائل الشيعة ٨: ٥٧٧،

ب ١٤٠، ج ٣.

(١٢٩) وسائل الشيعة ٨: ٥٨١،

ب ١٤٣، ج ١.

(١٣٠) وسائل الشيعة ٨: ٥٨٢،

ب ١٤٣، ج ٢.

(١٣١) وسائل الشيعة ٨: ٦١١،

ب ١٥٩، ج ٢.

(١٣٢) وسائل الشيعة ٨: ٦١٣،

ب ١٦١، ج ١.

(١٣٣) وسائل الشيعة ٨: ٦١٣،

ب ١٦١، ج ٢.

ثانياً: ضبط العواطف والانفعالات

إن تفصيل خطوط البناء الفوقي لموضوع ضبط العواطف والانفعالات، يمكن أن نجده واسعاً في موضوع جهاد النفس كما أشرنا، كما نجده في موضوع أحكام المعاشرة أيضاً.

١- ضبط العواطف والصفات الحميدة

ف نجد الشارع المقدس عندما يتحدث عن الصفات الحميدة للإنسان، أو الصفات التي لا بد أن يتصف بها ليكون مؤمناً، نراه يؤكد على الصفات ذات العلاقة بهذا الجانب.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمانى خصال: وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة. إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل أمير جنوده، والرفق أخوه، والبر والده» (١٢٤).

(١٢٤) وسائل الشيعة ١١:

١٤٣، ب، ٤، ح، ٩.

وعن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الإيمان: إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرج به الغضب من الحق، وإن قدر لم يتعاط ما ليس له» (١٢٥).

(١٢٥) وسائل الشيعة ١١:

١٤٨، ب، ٤، ح، ٢٠.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال النبي ﷺ: ألا أخبركم بأشبهكم بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أحسنكم خلقاً، وأبكم كنفاً، وأبركم بقرابته، وأشدكم حباً لإخوانه في دينه، وأصبركم على الحق، وأكظمكم للغيب، وأحسنكم عفواً، وأشدكم من نفسه إنصافاً في الرضا والغضب» (١٢٦).

(١٢٦) وسائل الشيعة ١١:

١٤٨، ب، ٤، ح، ٢٨.

أ- الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية

ومن هنا نجد أن الصبر على الطاعة لله، والصبر عن معصيته تعالى يأتيان في مقدمة الأعمال الصالحة.

ففي الحديث الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل

الصبر، فيقال لهم: على ما (*) صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عز وجل: صدقوا، أدخلوهم الجنة. وهو قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٣٧).

ب - العفة

كما نجد في هذا المجال بعض الصفات التي تكون أفضل العبادات، مثل عفة البطن والفرج والعين.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج» (١٣٨).
وعنه عليه السلام: «كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله» (١٣٩).

ج - الحلم

وكذلك نجد صفة الحلم التي هي أن يعفو الإنسان ويغض النظر عن الآخرين عند الغضب مع القدرة على إمضائه، حيث لا يكون الرجل عابداً إلا إذا كان حليماً، وهو أفضل ناصر للإنسان في حركته الاجتماعية، وعلاقاته مع الناس.

فعن محمد بن عبد الله قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً، وإن الرجل كان إذا تعبد في بني اسرائيل لم يُعَدَّ عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين» (١٤٠).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه» (١٤١).
وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: ما أعز الله بجهل قط، ولا أذل بحلم قط» (١٤٢).

د - الرفق

وكذلك صفة الرفق، وهو التعامل باللين في مقابل العنف والشدة، حيث

(*) هكذا وردت في المصدر، والصواب «علام» لوجوب حذف ألف «ما» الاستفهامية عند وقوعها بعد حرف جر.
(١٣٧) وسائل الشيعة ١١: ٨٨٦، ب ١٩، ح ١، وفي هذا الباب أحاديث عديدة في هذا المعنى من المستحسن الاطلاع عليها.

(١٣٨) وسائل الشيعة ١١: ٨٩٧، ب ٢٢، ح ١.

(١٣٩) وسائل الشيعة ١١: ٢٠٠، ب ٢٢، ح ١.

(١٤٠) وسائل الشيعة ١١: ٢١٠، ب ٢٦، ح ١.

(١٤١) وسائل الشيعة ١١: ٢١٠، ب ٢٦، ح ٢.

(١٤٢) وسائل الشيعة ١١: ٢١١، ب ٢٦، ح ٧.

يكون له دور مهم في مختلف أبعاد حياة الإنسان.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: الرفق يمن، والخرق شؤم» (١٤٣).

(١٤٣) وسائل الشيعة ١١:

٢١٣، ب ٢٧، ح ١.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا تزع من شيء إلا شانه» (١٤٤).

(١٤٤) وسائل الشيعة ١١:

٢١٤، ب ٢٧، ح ٩.

وعن هشام بن أحمر، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لي وجرى بيني وبين رجل من القوم كلام فقال لي: «ارفق بهم، فإن كفر أحدهم في غضبه، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه» (١٤٥).

(١٤٥) وسائل الشيعة ١١:

٢١٤، ب ٢٧، ح ١٢.

هـ- التواضع

وكذلك التواضع الذي هو طريق الارتقاء والصعود إلى الدرجات العالية.

فعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه» (١٤٦).

(١٤٦) وسائل الشيعة ١١:

٢١٥، ب ٢٨، ح ١.

والتواضع كما ورد في الروايات هو «أن تعطي الناس ما تحب أن تُعطاه»، وهو أيضاً «درجات، منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه. إن رأى سينة درأها بالحسنة. كاطم الغيظ، عاف عن الناس والله يحب المحسنين»، وهو أيضاً «أن يرضى بالمجلس دون المجلس، وأن يسلم على من يلقي، وأن يترك المرء وإن كان محقاً، ولا تحب أن تحمد على التقوى» (١٤٧).

(١٤٧) تجد هذه النصوص

وغيرها في الجزء ١١ من وسائل الشيعة، أبواب جهاد النفس، الباب ٢٨ (استحباب التواضع).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب، وعليه خُلُقان الشياطين. فقال جعفر عليه السلام: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال: الحمد لله الذي نصر محمداً وأقر عينه. ألا أبشركم؟ فقلت: بلى أيها الملك، فقال: إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك، فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه محمداً ﷺ وأهلك عدوه، وأسر فلان وفلان وفلان. التقوا بواد يقال له بدر، كثير الأراك، لكانني أنظر إليه حيث كنت أرعى لسيدي هناك، وهو رجل من بني ضمرة. فقال له

جعفر: ايها الملك، فما لي اراك جالساً على التراب، وعليك هذه الخلقان؟ فقال له: يا جعفر، اننا نجد فيما انزل الله على عيسى عليه السلام أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله عز وجل لي نعمة بمحمد صلى الله عليه وآله أحدثت لله هذا التواضع، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة، فتصدقوا برحمتك الله، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو يزيد صاحبه عزاً فاعفوا يعزكم الله» (١٤٨).

(١٤٨) الكافي ٢: ١٢٦، ج ١.

وعن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم» (١٤٩).

(١٤٩) وسائل الشيعة ١١:

٢١٩، ج ٢، ٣٠، ١.

وعن محمد بن سنان رفعه قال: «قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين: لي إليكم حاجة اقضوها لي، فقالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا أحق بهذا منك، فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم. إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل» (١٥٠).

(١٥٠) وسائل الشيعة ١١:

٢١٩، ج ٢، ٣٠، ٢.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولى الأنصاري بعش مخيض بعسل، فلما وضعه على فيه نخاه ثم قال: شرابان يكتفي من أحدهما بصاحبه، لا أشربه ولا أحزمه، ولكن اتواضع لله، فإنه من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله» (١٥١).

(١٥١) وسائل الشيعة ١١:

٢١٩، ج ٢، ٣١، ١.

و- النية الحسنة والسريرة الصالحة

وكذلك إصلاح النية والسريرة في التعامل مع الآخرين، حيث يضع الله أمام عينه ويقيم العلاقة على أساس هذه الصلة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان

(١٥٢) نهج البلاغة، القسم الثاني، الرقم ٨٩.

عليه من الله حافظ» (١٥٢).

٢- ضبط العواطف والصفات الذميمة

وفي جانب آخر في هذا المجال نجد مجموعة من الاتجاهات والانفعالات النفسية والعاطفية المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية، يحرمها الشارع المقدس، ويحذر منها أشد التحذير بسبب ما يمكن أن تحدثه من تأثير سلبي على مسيرة الإنسان التكاملية الاجتماعية.

أ- حب الرئاسة

فمثلاً حب الرئاسة والإمارة لما كان يمثل اتجاهاً نفسياً يعبر عن الهوى والشهوات في عواطف الإنسان وأحاسيسه، حذر أهل البيت عليهم السلام منه، خصوصاً مع ملاحظة الواقع الفاسد الذي كان يعيشه الرؤساء في المجمع الاسلامي آنذاك.

وأصبحت الرئاسة في نظر بعض الفقهاء أمراً محرماً، مع عدم الوثوق بالعدل، واحتمال الانسياق مع آثارها الخطيرة في الظلم أو الكبر.

عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن عليه السلام أنه ذكر رجلاً فقال: إنه يحب الرئاسة، فقال: «ما نثبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤهما بأضر في دين المسلم من الرئاسة» (١٥٣).

(١٥٣) وسائل الشيعة ١١: ٢٧٩، ج ٥٠، ح ١.

وعن عبد الله بن مسكان قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: «ياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفت النعال خلف الرجل إلا هلك وأهلك» (١٥٤).

(١٥٤) وسائل الشيعة ١١: ٢٧٩، ج ٥٠، ح ٤.

وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المناهي قال: «ألا ومن تولي عرافة قوم أتى يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه، فإن قام فيهم بأمر الله أطلقه الله، وإن كان ظالماً هوى به في نار جهنم وبئس المصير» (١٥٥).

(١٥٥) وسائل الشيعة ١١: ٢٨٢، ج ٥٠، ح ١٤.

ب- الغضب

كما حذر الشارع المقدس وأهل البيت عليهم السلام من الغضب وآثاره في العلاقات

الاجتماعية وفي التكامل الذاتي، وبينوا بعض طرق العلاج لهذه الحالة النفسية والانفعال الخطير في حياة الإنسان مع الآخرين.

فإن «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل» و «الغضب مفتاح كل شر» و «إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرج غضبه من حق» و «من كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة» و «فأيا رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فإنه يذهب عنه رجز الشيطان، وأيا رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه، فإن الرحم إذا مست سكنت» (١٥٦).

(١٥٦) يراجع الوسائل ١١ :

٢٨٦، ٢٨٧، ب ٥٣، ح ١، ٢، ٣، ٤، ٦.

ومن الطرائف في هذا المجال ما رواه الكليني عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رجل للنبي ﷺ يا رسول الله، علمني. قال: اذهب ولا تغضب، فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً، ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله ﷺ: لا تغضب، فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه فقال: يا هؤلاء، ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه، فقال القوم: فما كان فهو لكم. نحن أولى بذلك منكم. قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب» (١٥٧).

(١٥٧) الكافي ٢: ٣٠٤، ح ١١.

ج - الحسد

كما حذر الشارع المقدس من الحسد، وهو أن يتصرف الإنسان مع الناس في المجتمع من موقع الرغبة في زوال النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم، أو تحولها منهم إليه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب» (١٥٨). وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل لموسى بن عمران عليه السلام: يا ابن عمران، لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمي، صاقل لقسامي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فليست منه وليس مني» (١٥٩).

(١٥٨) الكافي ٢: ٣٠٦، ح ٢.

(١٥٩) الكافي ٢: ٣٠٧، ح ٦.

كما أن الحسد غير الغبطة التي يشعر الإنسان فيها بالسرور والأنس لما تفضل الله به على بعض خلقه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط» (١٦٠).

(١٦٠) وسائل الشيعة ١١:

٢٩٣، ب ٥٥، ج ٧.

د - الحمية والعصبية

كما نهى الشارع في العلاقات الاجتماعية عن التأثر بالعصبية، والانسياق مع مشاعرها وعواطفها.

والعصبية التي يؤثم عليها صاحبها - كما ورد في تفسيرها عن علي بن الحسين عليه السلام - هي: «أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم» (١٦١).

ويبدو من هذا الحديث، ومن مفهوم العصبية نفسها أن العصبية هي التعصب والتحزب والولاء في العمل لغير الحق (١٦٢).

وهي تدخل في أحد أبعادها في موضوع العدل والإنصاف، الذي سوف يأتي الحديث عنه، ولكنها في الوقت نفسه تدخل في موضوع العواطف والمشاعر التي يحتاج الإنسان إلى ضبطها والسيطرة عليها.

وقد وردت أحاديث عديدة في تحريمها، مثل الحديث الصحيح الذي رواه الإمام الصادق عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ريق الإيمان من عنقه» (١٦٣).

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنَّ
مِمَّ بِهَا بَكْرٌ عَلَيْكُمْ وَإِنْ
عَسَيْتُمْ هَاتِرًا إِلَيْكُمْ

١٧٠ : ٧٤٤

عَلَاءُ الدُّنْيَا

(١٦٢) يؤيد ذلك ما نكره

الكليني في الكافي ٢: ٣٠٨،

ح ٥ عن علي بن الحسين عليه السلام

أنه قال: «لم يدخل الجنة حمية

غير حمية حمزة بن صمد

المطلب، وذلك حين أسلم

غضباً للنبي صلى الله عليه وآله في

حديث السلا الذي ألقى على

النبي صلى الله عليه وآله».

يراجع حديث السلا في الكافي

٤٤٩: ١، باب مولد

النبي صلى الله عليه وآله، ج ٣٠.

(١٦٣) الكافي ٢: ٣٠٨، ج ٢.



شبهة ورد

* الشيخ

محمد هادي معرفة

(١) صفات الجمال صفات ثبوتية توصف ذاته المقدسة بها وصف كمال وتحميد وتسمجيد، كالحياء والعلم والقدرة، وصفات الجلال صفات سلبية تجل ذاته المقدسة عن الاتصاف بها، وهي صفات تنزيه وتقديس، كنفي التركيب والجسمية والافتقار.

(٢) للرخن: ٢٩.

(٣) البروج: ١٦.

(٤) الروم: ٥٤.

(٥) راجع: صحيح البخاري،

باب القدر: ٨، ١٥٢.

(٦) المائدة: ٦٤.

(٧) الرعد: ٣٩.

(٨) فاطر: ١.

(٩) الكافي: ١، ١٤٦، ج ١.

(١٠) بحار الانوار: ٤، ١١٣.

ج ٣٥.

موضعه من صفات الجمال والجلال^(١)

وبعد فالبداء من صفاته تعالى امتداد عريض لصفات العلم والقدرة والتدبير، امتداداً فيما لا يزال، وأنه تعالى يتصرف في خلقه ما يشاء وفق حكمته في الإبداع والإيجاد ﴿كل يوم هو في شأن﴾^(٢)، ﴿فقال لما يريد﴾^(٣)، ﴿يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾^(٤).

وأيضاً هو دحض صريح لشبهة يهودية زعمت أن يد الله مغلولة، وأنه جفّ القلم بما رقم^(٥) ﴿غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾^(٦)، ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾^(٧)، ﴿يزيد في الخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير﴾^(٨).

الامر الذي اوجب تفخيم شأن البداء في صفات جلاله تعالى وجماله، وتنزيه ساحة قدسه عما يقول الظالمون.

ففي الحديث عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بإسناد صحيح قال: «ما عظم الله بمثل البداء» أو «ما عبد الله بشيء مثل البداء»^(٩).

وروى الشيخ بإسناداه إلى هشام بن سالم عن الامام ابي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة...﴾ قال: «كانوا يقولون: قد فرغ من الأمر»^(١٠).

وأما احاديث جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فلا مقدور بعد سبق

(١١) اوردها اصحاب

الصحاح الست بألفاظ

وتعابير مختلفة، كلها تنم عن

سلطان القدر على تصرفات

الإنسان، فلا تتغير عما سجله

قلم التقدير في الأزل؛ فهذا

الامام احمد اورده في مسنده

تارة بلفظ «رقت الاقلام

وجفت الصحف» (١: ٢٩٣)،

واخرى بلفظ «رقت الاقلام

وجفت الكتب» (١: ٣٠٣).

وثالثة بلفظ «قد جفّ القلم بما

هو كائن» (١: ٣٠٧) وكلها عن

ابن عباس، ورابعة: «جف

القلم على علم الله»، وخامسة:

«جف القلم بما هو كائن» (٢: ٢).

١٧٦ و ١٩٧) وكلاهما عن عبد

الله بن عمرو، وهكذا الترمذي

وابن ماجة والنسائي

وغيرهم.

(١٢) راجع: البخاري ٧: ٥،

كتاب النكاح، الباب ٨، و ٨:

١٥٢، كتاب القدر الباب ٢.

(١٣) إذا كان القدر سراً

غامضاً لا يعلمه نبي مرسل

ولا ملك مقرب فكيف يا ترى

يمكن الاعتقاد به، والعقيدة

جزم وعزيمة! نعم إنما كان

لا يعلمه أحد، لأنه لا واقع له،

بل لا يعلمه الله أيضاً ﴿قل

أتنبئون الله بما لا يعلم في

السموات ولا في الأرض﴾

(يونس: ١٨).

يقول الاستاذ احمد امين عند

كلامه عن المعتزلة: «وعلى كل

تقدير، فهي من مزاعم القدريّة، الناشئة من عقيدة الجبر في الحياة، اوردها اصحاب الحديث ضمن روايات القدر» (١١).

روى البخاري بإسناده إلى ابي هريرة أنه سأل النبي ﷺ عما يلاقيه من

العنت في امر الزواج ولا يجد ما يتزوج به، فليرخّص له في الاستخفاء،

فسكت عنه ثلاث مرات، وفي المرة الرابعة قال له النبي ﷺ: «يا ابا هريرة جفّ

القلم بما أنت لاقٍ، فاخصّص على ذلك أو ذر».

اورده البخاري في كتاب النكاح، وفي كتاب القدر في باب جفّ القلم على

علم الله.

وروى عن عمران بن حصين قال: «قال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول

الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل

يعمل لما خلق له، أو «لما يُسّر له» (١٢).

قال ابن حجر العسقلاني في الشرح: «معنى جفّ القلم: فرغت الكتابة،

اشارة إلى أن الذي كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير حكمه، فهو كناية عن الفراغ

من الكتابة؛ لأن الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها وكذلك القلم، فإذا

انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم... وفيه اشارة إلى أن كتابة ذلك انقضت من

امد بعيد».

وقال في مفتاح الباب نقلاً عن السمعاني: «القدر سر من أسرار الله تعالى

اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق

ومعارفهم، فلم يعلم نبي مرسل ولا ملك مقرب» (١٣).

ثم قال: «واخرج مسلم من طريق طاووس: أدركت ناساً من اصحاب

رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال

رسول الله: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» (١٤).

قال ابن حجر: «ومعناه أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم

الله ومشيئته». قال: «وهذا الذي ذكره طاووس ... مطابق لقوله تعالى: ﴿إنا كل

شيء خلقناه بقدر﴾ (١٥)؛ فإن هذه الآية نصّ في أن الله خالق كل شيء ومقدّره،

وهو أدلّ من قوله تعالى: ﴿خالق كل شيء﴾ (١٦)، وقوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما

حاصل كان مسلك المعتزلة مسلماً لا بد منه؛ لأنه أشبه برّد فعل لحالة بعض العقائد في زمنهم؛ لقد قرروا سلطان العقل وبالفوا فيه امام من لا يقر للعقل سلطان، بل يقول نطق عند النص.. وقال المعتزلة بحرية الارادة وغلوا فيها أمام قوم سلبوا الانسان ارادته، حتى جعلوه كالريشة في مهب الريح أو كالخشبة في يدي اليم.. وفي رأي أنه لو سادت تعاليم المعتزلة إلى اليوم، لكان للمسلمين موقف آخر في التاريخ غير موقفهم الحالي، وقد اعجزهم التسليم وشلّهم الجبر وقعد بهم التواكل (ظهر الاسلام ٣٠٧٠).

(١٤) للكبس - يفتح الكاف - ضد الخبز. قال ابن حجر: «ومعناه الحذق في الامور» ويتناول امور الدنيا والآخرة.

(١٥) القمر: ٤٩.

(١٦) الرعد: ١٦.

(١٧) الصافات: ٩٦.

(١٨) الحجر: ٢١.

(١٩) هو عبد الله بن عمرو بن العاص. أسلم قبل أبيه، وكان اسمه العاص فغير رسول

لله ﷺ اسمه إلى عبد الله، وكان مفسراً للقرآن ويراجع أهل الكتاب، وهو أول من اعتمد الاسرائيليات في

التفسير وفي الحديث عن الخليفة، مما ذكرناه في

تعملون» (١٧). واشتهر على السنة السلف والخلف أن هذه الآية نزلت في القدرية، وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة: جاء مشركو قريش يخاصمون النبي في القدر فنزلت.

قال: «ومذهب السلف قاطبة أن الامور كلها بتقدير الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾» (١٨).

وقال في باب جف القلم على علم الله: «هذا لفظ حديث أخرجه أحمد، وصححه ابن حبان من طريق عبد الله بن الديلمي عن عبد الله بن عمرو (١٩). سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى، ومن أخطاه ضل؛ فلذلك أقول: جف القلم على علم الله، أو جف القلم بما هو كائن».

وقال: «إن عبد الله بن طاهر امير خراسان للمأمون سأل الحسين بن الفضل (٢٠) عن قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾» (٢١) مع هذا الحديث، فأجاب: هي شؤون يُبديها، لا شؤون يبتديها (٢٢) فقام اليه وقبل رأسه» (٢٣).

وهذا الذي ذكره الحسين بن الفضل تأويل ظاهري لمسألة البداء على ما هو معروف، وقد سبق عن ابن حجر في شرح حديث الاقارع والابرص والاعمى.

وخلاصته: أن كونه تعالى كل يوم في شأن، إنما هو في ظاهر الأمر، حيث مظاهر الكون في تغيير وتحول مستمر، وكل شيء هو في خلق جديد؛ أما الواقع فكل ما بالوجود مقدّر في الازل معلوم حدوثه في ظرفه الخاص، علماً تعلق به في الازل القديم؛ فكل جديد إنما هو جديد في ظاهره، لكنه قديم في علم الله وتقديره (٢٤).

غير أن هذا التأويل لا يلتزم مع العقيدة بديمومة تدبيره تعالى، وأنه تعالى رب العالمين ربوبية بالفعل، ومستمرة مع استمرار الوجود، إنه تعالى خالق كل شيء ولا مؤثر في الوجود إلا الله، ولا يزال في ابداع وخلق ويجاد فياضاً على الاطلاق.

وقال الامام الرازي عند تفسير آية المحو والإثبات: «فإن قال قائل: أستم

موضعه مات سنة ٦٥ وهو

ابن ٧٢. (الاصابة ٢: ٣٥٢).

(٢٠) الحسين بن الفضل

البجلي الكوفي العلامة المفسر

أبو علي نزيل نيسابور. قال

ابن حجر: «كان من كبار أهل

العلم والفضل. قال الحاكم:

كان امام عصره في معاني

القرآن، وانزله عبد الله بن

طاهر في الدار التي ابتاعها له

سنة ٢١٧، فبقي فيها يعلم

الناس العلم ٦٥ سنة، ومات

وله ١٠٤ سنين» (لسان

الميزان ٢: ٣٠٨).

(٢١) الرحمن: ٢٩.

(٢٢) أي كل يوم يبدي ما

سبق في علمه، لا أنه تعالى

يستأنف خلقاً جديداً لم يكن

في سابق علمه.

(٢٣) فتح الباري بشرح

البخاري لابن حجر. راجع:

١١: ٤١٦ - ٤٣٠ - ٤٣١، ٩؛

١٠٣ وهذه القصة حكاهما

الزمخشري في تفسير

الكشاف ٤: ٤٤٨، في ذيل الآية

٢٩ من سورة الرحمن.

(٢٤) وللمولى صدر الدين

الشيرازي تأويل لحديث جف

القلم يشبه تأويل ابن الفضل،

سوى أنه يجعل الحديث ناظراً

إلى واقع الأمر، حيث كان

مسرح الوجود بأسره منخلعاً

عن الزمان والمكان، وكل

شيء هو ثابت العين في

حقيقته الواقعية لا تجدد فيه

ولا تغير، وإنما هذا التحول

تزعمون أن المقادير سابقة قد جفَّ بها القلم وليس الامر بأنف، فكيف يستقيم

مع هذا المعنى المحو والاثبات؟!

قلنا: ذلك المحو والاثبات أيضاً مما جفَّ به القلم، فلا يمحو إلا ما سبق في

علمه وقضائه محوه» (٢٥).

وهذا أيضاً ناظر إلى ما ذكره ابن الفضل من التأويل.

ومن الغريب أنه نسب إلى الشيعة - وسماههم الرافضة - القول بالبداة بمعناه

الباطل، وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الامر بخلاف ما اعتقده (٢٦).

غير أن هذا تفسير من عنده وافتراء على الشيعة ما لم يقولوه؛ لأنهم في

عقيدة البداء تمسكوا بأية المحو والاثبات - على ما صرح به الرازي نفسه - فإذا

كانت الآية ذات تأويل معقول ومعروف لدى عامة المسلمين، فياترى كيف

يظنُّ هذا الامام بالشيعة لا غير أنهم يفسرونها على غير وجهها المعروف؟!

قال تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم﴾ (٢٧).

وهذا التأويل الذي تبنَّاه الامام الرازي واسلافه واخلافه لآية المحو

والاثبات، محاولاً أن يلائم بينها وبين حديث جفَّ القلم بما رقم، إنما ينسجم

مع عقيدة الجبر في التقدير، فما قدر في الأزل لا يتغير مع الأبد.

وهذا بعينه نفس قوله اليهود: يد الله مغلولة، وأنَّ الله قد فرغ من الامر، فلا

نسخ في شريعة ولا بداء في خليفة؛ فلا محو لما اثبتته التقدير، ولا اثبات لما لم

يثبته قلم التدبير في الأزل؛ فقد جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

ومن الغريب أنه حاول تبرير قوله اليهود تلك أو إنكارها رأساً. قال: «في

هذا الموضع إشكال، وهو أن الله تعالى حكى عن اليهود أنهم قالوا ذلك، ولا شك

أن الله صادق في كل ما أخبر، ونرى اليهود مطبقين متفقين على أننا لا نقول ذلك

ولا نعتقده البتة.

وأيضاً المذهب الذي يحكى عن العقلاء لابد أن يكون معلوم البطلان

بضرورة العقل، والقول بأنَّ يد الله مغلولة قول باطل ببديهية العقل... وإلا فكيف

يمكنه - مع القدرة الناقصة - حفظ العالم وتديره؟

اذن حصل الإشكال الشديد في تصحيح هذا النقل والحكاية.

والتغيير بالنسبة إلى إدراكاتنا الضيقة النطاق المحدودة بحدود الزمان والمكان؛ وإلا فالجميع مطويات يمينه تعالى وتقدس. راجع تفسيره ٦: ٣٣، الآية ٤ من سورة السجدة وربما يأتي الكلام عنه.

(٢٥) التفسير الكبير ١٩: ٦٥ -

٦٦

(٢٦) المصدر السابق: ٦٦.

(٢٧) الحجرات: ١٢.

(٢٨) أنكر العلامة الطباطبائي

صحة نسبة هذا المذهب إلى الفلاسفة، وأنهم يتبرأون من ذلك.

(٢٩) التفسير الكبير ١٢: ٤٠ -

٤١

(٣٠) الاسراء: ٢٩.

ثم أخذ في حل الاشكال من وجوه:

الاول: لعل القوم إنما قالوها على سبيل الجدل والالزام.

الثاني: يمكن صدورها على وجه السخرية والاستهزاء، لما رأوا من الفقر المدقع في جماعة المسلمين آنذاك.

الثالث: أنهم كانوا قبل البعثة الكريمة في رفاه وثروة، ثم لما ضاقت عليهم الارض بما رحبت قالوا هذه الكلمة بمعنى أنه تعالى بخل في عطائه بالنسبة اليهم.

الرابع: أنها قولة صدرت على مذاهب أهل الفلسفة القائلة بأنه تعالى موجب لذاته، فلا يصدر منه شيء إلا على نهج واحد، فلا يقدر تعالى على تغييره، فعبروا عن عدم الاقتدار بغل اليديين (٢٨).

الخامس: أن المراد كفه تعالى عن تعذيبهم في الآخرة إلا بقدر ما عبدوا العجل» (٢٩).

قلت: كل هذا تكلف وتأويل بعيدان عن مساق الآية الكريمة.

إنَّ غل اليد وإن كان تصح الكناية به عن البخل أو الفقر المدقع، كما أن بسطها يكون حينئذ كناية عن السخاء في الإنفاق على ما ورد في قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ (٣٠)، فإنه لا دليل في ذلك على الانحصار؛ فإن استخدام هذين التعبيرين شائع أيضاً في معنى العجز والاقتدار، بل لعله الاصل في ارادة البخل والسخاء، كان البخل قيد يديه فأعجز نفسه، أما السخي فمطلق اليديين ينفق كيف يشاء.

وفي الآية ٦٤ من المائدة شهادة بينة على ارادة قيد العجز ضد الاقتدار؛ بدليل الدعاء عليهم: ﴿غلَّتْ ايديهم﴾؛ إذ ليس المراد أن يبخلوا، بل أن يُسلَبوا القدرة على أي شيء.

قال الراغب: «وقالت اليهود يد الله مغلولة» ذمَّوه بالبخل. وقيل: إنهم لما سمعوا أن الله قد قضى كلَّ شيء قالوا: إذن يد الله مغلولة أي في حكم المقيد؛ لكونها فارغة».

وقال علي بن ابراهيم في تفسير هذه الآية: «قالوا: قد فرغ الله من الامر، لا

(٣١) البحار ٤: ٨٨، ح ٦.

ويراجع تفسير القمي ١: ١٧١،
وهكذا روى العياشي عن
حماد عن الصادق عليه السلام
(البحار ٤: ١١٧، ح ٤٩).

(٣٢) المصدر السابق: ١١٣،
ح ٣٥، ويراجع الامالي للشيخ
الطوسي ٢: ٦٧٣، ح ١٨.

(٣٣) من أصحاب الرضا عليه السلام
وقد أدرك الجواد
والهادي عليه السلام كان من أجلاء
علماء خراسان ومتكلمهم
وكان ذا منزلة عند
الأئمة عليهم السلام وكانت له
مكاتبات إليهم واسطة في
شئني المسائل في اصول
المعارف ويظهر من الصدوق
توثيقه. راجع المامقاني ٢:
٥٦، الرقم ٥١٩٢.

(٣٤) البحار ٤: ٨٦، ح ٩٦، نقلاً
عن عيون اخبار الرضا
للصدوق ١: ١٤٥، الباب ١٢،
ح ١.

(٣٥) قرب الاسناد: ١٥٦.

(٣٦) الرعد: ٢٨.

(٣٧) الطلاق: ٣.

(٣٨) طه: ١٢٤.

(٣٩) الانعام: ١٢٥.

يحدث الله غير ما قدره في التقدير الاول، فرد الله عليهم، وأنه تعالى يقدم
ويؤخر ويزيد وينقص وله البدء والمشيئة» (٣١).

وروى الشيخ في اماليه بإسناده المتصل إلى هشام بن سالم عن ابي عبد
الله الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ أنه قال: «كانوا
يقولون: قد فرغ من الامر» (٣٢).

وقال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام لسليمان بن حفص المروزي متكلم
خراسان (٣٣) عندما رأى منه استعظام امر البدء: «أحسبك ضاهيت اليهود في هذا
الباب؟ قال: أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود: ﴿يد الله
مغلولة﴾ يعنون أن الله قد فرغ من الامر فليس يحدث شيئاً» (٣٤).

فبسط اليد هنا كناية عن اقتداره تعالى على الخلق والابداع فيما لا يزال،
وأنه رب العالمين، يدبر الأمر تدبيراً متواصلاً كيف يشاء، وفق المصالح
والمقتضيات، وهو العليم القدير.

هذا، وقد ورد حديث جف القلم في أحاديثنا أيضاً، ولكن بمعنى غير ما ورد
في احاديث القوم.

روى الحميري عن البزنطي فيما رواه عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام
قال: «سمعت يقول: جف القلم بحقيقة الكتاب من الله بالسعادة لمن آمن واتقى، والشقاء
لمن كذب وعصى» (٣٥).

السعادة هنا هي طيب المعيشة وطمأنينة القلب في تمتع الحياة؛ فإن المؤمن
يعيش رحب الصدر فارغ البال في مزاولة الحياة، لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله إلا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (٣٦).

وهذا بفضل ايمانهم وتوكلهم على الله ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله
بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ (٣٧).

أما الذي لا يؤمن بالله العظيم ولا يرى لعظيم قدرته أثراً في الخلق والتدبير،
فإنه يعيش قلق البال مشوش خاطر وفي ضنك من العيش وخرج شديد؛ حيث
لا يأمن أهوال الحياة وصددمات المسير: ﴿ومن أعرض عن نكري فإن له معيشة
ضنكاً﴾ (٣٨)، ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ (٣٩).

ولعل بهذا المعنى أيضاً ما رواه الصدوق بإسناده إلى الحسن البصري عن عبد الله بن عمر رفعه إلى النبي ﷺ قال: «سبق العلم وجفّ القلم وتم القضاء بتحقيق الكتاب وتصديق الرسالة، والسعادة من الله، والشقاء من الله عز وجل» (٤٠).

(٤٠) التوحيد: ٣٤٠، ح ٨٠.

والبحار: ٥، ٤٨، ح ٧٩.

دلائل وآيات

دلائل ثبوت البداء في التكوين:

قال الشيخ أبو عبد الله المفيد رحمه الله: «أقول في البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الإفقار بعد الإغناء، والإمراض بعد الإعفاء، والإماتة بعد الإحياء، وما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة في الآجال والأرزاق والنقصان منها بالأعمال.

فأما إطلاق لفظ البداء، فإنما صرت إليه بالسمع الوارد عن الوسائط بين العباد وبين الله عز وجل.

ولو لم يرد به سمع أعلم صحته ما استجزت إطلاقه، كما أنه لو لم يرد عليّ سمع بأن الله تعالى يغضب ويرضى ويحب ويعجب، لما أطلقت ذلك عليه سبحانه، ولكنه لما جاء السمع به صرت إليه، على المعاني التي لا تأبأها العقول».

قال: «ولس بيني وبين كافة المسلمين في هذا الباب خلاف، وإنما خالف من خالفهم في اللفظ دون ما سواه».

قال: «وهذا مذهب الامامية بأسرها، وكل من فارقها في المذهب ينكره على ما وصفت من الاسم دون المعنى» (٤١).

(٤١) أوائل المقالات: ٥٣ - ٥٤.

ثم إنه رحمه الله بين معنى البداء وفسره تفسيراً يتوافق مع ضوابط الأصول، في شرحه على رسالة اعتقادات الصدوق رحمه الله واستوفى الكلام فيه (٤٢) مستنداً إلى دلائل الكتاب والسنة الشريفة، نستخلصه فيما يلي:

(٤٢) راجع: تصحيح الاعتقاد.

٢٤ - ٢٦.

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴿(٤٣)﴾. هذه أصرح آية بشأن التغيير في التقدير، حسبما يشاء الله وفق حكمته في الخلق والإبداع، وأنه تعالى لم يكن قيد تقديره الأول في الأزل الذي كان على

(٤٣) الرعد: ٣٨ - ٣٩.

سنن جري الامور في مجاريها الذاتية الأولى، (سنن العلل والمعاليل في مجاري طبيعة الوجود)؛ فإذا ما تجددت مصالح ومقتضيات، على خلاف مجرى الطبيعة الأولى، فعند ذلك يتجدد التقدير ويتغير القضاء الإلهي بما يتوافق مع مصالح الوقت.

فالآجال مقدرة في الأزل، وكل أجل له تقدير قديم، لكن الله قد يحو ما اثبتته قلم التقدير الأول، ويثبت ما لم يقدره في الأزل وفق ما تقتضيه حكمته في الخلق والتدبير، وكل هذه التغييرات والتحويلات كانت معلومة لديه تعالى في كتاب مكنون وعلم مخزون (اللوح المحفوظ) لا يعلمه غير الله.

روى الصدوق بإسناده إلى هشام بن سالم وحفص بن البختري وغيرهما جميعاً عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في هذه الآية، قال: «وهل يحو الله إلماً كان، وهل يثبت إلماً لم يكن؟» (٤٤).

(٤٤) رسالة التوحيد: ٣٣٣.

ج ٤، والبحار ٤: ١٠٨، ج ٢٢.

ولعلك تتساءل: فيم يكون التغيير بعد إحاطة علمه تعالى أزلياً في الخلق والتدبير؟

لكن نبهنا أن الأمور مقدرة في الأزل حسب مجاري طبائعها الأولية، وحسب تسلسل عللها ومعاليها المترتبة تسلسلاً طبيعياً حسب سنته تعالى في خلق الأشياء، ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (٤٥).

(٤٥) القمر: ٤٩.

غير أن من الاشياء ما يكون تقديره محتوماً، ومنها ما يكون موقوفاً؛ فالحتمي يقع في موقعه، جرياً مع تسلسل مجراه لا يدافعه شيء ولا يعترض طريقه شيء، هكذا علمه الله في الأزل، فيجري وفق علمه تعالى بلا مانع ولا رادع.

أما الموقوف فهو المشروط بما إذا لم يعترض طريقه شيء يخالف مجراه الذاتي الأولي؛ فإذا عارضه تغير مجراه عما كان يقتضيه ظاهر الامر، إذ قد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾.

روى البرقي بإسناده إلى فضيل بن يسار قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من الامور امور موقوفة عند الله، يقدم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء ويثبت

منها ما يشاء» (٤٦).

وسوف نتعرض لبيان الأجلين المحتوم والموقوف، عند الكلام عن قوله تعالى: ﴿ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده﴾ (٤٧).

وقد ورد في رواياتنا الإسلامية أن هذا التحول والتغيير في المشيئة والتدبير، إنما يحصل كل سنة في ليلة القدر من شهر رمضان، فيمحي ما يمحي ويثبت ما يثبت حسبما تقتضيه المصالح الجارية في تلك السنة، فكانت ليلة تقدير لمقدرات ذلك العام.

قال تعالى بشأن ليلة القدر: ﴿فيها يُفَرَّقُ كلُّ أمر حكيم﴾ (٤٨).

قال ابن جزّي الكلبي (ت ٧٤١): «معنى يُفَرَّقُ يُفصل ويُخلص. والأمر الحكيم أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم في ذلك العام، نسخ من اللوح المحفوظ ليمتثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة» (٤٩). والفعل المضارع هنا (يفرق) يدلنا على استمرار الفرق عبر السنين والاعوام، استدامة مع تدبيره تعالى وتقديره فيما لا يزال.

قال الطبرسي: «أي في هذه الليلة يفصل ويبين، والمعنى: يقضى كل أمر محكم لا تلحقه الزيادة والنقصان، وهو أنه يقسم فيها الآجال والأرزاق وغيرها من أمور السنة إلى مثلها من العام القابل. عن ابن عباس والحسن وقتادة» (٥٠). قال علي بن إبراهيم: «ومعنى ليلة القدر أن الله يقدر فيها الآجال والأرزاق وكل أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جدد أو خير أو شر، كما قال تعالى: ﴿فيها يُفَرَّقُ كلُّ أمر حكيم﴾ إلى سنة» (٥١).

قال: «وحدثني أبي عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتب إلى سماء الدنيا، فيكتبون ما يكون من قضاء الله تبارك وتعالى في تلك السنة، فإذا أراد الله أن يقدم أو يؤخر أو ينقص شيئاً أو يزيده (أي عما أثبت في التقدير القديم) أمر الملك أن يمحو ما يشاء، ثم أثبت الذي أراد. قلت: وكل شيء عنده بمقدار مثبت في كتابه؟ قال: نعم. قلت: فأَيُّ شيء يكون بعده؟ قال: سبحانه الله! ثم يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك وتعالى» (٥٢).

(٤٦) بحار الأنوار ٤: ١١٣.

ح ٣٧، عن كتاب المعاسن.

(٤٧) راجع: البحار ٤: ١١٦ -

١١٧، ح ٤٤ فما بعده.

(٤٨) النخاع: ٤.

(٤٩) التسهيل لمعوم التنزيل
٤: ٣٤.

(٥٠) مجمع البيان ٩: ٦١.

(٥١) تفسير القمي ٢: ٤٣١.

(٥٢) المصدر السابق: ١: ٣٦٦ -

٣٦٧، والبحار ٤: ٩٩ - ١٠٠.

(٥٣) ستوافيك الإشارة إلى بعضها.

والأحاديث بشأن ليلة القدر وأن فيها يفرق كل امر حكيم كثيرة مستفيضة، دونتها كتب الحديث والتفسير عند أهل السنة والشيعة جميعاً^(٥٣)، تدلنا على أن الأمور المقدرة في الازل يتجدد تقديرها في كل ليلة قدر من كل سنة فيما يمس جانب شؤون ذلك العام، فقد يمحي ما كان ثابتاً ويثبت ما لم يكن ثابتاً، غير أن الذي يقدر فيها يكون حتماً ذلك العام، ومن ثم قال: ﴿فيها يفرق كل امر حكيم﴾ أي محكم محتوم القضاء.

قال أبو جعفر الطبري: «وعنى بقوله: ﴿فيها يُفرق كل أمر حكيم﴾ في هذه الليلة المباركة يقضى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى، ووضع حكيم موضع محكم، كما قال: ﴿الم * تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ يعني المحكم»^(٥٤).

(٥٤) جامع البيان ٣٥: ٦٥.

وأخرج عن طريق ربيعة بن كلثوم قال: «كنت عند الحسن فقال له رجل: يا أبا سعيد، ليلة القدر في كل رمضان هي؟ قال: إي والله، إنها لفي كل رمضان، وإنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كل أجل وخلق ورزق إلى مثلها».

(٥٥) للمصدر السابق: ٦٤ -

٦٥

وعن أبي عبد الرحمن، قال: «يدبر أمر السنة في ليلة القدر»^(٥٥).
وأخرج عن طريق عبيد قال: «سمعت الضحاک يقول في قوله تعالى: ﴿لكل أجل كتاب﴾ الآية يقول: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ يقول: أنسخ ما شئت وأصنع من الأفعال ما شئت، إن شئت زدتها فيها وإن شئت نقصتها»^(٥٦).

(٥٦) المصدر السابق ١٣:

١١٣

وعن الأعمش عن شقيق أنه كان يقول: «اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب».

وعن أبي حكيمة قال: «سمعت أبا عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو يطوف بالكعبة: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت علي الذنب والشقوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب».

وهكذا روى بإسناده إلى أبي وائل أنه كان كثيراً ما يدعو بهذه الكلمات.

(٥٧) المصدر السابق: ١١٢ -

١١٣

وعن طريق أبي قلابة عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: «اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاء فامحني وأثبتني في أهل السعادة» (٥٧).

وروى العياشي بإسناده إلى حمزان بن اعيان قال: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ فقال: هما أجلان، أجل موقوف يصنع الله ما يشاء، وأجل محتوم».

ومن الأدعية المأثورة عن الأئمة الصادقين الواردة قراءتها في ليالي القدر: «اللهم اجعل فيما تقضي وتقدر من الامر المحتوم وفيما تفرق من الامر الحكيم في ليلة القدر وفي القضاء الذي لا يرد ولا يبدل أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام... واجعل فيما تقضي وتقدر أن تطيل عمري وتوسع علي في رزقي».

وأيضاً: «وإن كنت من الاشقياء فامحني واكتبني من السعداء، فانك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾».

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ (٥٨).

(٥٨) الانعام: ٢.

هي أيضاً صريحة في أن هناك اجلين، أجلاً مقضياً حسب مجاري طبائع الأشياء واستعداداتها الذاتية في استمرار الوجود، فيقع موقعه إن لم يعترض طريقه ما يدفعه أو يمنعه عن البلوغ إلى نهاية المطاف، أو يوجب استدامته أكثر مما اقتضته ذاته، الامر الذي يكون طارئاً في مسيرة الحياة.

قال الامام الرازي بعد أن ذكر وجوهاً خمسة في تفسير الآية: «والسادس هو قول حكماء الاسلام أن لكل إنسان أجلين، أحدهما: الآجال الطبيعية. والثاني: الآجال الاخترامية».

أما الآجال الطبيعية، فهي التي لو بقي ذلك المزاج (الاستعداد الذاتي) مصنواً من العوارض الخارجية، لانتهدت مدة بقائه إلى الوقت المحدد له، وأما الآجال الاخترامية فهي التي تحصل بسبب من الأسباب الخارجية، كالغرق والحرق وغيرهما من الامور الطارئة.

وقوله: ﴿مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أي معلوم عنده أو مذكور اسمه في اللوح المحفوظ» (٥٩).

(٥٩) التفسير الكبير ١٢: ١٥٣

- ١٥٤ -

وروى العياشي بإسناده إلى حصين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الأجل الاول

هو ما نبذه إلى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمى عنده هو الذي ستره الله عن الخلائق» (٦٠).

(٦٠) بحار الانوار ٤: ١١٧،

ج ٤٧.

والنبد إلى الملائكة كناية عن الآجال الطبيعية الموقوفة على كمال الاستعدادات الذاتية فلا يعترضها شيء، ومن ثم جاء التعبير عنها في سائر الروايات بالآجال الموقوفة أي المشتربة بعدم الطوارئ.

فقد روى مسعدة بن صدقة عنه عليه السلام قال: «الأجل الذي غير مسمى موقوف، يقدم منه ما شاء ويؤخر منه ما شاء، وأما الاجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل، فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾» (٦١).

(٦١) المصدر السابق: ١١٦،

ج ٤٤.

وعن حمزان بن أعتين عنه عليه السلام: «هما أجلان: أجل موقوف يصنع الله ما يشاء، وأجل محتوم».

وفي رواية أخرى عنه: «وأما الاجل المسمى فهو الذي سُمِّي في ليلة القدر» (٦٢). قال المفيد عليه السلام: «فتبين أن الآجال على ضربين: ضرب منها مشترط يصح فيه الزيادة والنقصان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾» (٦٣).

(٦٢) المصدر السابق، ج ٤٦.

(٦٣) فاطر: ١١.

ذكر الطبرسي عن بعضهم: «هو ما يعلمه الله تعالى أن فلاناً لو اطاع لبقى إلى وقت كذا، وإذا عصى نقص عمره فلا يبقى؛ فالنقصان [يكون بشرط] وذلك مثبت في الكتاب وهو الكتاب المحفوظ» (٦٤).

(٦٤) مجمع البيان ٨: ١٠٣ -

٤٠٤.

قال علي بن إبراهيم: «وهو ردّ على من ينكر البداء» (٦٥). وذلك لأن الآية الكريمة تدل على أن هناك آجالاً محدودة (حسب الاستعدادات الذاتية)، وهي المقدرّة أزلياً في طبيعية الأشياء، لكنها مع الوصف قابلة للزيادة والنقصان حسب الطوارئ المعترضة؛ فلولا أن هناك حداً محدوداً، لما صدقت الزيادة والنقصان.

(٦٥) البحار ٤: ١٠٦، ج ١١.

قال الزمخشري: «وفي الآية تأويل آخر - غير الذي ذكره أولاً من التسامح في التعبير - هو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب، وصورته أن يكتب في اللوح: إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره

ستون سنة؛ فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عُمر، وإذا افرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون، فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون».

قال: «وإليه أشار رسول الله ﷺ في قوله: إن الصدقة و الصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار» (٦٦).

وعن كعب حين طعن عمر: «لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله، فقليل له: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾؟! قال: فقد قال الله تعالى: ﴿وما يُعمر من مُعمر...﴾» (٦٧).

قال الزمخشري: «والكتاب: اللوح، ويجوز أن يراد بكتاب الله علم الله تعالى» (٦٨).

وروى ثقة الاسلام الكليني بإسناده إلى الامام ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم، حتى إن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم، فينقصه الله عز وجل ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين».

قال المولى الفيض الكاشاني: «والأحاديث بهذا الشأن كثيرة جداً». وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إشارة إلى الحفظ والزيادة والنقص (٦٩).

وروى الحميري بإسناده عن البرنطي عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام وذكر صلة الرحم قال: «قال ابو عبد الله عليه السلام: إن الرجل ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاث سنين، فيزيد الله تبارك وتعالى في عمره ثلاثين سنة: إن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فيجعله الله له ثلاث سنين: إن الله يفعل ما يشاء» (٧٠).

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٧١). إنها فطرية حاجة الذات التي تنبعث من طبيعة الاشياء، لافتقارها الذاتي إلى الغني على الاطلاق.

إنها حاجة الممكنات بأسرها إلى الواجب بالذات ليفيض عليها الوجود في

(٦٦) أخرجه احمد من طريق القاسم عن عائشة، والبيهقي في شعب الايمان. (ابن حجر في هامش الكشف).

(٦٧) أخرجه اسحاق في آخر مسنده عن ابن عباس.

(٦٨) تفسير الكشاف ٣: ٦٠٤.

(٦٩) المصافي في التفسير ٢: ٣٩٤.

(٧٠) قرب الإسناد: ١٥٦.

(٧١) الرحمن: ٢٩.

حدوثها عند بدء الوجود، وفي استمرارها في مزاوله الوجود.

إنه تعالى كما أفاض الوجود على الخلائق فكانوا موجودين، كذلك يفرض عليهم الوجود ليواصلوا المسيرة في ركب البقاء؛ وكل موجود إنما يستمد منه تعالى ليدوم له بركة الوجود في كل لحظة من لحظات وجوده، وهي لحظات متلاحقة متواصلة؛ كل لحظة هو في شأن، وكل آن هو في حال.

إنها شؤون واحوال طارئة في حياة كل موجود عبر البقاء، ومن ثم كان تعالى إنما يواصل افاضاته المتجددة حسب تجدد تلك الشؤون والاحوال، تجدداً ملحوظاً في جانب القابل لا الفاعل، أي في جانب تعلقات فيضه المستمر المتواصل على الموجودات.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله الذي لا يموت ولا تنقضي عجائبه، لأنه كل يوم في شأن، من إحداهد بديع لم يكن...» (٧٢).

قال علي بن ابراهيم في تفسير الآية: «يحيى ويميت ويرزق ويزيد وينقص» (٧٣).

قال الطبرسي: «يسأله من في السموات والارض» اي لا يستغني عنه أهل السموات والارض... «كل يوم هو في شأن»... عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ: «أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين...» وقال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً» (٧٤).

وقال المولى الفيض الكاشاني: «قيل: هو رد لقول اليهود ذلك، أو قولهم: إنه قد فرغ من الامر» (٧٥).

وروي أن عبد الله بن طاهر (أمير خراسان) دعا الحسين بن الفضل (العلامة المفسر نزيل نيسابور) وقال له: «أشكلك علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي: قوله تعالى: ﴿فأصبح من النادمين﴾ - في قصة ابني آدم - وقد صح أن الندم توبة، وقوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ - وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ - فما بال الأضعاف؟ (إشارة إلى قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة﴾).

(٧٢) هذه الخطبة من جلائل

خطبه عليه السلام رواها واملأها

الحارث الاعور الهمداني،

وكان من خاصته الاجلاء،

وكان من الفقهاء المرموقين،

وهو المخاطب بقوله عليه السلام:

يا حارث همدان من يثت يرنى

من مؤمن أو منافق قُبُلا

والخطبة رواها الكليني في

الكافي ١: ١٤٦، ح ٧.

(٧٣) تفسير القمي ٢: ٣٤٥.

(٧٤) مجمع البيان ٩: ٢٠٢.

(٧٥) الصافي ٢: ٦٤٢.

فقال الحسين: يجوز ألا يكون الندم توبة في تلك الأمة، ويكون توبة في هذه الأمة؛ لأن الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم يشاركهم فيها الأمم. وقيل: إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل، ولكن على حمله.

وأما قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ فمعناه: ليس له إلا ما سعى عدلاً، ولي أن أجزيه بواحدة ألفاً فضلاً. (أي أن الآية تعني جانب الاستحقاق، الأمر الذي لا يتنافى وجانب فضله تعالى الكبير).

وأما قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فإنها شؤون يديها، لا شؤون بيتيها. فقام عبد الله وقبّل رأسه وسوّغ خراجه» (٧٦).

(٧٦) الكشف ٤: ٤٤٨.

غير أن للآيات الثلاث محامل غير ما ذكره الحسين بن الفضل؛ أما ندم قابيل على قتل هابيل فلا دليل فيه على أنه ندم ندامة تائب؛ إذ قد يرتكب المجرم جناية يتورّط فيها فيندم على اتخاذها طريقة أوقعته في تلك الورطة، وليس ندماً على أصل ارتكاب الإثم، كما في حديث قوم هود، ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ حينما رأوا نتائج السوء التي ترتبت على فعلهم الشنيع، ومن ثم لم ينفعهم الندم ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ (٧٧).

(٧٧) الشعراء: ١٥٧ - ١٥٨.

وأرى أن الندم بمجرده حتى ولو كان على ارتكاب الإثم لا يوجب سقوط الحدّ والعقاب، ما لم يظهر أثره العملي الكاشف عن رجوع العبد المذنب إلى ساحة مولاة الكريم رجوعاً عن عزيمة قاطعة؛ فإنّ الندم على الذنب هو النقطة الباعثة على التوبة وليس ذاتها، ما لم يتجسد في قول وعمل معاً (٧٨)، وليكون عمله هو الذي يدل على ندمه، فيصلح ما أفسده بالذنب. قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (٧٩).

(٧٨) المراد من الندم القولي هو إجراء صيغة الاستغفار عن عزيمة صادقة. والمراد من العملي هو إصلاح ما أفسد.

(٧٩) المائدة: ٩.

وأما آية السعي: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ فلا نظر فيها إلى تحديد المقدار في جزاء الأعمال، وإنما تعني همّة الإنسان ومبلغ اهتمامه بشؤون حياته الإنسانية الكريمة؛ فكلما ازدادت عنايته بهذا الشأن ازداد تعالىه على مدارج الكمال ونال شرفاً أكبر في الدارين.

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقد عرفت تفسيره في كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، بأنه تعالى لا يزال في خلق جديد وإبداع ما لم يكن، فهو

ابتداء لا مجرد إبداء.

وقد مر كلام الصدوق أن له تعالى أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلق قبل شيء، ثم يُعَدَم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره، وجعل ذلك تفسيراً لوصفه تعالى بالبداة^(٨٠).

(٨٠) رسالة التوحيد: ٣٣٥.

وللمولى صدر المتألهين الشيرازي بحث لطيف في هذه الآية جادت به قريحته الفياضة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام﴾^(٨١).

(٨١) السجدة: ٤.

قال: «لقد مرَّ الله علينا بالتحقيق عن أمثال هذه الآيات بما يُغني عن ارتكاب مخالفة الظاهر، أو صرف الكلام عن ظاهر تعبيره في متفاهم العرف العام». قال: «وبيان ذلك يستدعي تمهيد مقدمات:

منها: أنَّ الأمور الطبيعية - ويقال لها الطبيعيات - هي بحاجة في وجودها وتعقلها إلى قابل وحركة وزمان؛ على خلاف المجردات المستغنية عن الأمور الثلاثة، سواء في الوجود أم في التعقل.

ومنها: أن لكل من القسمين عالماً يخصه، فللطبيعيات عالم الحس والشهادة، وللمجردات عالم الغيب.

ومنها: أن الأمر التدريجي الوجود من حيث هو تدريجي الوجود، يكون زمان بقاءه عين زمان حدوثه.

وبعد، فإن السماء والارض وما بينهما، حيث كانت زمانية الوجود، تدريجية الحصول؛ فقد كانت مدة كونها البقائي عين مدة حدوثها الابتدائي الانشائي.

فهذه المدة المضروبة في الكلام الإلهي هي مدة بقاء وجودها الذي هو عين الحدوث».

قال: «ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾».

قال: «وأما حديث: جَفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة^(٨٢)، فهو بالقياس إلى عالم آخر هو عالم الغيب الذي هو فوق عالم الحس والشهادة».

قال: «ولو نظرت حق النظر إلى حقيقة كل أمر متغير في عالم الحس، تلك

(٨٢) على ما روته العامة.

وليس من روايات الخاصة ما

هو بهذا المضمون، حسبما

عرفت.

الحقيقة التي هي وراء هذا العالم المحسوس، لوجدته حقيقة ثابتة وخارجة عن محدودة الزمان والمكان، ومترقعة عن التجدد والتغير والحدثان.. فلو انخلعنا عن هذه الحواس الظاهرة، ونظرنا إلى تلك الحقائق أيضاً منخلعة عن الزمان والمكان، إذن لوجدنا الارض غير الارض، والسموات غير السماوات، وكانت بأجمعها مطويات بيمين الحق تعالى» (٨٢).

(٨٢) التفسير المبين ٦: ٣١ -

٣٣، وقد سبق تلخيص كلامه.

شواهد وبيّنات

من الدلائل الواضحة على صحة أمر البداء ما وقع من تغيير في تقدير الهي، جاء ذكره في الكتاب العزيز فكان اكبر برهان على الإمكان بعد الوقوع. من ذلك ما حكاه تعالى عن قوم يونس لما آمنوا، إذ كشف الله عنهم العذاب وقد كان قضي عليهم امراً محتوماً.

قال تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾ (٨٤).

(٨٤) يونس: ٩٨.

لولا هنا للتأنيب ومعناه النفي، أي لم تكن قرية آمنت عند معاينة العذاب فنفعها إيمانها سوى قوم يونس (٨٥).

(٨٥) ونظيره في هذا الاستثناء قوله تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ (هود: ١١٦) قال الطبرسي: «معناه النفي، وتقديره: لم يكن من القرون من قبلكم قوم باقون. ينهون...» أي كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة» (مجمع البيان ٥: ٢٠١).

والآية مسبوقة بحكاية أمر فرعون: ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت﴾، فلم ينفعه إيمانه حينذاك: ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ (٨٦).

فعقبها بقوله: إن الإيمان عند معاينة العذاب لا ينفع شيئاً ولم ينفع قوماً. ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً﴾ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن (٨٧).

(٨٦) يونس: ٩١.

(٨٧) النساء: ١٨.

نعم استثنى من هذا القانون الالهي العام مورد واحد لا ثاني له في تاريخ الامم، وهم قوم يونس لما آمنوا عند معاينة العذاب، وتقدير الهلاك عليهم، فكشف الله عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعهم إلى حين، وهو وقت انقضاء آجالهم الطبيعية.

وكانت هناك أسباب داعية لهذا الاستثناء الفريد في نوعه ذكرها ارباب

التفسير.

وهذا من البدء الواضح؛ إذ كان تغيير المشيئة بعروض موجبة، فقد رفع عنهم القضاء وكان قد ابرم ابراماً.

روى العياشي بإسناده إلى محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في آية النسخ وآية المحو والاثبات، قال: «يفعل الله ما يشاء ويحول ما يشاء مثل قوم يونس، إذ بدا له فرحمهم» ^(٨٨).

(٨٨) تفسير العياشي ١: ٥٥.

ج ٧٧، والبحار ٤: ١١٦، ج ٤٢.

وقال الطبرسي عن قتادة وابن عباس برواية عطاء في تفسير الآية: «وقيل: معناه فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها، يريد بذلك: لم يكن هذا معروفاً لأمة من الأمم كفرت ثم آمنت عند نزول العذاب وكشف عنهم، أي لم أفعل هذا بأمة قط إلا قوم يونس لما آمنوا عند نزول العذاب كشف عنهم العذاب بعدما تدلّن عليهم» ^(٨٩).

(٨٩) مجمع البيان ٥: ١٣٤.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ * فلولاً إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴿^(٩٠).

(٩٠) الأنعام: ٤٢-٤٣.

كانت سيرة تلك الاقوام هي التماذي في الغي والضلال، ومن ثم يكون الهلاك والدمار، ولكن الله تعالى لطفاً بهم عارض طريقهم بما لعله يؤنبهم ويوقظهم من الغفلة، فيؤوبوا إلى الرشيد والصلاح، فأخذهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرّعون، ولكن هيهات فقد قست القلوب وزاغت الأبصار.

وقوله: ﴿فلولاً إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا﴾ تأنيب لهم وتأسف على تعسفهم في الأمر.

وهذا مما يدل على أن الدعاء والابتهال إلى الله، والتضرع والخشوع والاستغفار، لما يغير من قضاء الله وقدره في الحياة.

(٩١) بحار الأنوار ٩٠: ٢٨٨.

ج ٣.

قال رسول الله ﷺ: «ادفعوا ابواب البلاء بالدعاء» ^(٩١).

(٩٢) المصدر السابق: ٣٠١.

وقال علي عليه السلام: «ادفعوا امواج البلاء بالدعاء» ^(٩٢).

ج ٣٧ و ٣٨.

وقال الامام موسى بن جعفر عليه السلام: «عليكم بالدعاء؛ فإن الدعاء والطلب إلى الله عز وجل يرد البلاء وقد قدر وقضي فلم يبق إلا إمضاؤه، فإذا دُعي الله وسئل صرف البلاء

صرفاً» (٩٣).

(٩٣) المصدر السابق: ٢٩٥.

ح ٢٣، و ٢٩٨، ح ٢٨.

الدعاء يرد القضاء:

نعم، إن الدعاء يرد القضاء وقد أبرم إبراماً، كما ورد في الحديث.

روى الطبرسي في مكارم الأخلاق بإسناد رفعه عن رسول الله ﷺ:

«ما من شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء».

وقال: «لا يرد القضاء إلا الدعاء».

وقال: «البلاء معلق بين السماء والأرض كالقنديل، فإذا سأل العبد ربه العافية

صرف الله عنه البلاء».

وعن الامام الصادق عليه السلام قال: «الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً».

وقال: «الدعاء يرد القضاء وينقضه كما ينقض السلك وقد أبرم إبراماً» (٩٤).

(٩٤) بحار الانوار ٩٠: ٢٩٤.

ح ٢٣، عن مكارم الاخلاق:

٣١١ - ٣١٥.

وأخرج أحمد بإسناده إلى ثوبان مولى رسول الله ﷺ رفعه إلى النبي

قال: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنوب

يصيبه» (٩٥).

(٩٥) مسند أحمد ٥: ٢٨٠.

ورواه ابن كثير في التفسير قال: «ورواه النسائي وابن ماجة من حديث

سفيان الثوري».

قال: «وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر، وفي حديث آخر:

إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض» (٩٦).

(٩٦) تفسير ابن كثير ٢: ٥١٩.

الاعتلاج: التقاتل والاصطراع، وهو كناية عن تقابلهما فلا يهيمن القلب؟

القضاء المشروط:

قال تعالى: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء

والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (٩٧).

(٩٧) الاعراف: ٩٦.

قال المفيد: «فبين أن آجالهم كانت مشترطة في الامتداد بالبر، وفي

الانقطاع بالفسوق».

وقال تعالى فيما أخبر عن نوح في خطابه لقومه: ﴿استغفروا ربكم إنه كان

غَفَّاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً ﴿٩٨﴾

(٩٨) نوح: ١٠-١٤.

قال المفيد: «فاشترط لهم في مدّ الأجل وسبوغ النعم الاستغفار، فلما لم يفعلوه قطع آجالهم، وبتر أعمارهم، واستأصلهم بالعذاب، فالبدء من الله تعالى يختص ما كان مشروطاً في التقدير، وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة، ولا من تعقب الرأي. تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً» (٩٩).

(٩٩) رسالة تصحيح الاعتقاد:

٢٥

وبهذه المناسبة نذكر مقتطفات من رسالة كتبها بعض أفاضل علماء بغداد، جاء ذكرها في تفسير روح المعاني للسيد محمود الألويسي مفتي العراق على عهد آل عثمان (ت ١٢٧٠هـ) قال: «وجدت في رسالة لبعض الأفاضل ألّفت في هذه المسألة (التقدير قابل للتغيير): إنه ما من شيء الا ويمكن تغييره وتبديله حتى القضاء الالهي، واستدل بأمور، منها: أنه قد صحّ من دعاء النبي ﷺ في القنوت: وقني شرّ ما قضيت، وفيه طلب الحفظ من شرّ القضاء الأزلي، ولو لم يمكن تغييره ما صحّ طلب الحفظ منه.

ومنها: ما صحّ في حديث التراويح من عذره ﷺ عن الخروج إليها، وقد اجتمع الناس ينتظرونه لمزيد رغبتهم فيها بقوله: خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها؛ فإنه لا معنى لهذه الخشية لو كان القضاء الأزلي لا يقبل التغيير؛ على أنه جاء في حديث فرض الصلاة ليلة المعراج ما هو ظاهر في سبق القضاء بأنها خمس صلوات مفروضة لا غير. فما معنى الخشية بعد العلم بذلك لولا العلم بإمكان التغيير والتبديل؟

ومنها: ما صحّ أنه ﷺ كان يضطرب حاله الشريف ليلة الهواء الشديد، حتى إنه لا ينام، وكان يقول في ذلك: أخشى أن تقوم الساعة، فإنه لا معنى لهذه الخشية أيضاً مع اخبار الله تعالى أن بين أيديها ما لم يوجد إذ ذاك، كظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها مما يستدعي تحقّقه زماناً طويلاً، فلو لم يكن عليه الصلاة والسلام يعلم أن القضاء يمكن تغييره، وأن ما قضى من اشرائها يمكن تبديله، ما خشي ﷺ من ذلك.

ومنها: أنه لولا إمكان التغيير للغي الدعاء؛ إذ المدعو به إما أن يكون قد سبق القضاء بكونه، فلا بد أن يكون، وإلا فمحال أن يكون، وطلب ما لا بد أن يكون أو محال أن يكون لغو؛ مع أنه قد ورد الأمر به، قال تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾.

وقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: لا يمنع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر. ونسب إلى جماعة من الصحابة والتابعين كانوا يتضرعون إلى الله تعالى أن يجعلهم سعداء؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنّف وغيره عن ابن مسعود قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا وسع عليه في معيشته: يا ذا المن ولا يمن عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطول، لا إله إلا أنت ظهر اللاجئين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين، إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً فامح عني اسم الشقاء وأثبتني عندك سعيداً، وإن كنت كتبتني عندك في الكتاب محروماً مقترأ عليّ رزقي، فامح حرمانني ويسر رزقي، وأثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير؛ فإنك تقول في كتابك الذي أنزلت ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ «(١٠٠)».

(١٠٠) روح المعاني ١٣: ١٥٢.

مِيقَاتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

واعد الله موسى ثلاثين ليلة لميقاته، وهكذا واعد موسى قومه فذهب للميقات، لكنه تعالى أتمها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة. قال تعالى: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ (١٠١).

(١٠١) الأعراف: ١٤٢.

وكان من جزاء هذا التأخير في الوعد الأول أن اتخذ قوم موسى طريقهم إلى عبادة العجل: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار﴾ (١٠٢).

(١٠٢) الأعراف: ١٤٧.

إذ استبطأوا رجوع موسى في الوقت المضروب على ما وعدهم من الرجوع بأمر الله، وهو بيان تفاصيل الشريعة ونزول التوراة، فظنوا أنه أخلف الوعد ولا يأتيهم بما وعدهم، ومن ثم اقترحوا هم طريقة لأداء مراسيم العبادة وتشريع

الدين، وكان صنعهم للعجل رمزاً لهذا الاتجاه

ومن ثم وبخهم موسى على استعجالهم في الأمر ﴿ قال بثسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم ﴾ أي استعجلتم في أمر الربوبية والعبادة والتشريع.

وعلى أية حال فتمتيم الثلاثين بالعشر كان من البداء في الوعد، ولعل الحكمة فيه كانت هي فتنة القوم ليبتليهم فيعلم من يخافه بالغيب؛ ومن ثم قال موسى بعد ذلك وبعد أن أخذتهم الرجفة: ﴿ إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء أنت ولينا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ (١٠٣).

(١٠٣) الأعراف: ١٥٥.

ذبح اسماعيل عليه السلام:

كان إبراهيم الخليل عليه السلام أرى في المنام - ومنامات الانبياء وحي صادق - أن يذبح ابنه اسماعيل، ﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ (١٠٤).

(١٠٤) الصافات: ١٠٢.

﴿ بلغ معه السعي ﴾ أي بلغ أشده وأمكنه السعي مع أبيه في العمل والاجتهاد. قيل: كان ابن ثلاث عشرة سنة.

﴿ إني أرى ﴾ أي هكذا يتراءى لي في المنام أني كُلفت ذبحك؛ الامر الذي يدل على أن هذا التراثي كان يتكرر عليه في ليالٍ متعاقبة، ويعني التأكيد له والعناية به.

قال اسماعيل: ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ﴾، فإننا جميعاً طوع اوامرہ تعالیٰ ومسلمون لمشيئته.

﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾ شروعاً في امتثال امرہ تعالیٰ، عند ذلك ﴿ ناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾، وكان المطلوب ظهور اخلاصهما لله، وتسليمهما المطلق لأمرہ تعالیٰ، الامر الذي ظهر كمال الظهور، وإن تحقق الغرض من الامر سقط التكليف.

﴿ إن هذا ليهو البلاء المبين ﴾ أي ابتلاء لإخلاص العبودية ما فوقه ابتلاء. ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ أي بدلناه بمذبح آخر، وهو من تبديل تكليف

بآخر مكانه.

ونفس هذا الفداء دليل على تكليف سابق استبدل بتكليف آخر جديد، وهو من النسخ في التكليف أو البداء فيه.

البداء في شأن إسماعيل

ما روي عن الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل» (١٠٥).

هل هو إسماعيل ابنه؟ وكيف حصل فيه البداء؟ أم إسماعيل أبوه الذبيح عليه السلام؟

روى زيد النرسي عن عبيد بن زرارة عن الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «ما بدا لله بداء أعظم من بداء بدا له في إسماعيل ابني».

ثم روي عنه عليه السلام أنه قال: «إني ناجيت الله ونزلته في إسماعيل ابني أن يكون من بعدي، فأبى ربي إلا أن يكون موسى ابني» (١٠٦).

وروى الصدوق مرسلاً عنه عليه السلام قال: «ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني.. يقول: ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه قبلي؛ ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي» (١٠٧).

اخترمه: أي اهلكه. والتفسير الذي جاء في الحديث هو من الصدوق وليس من كلام الامام، ولعله من التفسير الشائع آنذاك.

قال المفيد: «وكان إسماعيل أكبر إخوته، وكان أبوه عليه السلام شديد المحبة له والبر به والاشفاق عليه، وكان قوم من الشيعة يظنون أنه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده؛ إذ كان أكبر إخوته سناً ولميل أبيه إليه وإكرامه له، فمات في حياة أبيه بالعريض... ولما مات إسماعيل عليه السلام انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك» (١٠٨).

قلت: هذا التفسير بهذا الوجه مما لا نستطيع الموافقة عليه:

أولاً: كانت الأئمة الاثنا عشر مسجلة اسمائهم، مضبوطة نعوتهم وألقابهم، محفوظة سماتهم وخصائصهم في سجل الأزل واحداً بعد واحد، مكتوبة بقلم النور على صفحة اللوح المحفوظ بما لا تبدل فيه ولا تغيير؛ الامر الذي كانت

(١٠٥) بحار الانوار ٤٧: ٢٦٩.

ح ٤١، ٤٢، و ٤٣: ١٢٢، ح ٦٩.

(١٠٦) هكذا رواه المفيد في تصحيح الاعتقاد: ٢٥.

(١٠٧) بحار الانوار ٤: ١٠٩، ح ٢٦، عن كتاب التوحيد للصدوق: ٣٢٦، ح ١٠.

(١٠٨) ارشاد المفيد: ٢٠٩.

٢١٠، من مجموعة (مصنفات

الشيخ المفيد)، والبحار ٤٧:

٢٤٢.

تعلمه خواص الشيعة الأبرار، بل خواص اصحاب الرسول ﷺ، وقد تعددت رواته من الأصحاب والتابعين لهم بإحسان؛ فكيف يا ترى كان يخفى على مثل الامام الصادق الخبير البصير، حتى سأل ربه أن يجعله الامام بعده، فأبى الله ذلك؟!

ثانياً: كيف يسأل مثل الامام المعصوم ربه تعالى أن يغير من عزيمته بشأن الإمامة، والإمامة ذات شأن خطير؟ الله اعلم حيث يجعل رسالته؛ وهل هذا إلا تدخل في شؤون خلافة الله الكبرى التي لا يعلم موضعها سوى الله! إن أدب العبودية المحضة - والأئمة الهداة المعصومون كانوا على أتمها وأكملها - ليقضي بعدم التدخل في شؤون الربوبية القاهرة ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ (١٠٩).

(١٠٩) الأنعام: ١٨.

ثالثاً: هل كان ذلك - كما في تفسير الصدوق: «اخترمه قبلي ليعلم أنه ليس بإمام بعدي» - يحتاج إلى إهلاك انسان؟ هلاً كان يمكن معرفة ذلك بنص صريح قاطع؟ أما المنحرفون في العزيمة فلا ينفعهم - كما لم ينفعهم - حتى الاخترام!

الامر الذي دعا مثل شيخنا المفيد - ذلك المحقق النابه - أن ينكر مثل هذا التفسير رأساً، ويفسر البداء بشأن إسماعيل هذا بوجه آخر، قال: «وقول أبي عبد الله عليه السلام: ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل، فإنما أراد به ما ظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه، وقد كان مخوفاً عليه من ذلك مظنوناً به، فلطف له في دفعه عنه؛ وقد جاء الخبر بذلك عن الصادق عليه السلام أنه قال: كان القتل قد كتب على إسماعيل مرتين، فسألت الله في دفعه عنه فدفعه» (١١٠).

(١١٠) تصحيح الاعتقاد: ٢٥.

ولاشك أن الدعاء يرفع البلاء، أو يدفع القضاء وقد أبرم ابراماً حسبما عرفت.

هذا، وكتاب زيد النرسي قد طعن فيه بعض اصحاب التراجم، ولم يعرف اسمه ونسبه ولا موضعه من صحبة الامام الصادق عليه السلام، ولعل روايته أمثال هذه الاحاديث تنبئك عن مبلغ معرفته بمقام الإمامة وشؤون الرب تعالى (١١١). ويبدو من الصدوق أيضاً تردده في صحة الحديث، في اصله وفي

(١١١) راجع: كلام المجلسي

بشأن كتابه في مقدمة للبحار

تفسيره معاً، كما يظهر من آخر كلامه حسبما نذكر.

ثم إن الصدوق عليه الرحمة بعد أن أورد الحديث السابق وفسره بما عرفت، أورد حديثاً آخر مستبدلاً الابن بالأب، رواه من طريق أبي الحسين الأسدي، واستغفر به.

قال: «وقد روي لي من طريق أبي الحسين الاسدي رضوان الله عليه في ذلك شيء غريب، وهو أنه روي أن الصادق عليه السلام قال: ما بدا لله بدء كما بدا له في اسماعيل أبي؛ إذ أمر أباه بذبحه ثم فداه بذبح عظيم».

وعقبه بقوله: «وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر، إلا أنني أوردته لمعنى لفظ البدء والله الموفق للصواب» (١١٢).

وهذا يدل على ترديده في صحة الحديث وعدم وثوقه بأصل الصدور فكيف بتفسيره؟

نعم ذكر المجلسي بعد نقل ذلك عن الصدوق: «لا استبعاد في صحة الخبرين اللذين نفاهما» (١١٣).

وهكذا ورد في شأن الامام الحادي عشر أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام لما توفي أبو جعفر محمد بن علي أخوه الأكبر في حياة والده الهادي عليه السلام؛ قال أبو الحسن الهادي مخاطباً لابنه أبي محمد: «يا بني، احدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً» (١١٤).

وروى المفيد بإسناده إلى أبي هاشم الجعفري (١١٥) قال: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعد ما مضى ابنه أبو جعفر، وإني لأفكر في نفسي، أريد أن أقول: كأنهما - أعني أبا جعفر وأبا محمد - في هذا الوقت كأبي الحسن موسى وإسماعيل ابني جعفر بن محمد عليه السلام، فأقبل عليّ أبو الحسن عليه السلام قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاشم، بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر ما لم يكن يُعرف له، كما بدا في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله، وهو كما حدثت نفسك، وإن كره المبطلون. أبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يحتاج إليه، ومعه آلة الإمامة» (١١٦).

قال الشيخ بعد رواية الحديث كما رواه المفيد: «ما تضمن الخبر من قوله: بدا لله في محمد كما بدا له في إسماعيل، معناه: ظهر من الله وأمره في أخيه

(١١٢) كتاب التوحيد: ٣٣٦.

ح ١١.

(١١٣) بحار الأنوار ٤: ١٠٩.

(١١٤) رواه الشيخ في كتاب

الغيبة: ٢٠٣، ح ١٧٠، والمفيد

في الإرشاد: ٣٣٦، والطبرسي

في إعلام الوري: ٣٥٠، راجع

البحار ٥٠: ٢٤٣، ح ١٢، و ٢٤٤.

ح ١٥.

(١١٥) هو داود بن القاسم بن

إسحاق الثقة الجليل من آل

جعفر الطيار، صاحب الرضا

والجواد والهادي

والعسكري عليه السلام سكن بغداد

وكان عظيم المنزلة عند

الأئمة عليهم السلام، وكان مقدماً عند

السلطان أيضاً.

(١١٦) الإرشاد: ٣٣٧، ورواه

الشيخ في الغيبة: ٢٠٠، ح ١٦٧.

الحسن ما زال الريب والشك في امامته؛ فإن جماعة من الشيعة كانوا يظنون أن الأمر في محمد من حيث كان الأكبر، كما كان يظن جماعة أن الأمر في إسماعيل دون موسى عليه السلام، فلما مات محمد ظهر من أمر الله فيه وأنه لم ينصبه إماماً، كما ظهر في إسماعيل مثل ذلك، لا أنه كان نص عليه ثم بدله في النص على غيره؛ فإن ذلك لا يجوز على الله العالم بالعواقب» (١١٧).

(١١٧) الغيبة: ٢٠١-٢٠٢.

وفي زيارة الإمامين الهمامين الهادي والعسكري عليهما السلام هكذا نجد: «السلام عليكم يا من بدا لله في شأنكما»، وهذا حسب رواية ابن قولويه في كامل الزيارات (١١٨).

(١١٨) كامل الزيارات: ٣١٣.

وقد أورد الصدوق هذه الزيارة بعينها في الفقيه سوى أنه اسقط هذه العبارة (١١٩).

(١١٩) من لا يحضره الفقيه ٢:

٣٦٨

وفي المزار الكبير نسب هذه الزيارة إلى المفيد، إلا أنه بدّل قوله: «يا من بدا لله في شأنكما» بقوله: «يا أميني الله» (١٢٠).

(١٢٠) المزار الكبير: ١٨٢ -

١٨٣

قال العلامة المجلسي: «أما البداء بشأن أبي محمد الحسن عليه السلام فقد مضى في باب النص عليه، حيث الروايات الكثيرة بوقوع البداء فيه وفي أخيه السيد محمد الذي كان أكبر منه وتوفي قبله كما كان في موسى وإسماعيل، على ما عرفت.

وأما وقوع البداء بشأن أبي الحسن الهادي عليه السلام فلم نر فيه شيئاً يدل على البداء، فلعله وقع فيه أيضاً شيء من هذا القبيل، أو من القيام بالسيف أو غيرهما، أو نسب هذا البداء إلى الأب أيضاً؛ لأن التنصيص على الإمامة يتعلق به» (١٢١).

(١٢١) بحار الانوار ٩٩: ٩٢.

ملحوظة: ليس البداء الوارد بشأن الإمام موسى بن جعفر، وكذا الإمام أبي محمد العسكري عليهما السلام من البداء المصطلح الذي هو تغيير مشيئته تعالى حسب تغيير المصالح والمقتضيات وإنما هو بداء ظاهري لا غير. قال سيدنا الأستاذ العلامة الفاني رحمته الله: «فما ورد من قولهم: أحدث الله شكراً ناظر إلى إزالة مزعومة كان يزعمها بعض الشيعة، وليس في هذا التعبير دلالة على تغيير إرادة الله تعالى» (١٢٢).

(١٢٢) راجع: رسالته في البداء

٩٦-٩٨.

(١٢٣) صاحب كتاب الرجال المعروف. كانت داره مرتعاً للشيعية ولرؤاد العلم. قال النجاشي: «كان ثقة عيناً، وطريق الصدوق إليه صحيح» و «كج» هو «كش»: قرية على ثلاث فراسخ من جرجان على رأس جبل.

(١٢٤) هو الحسن بن محمد الهاشمي النوفلي. له روايات كثيرة في باب المناظرات والنصوص على الأئمة أوردها الصدوق في التوحيد، والكليني في باب النكت والتنف وفي الروضة. روى عنه أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي.

(١٢٥) ولعله هو سليمان بن حفص (وقد صحف في بعض الكتب إلى سليمان بن جعفر). عده الشيخ من أصحاب الرضا عليه السلام واعتمده الصدوق والكليني. وبقي حتى أدرك الهادي عليه السلام.

(١٢٦) لم نعثر له على ترجمة. ويبدو أنه كان من الموالى ومن العلماء الذين أسلموا وكانوا أصحاب نظر واختيار. (١٢٧) هكذا ورد الفعل مجرداً من النون، وصوابه «تناظرونه».

حديث الامام الرضا مع سليمان المروزي متكلم خراسان:

روى الصدوق بإسناد يرتضيه عن أبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الانصاري الكجي (١٢٣) قال: «حدثني من سمع الحسن بن محمد النوفلي (١٢٤) يقول: قدم سليمان المروزي متكلم خراسان (١٢٥) على المأمون فأكرمه ووصله، ثم قال له: إن ابن عمي علي بن موسى الرضا عليه السلام قدم علي من الحجاز، وهو يحب الكلام وأصحابه» ثم سأله أن يناظر الإمام لعله يقطعه عن حجته، فأجابه إلى ذلك.

فوجه المأمون إلى الإمام وأخبره بقدم رجل من أهل مرو، وأنه واحد خراسان من اصحاب الكلام، قال «فإن خفّ عليك أن تتجشّم المصير اليانا فعلت».

فنهض الامام عليه السلام للموضوع وقال لاصحابه: «تقدّموني»، وفيهم عمران الصابي (١٢٦) والحسن بن محمد النوفلي روى الحديث. قال: «فصرنا إلى الباب، فأخذ ياسر وخالد بيدي فأدخلاني على المأمون، فلما سلّمت قال: أين أخي أبو الحسن أبقاه الله تعالى؟ قلت: خلّفته يلبس ثيابه، وأمرنا أن نتقدم. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إن عمران مولاك معي وهو على الباب. قال: ومن عمران؟ قلت: الصابي الذي اسلم على يدك. قال: فليدخل. فدخل فرحب به المأمون، ثم قال له: يا عمران، لم تمت حتى صرت من بني هاشم. قال: الحمد لله الذي شرفني بكم، يا أمير المؤمنين. فقال له المأمون: يا عمران، هذا سليمان المروزي متكلم خراسان. قال عمران: يا أمير المؤمنين، إنه يزعم واحد خراسان في النظر وينكر البداء. قال: فلم لا تناظروه (١٢٧)؟ قال عمران: فذلك إليه. فدخل الرضا عليه السلام وقال: في أي شيء كنتم؟ قال عمران: يا ابن رسول الله هذا سليمان المروزي. فقال له سليمان: أترضى بأبي الحسن وبقوله فيه؟ فقال عمران: قد رضيت.. على أن يأتيني بحجة احتج بها على نظرائي من أهل النظر. قال المأمون: يا ابا الحسن، ما تقول فيما تشاجرا فيه؟ فتوجه الامام عليه السلام إلى سليمان وقال: «وما أنكرت من البداء يا سليمان؟ والله عز وجل يقول: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه ولم يك شيئاً﴾ ويقول: ﴿هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾، ويقول: ﴿بديع السموات والأرض﴾،

(١٢٨) هذه الآيات تدلنا على أنه

تعالى هو المبدئ المعيد، المبدع لا على مثال ولا سابقة خيال، يتصرف في خلقه كيف يشاء، وهو الحكيم الخبير. قال علي عليه السلام: «أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا هامة نفس اضطرب فيها. أحوال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها اشباحها عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عازفاً بقرائنها وأحسانها». (نهج البلاغة، خ ١).

(١٢٩) إذ لم يكن الله ليعذبهم ورسوله الله ﷺ فيهم، فأمره تعالى بترك ديارهم والخروج من بينهم، وهو ما يعني أن الله أراد تعذيبهم؛ ولكن الآية بعدها نلت على حصول البداء فيهم، حيث كفى التذكير لهم بدل التعذيب. وهكذا روى الصفار عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية (بحار الأنوار ٤: ١١٠، ج ٢٨).

(١٣٠) وهذا من أكبر فوائد العقيدة بالبداء له تعالى؛ إذ يجعل من الناس على رجاء من أمرهم فلا يقطعوا من رحمة الله، ويرون في الدعاء والابتهاال إلى الله والاستغفار

ويقول: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾، ويقول: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾، ويقول: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾، ويقول: ﴿وما يُعمر من عُمر ولا يُنقص من عمره إلا في كتاب﴾ (١٢٨).

قال سليمان: هل رويت فيه من آباتك شيئاً؟ قال: نعم، رويت عن أبي عن عبد الله عليه السلام أنه قال: إنَّ لله عزَّ وجلَّ علمين: علماً مخزوناً لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلماً علَّمه ملائكته ورسله؛ فالعلماء من أهل بيت نبيِّنا يعلمونه. قال سليمان: أحبُّ أن تنزعه لي من كتاب الله عزَّ وجلَّ. قال: قول الله عزَّ وجلَّ لنبيِّه ﷺ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (١٢٩). أراد إهلاكهم ثم بدا لله تعالى فقال: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْتَفِعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال سليمان: زدني، جعلت فداك.

فذكر له الإمام عليه السلام قصة الملك الاسرائيلي الذي أوحى الله إلى نبيِّه فيه أن ابلغ فلاناً الملك أني متوفيه، فجعل الملك يتضرع إلى الله، حتى دفع الله عنه السوء. ثم التفت الإمام عليه السلام إلى سليمان وقال له: «أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب. قال: أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود: ﴿يد الله مغلولة﴾؛ يعنون أن الله تعالى قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا﴾، ولقد سمعت قوماً سألوا أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن البداء، فقال: وما ينكر الناس من البداء، وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره (١٣٠).

قال سليمان: ألا تخبرني عن ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ في أي شيء أنزلت؟ قال: يا سليمان، ليلة القدر يقتر الله عزَّ وجلَّ فيها ما يكون من السنة إلى السنة، من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق، فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم. قال سليمان: الآن قد فهمتُ جعلت فداك، فزدني. قال: يا سليمان، إن من الأمور أموراً موقوفة عند الله عزَّ وجلَّ، يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء، ويمحو ما يشاء. يا سليمان، إن علياً عليه السلام كان يقول: العلم علمان، فعلم علمه الله وملائكته ورسله، فما علَّمه ملائكته ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء، ويمحو ما يشاء

لديه ما يمكن من تغيير
القضاء بشأنهم، مهما كانت
ننوبهم عظاماً.

(١٣١) عيون أخبار الرضا: ٢.

١٥٩ - ١٦٢ ب ١٢ ط .

الأعلمي.

ويثبت ما يشاء».

فالتفت سليمان إلى المأمون وقال: «يا أمير المؤمنين، لا أنكر بعد يومي هذا
البداء ولا أكذب به إن شاء الله» (١٣١).

تلخيص البحث في سطور:

إلى هنا قد انتهى البحث بنا إلى النتائج التالية:

- ١ - أن مسألة البداء مسألة إسلامية عريقة تتعلق بجانب العقيدة وأن الله لا
يزال في خلق جديد وأنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.
- ٢ - أنه تعالى يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وهذان المحو
والإثبات إنما يكونان حسب تغير المصالح والمقتضيات المتجددة عبر الزمان.
- ٣ - أن علمه تعالى بهذه المقتضيات المتجددة، على خلاف مجاريها
الطبيعية الأولى، هو الذي أوجب تغييراً في مشيئته تعالى وتبديلاً في قضائه.
- ٤ - أن هذا هو علمه تعالى الفعلي الحاصل بحصول الأشياء، إذ علمه تعالى
بذوات الأشياء علماً فعلياً إنما هو بظهور الأشياء وحضورها لدى ساحة قدسه
تعالى، فكان علمه بها عين وجودها وظهورها في عرصات الوجود.
- ٥ - أن هذا لا يناقض علمه تعالى الذاتي القديم المتعلق بالأشياء قبل وجودها؛
فإن ذاك علم تعلق أزلاً بالوصف، وهذا علم يتعلق بالذوات فيما لا يزال.
- ٦ - أنه لما كان العلم من ذوات الإضافات، كان التغيير والتبديل في أحد
طرفي الإضافة لا يستلزم تغييراً في طرفها الآخر، نظير الإفاضة تكون
مستمرة، وتغيير المستفيض لا يستدعي تغييراً في المفيض.
- ٧ - أنه كان للدعاء - نتيجة لما سبق - موضعه من تغيير القضاء، وأن
للإنابة والاستغفار موضعهما من رفع البلاء، فلا يأس من رحمته تعالى ولا
قنوط.

٨ - أن ما ورد بشأن الإمامين الكاظم والعسكري عليهما السلام من التعبير بالبداء،
هو تعبير ظاهري وليس من البداء المصطلح، ولا كان مما قصد البحث عنه في
هذا المجال.

فنون وآداب

قصص



* السيد

سيد الهادي الحكيم

صَمَّمْتُ قَلْبِي الْقَلِيَّ الطُّيُوبُ أُنْزَاهُ بِقُوَى لَهَا أَمْ يَذُوبُ
 هَائِلٌ فِي جِرَائِلِ الْعِشْقِ وَلَهَا نَ بَعِيدَ عَمَّا مِوَاهُ غَرِيبُ
 صَامَتْ كَالْفَرَاغِ ، أُنْشَبُ جَفْنِي بِقَاعِ الْفُؤَادِ عَانِي كَثِيبُ
 أَتَبْلُوِي وَأُسْتَرِيدُ قُصَارِي أُمْلِي أَنْ يَشْفُنِي التَّعْذِيبُ
 أَيْ نَعْمَى أَشْهَى مِنَ الْوَجْعِ الْمُرِّ إِذَا مَا اسْتَطَابَهُ الْقَصُوبُ
 وَتَعِيمُ أَقْبَ مِنْ خُرْقَةِ الشَّوْقِ وَإِنْ رَفَّ وَغَدَا غُرُوقُ
 أَيْنَ مَنِي السُّلُوكِ أَيْنَ جُمُودِ الْعَيْنِ أَيْنَ الْكَرَى الَّذِيذُ الْعَيْبُ
 أَيْنَ مَنِي الصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَهَلْ يَصِدُّ بِرُيْبٍ عَنْ يَتْبِهِ مَحْبُوبُ
 أَهْوَى الْعِشْقُ أَنْ أَغَالِبَ تَهْيَا مِي أَمْ الْعِشْقُ أَتْنِي الْمَغْلُوبُ
 ظَامِي كُلَّمَا تَهَلَّتْ لِأَرْوَى يَتَلَطَّئُ فِي جَانَتِي اللَّهْيُ

أَوْ نَدَبْتُ الْعَمَامَةَ أَطْلَعَ قَرْنِيهِ وَأَرْفَعُ ذُوَاتِيهِ الْبَدِيدُ
 فَهَلِ الرُّشْدُ أَنْ أَتُوبَ إِلَى الرُّشْدِ دِ أَوْ الرُّشْدُ أَتْنِي لَا أَتُوبُ
 وَهَلِ الرُّشْدُ أَنْ أَفِيَقَ أَوْ الرُّشْدِ د بَأْنِي الْمُسْتَهْتَرِ الْمَجْذُوبُ
 لِيَتَّبِعَ مَنْ يَتُوبُ إِنِّي مِنَ الْعَبِّ وَمَنْ طَيِّبَ شُكْرِهِ لَا أَتُوبُ
 بَيْنَ هَجْرٍ مُلَبَّدٍ بِاتِّظَارٍ وَوَصَالٍ مُؤْتَلِّحٍ مَضْلُوبُ
 أَتَقَرَّيْ الْأَشْيَاءَ تُنْفِيْنِي الْأَشْدَّ يَاءُ أَنْ الْقَرَارَ مَنِي قَرِيبُ
 تِلْكَ آثَارُهُ تَذَكُّ عَلَيْهِ سَائِلُوهَا عَنْ مُبْهَاتِهَا سَتُنْبِيْ
 تَبْضُ قَلْبِي بِقُبِّهِ مِنْهُ وَالْقُرْ بُ وَشَوْقِي لِلِقَاءِ وَاللَّغْوَيبُ
 وَالرَّصِيقُ الَّذِي تَفْخَرُ فِي رُو صِي مِنْهُ وَلَذَعُهُ وَالذَّبِيبُ
 هُوَ ذَا النُّورِ يَنْضِبُ الْكَوْنُ فَيَقْصُ مُسْتَدِيمٌ مِنْ نُورِهِ مِسْكُوبُ
 الدَّرَارِي وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ رَشَقَ مِنْ مَنَاهِ وَالْأَبْلَاحُ الْقَشِيبُوبُ
 أَظْلَامُ الْأَكَارِ يُشْرِقُ فِي الْعَدِ نِ وَنُورُ الْأَنْوَارِ فِيهَا يَغِيبُ
 وَهِيَ مِنْهُ وَبُوءُهَا وَتَلَاشِي هَا وَمِنْهُ شُرُوقُهَا وَالْعُرُوبُ
 أَوْ يَفْضِي لِيُسْتَنْكَ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ دَائِمٌ الْعُضُورِ قَرِيبُ
 الْعُقُولُ الْقَضْرَاءُ وَالْمَاءُ وَالْوَر دُ يَنْجَابِيهِ وَاللَّحْدَى وَالطُّيُوبُ
 وَالْعَصَافِيرُ وَالْيَمَامَاتُ وَالطَّيْدِ رُ وَرِيْمُ الْقَلَاةِ وَالْعَنْدَلِيْبُ
 يَتَّبِعُنِي لَهَا فَتَعْرِفُهُ الْأَشْدَّ يَاءُ طُرّاً وَتَجَلِيهِ الْقُلُوبُ
 وَنَضِيءُ الرُّوحِ الْعَصِيَّةُ لِلنُّو رِ وَيَنْضُو سَوَادَهُ الْغَرِيبُ

مَنْ لِرَوْحِي سِوَالَهُ يَغْسِلُ عَنْهَا التَّنِيمَ إِلَّا بِطَبِّهِ فَتَطْيِبُ
وَالَهُ كُلَّمَا أَهَمُّ بِمَا أَهْ وَهَى وَأَذْنُو مَقَامًا أُرْجِي أَنْفِي
يَتَرَاءَى لِي اللَّهِيْبُ فَاعْزُدُو ثُمَّ أَعْدُو مُدَلِّهَا فَيَغِيْبُ
أَقَابِقِي أَدْنُو وَأَنَايَ وَأَسْتَسِد قِي وَأَظْمَا وَأَبْتَدِي وَأَوْوَبُ
أَهْوَ الْقُبُّ أَنْ أَكَايِدَ لَا أَهْ دَأْ أَمِ أَنْتَ تُبَيِّ اللَّعْزِيْبُ



كَيْفَ اشْكُو حَالِي إِلَيْهِ وَحَالِي غَيْرُ نَافِي عَلَيْهِ وَهُوَ الرَّقِيْبُ
وَشَكَائِي هَدِيْلَهَا مِنْهُ وَالْبَقَرُ سُنْ وَقَصْوِي الْقِطَابِي وَالْأَسْلُوبُ

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) :

بِاللَّهِ مَدَى
يَكْتَرُ الْأَسْتَبْصَارُ

عَنْ الْحِكْمَةِ ١ : ٢٩٠

جَدُّ عُرْكَةِ الْأَرْجَمِهَاذ

يُنْ

مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ

دراسات

* الشيخ

فؤاد كاظم المقدادي

توطئة:

إنَّ أفراد مدرسة خاصة لاهل البيت عليه السلام وتتميزها عن غيرها من المدارس الاسلامية لم يأت جزافاً أو محاكاة لدعوى مدارس اخرى، وإنما هو في الحقيقة تطبيق لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله التي اودعها أمته في قوله المشهور بحديث الثقلين: «إني تارك فيكم أمرين إن اخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عز وجل واهل بيتي عترتي، أيها الناس، اسمعوا وقد بلغت، إنكم ستردون علي الحوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين، والثقلان كتاب الله جل ذكره واهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(١)، وكذلك انطلاقاً من الاوامر الالهية المتظافرة في إعداد وإبراز هذه المدرسة وجعلها معلماً إلهياً لمن اراد إليه سبيلاً. وقد حكمت هذه الحقيقة المئات من آيات القرآن الكريم واحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ومنها:

١ - آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢) فقد روي عن ام سلمة زوج النبي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان في بيتها

(١) الاصول من الكافي (كتاب الحج) ١: ٢٩٤، وينابيع المودة: ٣٤ باختلاف في بعض الالفاظ واضافة «ولا تخلقوا عنهم».

(٢) ابن مردويه عن ابن أبي شيبه واحمد والترمذي وحسنه، وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه، وابن مردويه عن انس: يراجع: الميزان للخطاطباني لمتابعة هذه المصادر في تفسير آية التطهير.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٥) غاية المرام، في تفسير الآية.

(٦) آل عمران: ٦١.

على منامة له عليه كساء خيرى، فجاءت فاطمة فقال رسول الله ﷺ: ادعى زوجك وابنيك حسناً وحسيناً فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، فأخذ النبي ﷺ بفضلته إزاره فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وأومأ إلى السماء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول: «الصلاة يا أهل البيت الصلاة» ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، (٢).

٢ - آية المودة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٤) فعن ابن عباس قال: «لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: علي وفاطمة وابناهما» (٥).

٣ - آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٦) وقد نزلت هذه الآية في قضية المباهلة، وهي كما رواها المؤرخون والمفسرون والرواة أن وفداً من نصارى نجران جاء ليحاج رسول الله ويحاووه، فأمره الله سبحانه بهذه الآية المباركة أن يدعو علياً وفاطمة والحسن والحسين ويخرج بهم إلى الوادي، وأن يدعو النصارى أبناءهم ونساءهم ويخرجوا معهم ثم يدعو الله بأن ينزل العذاب على الكاذبين. قال الزمخشري في الكشاف: «إِنَّهُمْ لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى الْمَبَاهِلَةِ قَالُوا: حَتَّى نَرْجِعَ وَنَنْظُرَ، فَلَمَّا تَخَالَوْا قَالُوا لِلْعَاقِبِ - وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ - : يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ، مَا تَرَى؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ أَمْرِ صَاحِبِكُمْ. وَاللَّهُ مَا بَاهِلُ قَوْمٍ نَبِيًّا قَطُّ فَعَاشَ كَبِيرُهُمْ، وَلَا نَبْتَ صَغِيرُهُمْ وَلَثْنٌ فَعَلْتُمْ لِنَهْلِكُنْ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَوَادَعُوا الرَّجُلَ وَأَنْصَرَفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ».

فأتى رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين، أخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فامنوا فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقن على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نترك على دينك ونثبت على ديننا. قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم. فأبوا، فقال: فإني أناجزكم فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصلحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي اليك كل عام ألفي حلة؛ ألف في صفر وألف في رجب، وثلاثين درعاً من حديد. فصالحهم على ذلك، وقال ﷺ: والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلنى على أهل نجران، ولو لاعتوا لمفسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا.

ثم استطرد الزمخشري في حديثه عن تفسير آية المباهلة ومقام أهل البيت ﷺ بعد أن استشهد على عظيم مكانتهم بحديث عائشة، قائلاً: «وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانتهم، وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الانفس مفدون بها. وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء ﷺ وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم اجابوا إلى ذلك» (٧).

٤ - آية التبليغ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٨).

وكان نزول هذه الآية في غدير خم. وفيما يلي بيان ذلك: لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع (٩) نزلت عليه في الثامن عشر من ذي الحجة (١٠) هذه الآية. فنزل غدير خم من الجحفة (١١) وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام، ووقف هناك حتى لحقه من بعده ورد من كان تقدم (١٢)، ونهى أصحابه عن سمرة متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهم، ثم بعث اليهن فقم ما تحتهم من الشوك ونادى بالصلاة جامعة (١٣) فصلّى الظهر بهجير (١٤)، ثم قام خطيباً

(٧) الزمخشري: تفسير الكشاف، في تفسير آية المباهلة، وكذا جاء في تفسير الثعالبي عن مجاهد والكلبي.

(٨) المائدة: ٦٧.

(٩) مجمع الزوائد ٩: ١٦٣ - ١٦٥.

(١٠) رواه الحاكم الحسكاني ١: ١٩٢ - ١٩٣.

(١١) مجمع الزوائد ٩: ١٦٣ - ١٦٥، وتاريخ ابن كثير ٥: ٢٠٩ - ٢١٣.

(١٢) تاريخ ابن كثير ٥: ٢١٣.

(١٣) مسند أحمد ٤: ٢٨١، وسنن ابن ماجه، باب فضل علي، وتاريخ ابن كثير ٥: ٢٠٩ - ٢١٠.

(١٤) مسند أحمد ٤: ١٨١، وسنن ابن ماجه، باب فضل علي، وتاريخ ابن كثير ٥: ٢١٢.

(١٥) مجمع الزوائد وبعض

ألفاظه في روايات الحاكم ٣:

١٠٩ و ١١٠، وابن كثير ٥:

٢٠٩.

(١٦) مسند أحمد ١: ١١٨ -

١١٩ و ٤: ٢٨١، وسنن ابن

ماجة ١: ٤٣، ح ١١٦.

(١٧) مسند أحمد ٤: ٢٨١

و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، وابن

كثير ٥: ٢٠٩ و ٢١٢.

(١٨) الحاكم الحسكاني في

شواهد التنزيل ١: ١٩١، وعند

ابن كثير ٥: ٢٠٩ «وانا مولى

كل مؤمن».

(١٩) مسند أحمد ١: ١١٨ -

١١٩، و ٤: ٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢

و ٣٧٣، و ٥: ٢٤٧ و ٣٧٠.

ومستدرک الحاكم ٣: ١٠٩،

وسنن ابن ماجه، والحاكم

الحسكاني ١: ١٩٠ - ١٩١،

وتاريخ ابن كثير ٥: ٢٠٩

و ٢١٠ - ٢١٣.

(٢٠) مسند أحمد ١: ١١٨ -

١١٩، ومجمع الزوائد ٩: ١٠٤

و ١٠٥ و ١٠٧، وشواهد

التنزيل ١: ١٩٣، وتاريخ ابن

كثير ٥: ٢١٠ و ٢١١.

(٢١) شواهد التنزيل

للحسكاني ١: ١٩١، وتاريخ

ابن كثير ٥: ٢١٠.

(٢٢) شواهد التنزيل ١: ١٩٠.

(٢٣) رواه الحاكم الحسكاني

عن أبي سعيد الخدري ١:

١٥٧ و ١٥٨، ح ٢١١ و ٢١٢،

وعن ابن هريرة: ١٥٨، ح ٢١٢،

وابن كثير ٥: ٢١٤ بإجاز.

فحمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول ثم قال: **إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وانتم مسؤولون، فما انتم قائلون؟** قالوا: **نشهد أنك بليّغ ونصحت فجزاك الله خيراً.** قال: **أليس تشهدون أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق؟** قالوا: **بلى نشهد بذلك.** قال: **اللهم اشهد، ثم قال: ألا تسمعون؟** قالوا: **نعم.** قال: **يا أيها الناس، إني فرط وأنتم واردون علي الحوض، وإن عرضه ما بين بصري إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين فانتظروا كيف تخلفوني فيهما.**

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: **كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدلوا، وعترتي اهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض. سألت ذلك لهما ربي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم^(١٥).** ثم قال: **ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: **بلى يا رسول الله^(١٦).** قال: **ألستم تعلمون [أو تشهدون] أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟** قالوا: **بلى يا رسول الله^(١٧).** ثم اخذ بيد علي بن ابي طالب بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما. ثم قال: **أيها الناس، الله مولاي وأنا مولاكم^(١٨).** فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(١٩) وانصر من نصره واخذل من خذله^(٢٠). **واحب من احبه وابغض من ابغضه^(٢١).** ثم قال: **اللهم اشهد^(٢٢).** ثم لم يتفرقا - رسول الله وعلي - حتى نزلت هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فقال رسول الله ﷺ: **«الله اكبر على اكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي»^(٢٣).**

وغير ذلك من آيات القرآن الكريم.

ولذا نجد أن رسول الله ﷺ لم يترك مناسبة مواتية إلا وأكد التعريف بأهل البيت ﺍﻟﻤﻮﺗﻮﺍﺋﻴﻦ ولزوم اتباعهم والانقياد لهم والالتحاق بمدرستهم الكبرى. منها:

حديث السفينة المشهور: وهو قوله ﷺ: **«إنما مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٢٤).**

(٢٤) الفيروز آبادي، فضائل

الخمسة ٢: ٦٥.

(٢٥) الشبراوي الشافعي،

الاتحاف بحب الاشراف: ٢٠،

أخرجه الحاكم في مستدرك

الصحيحين ٣: ١٤٩ وقال عنه

هذا حديث صحيح الاسناد

ولم يخرج، كما أورده المتقي

في كنز العمال (٦: ٢١٧)

ونذكره ابن حجر في صواعقه

وصححه: ١٤٠.

(٢٦) ابن الصباغ المالكي،

الفصول المهمة في احوال

الائمة: ٢٥-٢٦.

(٢٧) الشورى: ٢٣.

(٢٨) رواه السيوطي في احياء

الميت نقلاً عن الطبراني في

الأوسط بسنده عن ابن عمر:

٢٠، كما أخرجه الهيثمي في

مجمع الزوائد ٩: ١٦٢،

وأورده ابن حجر في

الصواعق المحرقة: ٩٠.

(٢٩) رواه مسلم في كتاب

فضائل الصحابة في باب

فضائل علي بن ابي طالب

بزيادة في ألفاظه (٤ من

الصحيح: ١٨٧٣)، ورواه احمد

بن حنبل في مسنده وفق ما

رواه مسلم (ج ٤/ ص ٣٦٦ -

٣٦٧)، كما رواه المتقي في

كنز العمال في الجزء الاول:

١٥٨ وفي الجزء السابع: ١٠٢،

وأورده السيوطي في تفسيره

للر المنثور ٦: ٧، كما رواه

أيضاً في كتابه احياء الميت:

وحديث الأمان من الاختلاف وهو قوله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من

الفرق، واهل بيته أمان لأهل الأرض من الاختلاف» (٢٥).

وحديث الكساء الذي روته ام سلمة (رض) أنه كان النبي ﷺ في بيتها

يوماً فأنته فاطمة عليها ببرة فيها عصيدة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي لي

زوجك وابنك، فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا وجلسوا يأكلون

والنبي ﷺ جالس على دكة وتحت كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة

قريباً منهم، فأخذ النبي ﷺ الكساء، فغشاهم به ثم قال: اللهم اهل بيتي

وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت: فأدخلت رأسي، قلت: وأنا

معكم يا رسول الله، قال ﷺ: إنك إلى خير، إنك إلى خير، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا

يريد الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٢٦).

وحديث المودة المروي عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (٢٧) قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء

الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال رسول الله ﷺ: علي وفاطمة وابناهما.

ومنها أيضاً ما روي من أن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ هو قوله:

«أخلفوني في اهل بيتي» (٢٨).

وقوله ﷺ: «أذكركم الله في اهل بيتي» (٢٩).

وقوله ﷺ في موضع آخر: «نحن اهل البيت لا يقاس بنا أحد» (٣٠).

وعنه ﷺ حين خطب في الجحفة، فقال: «ألست أولى بكم من أنفسكم، قالوا:

بلى يا رسول الله، قال: فإني سأنلكم عن اثنين: عن القرآن واهل بيتي» (٣١).

وقد جمع امير المؤمنين عليه السلام في بليغ الكلام حين قال «نحن [اهل

البيت] شجرة النبوة ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم وينابيع

الحكمة...» (٣٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً

علينا؟ ... بنا يُستعطى الهدى ويُستجلى العمى» (٣٣).

وقال عليه السلام: «فانهم [اهل البيت] عيش العلم، وموت الجهل. هم الذين يخبركم حكمهم

عن علمهم وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون

(٣٠) الطبري، ذخائر العقبى:

١٧.

(٣١) رواه السيوطي في احياء

الميت نقلاً عن الطبراني

بسند عن المطلب بن عبد الله

عن ابيه: ٢٨، كما ذكره

الهيتمي في مجمع الزوائد ٥:

١٩٥، ورواه أيضاً ابن الاثير

في اسد الغابة ٣: ٨٢٧، ورواه

ابو نعيم في حلية الاولياء

(ج ٩/ ص ٦٤) بسنده عن

علي بن الحسين.

(٣٢) نهج البلاغة.

(٣٣) نهج البلاغة.

(٣٤) نهج البلاغة.

(٣٥) نهج البلاغة.

فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق» (٣٤).

وقال عليه السلام أيضاً: «فيهم [اهل البيت] كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن: إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يُسبقوا» (٣٥).

اذن فمدرسة اهل البيت عليه السلام هي في الحقيقة مدرسة الرسالة والرسول تنزيلاً وتأويلاً وتطبيقاً.

ولا نتجاوز الواقع إذا قلنا: إن الاحاطة التفصيلية بمعالم هذه المدرسة الالهية لا تتأتى إلا بتطافر جهود متواصلة لا انقطاع لها يبذلها العلماء والمتبحرون في علومها ومسيرتها، وهو ما اضطلع به لحد الآن الاساطين والأعلام منهم جزاهم الله خيراً عن الاسلام ورسوله ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليه السلام.

وفي دراستنا المختصرة هذه نسلط الضوء على الجذور الاولوية لاصل اساسي من اصول هذه المدرسة النبوية الكبرى، وهو الاجتهاد الذي تميزت به هذه المدرسة منذ نشوئها على يد رسول الله ﷺ وإلى يومنا هذا.

جذور حركة الاجتهاد في مدرسة اهل البيت عليه السلام:

إن الاجتهاد بمنظور مدرسة اهل البيت عليه السلام اصل مبدئي ومن أهم المعالم الاساسية لهذه المدرسة النبوية، وقد مثل النهج العلمي الذي سلكوه عليه السلام في حفظ الرسالة الاسلامية قرآناً وسنة كما جاءت عن الرسول الاكرم ﷺ، ولقد رسم اصول هذا النهج بمعالمها الكلية الرسول الأمين ﷺ. ومما جاء عنه عليه السلام في ذلك قوله في حجة الوداع: «قد كثرت علي الكذابة وستكثر: فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه علي كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به» (٣٦). وعن أبي عبد الله الصادق عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا خُذتم عني بالحديث فأنحلوني أهناؤه واسهله وارشدوه، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن لم يوافق كتاب الله فلم أقله» (٣٧). وقال عليه السلام أيضاً: «أيها الناس حلالي حلال إلى يوم القيامة وحرامي حرام إلى يوم القيامة، ألا وقد بينهما الله عز وجل في الكتاب، وبينتهما في

(٣٦) محمد باقر المجلسي /

بحار الانوار ٢: ٢٢٥ باب ٢٩،

ج ٢.

(٣٧) ابو جعفر البرقي /

المحاسن ١: ٢٢٠ ج ١٣٦ ط ٢.

- ق م.

سيرتي وسنتي، وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي من تركها صلح له أمر دينه، وصلحت له مروته وعرضه، ومن تلبس بها ووقع فيها واتبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمى، ومن رعى ماشيته قرب الحمى نازعته نفسه أن يرعاها في الحمى. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله عز وجل محارمه، فتوقوا حمى الله ومحارمه» (٣٨).

وقال عليه السلام: «اتقوا تكذيب الله. قيل: يا رسول الله، وكيف ذاك؟ قال: يقول أحدكم: قال الله، فيقول الله عز وجل: كذبت لم أقله، ويقول: لم يقل الله، فيقول عز وجل: كذبت قد قلته» (٣٩).

وعنه عليه السلام أيضاً: «من قال علي ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار» (٤٠). وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» (٤١).

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «قال الله جل جلاله: ما آمن بي من هنر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلقي، وما على ديني من استعمل القياس في ديني» (٤٢). ولقد أخذت الصورة التفصيلية لهذا النهج تتبين وتتجلى على يد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام دوراً بعد آخر، حتى بلغت كمالها في عصر النهضة العلمية في علوم الشريعة الإسلامية التي قادها وأبرزها على صعيد الأمة خامس أئمة أهل بيت العصمة والنبوة الإمام محمد الباقر عليه السلام، وبلغ الأوج فيها ولده الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

إن الدور التأسيسي للإمامين الصادقين عليه السلام في تحقيق هذا الأصل وإبرازه معلماً شاخصاً من معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام، كان يهدف إلى إظهار الصحيح من التأويل النبوي للقرآن الكريم والصحيح من سنة الرسول الأمين عليه السلام وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام تميزاً لهما عن مداخلات الاجتهادات الخاصة للخلفاء الثلاثة الأولين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتحريف والدس الذي تعمده بنو أمية من بعدهم. وقد اعتمدوا عليهم منتهجين متعانقين مع بعضهما لتحقيق ذلك:

الأول: ربط الأمة وطلاب العلم والفقهاء بأئمة أهل بيت النبوة والعصمة باعتبارهم أوصياء منصوبين من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تعالى أمناً على

(٣٨) محمد باقر المجلسي،

بحار الأنوار ٢: ٢٦٠ باب ٣١ ج ١٧.

(٣٩) محمد باقر المجلسي،

بحار الأنوار ٢: ١١٧ باب ١٦ ج ١٦.

(٤٠) أبو جعفر البرقي،

المحاسن ١: ٢٠٩ ج ٣٧٤.

(٤١) ابن ماجه، سنن ابن

ماجه ج ١ باب التغليظ في

تعهد الكذب على رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم ص ١٢ ج ٣٠ و ٣٣.

(٤٢) أبو جعفر الصدوق،

أمالي الصدوق: ١٥ - ١٦.

المجلس الثاني، ج ٢.

وحيه وتراجمة لقرآنه ورواه حفظه لسنة رسوله ﷺ. وقد تواترت عنهم ﷺ العشرات من الروايات في التأكيد على هذا المنهج، منها ما ورد عن الامام الباقر ﷺ قال: «أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا اهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحق وعدل إلا ومفتاح ذلك القضاء وبابه واوله وسنته امير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ...» (٤٣).

(٤٣) الامالي للشيخ المفيد.

٩٦

وقال ﷺ أيضاً - لسلمة بن كهيل والحكم بن عتبة -: «شرقاً وغرباً لن تجدوا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا اهل البيت» (٤٤).

(٤٤) بحار الانوار ٢: ٩٢.

وقال ﷺ: «أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا اهل البيت» (٤٥).

(٤٥) بحار الانوار ٢: ٩٤.

وقال ﷺ أيضاً: «إننا اهل بيت من علم الله علمنا، ومن حكمه أخذنا، ومن قول الصادق (*) سمعنا، فإن تتبعونا تهتدوا» (٤٦).

(*) يقصد رسول الله ﷺ.

(٤٦) بحار الانوار ٢: ٩٤.

وقال ﷺ: «كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل» (٤٧).

(٤٧) بحار الانوار ٢: ٩٤.

كما ورد عن الامام الصادق ﷺ العديد من الروايات في ذلك منها قوله ﷺ: «انظروا علمكم هذا عن تأخذونه، فإن فينا اهل البيت في كل خلف عدو لا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» (٤٨).

(٤٨) اصول الكافي للكليني ١: ١٢٠.

وقوله ﷺ في اهل البيت ﷺ: «يا يونس! إذا أردت العلم الصحيح فخذ عن اهل البيت، فإننا رويناه واولينا شرح الحكمة وفصل الخطاب» (٤٩).

(٤٩) بحار الانوار ٣٦: ١٥٨.

وقال أيضاً: «الراسخون في العلم امير المؤمنين والأئمة من بعده» (٥٠).

(٥٠) اصول الكافي للكليني ١: ٢١٢.

وقال ﷺ: «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله» (٥١).

(٥١) اصول الكافي للكليني ١: ٢١٢.

ولقد جاءت احاديث الصادقين ﷺ في هذا الأمر بياناً وتأكيداً لما حرص رسول الله ﷺ على تركيزه في الامة طيلة حياته الرسالية وأصر عليه في وصاياه لما بعد وفاته، منها حديث الثقلين الشهير الذي قال ﷺ فيه: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض. فتعلموا منهم ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» (٥٢).

(٥٢) اصول الكافي ١: ٢٩٤.

وينابيع المودة: ٢٢.

وقوله ﷺ: «أنزلوا آل محمّد منزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العينين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعينين» (٥٣).

(٥٣) الإتحاف بحب الاشراف:

٢٦.

(٥٤) بحار الانوار ٣٦: ٣٤٢.

(٥٥) بحار الانور ٢٣: ١٠٥.

(٥٦) شرح نهج البلاغة لابن

ابي الحديد ٧: ٢١٨.

(٥٧) شرح نهج البلاغة لابن

ابي الحديد ٩: ١٦٤.

(٥٨) بحار الانوار ٢: ١٠٠.

(٥٩) نهج البلاغة / الخطبة:

٩٧.

(٦٠) المتوفى سنة ١٤١هـ كان

جليل القدر، عظيم المنزلة. لقي

الاسام زين العابدين عليه السلام

والباقر عليه السلام والصديق عليه السلام

وكان له حلقة في المسجد.

وقال عنه ياقوت الحموي:

تكان قارناً لغوياً فقيهاً امامياً.

فقه عظيم، جليل القدر. روى

عن علي بن الحسين وابي عبد

الله عليه السلام وسمع من العرب

وصنف غريب القرآن

وغيره.

(٦١) المتوفى سنة ٢٠٠هـ،

وهو من الستة الذين اُجمعت

العصابة على تصحيح ما

يصح عنهم والإقرار لهم

بالفقه.

(٦٢) المتوفى سنة ١٥٠هـ،

وكان من اصحاب الامام

الباقر عليه السلام وولده الامام

الصديق عليه السلام وهو من حملة

الحديث ورجال الفقه، وله عند

اهل البيت عليه السلام منزلة ووثاقة

وعلق قدر. وورد مدحه في

روايات صحيحة، كما اُجمعت

للشيعة على تصحيح ما صنع

عنه.

قوله عليه السلام أيضاً: «ألا إن اهل بيتي امانٌ لكم فأحبوهم بحبي وتمسكوا بهم لن تضلوا» (٥٤).

وقوله عليه السلام: «إنما مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» (٥٥).

ولقد سار امير المؤمنين عليه السلام على نهج الرسول في التأكيد على الامر، وقد جاء عنه عليه السلام: «نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم...» (٥٦).

وقوله عليه السلام في ائمة اهل البيت عليه السلام: «نحن الشعار والاصحاب، والخزنة والابواب، ولا تؤتى البيوت إلا من ابوابها، فمن أتاها من غير ابوابها سقي سارقاً» (٥٧).

وقوله عليه السلام أيضاً: «إن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به النبيون إلى محمد خاتم النبيين في عترة محمد عليه السلام» (٥٨).

وقال عليه السلام: «انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوك من هدى ولن يعيدوكم في ردى» (٥٩).

وعشرات الروايات الاخرى التي تؤكد هذا النهج.

ولقد اثمرت جهودهما عليه السلام على هذا النهج في دائرتين رئيسيتين:

الدائرة الاولى: وهي دائرة اتباعهم وشيعتهم، وقد استهدفوا عليه السلام في هذه الدائرة تربية وبناء مجموعة متميزة في علمها وكفاءتها وقدرتها على تمثيل مدرستهم الاسلامية الكبرى في كل الحواضر التي يحلّون فيها، كان من ابرزهم ابو سعيد أبان بن تغلب بن رياح البكري الجريري (٦٠)، وأبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي (٦١)، وابو القاسم بريد بن معاوية العجلي الكوفي (٦٢)، وابو علي جميل بن دراج بن عبد الله النخعي (٦٣)، وجميل بن صالح الاسدي الكوفي (٦٤)، وحماد بن عثمان بن زياد الرواسي الكوفي (٦٥)، وحماد بن عيسى بن عبيدة الجهني (٦٦)، وحبيب بن ثابت الكاهلي (٦٧)، وحمزة بن محمد الطيار (٦٨)، وابو جعفر محمد بن علي بن النعمان البجلي الكوفي المعروف بمؤمن الطاق (٦٩)، وابو محمد هشام بن الحكم الكندي البغدادي (٧٠) وعشرات غيرهم (٧١).

(٦٣) من اصحاب الامام الصادق عليه السلام وولده ابي الحسن موسى عليه السلام وكان ثقة وهو من الستة الذين اجمعوا على تصحيح ما يصح عنهم، توفي في ايام الامام الرضا عليه السلام وكان كثير الحديث، فقيهاً، زاهداً، متعبداً، له مؤلفات منها كتاب اشترك هو ومحمد بن حمدان فيه. وله كتاب اشترك هو ومزارم بن حكيم فيه.

(٦٤) من اصحاب الامام الصادق عليه السلام وولده موسى عليه السلام ثقة له أصل، روى عنه جماعة.

(٦٥) المتوفى سنة ١٩٠ هـ وهو من الستة الذين اجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهم.

(٦٦) غريق الجحفة المتوفى سنة ٣٠٨ هـ من اصحاب الامام الصادق عليه السلام والكامل عليه السلام. ومن الستة الذين اجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم.

(٦٧) المتوفى سنة ٢٢٢ هـ من التابعين ومن رجال الصحاح الستة. روى عن الامام زين العابدين عليه السلام والامام الباقر عليه السلام وولده الصادق عليه السلام.

(٦٨) من رجال الفقه والمتفوقين في علم الكلام وله مناظرات مع خصوم أهل البيت عليهم السلام كما دلت على ذلك آثاره. ووردت احاديث من أهل البيت عليهم السلام في مدحه.

وقد اعتمدا منهج التخصص مع بعضهم على ضوء الاستعداد المتميز لكل منهم في مجال معين من مجالات المعرفة الاسلامية؛ فمنهم من كان متميزاً بالفقه ومناظراته كأبان بن تغلب وزرارة بن أعين ومنهم من تميز في مسائل علوم القرآن كحمران بن أعين، وآخرين في المساجلات الكلامية كمؤمن الطاق، وفي مسائل العقائد وخصوصاً الامامة كهشام بن الحكم (٧٢)، وهكذا.

وكان لهذه النخبة الصالحة الدور الكبير في نشر معالم الدين من منبع أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنها أمام الملاحدة والزنادقة والمنحرفين. وقد حرص الصادقان عليهما السلام على ابراز مقام هذه الصفوة من الاصحاب المخلصين واظهار كفاءتهم ومكانتهم العلمية من خلال إناطتهم بهم وظيفة الاجابة عن مسائل العديد من الوفود التي تتوالى عليهما من مختلف البلاد الاسلامية (٧٣).

الدائرة الثانية: هي الدائرة العامة للمسلمين حتى إن أئمة المذاهب الاسلامية المختلفة ورواة الحديث اتجهوا اليهما وإلى العلماء والفقهاء من مدرستهما، كتلميذ ابي حنيفة على الامام الصادق عليه السلام وتلميذ مالك على الزهري الذي هو تلميذ الامام السجاد عليه السلام وتلميذ الشافعي على مالك، وهكذا في الحديث واخذ الرواية، فقد اخذ الكثير من رواة الحديث عنهما عليهما السلام على اختلاف مذاهبهم منهم عمر بن دينار الجمحي، وعبد الرحمن الاوزاعي، وعبد الملك بن عبد العزيز الاموي، وقرة بن خالد الدوسي، ومحمد بن المنكر القرشي التميمي، ويحيى بن كثير الطائي، ومحمد بن مسلم الزهري، وأبو محمد سليمان بن مهران الأسدي، وأبو عثمان ربيعة بن عبد الرحمن التميمي، وأبو محمد عبد الله بن ابي بكر الانصاري احد مشايخ الامام مالك وأبو هارون المدني، والقاسم بن محمد بن ابي بكر، وكيسان السخيتاني صاحب الصوفية وابن المبارك، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت في مسنده، ومحمد بن ادريس الشافعي، وزيايد بن المنذر الهندي، والامام مالك وعشرات غيرهم (٧٤).

ونقل العلامة السيد محسن الامين: «إن الحافظ ابن عقدة الزيدي جمع في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمد فضلاً عن غيرهم، وذكر مصنفاتهم» (٧٥).

(٦٩) من اصحاب الامام جعفر الصادق عليه السلام كان كثير العلم متفوقاً في معارفه قوياً في حجته. تعددت فيه نواحي العبقرية والنبوغ؛ فهو عالم بالفقه والكلام والحديث والسعر، وكان قوي العارضة سريع الجواب واضح الحجة. له مناظرات علمية كثيرة خصوصاً في المسائل العقائدية وله كتب عديدة وقد اختصه الامام الصادق عليه السلام بوصية.

(٧٠) المتوفى سنة ١٩٧هـ من اصحاب الامام الصادق عليه السلام ومن ابرز رجال مدرسته في الحكمة والدراية والعرفان والفقه والحديث، وشهد له الحواضر العلمية مناظرات ومسابقات علمية خصوصاً في مسائل العقائد والامامة، حتى قال عنه الامام الصادق عليه السلام «يا هشام لازلت مؤيداً بروح القدس». وكان من اصحاب الامامين الكاظم والرضا عليهما السلام وله مؤلفات كثيرة وكان ثقة عظيم المنزلة.

(٧١) منهم داود بن فرقة، وحמיד بن العثنى العجلي، وداود الرقي، وزيد الشحام، وسعيد الصيرفي، وعبد الرحمن البجلي، وداود بن يزيد الكوفي العطار، وداود ابن كثير، وروح بن عبد

ونقل أيضاً: «روى النجاشي في رجاله بسنده عن الحسن بن علي الوشاء في حديث أنه قال: ادركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمئة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد، وكان عليه السلام يقول: حديثي حديث ابي، وحديث ابي حديث جدي وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب وحديث علي حديث رسول الله وحديث رسول الله قول الله عز وجل» (٧٦).

كما أن الكثير منهم استفتى الامام الصادق عليه السلام وغيره من الائمة من بعده، وصرحوا بأعلمية الائمة من اهل البيت عليهم السلام.

ومما اورده الشيخ المفيد في الارشاد قوله: «اخبرني الشريف ابو محمد الحسن بن محمد قال: حدثني جدي قال: حدثنا محمد بن القاسم الشيباني قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدي، عن ابي مالك الجنبي، عن عبد الله بن عطاء المكي قال: ما رأيت العلماء عند احد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد ابن علي بن الحسين عليهما السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة - مع جلالته في القوم - بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه» (٧٧).

وأورد أيضاً قائلاً: «اخبرني الشريف ابو محمد الحسن بن محمد قال: حدثني جدي قال: حدثني شيخ من اهل الري قد علّت سِنَّهُ قال: حدثني يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن معاوية بن عمار الدهني، عن محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام في قول الله عز وجل: ﴿فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (٧٨) قال: نحن اهل الذكر قال الشيخ الرازي: ... فذكرت ذلك لأبي زُرعة ... واوردت عليه ما حدثني به يحيى بن عبد الحميد، قال: صدق محمد بن علي، إنهم اهل الذكر...» (٧٩).

ومما جاء في كتاب مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب نقلاً عن كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم ما نصّه: «قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين، ولا تخلو كتب احاديث وحكمة وزهد وموعظة من كلامه. يقولون: قال جعفر بن محمد الصادق، قال جعفر الصادق [يعني صادق القول] ذكره النقاش والثعلبي والقشيري والقزويني في تفاسيرهم» (٨٠).

الرحيم الكوفي، وعبد الله بن أبي يعفور الكوفي، وعبد الله بن شريك، وعبد الله بن مسكان، والعلاء بن زرير، وعمر بن حنظلة، وشعيب العنقري، والمعلّى بن خنيس.

(٧٢) راجع: حيدر / اسد، الامام الصادق والمذاهب الاربعة ٢: ٥٠-٨٢.

(٧٣) راجع: حيدر / اسد، الامام الصادق والمذاهب الاربعة ٢: ٥٠-٨٢.

(٧٤) راجع: المجلسي / البحار ٤٧ / احوال اصحابه، والمناقب / باب في علمه، والامام الصادق والمذاهب الاربعة ٢: تلامذته ورواته، وابن حجر العسقلاني / تهذيب التهذيب ط ١ / ص ٣٥٠.

(٧٥) السيد محسن الامين، اعيان الشيعة ١: ٦٦١.

(٧٦) السيد محسن الامين / اعيان الشيعة ١: ٦٦١.

(٧٧) الارشاد للشيخ المفيد ٢: ١٦٠.

(٧٨) للنحل: ٤٢، والانبيا: ٧.

(٧٩) الارشاد للشيخ المفيد ٢: ١٦٢.

(٨٠) مصنفات الشيخ المفيد، ط اولي.

(٨١) ابن شهر آشوب، المناقب ٤: ٢٤٩.

(٨٢) ابن شهر آشوب، المناقب ٤: ٢٤٨-٢٤٧.

ونقل أيضاً عن نفس الكتاب أنه عليه السلام «حدّث عنه من الائمة والاعلام مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريح، وعبد الله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، واسماعيل بن جعفر، وحاتم بن اسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، وهب بن خالد، وابراهيم بن طحان في آخرين. قال: وأخرج عنه مسلم في صحيحه محتجاً بحديثه. وقال غيره: وروى عنه مالك والشافعي، والحسن بن صالح، وايوب السخيتاني، وعمرو بن دينار، واحمد بن حنبل. وقال مالك بن انس: ما رأيت عين، ولا سمعت اذن، ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً» (٨١).

ونقل الامين العاملي عن الحسن بن زياد أنه قال: «سمعت ابا حنيفة - وقد سئل عن أفقه من رأيت - قال: جعفر بن محمد» (٨٢).

وعن ابن ابي ليلى قوله: «ما كنت تاركاً قولاً قلته أو قضاءً قضيته لقول أحد، إلا رجلاً واحداً هو جعفر بن محمد» (٨٣).

وقال مالك بن انس إمام المالكية فيه عليه السلام: «كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي اخضرّ واصفرّ. ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما قائماً، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث عن رسول الله إلا على الطهارة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه» (٨٤).

ومما قاله الشيخ المفيد في ارشاده: «وكان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام بين اخوته خليفة ابيه محمد بن علي عليه السلام ووصيه القائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل. وكان انبهم ذكراً وأعظمهم قدراً، وأجلهم في العامة والخاصة. ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن احد من اهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من اهل الآثار ونقله الاخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله، فإن اصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل» (٨٥).

(٨٢) الامين، اعيان الشيعة ١:

٦٦٤.

(٨٣) الامين، اعيان الشيعة ١:

٦٦٤.

(٨٤) عبد الحميد الجندي،

الامام الصادق: ١٥٩.

(٨٥) الشيخ المفيد، الارشاد:

٢٧٠.

وغير ذلك كثير.

وقد برز فيما بعد اتجاه واسع في اوساط هذه الدائرة يعتقد بمرجعية اهل البيت (عليه السلام) وأنهم ورثة رسول الله في بيان معالم الدين.

الثاني: تعريف الامة بمعالم الدين الحق ووضع قواعد وأصول العلم والفقه بفروعه، وخوض معركة فكرية لإبطال كل مقولات الاجتهاد بالرأي وردع كل خروج عن دائرة المصدرين الأساسيين للتشريع الاسلامي المتمثلين بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، وبيان حقيقة الاجتهاد الصحيح وحدوده والتفقه المطلوب بالإسلام وطريقته في جميع جوانب المعرفة الإسلامية عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً، وهو النهج الذي نادى به وعمل له من سبقهم ومن لحقهم من ائمة اهل البيت (عليه السلام)، وتربّت عليه أجيال العلماء والفقهاء المعاصرين لهم والتابعين لمدرستهم من بعدهم.

وقد كان التركيز على جانبين اساسيين في ذلك:

الجانب الاول: سلبي قد استهدف فيه الردع عن المنهج الخاطئ في معرفة معالم الدين، وخصوصاً الردع عن البدعة والقياس في الدين والافتاء بالرأي والاسناد إلى الله بغير كتاب كريم وسنة شريفة. ومما جاء في ذلك:

١ - عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: «إِنَّ السَّنَةَ لَا تَقَاسُ، وَكَيْفَ تَقَاسُ السَّنَةَ وَالْحَاضِضُ تَقْضِي الصِّيَامَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟» (٨٦).

٢ - وعنه (عليه السلام) أنه قال: «مَنْ افْتَى النَّاسَ بِرَأْيِهِ فَقَدْ دَانَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ دَانَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فَقَدْ ضَادَ اللَّهُ حَيْثُ احْتَلَّ وَحَرَّمَ فِيمَا لَا يَعْلَمُ» (٨٧).

٣ - وعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «إِنَّ أَصْحَابَ الْمَقَائِيسِ طَلَبُوا الْعِلْمَ بِالْمَقَائِيسِ، فَلَمْ تَزِدْهُمْ الْمَقَائِيسَ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا بَعْدًا، وَإِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يَصْبُ بِالْمَقَائِيسِ» (٨٨).

٤ - وعن سعيد الاعرج قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): إِنَّ مِنْ عِنْدِنَا مَنْ يَتَفَقَّهُ يَقُولُونَ: يَرِدُ عَلَيْنَا مَا لَا نَعْرِفُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي السَّنَةِ نَقُولُ فِيهِ بِرَأْيِنَا فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): كَذَبُوا لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَجَاءَتْ فِيهِ السَّنَةُ» (٨٩).

٥ - وعن أبي بصير قال: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): تَرَدَّدَ عَلَيْنَا أَشْيَاءُ لَيْسَ

(٨٦) أبو جعفر البرقي /

المحاسن ١: ٣٢٨، ج ٩٥.

(٨٧) محمد بن يعقوب

الكليني، الاصول من الكافي ١:

٥٨، باب البدع والرأي

والمقائيس، ج ١٧.

(٨٨) محمد بن يعقوب

الكليني، الاصول من الكافي ١:

٥٦، باب البدع والرأي

والمقائيس، ج ٧.

(٨٩) محمد باقر المجلسي،

بحار الانوار ٢: ٣٠٤، باب ٣٤،

ج ٤٧.

نعرفها في كتاب الله ولا سنة، فننظر فيها؟ فقال ﷺ: لا. أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل» (٩٠).

٦- وعن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: «إن السنة لا تقاس، ألا ترى أن امرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها؟ يا أبان، إن السنة إذا قيست مُحَقَّق الدين» (٩١).

٧- وعن عيسى بن عبد الله القرشي قال: «دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله ﷺ فقال له: يا أبا حنيفة، بلغني أنك تقيس. قال: نعم، فقال ﷺ: لا تقس؛ فإن أول من قاس إبليس حين قال: ﴿خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾ فقام ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما على الآخر» (٩٢).

٨- وعن عبد الرحمن بن سالم قال: «دخل ابن شبرمة وأبو حنيفة على الصادق ﷺ فقال لأبي حنيفة: اتقي الله ولا تقس الدين برأيك؛ فإن أول من قاس إبليس إذ أمره الله تعالى بالسجود فقال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾ ثم قال ﷺ: هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ قال: لا، فقال ﷺ: فأخبرني عن الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والبرودة في المنخرين، والعذوبة في الشفتين، لأي شيء جعل ذلك؟ قال: لا أدري، فقال ﷺ: إن الله تعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل الملوحة فيهما مناً على بني آدم، ولولا ذلك لذابتا، وجعل المرارة في الأذنين مناً على بني آدم، ولولا ذلك لفحمت الذواب فأكلت دماغه، وجعل الماء في المنخرين ليصعد النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة والردية، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة مطعمه ومشربه. ثم قال ﷺ له: أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان، قال: لا أدري، فقال ﷺ: لا إله إلا الله، ثم قال ﷺ: أيما أعظم عند الله تعالى: القتل أو الزنا؟ فقال: بل القتل، قال ﷺ: فإن الله تعالى قدرني في القتل بشاهدين ولم يرخص في الزنا إلا بأربعة، ثم قال ﷺ: إن الشاهد على الزنا شهد على اثنين وفي القتل على واحد لأن القتل فعل واحد والزنا فعلان، ثم قال ﷺ: أيما أعظم عند الله الصوم أو الصلاة؟ قال: لا، بل الصلاة، فقال ﷺ: فما بال المرأة إذا حاضت تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ ثم قال ﷺ: لأنها تخرج إلى صلاة فتدأومها

(٩٠) محمد بن يعقوب

الكليني، الأصول من الكافي ١:

٥٦ باب البدع والرأي

والمقائيس ح ١١.

(٩١) محمد بن يعقوب

الكليني، الأصول من الكافي ١:

٥٧ باب البدع والرأي

والمقائيس ح ١٥.

(٩٢) محمد بن يعقوب

الكليني، الأصول من الكافي ١:

٥٨ باب البدع والرأي

والمقائيس ح ٢٠.

ولا تخرج إلى صوم، ثم قال ﷺ: المرأة اضعف أم الرجل؟ قال: المرأة، فقال ﷺ: فما بال المرأة وهي ضعيفة لها سهم واحد، والرجل وهو قوي له سهمان؟ ثم قال ﷺ: لأن الرجل يُجبر على الانفاق على المرأة ولا تجبر المرأة على الانفاق على الرجل، ثم قال ﷺ: البول اقذر أم المني؟ قال: البول، فقال ﷺ: يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني، وقد أوجب الله تعالى الغسل من المني دون البول، ثم قال ﷺ: لأن المني اختيار ويخرج من جميع الجسد ويكون في الأيام، والبول ضرورة ويكون في اليوم مرات، قال أبو حنيفة: كيف يخرج من جميع الجسد والله يقول: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾^(٩٣) فقال أبو عبد الله ﷺ: فهل قال: لا يخرج من هذين الموضعين؟...^(٩٤)

(٩٣) الطارق: ٧.

(٩٤) محمد باقر المجلسي

بحار الأنوار ١٠: ٢١٢ - ٢١٣.

باب ١٣ ح ١٣.

٩ - وجاء في دعائم الاسلام: «إن أبا عبد الله الصادق ﷺ قال لأبي حنيفة وقد دخل عليه: يا نعمان، ما الذي تعتمد عليه فيما لم تجد فيه نصاً في كتاب الله ولا خبراً عن الرسول ﷺ؟ قال: أقيسه على ما وجدت من ذلك، فقال ﷺ له: أول من قاس إبليس فأخطأ، إذ أمره الله عز وجل بالسجود لآدم ﷺ فقال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين﴾ فرأى أن النار أشرف عنصرأ من الطين، فخلّده ذلك في العذاب المهين، يا نعمان، أيهما اطهر المني أو البول؟ قال: المني، فقال ﷺ: فقد جعل الله عز وجل في البول الوضوء، وفي المني الغسل، ولو كان يحمل على القياس لكان الغسل في البول، وأيهما اعظم عند الله الزنا أم قتل النفس؟ قال: قتل النفس، قال ﷺ: فقد جعل الله عز وجل في قتل النفس الشاهدين وفي الزنا أربعة، ولو كان على القياس لكان الأربعة الشهداء في القتل لأنه اعظم، وإيهما اعظم عند الله الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة، قال ﷺ: فقد أمر رسول الله ﷺ الصائض بأن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، ولو كان على القياس لكان الواجب أن تقضي الصلاة، فاتفق الله يا نعمان ولا تقس، فإننا نقف غداً نحن وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عز وجل فيسألنا عن قولنا ويسألهم عن قولهم، فنقول: قلنا: قال الله وقال رسول الله ﷺ، ونقول أنت واصحابك: رأينا وقسنا، فيفعل بنا وبكم ما يشاء»^(٩٥).

١٠ - وعن ابن الحجاج قال: «قال لي أبو عبد الله ﷺ: إياك وخصلتين فيهما هلك

من هلك: إياك أن تفتي الناس برأيك، أو تدين بما لا تعلم»^(٩٦).

(٩٥) محمد باقر المجلسي،

بحار الأنوار ١٠: ٢٢١ باب

١٣ ح ٢٢.

(٩٦) محمد باقر المجلسي،

بحار الأنوار ٢: ١١٨ باب ١٦،

ح ٢٢.

١١ - وروى المعلى بن خنيس أن الامام ابا عبد الله الصادق عليه السلام قال في قول الله عزوجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغِيرَ هُدًى مِنْ اللَّهِ﴾ ^(٩٧) يعني: من اتخذ دينه رأيه بغير هدى إمام من ائمة الهدى ^(٩٨).

١٢ - وروي عن زرارة أنه قال: «قال لي ابو جعفر عليه السلام: يا زرارة، اياك واصحاب القياس في الدين فإنهم تركوا علم ما وكلوا به. وتكلفوا ما قد كفوه. يتأولون الأخبار، ويكذبون على الله عزوجل، وكأني بالرجل منهم يتأدى من بين يديه: قد تاهوا وتحيروا في الارض والدين» ^(٩٩).

١٣ - وروي عن محمد بن حكيم أنه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تفقهنا في الدين وروينا، وربما ورد علينا رجل قد ابتلي بشيء صغير ما عندنا فيه بعينه شيء، وعندنا ما هو يشبه مثله، افنتيه بما يشبهه؟ فقال عليه السلام: لا، وما لكم والقياس في ذلك؟ هلك من هلك بالقياس. قال: جعلت فداك. أتى رسول الله صلى الله عليه وآله، بما يكتفون به؟ قال عليه السلام: أتى رسول الله بما استغنوا به في عهده وبما يكتفون به من بعده إلى يوم القيامة. قال: ضاع منه شيء؟ فقال عليه السلام: لا، هو عند أهله» ^(١٠٠).

١٤ - وروي عن محمد بن حكيم أيضاً أنه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً من اصحابنا قد تفقهوا، وأصابوا علماً ورووا احاديث، فيرد عليهم الشيء فيقولون برأيهم؟ فقال عليه السلام: لا، وهل هلك من مضى إلا بهذا وأشباهه» ^(١٠١).

١٥ - وورد عن ابي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لعن الله اصحاب القياس: فإنهم غيروا كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله واتهموا الصادقين عليهم السلام في دين الله عزوجل» ^(١٠٢).

١٦ - وروي عن داود بن سرحان قال: «سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: إنني لأحدث الرجل الحديث، وأنهاه عن الجدل والمراء في دين الله، وأنهاه عن القياس، فيخرج من عندي فيأول حديثي على غير تأويله. اني امرت قوماً أن يتكلموا، ونهيت قوماً، فكل يأول لنفسه يريد المعصية لله ولرسوله، فلو سمعوا وأطاعوا لأودعتهم ما أودع أبي اصحابه. إن اصحاب أبي كانوا زيناً احياء وأمواتاً» ^(١٠٣).

١٧ - وجاء في المحاسن عن ابي عبد الله عليه السلام في رسالته إلى اصحاب الرأي والقياس: «أما بعد، فإنه من دعا غيره إلى دينه بالارتياء والمقاييس لم يُنصف ولم يُصب حظه؛ لأن المدعى إلى ذلك لا يخلو أيضاً من الارتياء والمقاييس، ومتى ما لم يكن

(٩٧) القصص: ٥٠.

(٩٨) محمد باقر المجلسي /

بحار الانوار ٢: ٣٠٢، باب ٣٤.

ج ٣٦.

(٩٩) محمد باقر المجلسي /

بحار الانوار ٢: ٣٠٩، باب ٣٤.

ج ٧٠.

(١٠٠) محمد باقر المجلسي /

بحار الانوار ٢: ٣٠٥، باب ٣٤.

ج ٤٩.

(١٠١) محمد باقر المجلسي /

بحار الانوار ٢: ٣٠٥، باب ٣٤.

ج ٥٦.

(١٠٢) محمد باقر المجلسي /

بحار الانوار ٢: ٣٠٩، باب ٣٤.

ج ٧١.

(١٠٣) محمد باقر المجلسي /

بحار الانوار ٢: ٣٠٩، باب ٣٤.

ج ٧٣.

بالداعي قوة في دعائه على المدعو لم يؤمن على الداعي أن يحتاج إلى المدعو بعد قليل؛ لأننا قد رأينا المتعلم الطالب ربما كان فائقاً لمعلم ولو بعد حين، ورأينا المعلم الداعي ربما احتاج في رأيه إلى رأي من يدعو، وفي ذلك تحير الجاهلون، وشك المرتابون، وظن الضائعون. ولو كان ذلك عند الله جائزاً لم يبعث الله الرسل بما فيه الفصل، ولم ينه عن الهزل، ولم يعب الجهل، ولكن الناس لما سفهوا الحق، وغمطوا النعمة، واستغنوا بجهلهم وتدابيرهم عن علم الله، واكتفوا بذلك دون رسله والقوام بأمره، وقالوا: لا شيء إلا ما أدركته عقولنا، وعرفته ألبابنا، فوَلَّاهم الله ما تولَّوا، وأهملهم وخذلهم، حتى صاروا عبدة أنفسهم من حيث لا يعلمون، ولو كان الله رضي منهم اجتهداهم وارتباهم فيما ادَّعوا من ذلك، لم يبعث الله اليهم فاصلاً لما بينهم ولا زاجراً عن وصفهم، وإنما استدللنا أن رضا الله غير ذلك ببعثه الرسل بالأمور القيمة الصحيحة، والتحذير عن الأمور المشككة المفسدة، ثم جعلهم ابوابه، وصراطه، والأدلاء عليه بأمور محجوبة عن الرأي والقياس؛ فمن طلب ما عند الله بقياس ورأي، لم يزد من الله إلا بعداً، ولم يبعث رسولاً قط، وإن طال عمره قابلاً من الناس خلاف ما جاء به، حتى يكون متبوعاً مرةً وتابعاً أخرى، ولم يُرَ أيضاً فيما جاء به استعمل رأياً ولا مقياساً، حتى يكون ذلك واضحاً عنده كالوحي من الله، وفي ذلك دليل لكل ذي لب وحجاً إن أصحاب الرأي والقياس مخطئون مدحضون، وإنما الاختلاف فيما دون الرسل لا في الرسل، فإنك أيها المستمع أن تجمع عليك خصلتين: أحدهما القذف بما جاش به صدرك، وأتباعك لنفسك إلى غير قصد، ولا معرفة حد، والأخرى استغناؤك عما فيه حاجتك، وتكذيبك لمن إليه مردك، وإيّاك وترك الحق سامة وملالة وانتجاعك الباطل جهلاً وضلالة، لأننا لم نجد تابعاً لهواه، جائزاً عما ذكرنا قط رشيداً، فانظر في ذلك» (١٠٤).

(١٠٤) أبو جعفر البرقي/

المحاسن ١: ٣٣١ - ٣٣٢، باب:

المقائيس والرأي، ج ٦٧٤.

١٨ - وروي عن ميسرة بن شريح أنه قال: «شهدت أبا عبد الله عليه السلام في مسجد الخيف، وهو في حلقة فيها نحو من مئتي رجل، وفيهم عبد الله بن شبرمة، فقال: يا أبا عبد الله، إننا نقضي بالعراق، فنقضي ما نعلم من الكتاب والسنة، وترد علينا المسألة فنجتهد فيها بالرأي، قال: فأنصت الناس جميع من حضر للجواب، وأقبل أبو عبد الله عليه السلام على من على يمينه يحدثهم، فلما رأى الناس ذلك، أقبل بعضهم على بعض وتركوا الإنصات. قال: ثم تحدثوا ما شاء

الله، ثم إن ابن شبرمة قال: يا أبا عبد الله، إننا قضاة العراق، وإننا نقضي بالكتاب والسنة، وإنه ترد علينا أشياء ونجتهد فيها بالرأي قال: فأنتصت جميع الناس للجواب وأقبل أبو عبد الله عليه من على يساره يحدثهم، فلما رأى الناس ذلك، أقبل بعضهم على بعض، وتركوا الإنصات، ثم إن ابن شبرمة مكث ما شاء الله، ثم عاد لمثل قوله فأقبل أبو عبد الله عليه فقال: أي رجل كان علي بن أبي طالب؟ فقد كان عندكم بالعراق، ولكم به خبر، فأطراه ابن شبرمة وقال فيه قولاً عظيماً، فقال له أبو عبد الله عليه: فإن علياً أبنى أن يدخل في دين الله الرأي، وأن يقول في شيء من دين الله بالرأي والمقاييس. فقال أبو ساسان فلما كان الليل دخلت على أبي عبد الله عليه فقال لي: يا أبا ساسان، لم يدعني صاحبكم ابن شبرمة حتى أجبته، ثم قال عليه: لو علم ابن شبرمة من أين هلك الناس ما دان بالمقاييس، ولا عمل بها» (١٠٥).

(١٠٥) أبو جعفر البرقي /
المحاسن ١: ٣٣٢ - ٣٣٣، باب:
المقاييس والرأي، ح ٦٧٥.

١٩ - وروي عن أبان بن تغلب أنه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه: رجل قطع اصبع امرأة، فقال عليه: فيها عشرة من الابل. قلت: قطع اثنتين، فقال عليه: فيهما عشرون من الابل. قلت: قطع ثلاث اصابع، قال عليه: فيهن ثلاثون من الابل. قلت: قطع اربعاً، فقال عليه: فيهن عشرون من الابل. قلت: أيقطع ثلاثاً وفيهن ثلاثون من الابل، ويقطع اربعاً وفيها عشرون من الابل؟ فقال عليه: نعم إن المرأة إذا بلغت الثلث من دية الرجل سفلت المرأة وارتفع الرجل. إن السنة لا تقاس. ألا ترى أنها تؤمر بقضاء صومها ولا تؤمر بقضاء صلاتها؟ يا أبان، حدثتني بالقياس، وإن السنة إذا قيست محق الدين» (١٠٦).

(١٠٦) أبو جعفر البرقي /
المحاسن ١: ٣٣٩، باب:
المقاييس والرأي، ح ٦٩٤.

الجانب الثاني: ايجابي قد رُسم فيه المنهج الصحيح لإصابة الدين الحق ومعرفة معالمه وحدوده من الكتاب الكريم والسنة الشريفة. ويمكننا تصنيف نماذج مختصرة من المروي عن الصادقين عليه في هذا الجانب كالاتي:
أولاً: في أن مصدر التشريع الاسلامي هما فقط الكتاب الكريم والسنة الشريفة، منها:

١ - عن أبي عبد الله عليه قال: «إن الله تبارك وتعالى انزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج اليه العباد، حتى لا يستطيع عبء يقول: لو كان هذا

أنزل في القرآن إلا وقد أنزله الله فيه» (١٠٧).

(١٠٧) الأصول من الكافي ١:

٥٩

٢ - وعن علي بن ابراهيم ... عن عمر بن قيس قال: سمعته يقول - يعني الامام الصادق عليه السلام - : «إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله ﷺ، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً» (١٠٨).

(١٠٨) الأصول من الكافي ١:

٥٩

٣ - وعن سليمان بن هارون قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حدٌ كحدِّ الدار؛ فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار، حتى أرش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة» (١٠٩).

(١٠٩) الأصول من الكافي ١:

٥٩

٤ - وعن أبي عبد الله عليه السلام: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة» (١١٠).

(١١٠) الأصول من الكافي ١:

٥٩

٥ - وعن أبي الجارود قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله. ثم قال في بعض حديثه: إن رسول الله ﷺ نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال، فقل له: يا بن رسول الله، أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من امر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ (١١١)، وقال: ﴿ لا تُؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾ (١١٢)، وقال: ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ (١١٣)، (١١٤).

(١١١) النساء: ١١٤.

(١١٢) النساء: ٥.

(١١٣) المائدة: ١٠١.

(١١٤) الأصول من الكافي ١:

٦٠

٦ - وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى أرسل اليكم الرسول ﷺ وأنزل إليه الكتاب بالحق، وأنتم أميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجرة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة وانتقاض من المبرم، وعمى عن الحق، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلف من الحروب، على حين اصفرار رياض جنات الدنيا، ويبس من اغصانها، وانتشار من ورقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مائها. قد درست أعلام الهدى، فظهرت أعلام الردى، فالدنيا متهمجة (*) في وجوه أهلها مكفهزة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف. مُزَقَّتْ كُلُّ مَمَرِّقٍ، وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب المؤودة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا. لا يرجون من الله ثواباً ولا يخافون والله

(*) في بعض النسخ

«متهمجة».

منه عقاباً. حيّهم اعمى نجس، وميتهم من النار مبلس، فجاءهم بنسخة ما في الصحف الاولى وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه، إنّ فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي الى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبين ما اصبحت فيه تختلفون، فلو سألتهموني عنه لعلمتكم» (١١٥).

(١١٥) الاصول من الكافي ١:
٦٠-٦١.

٧- وعن ابي عبد الله عليه السلام قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه» (١١٦).

(١١٦) الاصول من الكافي ١:
٦١.

٨- وعن سماعة، عن ابي الحسن موسى عليه السلام قال: «قلت له: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؟ أو تقولون فيه؟ قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ» (١١٧).

(١١٧) الاصول من الكافي ١:
٦٢.

ثانياً: في مقاييس ضبط وتوثيق الراوي والرواية عند الاختلاف:

١- عن محمد بن مسلم، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: «ما بال أقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله ﷺ لا يهتمون بالكذب، فيجيء منكم خلافة؟ قال: إن الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن» (١١٨).

(١١٨) الاصول من الكافي ١:
٦٥.

٢- عن منصور بن حازم قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنّما تجيب الناس على الزيادة والنقصان. قال: قلت: فأخبرني عن اصحاب رسول الله ﷺ صدقوا على محمد ﷺ أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا، قال: قلت: فما بالهم اختلفوا؟ فقال: أما تعلم أن الرجل كان يأتي رسول الله ﷺ فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب، ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب، فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً» (١١٩).

(١١٩) الاصول من الكافي ١:
٦٥.

٣- وعن ابي عبيدة، عن ابي جعفر عليه السلام قال: «قال لي: يا زياد، ما تقول لو أفتينا رجلاً ممن يتولانا بشيء من النقيّة؟ قال: قلت له: انت أعلم جعلت فداك. قال: إن اخذ به فهو خير له واعظم أجراً» وفي رواية اخرى «إن اخذ به أوجس، وإن تركه والله أعلم» (١٢٠).

(١٢٠) الاصول من الكافي ١:
٦٥.

٤- وعن نصر الخثعمي قال: «سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: من عرف أنا لا

نقول إلّا حقّاً فليكتف بما يعلم منّا، فإن سمع منّا خلاف ما يعلم فليعلم أن ذلك دفاع منّا عنه» (١٢١).

(١٢١) الاصول من الكافي ١:

٦٥-٦٦.

٥ - وعن سماعة قال: «سألته [يعني الامام الصادق عليه السلام] عن رجل اختلف عليه رجلان من اهل دينه في أمر كلاهما يرويه؛ احدهما يأمر بأخذه والآخر ينهاه عنه، كيف يصنع؟ فقال: يرجئه حتى يلقي من يخبره، فهو في سعة حتى يلقاه» وفي رواية أخرى «بأيهما أخذت من باب التسليم وسعك» (١٢٢).

(١٢٢) الاصول من الكافي ١:

٦٦.

٦ - وعن الحسين بن المختار عن بعض اصحابنا، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «أرايتك لو حدثتك بحديث العام، ثم جئتني من قابل فحدثتك بخلافه، بأيهما كنت تأخذ؟ قال: قلت: كنت آخذ بالأخير، فقال لي: رحمك الله» (١٢٣).

(١٢٣) الاصول من الكافي ١:

٦٧.

٧ - وعن المعلى بن خنيس قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا جاء حديث عن اولكم وحديث عن آخركم، بأيهما نأخذ؟ فقال: خذوا به حتى يبلغكم عن الحي، فإن بلغكم عن الحي فخذوا بقوله. قال: ثم قال ابو عبد الله عليه السلام: إنا والله لا ندخلكم إلّا فيما يسعكم» وفي حديث آخر «خذوا بالأحدث» (١٢٤).

(١٢٤) الاصول من الكافي ١:

٦٧.

٨ - وعن عمر بن حنظلة قال: «سألت ابا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟ قال: من تحاكم اليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد امر الله أن يكفر به قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾» (١٢٥).

(١٢٥) النساء: ٦٠.

قلت: فكيف يصنعان؟ قال: ينتظران [إلى] من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فليرضوا به حكماً، فإنني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردة، والراؤ علينا الراؤ على الله وهو على حدّ الشرك بالله. قلت: فإن كان كل رجل اختار رجلاً من اصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حقهما، واختلفا فيما حكما وكلاهما اختلفا في حديثكم؟ قال: الحكم ما حكم به اعدلهما وافقههما واصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر. قال: قلت: فإنهما عدلان مرضيان عند اصحابنا لا يفضل واحد منهما على الآخر؟ قال: فقال: ينتظر إلى ما كان من روايتهم عنّا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من اصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس

بمشهور عند اصحابك، فإن المجمع عليه لا ريب فيه. وإنما الامور ثلاثة: أمر بين رشه
فيتبع، وأمر بين غيه فيجتنب، وأمر مشكل يرد علمه إلى الله وإلى رسوله. قال رسول
الله ﷺ: حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك، فمن ترك شبهات نجا من
المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم. قلت: فإن كان
الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟ قال: ينظر فما وافق حكمه حكم
الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة
ووافق العامة. قلت: جعلت فداك. أرايت إن كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب
والسنة ووجدنا احد الخبرين موافقا للعامة والآخر مخالفا لهم. بأي الخبرين
يؤخذ؟ قال: ما خالف العامة فيه الرشاد. فقلت: جعلت فداك. فإن وافقهما الخبران
جميعاً. قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل، حكاهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر. قلت:
فإن وافق حكاهم الخبرين جميعاً؟ قال: إذا كان ذلك فارجه حتى تلقى إمامك فإن
الوقوف عند شبهات خير من الاقتحام في الهلكات» (١٢٦).

(١٢٦) الاصول من الكافي ١

٦٧-٦٨

ثالثاً: في الضابط الاساسي للحديث الصحيح:

١ - عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن على كل حق حقيقة، وعلى
كل صواب نوراً؛ فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه» (١٢٧).
٢ - وعن عبد الله بن ابي يعفور أنه قال: «سألت ابا عبد الله عليه السلام عن اختلاف
الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به. قال: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم
له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ، وألا فالذي جاءكم به أولى به» (١٢٨).
٣ - وعن ايوب بن الحر قال: «سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: كل شيء مردود إلى
الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف» (١٢٩).
٤ - وعن ابي عبد الله عليه السلام قال: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف» (١٣٠).
٥ - وعن ابي عبد الله عليه السلام قال: «خطب النبي ﷺ بمنى فقال: أيها الناس، ما
جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله» (١٣١).
ولو راجعنا مصنفات كبار فقهاءنا واعلام علمائنا في أصول وقواعد الفقه
والحديث لوجدنا مئات الروايات عن رسول الله ﷺ واهل بيته عليه السلام قد اعتمدت
في تنقيح ورسم اصول الاستنباط الفقهي الصحيح لأحكام ومباني الاسلام،
وبذلك تميّز منهج الاجتهاد في مدرسة اهل البيت عليه السلام عن غيره.

(١٢٧) الاصول من الكافي ١

٦٩

(١٢٨) الاصول من الكافي ١

٦٩

(١٢٩) الاصول من الكافي ١

٦٩

(١٣٠) الاصول من الكافي ١

٦٩

(١٣١) الاصول من الكافي ١

٦٩

مجلد الاجتهاد والفكر

سؤال وجواب

* الشيخ

محمد مهدي الآصفي

اختلاف رؤى الفقهاء وتأثيره في الاجتهاد

سؤال: اختلف فقهاء المسلمين في (أدلة الاجتهاد) قديماً. هل يمكنهم أن يعيدوا اليوم النظر في هذه الأدلة ومدى شرعيتها



وقابليتها للوفاء بمتطلبات العصر؟

اعادة النظر في أصول الاستدلال الفقهي

الجواب: من أفضل ما يمكن أن يقدم عليه فقهاء المسلمين اليوم البحث الأصولي في أدلة الاجتهاد، دون الانتقاص من قيمة الابحاث الفرعية في الفقه المقارن، وهذا الذي يطرحه السؤال من توحيد (أدلة الاجتهاد)؛ وإذا وصل الفقهاء إلى رأي واحد في أدلة الاجتهاد، ووجدوا مصادره، وحددوها تحديداً علمياً دقيقاً، فسوف يحقق ذلك بالتأكيد مكاسب وإنجازات كبيرة في الفقه، ويؤدي بالضرورة إلى التوحيد في الرأي الفقهي في مساحات واسعة من الفقه، وبنسبة عالية جداً؛ فإن الخلاف في الفروع الفقهية نتيجة طبيعية للخلاف

في أصول الاستدلال والاحتجاج، وأفضل السبل لملء فجوات الخلاف في الفروع الوصول إلى فهم مشترك في أصول الاستدلال، أي (توحيد مصادر الاجتهاد وأدلته).

وهذا بحث علمي دقيق لا بد أن يعتمد أساساً علمياً، ومن دون ذلك لا يمكن الوصول إلى فهم مشترك لأدلة الاجتهاد.

نظرية اعتماد الحجة

والمنهج العلمي الذي يسلكه فقهاء الإمامية في هذا الأمر هو (اعتماد الحجة)، وهو القول الفصل في مثل هذه المسألة، فإن الدليل الذي يعتمد عليه الفقيه إن لم يكن حجة لا يصلح الاحتجاج به، ولا يصح الاستدلال به.

والحجة هي القطع أو الظن الذي يقطع بحجته، وما لم يكن كذلك فليس بحجة، والشك في حجية الدليل يساوق دائماً القطع بعدم حجيته، وذلك لأن قوام حجية الحجة هو القطع، وإذا تسرّب الشك إليه سقط الدليل عن الحجية. وليس من شرط الحجة أن تكون حجيتها ذاتية، وليس مما يخلّ بحجية الدليل أن تكون بالعرض والواسطة؛ فإن (خبر الواحد) حجة، وإن قلنا بأن حجيته غير ذاتية، فإن من الواضح أن الخبر الذي يرويه الواحد الثقة لا يوجب القطع بذاته، ولا يحسم الشك، وهذا لا نقاش فيه، ولكن إذا ثبتت حجيته بأدلة قطعية من القرآن والسنة المتواترة - فرضاً -، لا يبقى عندئذ في هذا الفرض مجال للشك في حجيته، ويكون الخبر موجب للظن إلا أن هذا الظن حجة بدليل قطعي.

فلا بد للفقيه إذن في مقام استنباط الحكم الشرعي من الاستناد إلى الحجة، وهي باصطلاح الأصولي عبارة عن «الأدلة الشرعية من الطرق والأمارات التي تقع وسطاً لإثبات متعلقاتها بحسب الجعل الشرعي، من دون أن يكون بينها وبين المتعلقات علاقة ثبوتية بوجه من الوجوه»^(١).

ومن لوازمها العقلية المنجزية والمعدّرية، فيحكم العقل بحسن عقاب العبد على تقدير مخالفة الحجة، كما يحكم بقبح عقابه على تقدير موافقة الحجة، أصاب الواقع أم أخطأه. وهي على قسمين: حجة بالذات، وحجة بالجعل،

(١) الكاظمي، فرائد الأصول

والأول هو العلم وحجيته ذاتية من دون توسط شيء فلا تناله يد التشريع؛ فإن الحجة والطريقة حاصلة له بالذات، ولا معنى لجعل ما هو حاصل له بالذات، بل العلم هو انكشاف المعلوم ورؤية الواقع المقطوع به، وما كان كذلك فلا يمكن جعل الطريقة له أو سلبها عنه.

والثاني هو الطرق والأمارات المعتبرة شرعاً، والأصول التنزيلية منها وغير التنزيلية؛ وهذه الأمور إما أن تكون طريقتيها وكاشفتيها ناقصتين يستمهما الشارع، وإما ألا تكون له طريقة وكاشفية ولو ناقصة، وذلك كالأصول غير المحرزة، فنحتاج في مقام الاحتجاج بها والاعتماد عليها إلى دليل من الشرع أو العقل باعتبارها وإسنادها؛ وذلك بجعل الطريقة لها وتتميم كشفها، فيما إذا كانت لها حجة كشف وطريقة ناقصة، كما في الأمارات، أو اعتبارها وإسنادها بسند قطعي من الشرع والعقل، كما في الأصول العقلية والشرعية.

ومجمل القول أن طريقة الحجة الذاتية نابعة من ذاتها، دون الحجة المجعولة التي تحتاج في حجيتها إلى سند قطعي من شرع أو عقل؛ لأن طريقة كل شيء لابد أن تنتهي إلى العلم، وطريقة العلم لابد أن تكون ذاتية؛ فإن كل ما بالغير ينتهي إلى ما بالذات وإلا لزم التسلسل.

فما يتصف من هذه الأدلة بالحجة الذاتية أو المجعولة يؤخذ به، وما لا يتصف بهما فلا يؤخذ به، بل إن الشك في حجيته كاف للقطع بعدمها، كما ذكرنا.

فالكتاب حجة شرعية، وكذلك السنة بعد الوثوق من صدورهما، وأما الدليل العقلي فهو حجة بذاته إذا كان قطعياً فيما إذا توفرت فيه الشروط التي يذكرها الأصوليون في المقام. وقد استفاضت آيات من القرآن الكريم في مقام الاعتماد على مقتضى العقول وحجيته. قال سبحانه: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿لَا يَاتِي لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، وقال: ﴿لَا يَاتِي لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤)، وضم قوماً لم يعملوا بمقتضى عقولهم فقال عزّ ذكره: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾^(٥).

وما عدا ذلك فما ثبتت حجيته بدليل قطعي من شرع أو عقل أخذ به، وما لم

(٢) الزمعة: ٤، والنحل: ١٢.

والروم: ٢٤.

(٣) آل عمران: ١٩٠.

(٤) الزمعة: ٣.

(٥) آل عمران: ٦٥، والانعام:

٣٢، والاعراف: ١٦٩، وآيات آخر.

ثبتت حجيته ولم يقم على اعتباره دليل لم يؤخذ بالاعتبار في الاستنباط. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٦)، وقال: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾^(٧)، وقال: ﴿أَلَمْ أَذِّنْ لَكُمْ أَنَّمَا عَلَى اللَّهِ تَقَرُّونَ﴾^(٨).

ولما كان اتباع الرأي اتباعاً لغير العلم لم يأذن به الله، ولم يكن ليغني عن الحق، فلا يمكن الاعتماد عليه والأخذ به في مجال الحكم والاجتهاد كما تأخذ به مدرسة الرأي.

وفي ظننا أن هذا المنهج (اعتماد الحجة) منهج علمي يمكن أن تتوصل به المذاهب الفقهية الإسلامية إلى رأي واحد أو آراء متقاربة في فهم أدلة الاجتهاد وتحديدها؛ فلا بد أولاً من تحديد علمي للحجة، وثانياً من تحديد للحجة الذاتية، وثالثاً من تشخيص الحجج التي ثبتت حجيتها بالعرض، بأدلة قطعية استناداً إلى الحجة الذاتية ولو بوسائط متعددة.

نظرية الملازمة بين الحكيم العقلي والشرعي

إن أكثر المفردات التي يمكن أن يقع الحوار حول حجيتها من الأدلة هو (العقل) الذي يعتمد عليه الفقه الإمامي الأصولي مصدراً للاجتهاد، و (سنة أهل البيت عليهم السلام). وألخص الكلام في كل منهما محيلاً الطالبين للمزيد إلى الدراسات الموسعة في هذا الشأن.

أما حجية العقل فلا أتصور أن يخالف أحد فيها إذا حددنا المقصود بالعقل تحديداً دقيقاً، فنحن نقصد بالعقل الأحكام القطعية التي يحكم بها (العقل) حكماً باتاً، مثل حسن الأمانة وقبح الخيانة؛ وليس للعقل أكثر من ذلك، وليس من شأنه التشريع، ولا الحكم بالحلال والحرام؛ فإن ذلك من شأن الله تعالى فقط.

وإذا تم للعقل هذا الحكم العملي في الأمانة والخيانة، فإن العقل النظري يحكم بالملازمة القطعية بين حكم العقل وحكم الشرع، فليس من الممكن أن يحكم العقل حكماً قاطعاً بحسن شيء ولا يحكم الشارع به، أو أن يحكم العقل بقبح شيء ولا يحظره الشارع، وهو سيد العقلاء وواهب العقل. اللهم إلا أن نشك في المقدمة الأولى وهي (الحكم بقبح شيء أو حسنه عند العقل)؛ كما إذا

(٦) الاسراء: ٣٦.

(٧) يونس: ٣٦، والحجرات:

٢٨.

(٨) يونس: ٥٩.

احتملنا أن عروض بعض العوامل الخافية علينا يمكن أن يحول الأمانة إلى القبح، والخيانة إلى الحسن، وهو أمر ممكن ولا نناقش فيه. أما إذا فرضنا قطعية المقدمة الأولى كما في (حسن العدل) و (قبح الظلم) فلا يمكن أن نحتمل أن الشارع لا يحكم طبق حكم العقل بالوجوب أو الحظر. والتعبير قد يفيد ما لا نقصد، فلسنا نقصد من هذه الملازمة أن حكم الشرع تبع لحكم العقل، وإنما القصد هو أن العقل النظري يكتشف بطريقة الملازمة حكم الشرع.

وقد جعل الله تعالى لنا سبلاً لاكتشاف أحكامه، ومنها العقل، وليس دور العقل إلا الكشف عن الحكم الشرعي، وليس هو مشرعاً، ولا الحكم الشرعي تابع للحكم العقلي.

هذا إجمال شديد الاختصار لحجية العقل، ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة الدراسات المفصلة لهذه المسألة.

ومهما شككنا في شيء لا نشك في صدق حديث أهل البيت عليهم السلام، بدليل آية التطهير، وليس في المسلمين اليوم من يختلف عنا في هذا الرأي؛ ولسنا نشك أن سنة أهل البيت عليهم السلام هي سنة رسول الله ﷺ بكل تفاصيلها ودقائقها، وليس لهم من حديث غير حديث رسول الله ﷺ، ولا يحكمون بغير حكم رسول الله ﷺ، ودليلنا على ذلك الروايات المتضاربة عنهم عليهم السلام في أن حديثهم حديث رسول الله ﷺ، وليس عن رأي واجتهاد.

إن مسألة الطريق إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام مسألة علمية تابعة لقواعد التوثيق في علمي الدراية والرجال، ولا يختلف المسلمون في هذه القواعد اختلافاً كبيراً. وهذه خلاصة مختصرة عن حجية سنة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين.

وإذا اتفقنا على حجية العقل، وحجية سنة أهل البيت عليهم السلام فإن أدلة الاجتهاد الأربعة (الكتاب، والسنة بمعناها الواسع، والعقل، والإجماع) تكون منطلقاً جيداً لتوحيد الرأي الفقهي، والوصول إلى آراء فقهية موحدة؛ ونحن نرجو أن يسعى فقهاء المسلمين اليوم إلى دراسات علمية موضوعية في أدلة الاجتهاد؛ للوصول إلى رأي مشترك في هذه المسألة الهامة.

سؤال: هل يمكن أن يتخصص كل فقيه من الفقهاء في قسم فقهي خاص، وأن يقلد الناس هؤلاء كلاً حسب اختصاصه؟ كما نقل الشيخ المطهري عن الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي مثل هذا الرأي؟

بكور في الرأي وتأخر في التنفيذ

الجواب: رحم الله الشيخ عبد الكريم الحائري، فقد انتهى في وقت مبكر إلى رأي محدد وواضح في توزيع أبواب الفقه على أشخاص متعددين، ليتخصص كل منهم بواحد من تلك الأبواب لهذا العلم الشريف، وهو رأي متطور ومبكر قطعاً بالنسبة إلى عصر الشيخ الحائري، والعقلية الفقهية في ذلك الوقت. ولا أشك أننا سوف نضطر إلى هذا التخصص في حقول الفقه إن اليوم أو غداً، وليس من ذلك بد؛ فقد بلغ الفقه في القرنين الأخيرين حداً من النمو والتكامل لا يمكن فيه الاحتفاظ بالصيغة التقليدية للاجتهاد والتقليد للشخص الواحد في جميع أبواب الفقه؛ ولابد من التخصص في كل باب من أبواب هذا العلم، كما يعرف الناس التخصص في سائر فروع المعرفة الإنسانية؛ وليس هو بدعاً من فروع الثقافة والعلم المختلفة.

تطور الدراسات الفقهية في البعدين العمودي والأفقي

لقد دخل على الفقه تطور كبير منذ عصر الوحيد البهبهاني وصاحب الجواهر والشيخ الأنصاري، وتابع تلامذة مدرسة هؤلاء الأعلام الثلاثة تطوير الأبحاث الفقهية والأصولية تطويراً قوياً ومتيناً، وأحكموا أصول الاستنباط والاجتهاد إلى حد كبير؛ غير أن هذا التطور كان يجري غالباً في البعد العمودي من هذا العلم الشريف، مما أدى إلى إحكام قواعد وأصول الاستنباط وتمتينها بما لم يسبق له مثيل في مدرسة أهل البيت الفقهية، وفي سائر المدارس الأخرى.

وتعتبر الخبرة الفقهية التي اكتسبها فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام خلال هذين القرنين رصيذاً ضخماً لأجيال الفقهاء القادمين؛ إلا أن هذا العلم كان

يعاني من نقص ملحوظ في بعده الأفقي، فلا زال المنهج الفقهي عندنا هو منهج المحقق الحلي عليه السلام في الشرائع، والفروع والأبواب هي نفسها التي طرحها في شرائعه، وتناولها شراحه بالبحث والاستدلال.

وخلال هذه الفترة حدثت مستجدات كثيرة في حياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتجارية والقضائية والإدارية وغيرها، وهذه المستجدات تتطلب الحضور الفقهي، وقد توسعت دائرتها بعد قيام الدولة الإسلامية بقيادة الإمام عليه السلام في إيران، فبدأ الفقهاء فعلاً عملهم في البعد الأفقي للفقهاء؛ إلا أن هذا التطور الجديد لا يزال في بداياته، ولم يرق إلى مستوى التطور الأول في البعد العمودي للعمق في تعميق مبادئ الاستنباط.

ضرورة التخصص في أبواب الفقه

إن كلا هذين التطورين يحوجان الفقه إلى توزيع أبوابه وحقوقه على متخصصين كل في جانب، وليس من الممكن أن يتولى الاجتهاد والاستنباط فقيه واحد في كل جوانب الفقه من البداية إلى النهاية.

إن الفقه يرافق الإنسان من حين ولادته إلى الوفاة، بل من قبل الولادة إلى ما بعد الوفاة ويستوعب كل حركة الإنسان وعلاقاته؛ واعتبار الفقه - بهذه السعة - اختصاصاً واحداً يتولاه فقيه واحد بخس لحق الفقه، وتحجيم له؛ ذلك دون أن ننقص من الجهود العظيمة التي يبذلها الفقهاء في استنباط الحكم الفقهي في كل أبواب الفقه من الطهارة إلى الديات، فهو بلا شك جهد علمي كبير يستحق كل تعظيم وإكبار، ولكن هذا الجهد مهما بلغت قيمته العلمية لا يغني عن التخصص. ونحن نشير هنا إلى مجموعة من المسائل في هذا المجال.

الاجتهاد العام والاجتهاد التخصصي

إن الدراسات الفقهية يجب أن تنظم ضمن مرحلتين:

المرحلة الأولى يكتسب الفقيه فيها القدرة على الاستنباط الشامل في كل جوانب الفقه، وهو ما يصطلح عليه عادة بالاجتهاد العام غير المتجزئ، وهذه

الكفاءة العلمية تمكن الفقيه من أن يعطي رأياً فقهياً في كل مسائل الفقه بدون استثناء حسب المنهج الفقهية الموروثة من زمن المحقق الحلي عليه السلام، والمعمول بها حالياً.

والمرحلة الثانية يتخصص فيها الفقيه في باب من أبواب الفقه، كالحج، أو الصلاة، أو الشركة، أو القضاء، أو غيرها من أبواب العبادات والمعاملات.

إعادة النظر في تبويب الفقه ومنهجه

ومن المسائل المتعلقة بالتخصص أن توزيع أبواب الفقه بهيئة تخصصات متعددة يتوقف على إعادة النظر في تبويب الفقه ومنهجه؛ وليس من شك في أن منهج المحقق الحلي عليه السلام قوية ومنظمة، ولكن لعصره، ولو كان الآن يعيش بيننا لما ارتضى هذا الأسلوب في تبويب الفقه. والمنهج تتأثر كثيراً بالمسائل الفقهية التي يحتاجها الناس في كل عصر، كما أن الأبواب والكتب الفقهية ليست تعبدية، وإنما تتبع حاجة الإنسان في عصره، فإن مسائل من مثل العملة والإجراءات المصرفية والتأمين والعمليات التجارية المعقدة اليوم لم تكن موجودة في العصور السابقة، وبالضرورة لم يكن مكان في تبويب الفقه آنذاك.

ولا يختص الأمر بالزمان واختلاف ابتلاءات الناس في العصور المختلفة، بل إننا نجد في العصر الواحد مناهج متعددة في التبويب الفقهي، كما نجد عناوين لأبواب وكتب في الفقه في بعض المناهج ونفتقدها في مناهج أخرى، فمثلاً نرى أن (كتاب الأموال) وكتاب (الأحكام السلطانية) وكتب (الحسبة) كتب فقهية كانت معروفة، أما الآن فليس لها في المنهج الفقهي المؤلف عندنا ذكر إلا بالعرض، إلا ما كتبه بعض الفقهاء المتأخرين من قبيل الشيخ النراقي والإمام الخميني ومن تأخر عنهما.

وقد كتب في هذه الجوانب فقهاء معروفون، من قبيل أبي عبيدة في الأموال، وابن تيمية في الحسبة، والماوردي، وأبو يعلى الحنبلي في الأحكام السلطانية، وغيرهم.

كما يوجد في بعض المصادر الروائية كتاب خاص بـ (الإمارة).

إذن لم تكن مسألة التبويب وتسمية الكتب والأبواب الفقهية مسألة تعبدية، وإنما تخضع لظروف الفقه؛ ولكي ندخل في حقول التخصصات المختلفة نحتاج إلى إعادة النظر في المنهجية الفقهية المألوفة، كما نحتاج حقيقة إلى استحداث أبواب وعناوين جديدة في الفقه.

ولا شك أن وجود منهجية واقعية للفقه في عصرنا يساعد كثيراً على تنظيم التخصصات تنظيمياً مناسباً؛ فمثلاً تتوزع (الأحوال الشخصية) حسب المنهجية الفقهية المألوفة على ثلاثة أبواب: المعاملات (النكاح)، والإيقاعات (الطلاق)، والأحكام (الإرث)، وليس لمسألة النفقة موضع محدد إلا بالعرض؛ في حين تقتضي المنهجية الصحيحة جمع الأحوال الشخصية كلها في باب واحد، وإدخالها تحت تخصص واحد، أو تخصصات متقاربة.

ولابد من استحداث كتب وأبواب فقهية جديدة حسب الحاجة، وضمها إلى المنهج الفقهي الجديد، وإدخالها في حقل الاختصاصات الفقهية.

رسائل فقهية لمرحلة التخصص

ونقترح في هذا المجال أن يطلب من كل فقيه يدخل مرحلة التخصص الفقهي أن يكتب كتاباً في مجال تخصصه؛ مثل العناوين التالية: العملة، العمليات المصرفية، التأمين، مسائل القضاء، النفقة، الشورى، الحسبة، الأراضي، الولاية والإمارة، العلاقات الدولية، السجون، فقه المواطنة وأقسام الوطن، وامثال ذلك.

الاسباب الداعية إلى التخصص

وقد يثار سؤال عن فائدة التخصص بعد افتراض ضرورة الاجتهاد العام قبل مرحلة التخصص.

وفي جواب هذا السؤال أقول: إن مرحلة التخصص تمكن الفقيه من التفرغ أكثر لاستيعاب المسألة الفقهية الداخلة في حد اختصاصه، وتمكنه أيضاً من

ممارسة أكثر للأدلة المتعلقة باختصاصه، ومن ثم تزداد كفاءة الفقيه العلمية في استخدام الأدلة في الحقل المختص به؛ فليس من شك في أن طبيعة المنهج الاستدلالي في فروع العلم الإجمالي المعروفة في أبواب الخلل في الصلاة، تختلف عن المنهج الاستدلالي في المعاملات، وطبيعة المنهج الاستدلالي في المعاملات تختلف عنها في كتاب الأمر بالمعروف والجهاد مثلاً.

ولكي تزداد كفاءة الفقيه العلمية، وخبرته الفقهية لابد له أن يسلك طريق الاختصاص في البحث الفقهي، ويختص بباب أو كتاب أو حقل خاص في الفقه، بعد أن تتوفر لديه القابلية العامة للاجتهاد؛ بالإضافة إلى أن طائفة واسعة من المسائل الفقهية تحتاج إلى خبرات غير فقهية رائدة على الخبرة في هذا المجال، ولا تتيسر الخبرة من النوع الأول للفقيه العام، وذلك مثل مسائل العملة والمصارف والشركات ومسائل القضاء المعقدة في المحاكم الحديثة، وكذلك مسائل العلاقات والمعاهدات الدولية الحديثة.

ومهما يكن من أمر فإن مسألة التخصص في الاجتهاد والتقليد ضرورية ولابد منها؛ ولئن كان الشيخ عبد الكريم الحائري رحمته الله قد طرح هذه القضية على صعيد الاقتراح طرحاً مبكراً، فإن الفقهاء المعاصرين تأخروا في تنفيذ هذه النظرية وتحقيقها كثيراً؛ ولابد من دراسة واسعة لهذه المسألة والاهتمام بها بالمقدار اللازم والكافي.

سؤال: ولاية الفقيه المعروفة في الفقه الشيعي هل هناك ما يناظرها في الفقه السني؟ وما هي حدود صلاحيات الفقيه السني؟

لولاية الفقيه عندنا ما يماثلها في الفقه السني

الجواب: وفيه نشير إلى نقطتين:

الأولى: رأي فقهاء المذاهب الإسلامية السنية في اشتراط الفقاهة في ولي الأمر.

الثانية: رأي هؤلاء في انعقاد البيعة انعقاداً فعلياً ناجزاً لمن يتصدى للولاية، إذا تمت له البيعة من ناحية شريحة مناسبة من الأمة يُعتد بها عادة في أمثال

هذه المسائل.

أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى فإن فقهاء الشيعة يذهبون إلى ولاية الفقيه المتصدي على مسلكين، فمن قائل بتخصيص الولاية بخصوص الفقيه، وقائل بأن الفقاهة هو المقدار المتيقن من شرعية الولاية.

وقد وردت طائفة من النصوص في اشتراط الاجتهاد والفقاهة في ولي الأمر؛ وفيما يلي نذكر جملة من هذه النصوص:

روى حسن بن شعبة عن السبط الشهيد الحسين عليه السلام قوله: «مجري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حاله وحرامه»^(٩).

(٩) تحف العقول: ٢٣٧.

وعن الفضيل بن يسار قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من خرج يدعو الناس وفيهم من هو أعلم منه فهو ضال مبتدع»^(١٠).

(١٠) وسائل الشيعة ١٨: ٥٦٤.

وروى البرقي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أمّ قوماً وفيهم أعلم منه أو أفقه منه لم يزل أمرهم في سفال إلى يوم القيامة»^(١١).

(١١) المحاسن ١: ٩٣.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أيها الناس، إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاعب استعجب، فإن أبى قوتل»^(١٢).

(١٢) نهج البلاغة، الخطبة

١٧٣.

ومن طرق السنة روى البيهقي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أن فيه أولى بذلك منه، وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين»^(١٣).

(١٣) سنن البيهقي ١٠: ١١٨.

ويذهب إلى اشتراط الفقاهة والاجتهاد في ولي الأمر جمهور فقهاء أهل السنة؛ فمن المتكلمين يقول السيد شريف الجرجاني في شرحه على المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي: «الجمهور على أن أهل الإمامة ومستحقها من هو مجتهد في الأصول والفروع، ليقوم بأمر الدين متمكناً من إقامة الحجج، وحل الشبه في العقائد الدينية، مستقلاً بالفتوى في النوازل وأحكام الوقائع نصاً واستنباطاً؛ لأن أهم مقاصد الأمة حفظ العقائد وفصل الحكومات ورفع المخاصمات، ولن يتم ذلك بدون هذا الشرط»^(١٤).

(١٤) شرح المواقف ٨: ٣٤٩.

مطبعة السعادة ١٩٠٧.

ومن الفقهاء يقول الإمام الشافعي في شروط الإمامة: «والعلم بحيث يصلح أن يكون مفتياً من أهل الاجتهاد»^(١٥).

(١٥) الفقه الأكبر: ٣٩، المطبعة

الأدبية.

وذهب الكمال بن الهمام من علماء الأحناف إلى اشتراط العلم في الإمامة، ولم يقيد العلم بخصوص الفقاهة. ويظهر أنه يقصد بالعلم ما يمكن الإمام من ممارسة دوره في الإمامة؛ ولكنه أضاف هذا التخصيص فيما بعد فقال: «وزاد كثير الاجتهاد في الأصول والفروع»^(١٦).

ويقول القلقشندي في شروط الإمامة: «العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، فلا تنعقد إمامة غير العالم بذلك»^(١٧).

ويقول النووي في شروطها أيضاً: «وهي كونه مكلفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً عالماً مجتهداً»^(١٨).

ويذهب جمع من الفقهاء إلى أن اشتراط الفقه في الإمامة مما أجمع عليه الفقهاء، ومن هؤلاء شمس الدين الرملي فيقول: «إن هذا الشرط لابد منه في الإمامة كالقاضي ... بل حكي فيه الاجماع»^(١٩).

ويدعي الاجماع كذلك صاحب البحر الزخار فيقول: «يجب كونه مجتهداً إجماعاً، ليتمكن من إجراء الشريعة على قوانينها».

وأما النقطة الثانية من البحث فيذهب عامة فقهاء السنة وجمهور متكلميهم إلى أن الإمامة والولاية تنعقد للفقهاء المتصدي انعقاداً فعلياً وناجزاً ببيعة جمع من أهل الحل والعقد يمثلون عادة إرادة مساحة واسعة من الأمة، أو ببيعة مباشرة من شريحة كبيرة من الأمة بكيفية وكمية يُعقد بهما عادة في أمثال هذه المسائل التي يربطها الشارع بإرادة الجمهور، إذا كان الفقيه يستجمع الشروط التي يطلبها الشارع في الإمام.

وفيما يلي نذكر كلمات بعض هؤلاء الأعلام:

يقول أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ): «فإذا اجتمع أهل العقد والحل للاختيار تصفحوا أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها، فقدّموا للبيعة منهم أكثرهم فضلاً، وأكملهم شروطاً، ومن يسرع الناس إلى طاعته، ولا يتوقفون عن بيعته، فإذا تعين لهم من بين الجماعة من أدّاهم الاجتهاد إلى اختياره عرضوها عليه، فإن أجاب إليها بايعوه عليها وانعقدت ببيعتهم له الإمامة، فلزم كافة الأمة الدخول في بيعته والانقياد لطاعته»^(٢٠).

(١٦) المسامرة في شرح
المسيرة ١٦٢ - ١٦٨، مطبعة
السعادة ١٢٤٧.

(١٧) مآثر الأنافة في معالم
الخلافة ١: ٣٧.

(١٨) روض الطالبين، بنقل د.
رافت عثمان في رئاسة
الدولة: ١٢٥.

(١٩) نهاية المحتاج إلى شرح
المنهاج ٧: ٣٨٩.

(٢٠) الأحكام السلطانية: ٧ ط.
مصطفى البابي ١٣٨٦.

ويقول القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥): «وإن أقام بعض أهل الحل والعقد إماماً سقط وجوب تنصيب الإمام على الباقيين، وصار من أقاموه إماماً، ويلزمهم إظهار ذلك بالمكاتبة والمراسلة لئلا يتشاغل غيرهم بإمام غيره، وقد وقعت الكفاية، ولئلا يؤدي ذلك إلى الفتنة؛ فعدم مبايعة سائر أفراد الأمة لا يؤثر في انعقاد الإمامة؛ لأن العقد تم بمجرد مبايعة أهل الحل والعقد، ولا يكون العقد صحيحاً إذا لم يبايع الإمام أهل الحل والعقد» (٢١).

وقال أبو عبد الله القرطبي (٦٧١): «الطريق الثالث لإثبات الإمامة إجماع أهل الحل والعقد، وذلك أن الجماعة في مصر من أمصار المسلمين إذا مات إمامهم ولم يكن لهم إمام ولا استخلف، فأقام أهل ذلك المصر الذي هو خضرة الإمام وموضعه إماماً لأنفسهم اجتمعوا عليه ورضوه، فإن كل من خلفهم من المسلمين في الآفاق يلزمهم الدخول في طاعة ذلك الإمام إذا لم يكن الإمام معلناً بالفسق والفساد؛ لأنها دعوة محيطة بهم تجب إجابتها، ولا يسع أحداً التخلف عنها؛ لما في إقامة إمامين من اختلاف الكلمة وفساد ذات البين. قال رسول الله ﷺ: ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، ولزوم الجماعة، ومناصحة ولاة الأمر؛ فإن دعوة المسلمين من ورائهم محيطة» (٢٢).

ويقول ابن تيمية (ت ٧٢٨): «الإمامة عندهم (أهل السنة) تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها، ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إماماً؛ ولهذا قال أئمة السنة: من صار له قدرة وسلطان فهو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فالإمامة ملك وسلطان، والملك لا يصير ملكاً بموافقة واحد واثنين ولا أربعة، إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم بحيث يصير ملكاً بذلك» (٢٣).

سؤال: كيف تقومون حركة الفقه الاسلامي اليوم ومدى قدرته على استيعاب مثل المشكلة الاقتصادية والمشكلة الاجتماعية بتحدياتها المعاصرة أو مشكلات البيئة؟

(٢١) للمفني في ابواب التوحيد والعدل املاء القاضي عبد الجبار بن احمد / الجزء المتمم العشرين / القسم الاول في الامامة: ٣٠٣ ط - ١٩٦٦م.

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن ١: ١٦٨ - ١٦٩، الطبعة الثالثة.

(٢٣) منهاج السنة النبوية ١: ٨٤١ ط - ١٣٢١.

الفقه والمعاصرة

الجواب: أعتقد إن الفقه يتقدم تقدماً مستمراً باتجاه المسائل الأساسية والمحورية في الحياة العصرية، مثل مسائل التأمين والمصارف والعملية والفضاء والجو والجراحة الحديثة، وما يتعلق بالصيدلة وشؤون الدولة والثورات والحركات والسياسة والإدارة والقضايا الدولية، ومسائل البحار والبيئة حتى القضايا الفقهية المتعلقة بالرياضة، وما يشبه ذلك ويتصل به من شؤون الإنسان الحديثة المختلفة.

عدم تكافؤ البعدين العمودي والأفقي للفقه المعاصر

إن الدراسات الفقهية الحديثة وإن لم تزل تقطع شوطها الأول من هذا الطريق، وما زال البعد العمودي فيها هو أبرز من البعد الأفقي، فإن حركة تلك الدراسات تسير في الاتجاه الصحيح. ونرجو أن يكون قريباً الوقت الذي تقترن فيه الاصالاة والدقة والعمق التي تميزت بها مدرسة الشيخ محمد حسن في جواهر الكلام، والشيخ الأنصاري في المكاسب والرسائل، بالسعة والشمولية اللتين اتسمت بهما حياة الإنسان المعاصر وحاجاته وقضاياها.

وأعتقد أن الثورة الإسلامية في إيران التي قادها فقيه معاصر من كبار فقهاء مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، هي من أهم أسباب هذا التحول في الفقه، وتعتبر هذه الثورة حداً فاصلاً بين مرحلتين من عمر الفقه، وهما مرحلة (فقه الابتلاء)، ومرحلة (الفقه الحاكم)، وكل منهما فقه يعتمد الكتاب والسنة والإجماع والعقل، غير أن الفقه الأول هو فقه لظروف الإنسان المسلم المعاصر (المنفعل) تجاه الأوضاع الحاكمة في عصره؛ أما الفقه الحاكم فهو (فقه فاعل) غير منفعل بالظروف الحضارية والمدنية التي يعيشها المسلم المعاصر، وبين الفقهاء فرق؛ فالنظام المصرفي العالمي الحديث يفرض نفسه مثلاً على أسواقنا وأعمالنا المالية، وأسواقنا المالية محكومة شئنا أم أبينا لشبكة النظام المصرفي الحديث، وما يستتبع هذا النظام من قوانين وأحكام ليست تابعة من فقهاءنا، والمسلم المعاصر الذي يعمل في السوق سوف يواجه، على كل حال،

هذا النظام، ويجد نفسه مضطراً للتحرك ضمن دائرته؛ ومن دون ذلك لا يستطيع أن يتحرك، فهو (مبتلى) بالحركة ضمن دائرة نظام لا يتفق مع الفقه الذي يؤمن به، ويعمل بأحكامه، وهو ابتلاء غريب؛ فلا هو يتمكن أن يتجاوز واقع السوق الذي يتحرك فيه، ولا هو يتمكن أن يتجاوز حدود الله تعالى وأحكامه التي لا تنسجم مع هذا الواقع.

التخريج الفقهي

وبحكم كونه مسلماً ملتزماً بأحكام الله تعالى وحدوده، يطلب من الفقه علاج هذا الوضع الشاذ والغريب الذي يتعامل معه، ولا بد للفقه أن يجد له حلاً، وأن يأخذ مشكلته، بكل أبعادها، بنظر الاعتبار، فيبحث له عن مخرج من هذه المشكلة.

هذا هو (فقه الابتلاء)، وما تقتضيه مرحلته من (التخريج الفقهي) الذي يلجأ إليه الفقيه لحل مشكلة المسلم المعاصرة في ظل الظروف الحضارية والمدنية الضاغطة عيه.

أما (الفقه الحاكم) فيعمل لتغيير النظام المصرفي وتسييره في اتجاه الفقه، وإقامته على الخط الفقهي من منطلق فقهي بالأصالة الفقهية. وبتعبير آخر: إن الفقه الحاكم يواجه وضعاً شاذاً من الناحية الفقهية فيعمل لتغييره وتعديله ووضعه في اتجاه الفقه، في حين أن مهمة فقه الابتلاء هي إيجاد مخرج شرعي للمكلف يحفظه من الخروج عن حدود هذه الشريعة، ويأخذ بنظر الاعتبار من ناحية مشكلته القائمة ضمن وضع غير شرعي وخارج عن دائرة الفقه.

ولكي أقرب هذا المفهوم أكثر أذكر مثلاً آخر على ذلك، وهو أن التحاكم إلى القضاء في الأنظمة غير الشرعية محرم بالتأكيد، فلا يجوز التحاكم إلى الطاغوت. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٢٤)، ولكن المسلم المعاصر الذي يعيش في ظلال الأنظمة المعاصرة اللافقهية في المجتمعات الحديثة، يتفق له، بطبيعة الحال، أن

يتعرض للظلم في الخلافات الشخصية التي تحدث في السوق وغيره؛ والقضاء الشرعي لا يتمكن في تلك الأنظمة أن ينتزع حق المظلوم من الظالم، فإذا التزم المسلم المعاصر في مثل هذه المجتمعات بالامتناع عن مراجعة المحاكم غير الشرعية فسوف يتحمل اضراراً كبيرة فيما يحدث بينه وبين الآخرين من خلاف؛ فلا هو يستطيع أن يخرج عن دائرة نفوذ القضاء غير الشرعي. ولا هو يريد أن يتجاوز حدود الله تعالى، ولا بد للفقهاء أن يجد لمشكلته علاجاً و(تخريجاً) فقهيين.

إن فقهاءنا المعاصرين يتمسكون بقاعدة (لا ضرر) في رفع حرمة التحاكم إلى القضاء غير الشرعي، أما عمل الفقه الحاكم بعد الثورة الإسلامية، وإقامة الدولة الإسلامية فإنه على طريقة أخرى، ومنهج يختلف عن المنهج السابق؛ فقد سعى الفقه الحاكم بعد الثورة الإسلامية إلى إقامة (قضاء شرعي) على أنقاض (القضاء اللاشرعي)، ولم يسع إلى تصحيح ذلك القضاء ومراجعته بمقدار الضرورة والضرر، وبين الأمرين غرق.

إن الثورة الإسلامية المباركة التي قادها الإمام الخميني عليه السلام، وهو من كبار فقهاء المسلمين المعاصرين، قد فتحت الباب بمصراعيه على الفقه الحاكم، الذي هو المسؤول عن طرح كثير من المسائل العصرية التي هي موضع حاجة النظام الإسلامي المعاصر، وليس فقط موضع حاجة الفرد المسلم المعاصر. ونحن نأمل أن يهتم الفقهاء اليوم بعد قيام الدولة الإسلامية، ودخول الإسلام ساحة الصراع الدولية، ومواجهة الفرد المسلم، والمجتمع الإسلامي للتحديات الحضارية الحديثة، نأمل أن يهتموا وينهضوا بدراسات فقهية واسعة في أفق مفتوح، وبنفس العمق والدقة المعهودة في فقهمنا المعاصر؛ وثقل هذه المسؤولية يقع بطبيعة الحال على عاتق المفكرين والباحثين الشباب في حقول الفقه والأصول والقواعد الفقهية.

خارجة من الضمير المخزي

فنون وآداب

* حسين فرج الله

(العراق)

أطرق برأسه إلى الأرض ينتابُه الاحساس بالذنب، وتجول في
مُخيلته أسئلة غامضة، فيُسيج من حُببيات الرمل المتطايرة خيوطاً
وهميةً يَحتمي بها من الواقع المخزي.
لا بُدَّ لليل أن ينجلي، وتشرق الشمس فتقتل بأشعتها براغيث الليل المتسترة
بدجاء.

أخذ الكروع يدب في نفسه فترتعد أعضاؤه نعرًا، يزمجر عليه الضمير النائم
بيستهذه: قم... فُلِّدْ آناً الأوان لكسر قيود الماضي السحيق، ينهض بسرعة،
يجد نفسه منهكاً في دوامة من التفكير، تثقل كاهله هموم الليالي المريرة
وسهرها القاتل.

الساعة تُشير إلى الثالثة ليلاً، يستلقي يطيل النظر إلى السماء، محدّقاً في
النجوم التي أزقت عينيه وكأنها عدسات تصوير نُصِبَتْ لالتقاط الموج
الصاخب في أفكاره. ينتشر النور الهادئ قاطعاً عنق الليل بنور الفجر، ليستريح
من أشباح الرعب المخيفة... ينهض، فيفتح النافذة المطلة على نهر الفرات،
ليستنشق من ذلك النسيم ما يزيل أدران الواقع المرير. يرتدي بدلته ويجر

قدميه المثقلتين بوعورة الطريق إلى مقر عمله. يرتقي كرسيه، ويطليل النظر إلى بعض الأوراق المنثورة على طاولته، يعث بها من حيث لا يشعر، فيطرق الباب:-
- ادخل.

- صباح الخير.

- أهلاً.

- لا أراك على حال.

- لا هو الأرق. عصام، هل راودك هاجسٌ مر في لحظة ما؟

ادلنى برأسه قليلاً: دخول الطائر من النافذة اهون من خروجه منها...

- نعم انها مسؤولية الجميع!

خرج مسرعاً.

- إلى أين؟

- لا عليك.

ينقل قدميه وثقلته بنفسه تملأ قلبه. يرحل مع طيفه الجميل. يبطن يتأمل تلك الطبيعة الخلابة التي يفيض القلب الفاحم بها رونقاً وجمالاً، حيث أطراف القصب والبردي تتمايل متعانقة، وتترنم بأنغام الربيع القادم. وهناك... حيث يقترب الاصيل لتعتنق مياه الهور قرص الشمس وتحن الطيور إلى اعشاشها، يطلب السكينة والهدوء، فلا يشغ إلا سفير القارب الصغير.

أخذ الليل يرخي سدوله. اوقف قاربه ليحني اطراف القصب فيجمل منها مكاناً يقضي عليه تلك الليلة.

ساد الليل صمتٌ، ولكن ثمة صوت يطرق اسماع عشاق الليل، ومناجات تشق طريقها إلى السماء. يرفع رأسه يسمع صوتاً هادئاً. سلام عليكم.

- عليكم السلام. من أنتم؟

- حماة الوطن. ما الذي جاء بك؟ لا شك أنه الوطن.

وطال الحديث. يسألونه عن كل شيء. يصطحبونه معهم. يتطلع على تلك الحياة البسيطة الهادئة. كانت تلك الليلة التي أمر بها قائد القاطع بعملية جهادية

تستهدف بعض الاوكار فكانت فرصته لنيل شرف المساهمة التي حلم بها،
فكان في مقدمة المنقذين... أعد نفسه بعزم يقوده الايمان بالله والضمير الحي.
وهناك يبدأ العد التنازلي، وتحين ساعة الصفر، فيتسلق الجدار الخارجي
للبناية، وينفذ حكم الله العادل بكل من اعترضه من عصاة الازهاب.
تعالى صرخات الحق لتتهز بصداها مقبرة الاحياء... وانطلقت رصاصات
الغدر لتستقر في جسده... يمسح جرحه بيده... يرفع كفيه نحو السماء، فتفيض
روحه الطاهرة لتنساب على أكف ملائكة الرحمة.

قَالَ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) :

شَكَرْتُ الْعَالَمَ عَلَى عِلْمِهِ
لَنْ يَبْذُلَهُ لِمَنْ سَيُحَقِّقُهُ

الطائر ٢٤ ص ٨٠

التعددية

بين الرؤية والواقع

نقد

* الدكتور

صالح مضيعة

(فرنسا)

وصلتنا نسخة موقعة من نقد وتصويب تحت عنوان «التعددية بين الرؤية والواقع» للدكتور صالح مضيعة - الأستاذ المحاضر في جامعة السوربون ونائب رئيس مركز الأبحاث العربية الإسلامية في فرنسا - لبحث «التعددية ... الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية» للدكتور محمد عمارة من مصر والمنشور في العدد الثاني من مجلة الجامعة الإسلامية التي تصدر في لندن.. ولأهمية هذا النقد ننشره مع شيء من الاختصار لمدخله مقدمين له بعرض أبرز محاور البحث المذكور، رغم مبادرة المجلة المذكورة أعلاه بنشره في عددها السابع.

أبرز محاور بحث التعددية - موضوع النقد - هي:

* إن التعددية في الإسلام، كانت تحيزاً لفرقاء يجمعهم جامع الإسلام، وهي بهذا المعنى قانون التنوع الإسلامي في إطار الوحدة الإسلامية.

* إن التعددية، الموزونة بميزان الوسطية الإسلامية، لا بد وأن تكون تحيزاً لفرقاء يجمعهم جامع الإسلام، وتنوعاً لمذاهب وتيارات تظللتها مرجعية التصور الإسلامي الجامع، وخصوصيات متعددة في إطار ثوابت الوحدة الإسلامية، الأمر الذي يجعل هذه التعددية: نمواً.. وتنمية للخصوصيات، مع احتفاظ كل فرقاءها، وأطراف الخصوصيات، والفراد التنوع بالروح الإسلامية، والمزاج الإسلامي.

* إن «السبيل الإسلامية»، التي حددها الإسلام، وتميزت بها شريعته، في حل

التناقضات» بين فرقاء التعددية، جاءت طبيعتها وآلياتها ومقاصدها لتكرس قيام هذه «التعددية» عند المستويين الواسطي، الذي لا يذهب بها إلى «الفناء الآخر» و «نفي».. ولا إلى «التشرد» و «القطيعة» التي لا رابط ولا جامع يوجد بين فرقائهما.. فلقد رفض الإسلام مذهب «الصراع» سبباً لحل التناقضات بين فرقاء التعددية، لأن «الصراع» غايته «صرع» و«فناء»... ونفي» الآخر، ومن ثم فهو يلغي التعددية وينقيها.
(التحرير)

البحث ذو شأن وأهمية، وموقعه من همومنا الإسلامية في القلب منها، وهو في قضايا الفكر يأتي الأول من بينها، وفي مسائل الأدب والحياة لا يرضى أن يكون إلا سيّدها، وأن يأخذ إلا موقع الصدارة منها. أقول ذلك ولا أبالغ فيما أقول، إذا علمنا أن بحث التعددية ينضمّ على قضايا كثيرة، من بينها الحرّية والمسؤولية، وفنّ تدبير الأمور الثقافية والسياسية والدينية، وفنّ المحاوراة والتعايش، وفنّ التطوّر والتطوير. وبالجملّة فإنّه يُشرف على مسائل الحياة كلها عندما نتجول في جنباته ونذهب بعيداً بين طرقات آفاقه وشعابها.

ولنقل أيها الباحث العزيز إننا نكاد نتفق في الرؤية كلّ الاتفاق، وإنّ الاختلاف بيننا هو في الواقع، وهو يضيق أحياناً ويتسع أحياناً. وما قلته أنت في بدء بحثك، تعرّف به التعددية من أنّها «تنوع، مؤسّس على (تميّز... وخصوصيته)»^(١) هو عينه الذي أقوله، وإن أردت له أن يأتي عندي بصيغة أخرى، فأنا أقول: إنّها: «اختلاف في الاجتهاد واجتهاد في الاختلاف». وما قلته بعد هذا التعريف وأنت تشرح معنى التعددية وتقدّم الأمثلة لإيضاح رؤيتك ومفهومك، لا أستطيع أن أختلف معك فيه، وربما لا يوجد هناك من يستطيع.

وأنا أقول كما تقول، وأعتقد كما تعتقد بأن التعددية هي: («القانون» الإلهي، و«السنة» الإلهية)^(٢) في هذه الموجودات المادية التي لا يحصيها إلا بارئها. وكيف لا نقول ذلك ونحن لا نفتأ نراه في الكبير والصغير ممّا تقع عليه أبصارنا من الأشياء حولنا؟ بل نراه في تركيب أجسادنا وفي أحوال أنفسنا؛ فما من شيء من الأشياء المادية يقوم إلا بأكثر من عنصر واحد، وما من

(١) الجامعة الإسلامية. العدد

٦٧: ٢

(٢) المصدر السابق: ٦٩.

ظاهرة من الظواهر الاجتماعية والبشرية، صغيرة كانت أو كبيرة، إلا وهي تشتمل على مجموعة من العناصر، تبقى الظاهرة قائمة موجودة ما دامت هذه العناصر قائمة موجودة، ولا تتعرض للتهديد والزوال إلا إذا تعرض عنصر منها للتهديد والزوال؛ وهذا التشابه القائم بين التعددية في طبيعة الكون ومظاهره وبين التعددية في طبيعة المجتمع البشري ومظاهره، يأتي دليلاً ساطعاً قاطعاً على أنَّ الحاكم المدبّر هو القانون الإلهي، الذي هو من لدن حكيم خبير.

ولا يوجد هناك بين الباحثين من لا يقول بأنَّ الأديان التي هبطت من السماء إلى الأرض، والدعوات والمذاهب التي خرجت من الأرض باتجاه السماء، لم تعرف التعددية، ولم يكن لها فيها حضور كبير؛ فهذه الديانة اليهودية ومثلها أختها المسيحية عندما نقرأ كتابيهما العهد القديم والعهد الجديد، نرى أنهما يؤكدان أنَّ التعددية هي أوضح سمة من السمات الإلهية، وعندما نقرأ ما جرى في تاريخيهما من الوقائع والأحداث نشاهد أنَّ التعددية هي القانون الذي لعب الدور الأكبر في توجيه مجرى هذا التاريخ وتصويره على هذه الصورة التي هو عليها؛ وهكذا كان شأن الدين الإسلامي مع قانون الله ومع فطرته.

لقد عرف الإسلام قيمة التعددية حقَّ المعرفة، ونزل على أمرها بمعنى وأنزلها على أمره بمعنى آخر. ولا أريد أن اتعرض بشيء من الحديث عن هذا الترابط المتين بين التعددية وبين مسؤولية الفرد في المجتمع ومسؤولية المجتمع نفسه، ولا بين التعددية وبين حرية الفرد وحرية الجماعة، التي هي بمعنى آخر الديمقراطية الشعبية، كما لا أريد أن أتطاول في الحديث على ما للتعددية من دور في تنمية الحضارة أو في ضمورها، وما لها من شأن في تهينة أسباب الازدهار والتقدم وأسباب التخلف والتقهقر.

ولكنني أريد أن أكتفي بوجه من القول وبإشارة عابرة إلى أن التعددية التي جاء بها الإسلام وعظمها ودعاها، تكاد تكون وحدها هي صانعة مصير الفرد والجماعة معاً، إذا روعيت شروطها من قبل هؤلاء الذين يفتحون الطريق

للتعددية ويمهّدون لها، ومن قبل الذين انتهجوا نهجهم وتابعوا خطاهم. وأوّل هذه الشروط هو الصدق في الإيمان بأركان الإسلام كلّها، وتشرب روح الإسلام؛ بحيث لا يكون هناك محلّ لغيرها، أو يكون لها المحلّ الأكبر عند الفرد.

وثاني هذه الشروط هو أن يكون للمسؤولية حضور كبير في معنى التعددية، فلا تكون لأغراض رخيصة أو لإطفاء نائزات عاطفية، وأن تكون مجالاً من مجالات التنافس، في بناء الفرد والمجتمع، ورسم سرعة ومنهاج لتمكين بناء الحضارة وتشبيد صرحها.

وثالث هذه الشروط هو أن يكون جناها يجمع بين الأولى والأخرى أو بين الحياة في الدنيا والحياة في الآخرة. وبغير هذه الشروط وما تحمله من تفصيلات في المبنى والمعنى، فإنّ التعددية تنتقل إلى ظاهرة أخرى وتأخذ شكلاً آخر، نقدر أن نسميه الانحراف والضلال أو الانشعاب والافتراق.

ولا أستطيع أن أنكر أنّك استشرقت هذه المعاني في بدايات بحثك، وأنك أحضرتها في ثنايا كلامك بلبوس آخر يختلف عن هذا اللبوس الذي أحضرتها أنا به، ما سوى الشروط المذكورة آنفاً التي أرى أنّ الحديث في مدح التعددية وذكر مزاياها وكرائم أوصافها لا يستقيم بدونها، ولا يطيب ويحلو إلا إذا مُزجت به.

وكذلك لا أستطيع أن أنكر أنّي وجدتك تدنو من الخطر، بل وجدتك تخطو الخطوة الأولى منه عندما رحت تؤوي الفرقاء كلّ الفرقاء - دون أن تستثني أو تميز - تحت قبة الوحدة الإسلامية والرابط الإسلامي والوحدة السياسية للأمة والجامع السياسي، وما إلى ذلك من المصطلحات التي أقول: إنها جمعت بين الأضداد، وراحت تزفّ إليهم المصالحة والمؤاخاة. ولا أشتطّ إذا قلت: إنها راحت توحدّ بينهم، وتجعل (الطلقاء) المناققين يجلسون إلى جانب المهاجرين والأنصار الذين قام الإسلام بدمائهم وسيوفهم، يقاسمونهم ثمار النصر ويحلبون معهم ضروع التعددية.

أليس هذا المعنى واضحاً في كلامك؟ وأنت تشيد بالتعددية الموزونة

بميزان الوسطية الإسلامية وتقول بأنّها: «لابدّ وأن تكون تميزاً لفرقاء يجمعهم جامع الاسلام، وتنوعاً لمذاهب وتيارات تطلّحها مرجعية التصوّر الإسلامي الجامع، وخصوصيات متعددة في إطار ثوابت الوحدة الإسلامية، الأمر الذي يجعل هذه التعددية نموّاً وتنمية للخصوصيات، مع احتفاظ كلّ فرقائها، وأطراف الخصوصية، وأفراد التنوّع بالروح الإسلامية، والمزاج الاسلامي وتواصل الفروع مع أصل الشجرة الطيّبة لكلمة الإسلام، التي هي بلاغ الله إلى رسوله وبيان هذا الرسول إلى العالمين»^(٣).

(٣) المصدر السابق.

ثم أليس من معاني هذا الكلام أنّ الفرقاء الذين صنعوا التعددية في الإسلام رتوزعوا نعمها ونقمها، كان لكلّ خلاف وقع بينهم، ولكلّ حرب دارت رحاها عليهم تميز يمتدّ بأصوله وفروعه إلى (ثوابت الوحدة الإسلامية)، وينهض ويتحرّك ويعيش (بالروح الإسلامية والمزاج الاسلامي). إلى آخر كلامك الذي هو طيب وحقّ، فيما لو رحنا نعتبره رؤية إسلامية تشهد لها النصوص كلها وتباركها القلوب المؤمنة، وتنعقد عليها النوايا الحسنة المباركة؛ لكنّ الواقع المرّ الذي تتابعت موجاته على المسلمين منذ أوّل حياتهم إلى هذا اليوم وإلى يوم القيامة لا يسمح لكلامك في بحثك الكريم أن يتمتع بهذه الأوصاف. وهذا هو الذي سنتوسّع في شرحه وبيانه، عندما نأتي على مصادرة شريك وبيانك، في تفصيلك لكلامك الموجز الجامع الذي استشهدنا به. فلبتّ قليلاً، فنحن قادمون لدرء ما يحيط بك من الأخطار.

نعم، أيّها الباحث العزيز، إن كلامك هذا يستوحي الحديث الذي قالوا إنّهُ للرسول الأعظم ﷺ وهو: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»^(٤)؛ لا بل يتخذ هذا الحديث قاعدة له وينطلق منها، ويوزّع الإغراء والتشويق، ثم يستوحي الحديث الآخر الذي زعموا أنّه للرسول الأعظم ﷺ وهو: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»^(٥). ولا أشك ولا أرتاب لحظة بأنك كنت ماهراً حين صنعت لهذين الحديثين لبوساً من اللغة المعاصرة المثقلة بالمصطلحات المغرية والكلمات اللافتة.

لكن لم تعد العقول مغلفة لتقبل قول من يقول لها: إنّ معركة الجمل كانت

(٤) الطبقات الكبرى ٢: ٢٥٨.

(٥) جامع بيان العلم وفضله

٢: ٩٠، ط. دار الكتب، المنيرة

نتيجة اجتهاد المجتهدين من الصحابة، وللمصيب منهم أجران وللمخطئ أجر، أو قول من يقول: إنَّ معارك صفين والنهروان والطفَّ هي ثمار الاصابة والخطأ في الاجتهاد. ولم يعد التطوُّر الذي يتسارع في الوعي الاسلامي والصحة الاسلامية يجعل الصحابة سواء في الاقتداء، أو يجعل أقوالهم وأفعالهم قدوة له دون أن يميز بينها، وأن يحاكمها ويعرضها على الميزان السليم الذي هو القرآن والحديث الصحيح والعقل الصحيح والواقع الصحيح. لكن عندما يسمع بمصطلح (التعددية)، وما ينتابها من حركات، وما يتبعها من تأويلات ولغات وتحليلات، فإنَّه قد يُغرَى بحركة من حركاتها، ويخضع للفتة من لفتاتها، ويقع في الشبكة وهو لا يدري.

ومن الحق أن أكرِّر هنا وأقول: إنَّ التعددية التي تعني الاختلاف في وجهات النظر والتنافس في خلق الأقوال والأفعال، لإغناء الفكر في الاسلام، وتوسيع أثره وتأثيره، والتعددية التي هي: «اختلاف علماء أمّتي (أو اختلاف أمّتي) رحمة»^(٦)، لا نسمح لأنفسنا أن نخلطها مع هذه التعددية التي يهجم علينا بها حديث الاجتهاد وما فيه من إصابة وخطأ، وحديث الصحابة والنجوم والاقتداء بها والاهتداء، ولا نريد أن نقرنها إلى التعددية السياسية التي ظهر لونها وصباغها على التعددية في الاسلام أكثر من لون الفقه وأصول الفقه وعلم الكلام وعلم التفسير، وقيام المذاهب الأصولية والفقهية والكلامية بين جماعة المسلمين. وإن كنا نعتزف بأنَّ كلَّ أنواع التعدّد في الدوحة الاسلامية عرفت من قريب أو بعيد أثراً من آثار السياسة، وذاقت طعماً من طعومها، وارتدت لباساً من نسيجها.

ولست أدري لماذا رحت تهوّن من شأن (التأويل) وأنت تسمّي ألوان التعددية، وتجعله صغيراً في جانب التنزيل حتى لا يكاد يرى لصغره، ثم تجعله سبباً للخلافات السياسية التي نشبت بين فرقاء مسلمين، وتوسعت ثم توسعت، وكبرت حتى وصلت إلى الصدام المسلّح والقتال، وتعتقد أنَّ هذا التأويل الذي اختلفوا فيه وتصارعوا عليه لم يزحزح أحداً من الفرقاء عن وحدة إيمانهم (بالتنزيل)، ولا عن اجتماعهم وتوحدهم تحت رايته؛ بل إنَّ معنى

(٦) المصدر السابق ١: ٧٨.

كلامك يذهب إلى أنَّ وحدة الأمة الإسلامية بقيت على خير وظلّت في أمان، ما كان التنزيل بعيداً عن أن يكون سبباً لاقتتالهم وتصارعهم، ولأن التأويل لم يستطع تصديق هذه الوحدة لأنه لم يكن يمتلك القدرة على تصديقها. فتعال نقرأ كلامك وأنت تتحدّث عن التصدّع السياسي الذي حدث بين الفرقاء المسلمين، وتطوّر حتى بلغ مرحلة الاقتتال والمواجهة المسلّحة، ومع ذلك فإنّ: (فرقاء هذه الصراعات قد ظلّوا على ولائهم «للدولة الواحدة» فحافظوا على «الجامع السياسي» وعلى ولائهم «للدين الواحد» فحافظوا على «الجامع الديني»، فكان قتالهم على «التأويل» لا على «التنزيل». وكانوا جميعاً رغم القتال على ولاء لوحدة الدولة ووحدة الدين» (٧).

(٧) الجامعة الإسلامية العدد

٧٤ : ٢

ورغم أنَّ أسلوب هذا الكلام مشاكس مضطرب، وأنّ الكلمات فيه ظاهرة القلقلة، فإنّ المعنى الذي تذهب إليه بين لدينا، وهو أن كلّ طرف من الأطراف المتصارعة قد انتزع من نصّ التنزيل الذي هو القرآن، معنى يؤيد وجهة نظره في مواجهته واقتتاله مع الطرف الآخر، وأنّهم جميعهم لم يخرجوا عن دائرة الصواب. وانتهيت بعد كلامك إلى اختيار واقعة صفين مثلاً من بين الأمثلة الكثيرة، وأرفقته بنقول من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لتأييد رأيك وتصويب ما ذهب إليه. وسيأتي الكلام على الأمثلة والنقول بعد أن تنتهي من محاكمة ما قلته في التنزيل والتأويل.

فنحن لا نستطيع أن نقول كما تقول، أو أن نذهب إلى ما تذهب، نحن نقول إنّ الاقتتال بين الفرقاء المسلمين لم يحافظ على وحدة الأمة، ولا على وحدة الجامع السياسي ولا الديني، بل إنّ مَرَق شمل المسلمين وأضعف الروابط بينهم حتّى تقطّعت وتمزّقت، فلم تعد الروابط بينهم إلّا بالاقتتال والتواصل وإلا بالمواجهات الدامية. وهذا هو الواقع الذي يمتد أمامنا بتاريخه المرير وأحداثه الفاجعة منذ واقعة صفين إلى لحظة تحرير هذه السطور، يشهد على أن (الفئة الباغية) أصرّت على النزاع، وسارعت إلى تناول السلاح والتنادي إلى ساحات الاقتتال، ولم يكن في نيّتها أن تسعى لوحدة الدين ولا صيانة الترابط بين المسلمين، ولا حفظ الأمانة التي خَلَفها الرسول الأعظم ﷺ لبني الإنسان في

كلّ مكان وزمان. وأنّ هذه الفئة كانت باغية ظالمة، وكانت على الباطل، وكانت تحارب الحقّ وهي تعرفه، وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومن وقف معه واصطفّ وراءه. فكيف للحقّ والباطل أن يجتمعا في دائرة (الجامع السياسي) أو (الجامع الديني)؟ حاشا للحقّ أن يكون إلّا حقاً، وحاشاه أن يلتقي مع الباطل إلّا في المقارعة والمواجهة، وتلك طبيعته وهذا تعريفه، وحاشاه أن يوزن بميزان الوسطية التي ذهبت إليها أيها الباحث العزيز؛ لأنّ الوسطية في الإسلام إذا كانت هي العدل، فالحقّ هو العدل، والحقّ هو الوسطية، والباطل هو الطرف المطرود المنفي الذي لا وجود له في الإسلام.

وهذا القول يسمح لنا أن نقول أيضاً: إنّ التأويل الذي أوت إليه (الفئة الباغية) ونصرت به حجتها، لم يكن هو التأويل الذي ذهبت أنت إليه، ورأيتك، على ما فيه من اختلاف وتعدّد، يتوخّد تحت راية التنزيل؛ ولكنه كان التأويل الذي نستطيع أن نسفّيه الطرف الآخر، وهو التحريف والتضليل، فكيف له أن يلتقي مع التنزيل وينضوي تحت لوائه؟! وأعتقد أنك جرحت معنى التأويل وأغضبته حين رحت تضمّ (الفئة الباغية) إلى باقي الفئات الإسلامية، التي من حقّها أن تنتمي إلى التأويل وأن تعيش على حسابه. ويكفي هذه الفئة ذلاً وامتهاناً أنّ التنزيل الحكيم وصفهم بأنهم (الشجرة الملعونة)^(٨) ويكفيهم ضعة أنهم هم (القرود) الذين رآهم الرسول الأعظم عليه السلام في منامه يتواشبون على منبره ويأخذون مكانه الأقدس^(٩).

واسمح لي الآن أن أذكرك - وأنت ممّن تنفعهم الذكرى - بنموذج صغير من بين نماذج جدّ كثيرة من الطرق التي ابتدعها أحد زعماء هذه الفئة في مسألة التأويل، والأساليب التي كان يستعملها وشركاؤه في توطئة الأمور وتمهيد المسالك، لترى كيف كانت نصوص التنزيل تُسخر، وكيف كانت تُحرّف وتُزوّر ولا تُؤوّل وتُفسّر، ولا تستنبط منها المعاني وتُستخرج أوجه المفاهيم بالعقل والاجتهاد. فقد روي عن ابن وهب، قال: «قلت لأبي ذر رضي الله عنه وهو بالربذة: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: أخبرك أنني كنت بالشام في أيام معاوية، وقد ذكرت هذه الآية: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم

(٨) أخرجه ابن مردويه عن عائشة، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤: ٩١، والحلي في السيرة ١: ٣٣، والشوكاني في تفسيره ٣: ٣٦، والأفوسي في تفسيره ١٥: ١٠٧، والقرطبي ١٠: ٢٨٦.

(٩) راجع تفسير الآية: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ في تفسير الطبري ١٥: ٧٧، وتاريخ الطبري ١١: ٣٥٦، وتفسير الخازن وتفسير الشوكاني وتفسير الأفوسي.

بعذاب أليم»، فقال معاوية: هذه في أهل الكتاب.

فقلت: هي فيهم وفينا. وكتب معاوية إلى عثمان في ذلك، فكتب إلي: أن أقدم علي، فقدمت عليه»^(١٠).

(١٠) نهج البلاغة ٣: ٢٤٠، ط
الذاتية، دار الفكر للجميع.

وبهذا التزوير في تأويل الآية، وجعل معناها يختص بأهل الكتاب من يهود ونصارى فقط، أفلح معاوية في طرد أبي ذر ونقله، واستطاع أن يجعل الأمر سنة متبعة في بني أمية وبني العباس وفي بني عثمان، واستمر كثر الكنوز وسلب الحقوق. ألا ترى إلى هذه السنة أنها هي وحدها القائمة عند أغلب حكامنا اليوم ومن يدور في فلکهم من التجار والسماسرة والفقهاء.

وأما عن قولك: «فكان قتالهم على (التأويل) لا على (التنزيل)»، فإنك تساوي فيه بين (الفئة الباغية) وبين فئة الحق التي هي الامام وأتباع الإمام، حين رحت تعد أهل البغي وأئمة الجور يعتقدون بالتنزيل ويؤمنون بما جاء به، وبما بلغه الرسول الأعظم ﷺ عن ربّه، وحين رحت تجعل ما طلعوا به من تأويل يتفق من قريب أو بعيد وروح التنزيل، ويبقى معه على وجه من الوجوه دون أن تنقطع بينهما العلاقة. لكنّ الواقع الذي نقله إلينا المؤرخون، ورواة الحديث ورجال الأخبار وجماعة الفقه والأصول يأتي كلّ شاهد على ضعف هذا القول، ويُلح علينا في تصحيحه أو تبديله، إذا لم نقل في رفضه ونبذه. وقد جاء قولك هذا مؤيداً لحديث الرسول الأعظم ﷺ ومثبتاً له، وأنت لا تدري: «يا علي لتقاتلنّ على تأويله كما قاتلت على تنزيله»^(١١). ولعمري إن من يكشف الغطاء عن هذا الحديث، ويفهم سرّ القتالين والصلة بينهما: قتال الرسول الأعظم ﷺ على التنزيل، وقاتل أمير المؤمنين على التأويل، فإنّه لا يعود يفارق الطمأنينة، ولا يصادف مشكلة إلّا ويرى حلاً لها. ولن أفوت الفرصة، فسأروي الحديث هنا من الجهة الأخرى: «إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. ولكن خاصف النعال. وكان أعطى عليّاً نعله يخصفها». أخرجه جمع من الحفاظ. وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي.

وليتك أحسست، أيها الباحث العزيز، أنك استهترت بالتأويل مرتين: مرّة

(١١) نهج البلاغة، ووقعة
صفين لابن مزاحم.

حين عددت ما قامت عليه (الفئة الباغية) من حجج وعلل جزءاً من أجزاء التأويل، ولوناً من ألوانه وطعماً من طعومه، وحين حسبت أن هذه الحجج والعلل تلتقي بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور مع التنزيل؛ ومرة أخرى حين أخّرت التأويل عن التنزيل بالدرجة، وحين جعلته دونه في المقام والرتبة والاعتبار؛ والحال أنهما يقفان جنباً إلى جنب، وأنهما في رتبة واحدة لا يتقدم أحدهما على الآخر ولا يتأخر عنه. وهذا القول لا يعني أن التأويل هو تنزيل آخر، بقدر ما يعني أنه شرح وإيضاح وتبيين. فإذا كان التنزيل هو كلام الله فإنّ التأويل هو المعنى الذي أراده الله بهذا الكلام. ومن هو الذي يفك الارتباط بين الكلام ومعناه؟ أو من هو الذي يفصل أحدهما عن الآخر؟

ولا تقل لي إنّ كلام الله هو التنزيل، وأنّه يحتمل أكثر من معنى، وأنّه حقال أوجه؛ فما قصدتُ إلى ذلك، بل قصدتُ إلى هذا التأويل الذي هو المعنى المراد في كلام الله، قريباً كان أو بعيداً، بيّناً أو مستتراً. وأظنّ أنك من الذين يعتقدون أن الرسول الأعظم وأهل بيته، الصفوة المطهرين، قد عرفوا من معاني التنزيل ما لم يعرفه بنو البشر، وأنّهم من الراسخين، بل هم الراسخون؛ وعليّ أمير المؤمنين هو منهم، فكيف يُقرن في فهم التنزيل وفي بلوغ معانيه وفي تأويله إلى معاوية زعيم (الفئة الباغية) وإلى شركاء معاوية؟

وكما كنا وعدنا قبل قليل، فقد صار من الحق علينا أن نأخذ بالحديث على هذه النقول التي استشهدت بها من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تريد أن تنتزع منها الصدق على مقولتك في فهم التعددية، والتأييد لما ذهب إليه من اعتقاد. فماذا تريد منّي أن أقول، أيها الباحث العزيز، وأنا في دهشة وتعجبٍ شديدين؛ لما رأيته من نقص وتشويه وتزوير في هذه النقول. نعم رأيت ذلك كلّها فيها، حينما رحّطُ عرضها على الكلام الثابت الصحيح الذي نقلته المظانّ الموثقة عن أمير المؤمنين. ولا تسل كيف اهتديت إلى ذلك؛ فما هي إلا أن وقعت عيني على الشاهد الأول وأخذت بقراءته، حتى غمرني إلهام عجيب وهو يناديني ويُهيب بي إلى الإسراع في التثبت من هذه النقول، قبل الوقوع في شبكة الإغراء والإقناع التي نصبها قلمك الكريم. ولا تعجب إذا سمّيت ما حدث

إلهاماً؛ فمن حقّ طول الدربة وكثرة الممارسة أن يوطئنا الطريق أمام الإلهام وأن يخلق له الأسباب ليأتي على غرة ومن غير ميعاد. والصحة بيني وبين كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأفكاره بعيدة وعميقة في التاريخ والحياة وفي الدربة والممارسة.

ولا أريد أن أطيل أكثر من ذلك، فهذا هو الشاهد الأول، كما ذكرته في بحثك، وأرجعت مصدره إلى نهج البلاغة: «لقد التقينا وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء...»^(١٢). وعندما تزاح العلة التي أصابت هذا الشاهد، وهو النقص، فإنه يعود إلى طبيعته وإلى صحته، ويقلب قولك رأساً على عقب، ويجعل التعددية التي قلت بها تناقضاً يطرع فيه حق وباطل وكفر وإيمان، وأخيراً يصير شاهداً عليك وليس شاهداً لك. فإليك عافيتي الضائعة وصحته المفقودة من سيّد العافية وإمام الصحة: «وكان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد...»^(١٣).

وإليك ما قاله في شرحه العلامة عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، فهو حجة أخرى تقف إلى جانبه، وتطلب معه إليك أن تعيد النظر في كلامك: «وقوله: والظاهر أن ربنا واحد كلام من لم يحكم لأهل صفين من جانب معاوية حكماً قاطعاً بالإسلام، بل قال ظاهرهم الإسلام، ولا خلف بيننا وبينهم فيه...»^(١٤). فهل بقي مكان لقولك الذي قلته قبل إيراد الشاهد: «يتحدّث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن (الجامع الديني) الموحّد لفرقاء القتال، وكذلك (جامع الدولة)»^(١٥)؟ وهل بقي مكان لقولك الآخر الذي قلته بعد إيراد الشاهد: «(فالدين واحد) وجامع... (والأمر واحد) وجامع... والخلاف في (دم عثمان) فقط»^(١٦).

وهذا الشاهد الثاني نذكره لك كما ذكرته أنت وأرجعت مصدره إلى نهج البلاغة: «لقد أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل. فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا وندناننا بها إلى البقية فيما بيننا رغبتنا فيها، وأمسكنا عمّا سواها»^(١٧). وقبل أن أعيد

(١٢) الجامعة الإسلامية العدد

٢: ٧٤، وقد ورد مرّة أخرى

في العدد ٣: ٢٤ - ٢٥.

(١٣) نهج البلاغة: ٤٤٨، ط.

صبحي الصالح، و٣: ١١٤، ط.

عبد.

(١٤) شرح نهج البلاغة: ٤

١٦٠ - ١٦١، ط. الثالثة، دار

الفكر للجميع.

(١٥) الجامعة الإسلامية: ٧٤.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق.

لهذا الشاهد عافيته الضائعة وصحته المفقودة، ألغت نظرك إلى أنك ذكرت مصدرين من مصادر النزاع ونسيت مصدرين آخرين وأنت تمهد لذكر الشاهد، وهذا هو قولك: «ثم يؤكد على أن مصادر النزاع هي (شبهات) أئمرها (التأويل) فهي لا تخرج من (أخوة الاسلام)»^(١٨). والمصدران الآخران، كما هو ظاهر وواضح، هما الزيغ والاعوجاج، وهما لا يبقيان أخوة بين المتصارعين، ولا إسلاماً عند (الفئة الباغية).

(١٨) المصدر السابق.

وإليك الآن عافية الشاهد وصحته الضائعتين: «ولكنّا إنما أصبحنا نقاتل...»^(١٩)، ثم إليك ما قال الشارح الحجة ابن أبي الحديد: «هذا الكلام يتلو بعضه بعضاً، ولكنه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدهما بالآخر...»^(٢٠)، إلى أن يقول: «... فأما قوله: لكنّا إنّما أصبحنا فهو كلام ثالث غير منوط بالأولين...»^(٢١). ثم يأتي على ذكر كلام طويل للرضي ننصح بالعودة إليه، ولا نرى محلّ له هنا، ثم يعقب: «فإن قلت: إنه قد قال: نقاتل إخواننا من المسلمين، وأنتم لا تطلقون على أهل الشام المحاربين له لفظة المسلمين، قلت: إنّنا وإن كنا نذهب إلى أن صاحب الكبيرة لا يُسمّى مؤمناً ولا مسلماً، فإنّا نجيز أن يُطلق عليه هذا اللفظ إذا قصد به تمييزه عن أهل الذمة وعابدي الأصنام، فيطلق مع قرينة حال أو لفظ يخرج به عن أن يكون مقصوداً به التعظيم والثناء والمدح؛ فإن لفظة مسلم ومؤمن تستعمل في أكثر الأحوال كذلك، وأمير المؤمنين عليه السلام لم يقصد بذلك إلا تمييزهم من كفّار العرب وغيرهم من أهل الشرك، ولم يقصد مدحهم بذلك؛ فلم ينكر مع هذا القصد، إطلاق لفظ المسلمين عليهم»^(٢٢). فأعد النظر في هذا الكلام، ثم أعد النظر، وتبصر، فإنّه سيقودك إلى تغيير رأيك في التعددية، أو إلى التعديل منه بحول الله.

(١٩) نهج البلاغة: ١٧٩، ط.

صبيحي الصالح، و١: ٢٣٦، ط. عبده.

(٢٠) شرح نهج البلاغة ٢:

٢٦٣، ط. دار الكتب العلمية.

(٢١) المصدر السابق.

(٢٢) المصدر السابق.

وأما عن الشاهد الثالث الذي ذكرته وأرجعت مصدره إلى كتاب (التمهيد)، فإنّه يتناقض وكلام أمير المؤمنين في معاوية وأتباعه ومناصريه، ولا يتفق الرأي والقول فيه بهؤلاء والرأي والقول فيهم في كلامه المثبت في نهج البلاغة. وأغلب الظنّ أنّه منحول إليه مرسوم عليه، أو أنّه في أضعف الأحوال ناقص ومحرف كما رأينا في الشاهدين السالفين. ولشد ما سعيّت بحثاً في نهج

البلاغة وفي المصادر الأخرى الموثقة التي عنيت بكلام أمير المؤمنين وجمعه وشرحه لأعثر عليه، فلم أقع له على بصيص، ولم أرَ إلا ما يخالفه ويعاكسه ويناقضه. وليس الباقلاني الأشعري محلاً للاطمئنان، ولا شواهدة وتمحلاته أهلاً لأن تُعطى الثقة إلا بعد الفحص والتدقيق والمراجعة والتحقيق.

وليس لي الآن إلا أن أتى بذكر هذا الشاهد، كما ذكرته أنت في بحثك، ثم أضع بجانبه تلك الأقوال التي قالها أمير المؤمنين عليه السلام في موضوع الشاهد نفسه، والتي هي مثبتة في (نهج البلاغة)؛ ليتأكد عند كل ذي نظر وقطانة أن أفكارها هي غير أفكار الشاهد، وأن معانيها غير معانيه وآراءها غير آرائه. وهذا هو الشاهد: «إننا والله ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء [الخوارج] من التكفير والفرار في الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة... [أي الجماعة السياسية] وإنهم لآخواننا في الدين؛ قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم» (٢٣).

(٢٣) الجامعة الإسلامية: ٧٤.

وبعد ذلك يأتي دور الشواهد المنتزعة من نهج البلاغة، فمن قول له يصف فيه معاوية وأصحابه، ويضعهم في موضعهم الصحيح: «فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا واسرّوا الكفر، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهره» (٢٤). وقال أيضاً من كتاب إلى زياد ابن أبيه، وفيه يحذّره من معاوية: «فاحذره: فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ليعتحم غفلته ويستلب غزته» (٢٥).

(٢٤) نهج البلاغة: ٣٧٤، ط.

صبحي الصالح.

(٢٥) المصدر السابق: ٤١٥ -

٤١٦.

وقال أيضاً: «ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلب ظهره وبطنه، فلم أرَ لي فيه إلا القتال أو الكفر بما جاء محمد عليه السلام» (٢٦).

(٢٦) المصدر السابق: ٨٤.

وقال أيضاً: «وقد قلبت هذا الأمر ظهره وبطنه حتى منعني النوم، فما وجدتهني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد عليه السلام، فكانت معالجة القتال أهون علي من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون علي من موتات الآخرة» (٢٧).

(٢٧) المصدر السابق: ٩١.

أرأيت، أيها الباحث العزيز، لو أنك قرأت هذه الشواهد، ومعها الكثير الكثير من أمثالها من الكلام والأقوال والشواهد الأخرى لأمير المؤمنين في نهج البلاغة وفي غيره، لأمسكت عن الإفاضة في هذه الأفكار كلها في مسألة

التعددية، ولاكتفيت بجزء ضئيل منها، أو لاتخذت لنفسك موقفاً غير هذا الموقف الذي اتخذهت وأنت تتحدث في أبرز قضية من قضايا الفكر الاسلامي عن التعددية. فاسمع لنا أن نرفض هذا الموقف وأن نردّه إليك؛ وكيف لا نرفضه ولا نردّه، وهو مناقض لكلام أمير المؤمنين عليه السلام، ومعناه عدوّ لمعناه ومناوئ له. أمير المؤمنين يقول عن معاوية زعيم (الفئة الباغية) وقائدها في كتاب له إلى زياد ابن أبيه إنّه هو (الشيطان)، وأنت وسلفك الباقلاني تريدان أن تسمياه مسلماً وتجعله طرفاً من الأطراف الاسلامية المتنازعة؟! وأمير المؤمنين يقول في (الفئة الباغية) وزعيمها إنهم «ما أسلموا ولكن استسلموا وأسزوا الكفرة»، وأنت وسلفك العزيز تقولان إنّه من المسلمين المؤمنين، وإنه لا يخرج من أخوة الإسلام، وأخوة الدين؟! فنحن عند الاختيار بين القولين والرأيين لا نستطيع إلا أن نختار قول أمير المؤمنين عليه السلام على قولكما، ورأيه على رأيكما؛ لأننا نعتقد أن رأيه وقوله في كل شيء قاله وارثاه هو عين الصواب ونبع الحقيقة.

ولا تسأل كيف رحّت أقلب بين أمواج الدهشة والتعجّب، وأنا أقرأ كلامك عن الإمامة. أنت تتابع قول من يقول فيها إنّه من الفروع، وتشايح رأيه وتعتقد به، بل تلجّ في إثباته بكثير من الإغراء، وتظن أن هذه النصوص التي اخترتها لأبي حامد الغزالي في مسألة الإمامة تخفي بالإقناع والاعتقاد؛ فهي على تقديرنا لها لا تخلو من ضعف وتناقض، ولا تخلو من ارتجال وتحايل. وليتك أخرت هذه النصوص إلى ما بعد النظر والتدبّر في آي القرآن المجيد، وفي أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ لترى أن الإمامة هي من الأصول الثابتة، وأن فرعها في السماء وليس مع فروع الأرض، وأنها ليست من المسائل الهيئّة التي يُكتفى في تعريفها ومعالجتها بنصوص لأبي حامد الغزالي؛ فهي سيّدة المسائل والقضايا، وإمام الحركة في حياة الأمة، ويظلّ الغزالي وأمثاله وأضرابه من الفقهاء والمفكرين أصغر من أن يحيكوا خيطاً في نسيجها. لقد قال فيها الوحي كلمته، ولكنهم جحدوا وأنكروا واستيقنتها أنفسهم. وما أظنّ أن هناك قضية من القضايا الحساسة الكبرى، على تتابع مراحل التاريخ في أي

زمان ومكان، لاقت من العقوق والتشويه والتحريف ما لاقته قضية الإمامة عند المسلمين، مفكرين وفقهاء ومؤرخين وعلماء. ولا أستثنى منهم إلا من سبقت له الحسنى.

الإمامة هي (الأمر) الذي ذكره محكم التنزيل في قوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (٢٨)، وكما هو ظاهر فإنّ هذا (الأمر) يأتي بعد الله والرسول، فهو ظلّ الرسول أو مكانه، وهو استمرار له ولرسالته، ولروح الوحي الذي جاء مبلغاً له. ومن أجل الحفاظ على هذه الأمانة وتبليغها لم يهادن أمير المؤمنين عليه السلام في صغير ولا كبير، وأحبّ أن يلقى الشهادة ووجهه مغتّر وقلبه مطمئن، ومن أجلها شرب الإمام الحسن عليه السلام كأس السمّ وهو صابر محتسب، ومن أجلها ساق الإمام الحسين عليه السلام نفسه إلى رماح الأعداء المتربصين برسالة جدّه من كلّ جهة، واعتزّ بأن يُهدي الشهادة نفسه الكريمة على أن يرى القروء يتناوبون على منبر أبي الزهراء عليه السلام، ويلعبون بقيم الإسلام وعقول البشر، ومن أجلها استعذب أبنائه من بعده كلّ ويل وكلّ شقاء؛ فمنهم من سجن وقتل، ومنهم من شرب السمّ، ومن أجلها غاب واستتر الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، ومن أجلها سيظهر وسيظفر.

ولا ضير علينا أن يقال لنا إنّ هذا القول هو رأي طائفة من المسلمين، وهو مرفوض من السواد الأعظم؛ فنحن نستطيع أن نوضح الإمامة بلغة أخرى، يتحد عندها المسلمون ولا يتفرقون، ويجد كل فريق منهم فيها ضالّته الضائعة، إذا كان له ضالة ضائعة، ولا يسعى لعبث أو باطل أو فوضى. ولنقل بلغة أخرى لمن يريد تغيير أسلوب التعبير: الإمامة هي رعاية شؤون الدين والدنيا في الأمة.

أمّا في الدين فتعني الإرشاد والهداية، والاهتمام بالنصوص تعليمياً وتفسيراً وتطويراً، وأمّا في الدنيا فحفظ الحقوق، وتسيير المعاملات، وتسهيل العلاقات وتنميتها، ونشر أسباب العمل المتقن، وحماية البلاد، وفتح آفاق الحياة وتجديدها أمام الأفراد والجماعات إلى غد أفضل، في موكب الشريعة السمحة وتحت رايتها.

وليس الإمامة شيئاً آخر غير هذين المعنيين اللذين يلتقيان ولا يفترقان، ويتحدان ولا ينفصلان؛ وهما بهذا اللقاء والاتحاد يجمعان بين الأرض والسماء ويشكلان الخلافة الإلهية في الدنيا، وهي التي ذكرها الحق تعالى في التنزيل المحكم: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (٢٩). ولأنها في هذا المقام وهذه الحال من الوصف جعل الله طاعتها والإذعان لأوامرها مقرونة بطاعته وطاعة رسوله والإذعان لأوامرهما. وعندما يتعذر على الأمة أن ترتقي إلى هذا المحل الأسنى، فإنه لا يجوز عليها الطاعة لمن يتولّى (أمرها) إلا إذا كان أعلم وأعدل من فيها؛ وعندما لا يحالفها الحظ ولا يتيسر أن يوكل (الأمر) إلى الأعم والأعدل، فمعنى ذلك أنها انتقلت إلى دور المعاقبة، وأن الله هيأ لها من شرارها وعتاتها وظلامها حكماً لها، يحكمونها ويسيمونها ذلاً وخسفاً نكالاً لها بما كسبت، وتعذيباً على رفضها إمامة الحق وخلافة الله.

ألسنت ترى معي، أيها الباحث العزيز، أن هذا ما حلّ بالأمة الإسلامية، منذ أن استقبلت (الطلاق) الذين راحوا يغيرون شرع الله، ويبطلون في دينه، ويحرفون الكلم عن مواضعه؛ ومنذ أن رضيت قاداتها (القروء) الذين أخذوا يتناهبون فيما بينهم مال الله، ويفرطون بحقوق عباده، ويستعبدون الضعفاء، ويذلّون الأقوياء، ويسيرون الظلم في الناس كما يسير السم في جسد اللديغ، ويعبثون بالأمانات، ويتاجرون بالعبادات، ولا يؤمنون إلا بالذات ومتع الحياة، ويتعدّون على آل بيت الرسول الأعظم ﷺ بأقسى أنواع النكال والويل، ويتسابقون إلى تشويه ما عندهم من سلوك وأخلاق ساميين، وإلى مصادرة ما عندهم من علم وشرعية، فيمحون بعضاً منها ويحرفون البعض الآخر، ويستعينون في بسط دولتهم ونشر حكومتهم وأحكامهم بالمنحرفين من القضاة وبالأدعياء من الفقهاء، وهكذا طوى بساط العدل ونشر بساط الظلم، ولم يبق لآل بيت الرسول الأعظم ﷺ وشرعهم الحق ومنهجهم المستقيم من مكان، إلا في صدور المشرّدين، أو المسجونين، أو الساكتين خوفاً من البطش والإزهاق.

وأخلص - بعد هذا العرض الوجيز والسريع للإمامة وما جرى لها، وما

حدث بعد اختفاء جوهرها من انقلاب في حالة الأمة الإسلامية وحياتها - إلى القول: إنَّ هذا الانقلاب هو الذي فرض على السواد الأعظم من المسلمين، أن ينظروا إلى الإمامة على أنها الأسلوب الذي يتبعه الحكام في تدبير شؤون الأمة، دون النظر إلى الظروف والأحوال التي تأتي بهؤلاء الحكام، وأن على المسلمين أن يطيعوهم ويزعموا لهم؛ لأنهم هم (أولي الأمر) الذين يأتون بعد الله والرسول. ولا تسلني عن الحجّة والدليل في هذا القول؛ فالتاريخ وأحداثه وما دوّنوا فيه ودبّجوا يأتي كلّ حجةً ودليلاً. ومتى قصّر المحدثون والفقهاء عن خلق نصوص كثيرة من مثل: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشيّ كأنّ رأسه زبيبة»^(٣٠)! أو في تأوّل نصوص كثيرة يريدون بها وجه الدنيا، ثم يريدون بها شدّ أزر الحاكم القائم وتأمين غطاء له يقيه من تمرّد وعصيان، ويحميه من محاولة خلع باسم الشريعة أو باسم الإصلاح؟! وإذا رحت ألوم أبا حامد الغزالي في شيء، فإنّما ألومه لأنه عدّ الإمامة - التي هي أخطر مسألة في حياة الإسلام والمسلمين - مسألة فرعية، وأنّ النظر فيها «ليس من المهمات، وليس أيضاً من فنّ المعقولات فيها، بل من الفقهيات»^(٣١)، وهو الفقيه والمفكر الذي نجح في استخدام فكره لخلق نظرات جديدة في الفكر الإسلامي، وتحريك التشويق إلى استشراف آفاق التجديد.

ولا أريد أن ألومك أنت إذا رحت تقول بقول السواد الأعظم من المسلمين بشأن الإمامة، وتجعلها كما جعلوها فرعية؛ فأنت حرّ في اختيار ما تشاء من رأي واعتناق ما تريد من عقيدة، بل ذلك هو حقك كما هو حقّ كل إنسان؛ ولكن أريد أن ألومك إذا أنت سكّت عن ظلم الحاكم الظالم، وسكّت عن تحريف فقهاء السلاطين للنصوص، وعن انحراف القضاة والولاة والعلماء، وسكّت عن تسخير الدين للأغراض الخسيسة والمتاع الزائل الفاني، وسكّت عن اطمئنان الأمة وإخلاؤها إلى العبث والفوضى، دون أن تحرّك ساكناً في وجه الظالم وعلى الانحراف والتشويه. نعم ألومك إذا أنت سكّت عن كل ذلك منذ عهد (الطلاق) إلى يومنا هذا، كما سكّت عنه السواد الأعظم من المسلمين. أمّا إذا رفضت أن تسكّت - كما أحسب وأعتقد - وقمت تعدّل وتقوّم هنا، وتصلح

(٣٠) البخاري، عن أنس بن مالك.

(٣١) الجامعة الإسلامية: ٧٥.

وتسوي هناك، وتجاهد ليسود الأحسن والأفضل، فأنت حينئذ تعمل بأمر الإمامة وتحسب من جنودها وأنت لا تدري. فما أجلك وما أكرمك حين تعمل بأمرها وتحسب من جنودها وأنت تدري!

ولم يكن لي إلا أن أعجب وأنا أقرأ كلامك عن رأي الإسلام في (حلّ التناقضات)، والسبل التي يعتمد عليها لمواجهتها، مع حفاظه على التعددية، وصونه حقّ كلّ فريق في أن يكون موجوداً باللون الذي يريد. ومما تقوله: «فلقد رفض الإسلام مذهب (الصراع) سبيلاً لحلّ التناقضات بين فرقاء التعددية؛ لأنّ (الصراع) غاياته (صرع، وإفناء، ونفي) الآخر، ومن ثم فهو يلغي التعددية وينفيها» (٣٢).

(٣٢) المصدر السابق: ٧٨ -

٧٩

وليس هناك موضع واحد للعجب في هذا الكلام فقط، وإنما فيه مواضع؛ فأما الموضع الأول فإنك تشير فيه إلى أن الإسلام رفض مبدأ إلغاء الطرف الآخر وإفناؤه في المجابهة، فما هو اعتقادك إذن في ضيع (الناكثين) و(المارقين) و(الطلقاء) في حروب: الجمل والنهروان وصفين، وأنت تسميهم مسلمين؟! وهل كان هؤلاء الذين أداروا هذه الحروب الطاحنة وأوقدوها يرغبون إلا (بصرع) آل بيت الرسول الأعظم وإفناء بيت النبوة ومعدن الرسالة؟! هل كانوا يريدون الاستيلاء على الحكم وحده والوقوف عند هذا الحد؟! لقد استولوا على الحكم وأقصوا الطرف الآخر وحاولوا إبادة، ولكن إرادة الله حالت دون ذلك. وما هو اعتقادك في واقعة الطف وما جرى فيها من الفواجع والدواهي التي لا يعرف التاريخ لها مثيلاً؟! لقد ألغوا الطرف الآخر بزعمهم، وظنّوا أنهم استراحوا منه، ولكن الطرف الآخر هو الذي كتب له البقاء. أذكر لك هذه الأمثلة وأسْمِي أصحابها؛ لأنني رأيتك تضعهم تحت راية الإسلام وفي زمرة المسلمين، وأنت تتخذ من واقعة صفين مثلاً على صيانة الإسلام للتعددية بين الفرقاء، سواء في المحاوراة والمجادلة أو في الاقتتال والمصارعة. والحق أنّ هؤلاء جميعهم قد نالوا وصفهم الحقّ، وأخذوا تعريفهم الصادق الصحيح في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في (نهج البلاغة)؛ فعُدّ إليه وأقرأه وتدبّره، واعذرنا بعد ذلك إذا قلنا لك: إنّنا لا نستطيع أن

نضع كلامك ولا كلام غيرك ممن تقدمك من السواد الأعظم، ولا ممن سيأتي بعدك بجانب كلامه، ولا أن نقرن رأيكم إلى رأيه.

وأما الموضوع الثاني للعجب في كلامك، فهو أنك تنفي عن الإسلام لجوءه إلى نفي الآخر والغائه، ثم تستشهد بالآية الكريمة: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلَكُوا بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريحٍ صرصر عاتية * سخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَةٌ * فهل ترى لهم من باقية﴾ (٣٣)، ولم تلتفت، وأنت تستشهد بها، إلى أنها نصٌّ قرآني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يحدثنا ويعلمنا أنَّ عاداً و ثمود قد أهلكهم الله بعد أن رفضوا الإنذار وألحوا في الرفض، وبعد أن جاءتهم النذر، وبعد صبرٍ طويل عليهم، وبعد أن ارتكبوا المنكرات كلّها وخاضوا عباب الفواحش بطوله وعرضه. أليس القرآن هو القانون الإسلامي الأول؟ أليس هو العين الصافية التي ترفد كلّ سواقي الإسلام وجداوله بالأدلة والحجج، وتمهد لها الطريق وترسم لها الحدود والاتجاه؟ فكيف تقول إذن إنَّ الإسلام لا يرضى بصريح الآخر ولا يسعى إلى إلغائه؟.

إنَّ الآية التي استشهدت بها، أيها الباحث العزيز، جاءت دليلاً على أنَّ الإسلام ينفي الطرف الآخر ويلغيه عندما لا يسمع ولا يعقل ولا يعي، وعندما يقاوم الدعوة ويكابِر الرسالة، ويسعى إلى ردّها وطمسها وإلى قتل أصحابها الدعاة الرسل، أو من يوكل في تبليغها وحمايتها والحفاظ عليها. نعم إنَّ الإسلام يعتمد المجادلة والمحاورة والأخذ والردّ في الإقناع والتفهيم، ويوصي بالحرص على هذه الوسائل ويفضلها على غيرها، ويصون حقَّ التعددية في كلّ ذلك؛ ولكن حينما تهجم الأخطار من كل جانب ولا تكون هذه الطرق كافية للإقناع، ولا لحماية الرسالة ومن يقوم بتبليغها، فإنَّ الإسلام يركب القوّة والصراع، وينفي الطرف الآخر إذا كان في إفنائه صوناً للقانون الإلهي والدعوة الإلهية.

وأما عن القسم الأخير في بحثك، والذي تحدثنا فيه عن امتهان الغرب للتعددية وجنائته عليها، وتروي لنا قصصاً وحكايات تبدوها بما صنع الغرب

في المرحلة الصليبية وتختتمها بما صنعه بالأمس القريب، فنحن لا نختلف معك فيما تروي وفيما تذهب إليه، بل نعرف أكثر مما تعرف عن الغرب؛ لأننا نعيش فيه منذ زمن طويل، وننتقده ونذمه في وجه أكثر مما تنتقده وتذمه وأنت بعيد عنه؛ ولكننا لا نتفق معك في التحليل والتأويل وفي قراءة الظواهرات وتفسير الأحداث.

فليس صحيحاً أن الغرب ينكر التعددية ويقمعها، وأنه لا يرضى برؤية طرف آخر كما في الصيغة التي ذهبت تخلفها وتسجها من التحليل والتفسير؛ فقد غاب من بحثك الحديث عن طبيعة الصراع ووسائله وطرقه بين التيارات المتماوجة في الغرب، وبين هذه التيارات وبين الشرق العربي والإسلامي. وهنا لا أستطيع أن استوفي البحث بقليل من الوقت وقليل من الصفحات، بل يحتاج إلى وقت طويل وإلى أوراق كثيرة، ولكنني أقول لك منذ الآن وقبل كل شيء: إن الطريق إلى إثبات التعددية في الإسلام وإلى إظهارها، هي طريق الإمام الحسين بن علي عليه السلام، ولا مفر للمسلمين إذا أرادوا بعث الإسلام وحياسة العزة والكرامة من أن تكون كربلاء هي نقطة الانطلاق في هذه الطريق.

ولكم نصير سعداء عندما تحدثنا عن هذه التعددية التي عرفها المسلمون في أيام الزعيم معاوية، وتحكي لنا كيف كان يلاحق من بينهم هؤلاء الذين يرفضون سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وعن ابنه يزيد وما صنعه بالمدينة ثم بالكعبة، وما جرّ حقه القديم على أهل بيت الرسول الأعظم عليه السلام في واقعة الطف.

ونصير سعداء أيضاً عندما تحدثنا عن هذه التعددية التي عرفها المسلمون في عهد الحجاج وفي عهود ملوك بني أمية وأمرائهم وولاتهم، وفي عهود بني العباس وعهود بني عثمان. ونصير سعداء أكثر عندما نسمع منك الأحاديث عن التعددية في عهد صلاح الدين الأيوبي وما صنعه بإمام من أئمة الفكر العالمي وهو السهروردي بشهادة الرسالة الشهيرة للقاضي الفاضل، وكيف لاحق الشيعة وقتلهم شرّ تقتيل ونكّل بهم أبشع تنكيل. نعم عندما تحدثنا عن

هذه التعددية التي عرفها المسلمون على أيدي حكامهم ومعهم فقهاؤهم وقضاتهم وعلمائهم ووعاظهم في غابر عهودهم، وفي أمسهم القريب، وفي عهدهم الحاضر، وتخلص في الحديث عنها وفي التحليل، فإنك حينئذ تستطيع أن تحدثنا عن هذه التعددية في الغرب وعن جنايته عليها، وإلا فلا.

قَالَ السَّيِّدُ الْكَرِيمُ :

الْعِلْمُ وَرِيعَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَالْعُلَمَاءُ
لِنُفُوسِهِمْ عِلْمٌ، فَمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ الْأَوَّلِ
الْثَّانِي، وَمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ الثَّانِي فِي
رِوَالِ الثَّالِثِينَ .

جملة الزُّنُوزِ ٢ : ٣٦

السُّئَالَةُ حَائِزَةٌ حَوْلَ : الديمقراطية

د. أي

* محمد كاظم

انبار لوسي

ترجمة: عباس الأسدي

«الديمقراطية» نوع من الحكم قدمته الفلسفة السياسية الغربية إلى العالم بوصفه أبرز ما توصلت إليه هذه الفلسفة، وأصبحت معياراً لشرعية الانظمة الحاكمة من عدم شرعيتها.



ولكن، ماذا تعني الديمقراطية؟ وما هي الآليات التي تستخدم لتحقيقها؟ وما هي الشروط اللازمة لتنفيذها على الواقع العملي؟ هذه كلها مواضيع جرى حولها بحث واسع من قبل فلاسفة الغرب السياسيين.

فلقد قيل في تعريف الديمقراطية بأنها «حكم الشعب»، وأنها «الحكم على أساس الموافقة»، وأنها «حكم الاكثرية»، وأنها «الحكم مع اعطاء حقوق متساوية للجميع» وغيرها من التعابير المماثلة.

ولعل أحدث وأقوى تعريف للديمقراطية هو أن «الديمقراطية هي حكم مجموعة يشارك في اتخاذ القرارات التي تتعلق بالمجتمع جميع افراده مشاركة مباشرة أو غير مباشرة، أو أنهم يستطيعون المشاركة في ذلك»^(١).

فقوام الديمقراطية - إذن - حسب هذا التعريف هو المشاركة، ولكن - كما هو معلوم - فإن للمشاركة أبعاداً ومستويات مختلفة.

(١) الديمقراطية، كارل

كوهن ص ٢٧.

ولا شك أن هناك مجموعة من الناس لا تشارك في أية قضية في أكثر الحكومات الديمقراطية. أما أولئك الذين يشاركون في القرار فيحاولون اضماء استقرار سياسي على مجتمعاتهم حسب معتقداتهم ورؤاهم ومواقفهم ضمن التجمعات والاحزاب، أو من خلال التحرك والتفكير الفردي.

ويمكن أن نفترض الحكم في هذه المجتمعات كشركة مساهمة تتحدد حصة اقطاب القوة فيها من خلال الآراء التي يدلي بها افراد الشعب في صناديق الاقتراع.

فإذا كان هذا الافتراض صحيحاً، فإنه يجب أن لا يقع داخل هذه الشركة أي صراع ونزاع من شأنه أن يؤدي إلى زعزعة اسس الديمقراطية، وهو ما لا يمكن أن نراه في الواقع العملي. وإلا يحدث احياناً أن تتخذ مجموعة معينة موقفاً في امر سياسي أو شأن اقتصادي أو ثقافي يقف وجهاً لوجه امام موقف مجموعة أخرى، وكل منهما يعتبر ذلك أمراً بديهياً، فيؤدي هذا التناقض في «بديهيات» الطرفين إلى وقوع الصراع. ولعل الظاهرة التي تلاحظ في المواقف المتضاربة بين الرئيس الاميركي واعضاء الكونغرس، والتي تؤدي إلى تعطيل اعمال الحكومة الفيدرالية عدة ايام، هي نموذج بارز لتعارض «البديهيات».

والمشاهد التي تنقلها لنا شاشات التلفزيون حول الاشتباكات بين المتظاهرين والشرطة في شوارع باريس هي نموذج آخر لهذا التناقض الجاد بين الرأيين؛ فالحكومة لا تشك قيد أنملة في صحة مشروعها، في حين لا تشك المعارضة بخطأ موقف الحكومة ابداً. فما هو الحل؟

إن مما لا ريب فيه أن احد الطرفين خاطئ في تشخيصه، ولكن بأي معيار ومقياس يمكن تحديد هذا الخطأ؟ وهل يمكن الوصول إلى ذلك وإلى صاحب الحق من خلال النظر إلى كثرة انصار كل طرف؟ وهل يمكن لتحقيق علمي دقيق أن يفض هذا النزاع لصالح احد الطرفين من خلال اثبات حقه؟

إن قواعد الديمقراطية تهتز من جذورها في عصرنا الراهن حينما يسلب كل طرف ثقته بالطرف الآخر وينسف كل ركائزه العلمية والفكرية، وتنشأ

اجواء في الصحف والمجلات والاذاعة والتلفزة يبدو فيها أن الجميع مستعدون لتشجيع جنازة «الديمقراطية» ومكاسبها.

ومن الطبيعي أن الأحكام الأولية للديمقراطية لا تستطيع في مثل هذه الاجواء أن تقدم العلاج الناجح لأي من طرفي النزاع؛ وعندئذ سيلتجئ طرفا النزاع إلى حلول هي اشبه ما تكون برمي العملة النقدية إلى الأعلى ثم تترك لتسقط على الارض على احد الوجهين لتحديد صاحب الحق.

ورغم أن الدستور في البلدان الديمقراطية يعطي رئيس الجمهورية أو المجلس صلاحيات خاصة، من قبيل استخدام «حق الفيتو» لفصل النزاع، إلا أن إعطاء هذا الحق يطعن في التعاريف والتعابير التي تطلق على فلسفة «التمثيل» و «النيابة».

ومن جهة ثانية، فإن النزاع قد لا يحصل بين رئيس الحكومة والمجلس، وإنما بين الحكومة والنقابات كما حصل في فرنسا حالياً.

ومن الطبيعي أن التوسل بقدرة مطلقة لحل النزاعات في المجتمع الديمقراطي سوف ينفي في هذا المجتمع مثل هذه الصفة، ولا يمكن الزعم بعدها أنه لا يزال يعيش في جنة الديمقراطية؛ لأن الديمقراطية اخذت على نفسها أن لا تقترب من هذه الثمرة الممنوعة، في حين لا يستطيع أي مجتمع ديمقراطي أن يغالب شهوة الاقتراب من هذه الثمرة في حل نزاعاته ومشاكله. وهنا يبتعد الحكم عن مفهوم «النيابة» ويميل إلى مفهوم «الولاية» وستختلف عندئذ سائر الحقوق المترتبة على ذلك.

والحديث هنا لا يختص بقرار مجموعة أو حزب أو حتى حكومة أو مجلس، إنما الحديث عن ارادة شخص أو تمتعه بصلاحيات خاصة.

فمن هو هذا الشخص الذي يُعطى مثل هذه الصلاحيات، وأية صفات يجب أن يحملها؟

هذا الشخص هو «القائد» أو «الحاكم» على المجتمع، ولا يمكن أن يكون غيره، وإلا واجه المجتمع ظاهرة الحكم الثنائي على الاقليم الواحد، الامر الذي يؤدي إلى سلب الاستقرار حتى عن الرجل الساكن في صومعة بعيداً عن

المجتمع فيما لو اختلفا.

إن جميع الانظمة الديمقراطية تقترب في الظروف التي اشرنا اليها إلى مفهوم «الولاية» من النوع المطلق. ومما يؤسف له أن بعض المنحرفين فكرياً والمنهزمين نفسياً امام مصطلحات براءة من مثل الديمقراطية، طأطأوا الرأس خجلاً حينما طرح إمامنا الراحل نظرية الولاية المطلقة للفقيه، ولأزال عرق هذا الخجل يتصعب من جباههم حتى الآن، في حين يُعدّ هذا المبدأ من أرقى المبادئ التي يمكن أن تفصل في النزاعات والتناقضات القانونية، وإلا لا يمكن لمجتمع أن يُبنى ويتقدم بدونه.

فحينما يُسأل الرئيس الفرنسي، الذي يواجه احتجاجات وإضرابات واسعة عن رأيه في انخفاض شعبيته ومكانته حسب مقاييس مؤسسات استفتاء الآراء، يقول:

«إنني أعتقد أن السياسي يجب أن يكون قائداً وليس تابعاً، بمعنى أن القائد يجب أن يتخذ قراراته على أساس التزاماته، وعلى أساس رؤيته للمستقبل، وعلى أساس نظراته إلى البلاد وليس على أساس الرأي العام»^(٢).

ولا نعلم إن كان السيد شيراك قد استجاز علماء الفلسفة السياسية في الغرب في اصدار مثل هذه الفتوى ام لا، ولكن الذي لا غبار عليه أن كلام السيد شيراك لا ينسجم مع نظرية «النيابة»، بل إنه لم يأبه حتى بقول أن قراراته تعارض الرأي العام الذي اعطاه الاصوات اللازمة لانتخابه، بل إنه تحدث من موقع «الولي» وليس من موقع «النائب والوكيل». هذا هو كلام صادر عن رئيس دولة تدّعي أنها تمارس الديمقراطية منذ اكثر من مائتي عام!

نعود إلى سؤالنا السابق: من هو هذا «القائد» أو «الحاكم» أو «الولي»؟ وما هي خصائصه بحيث يستطيع أن يؤدي دوره عادلاً في الازمات؟

لقد قامت الاوساط الاكاديمية العالمية في العقود الأخيرة بدراسات واسعة حول مفهوم القيادة، وتوصلت إلى مفهوم «البصيرة» وجعلته محورياً لدراساتها وبحوثها حول القيادة المعاصرة.

وتعني البصيرة التصور القائم على العلم والمعرفة، والقائد البصير يجب

(٢) كيهان، شيراك امام ١٣

سؤال للستائم - ١٢/١٣

١٩٩٥م

أن يكون عادلاً، بحيث تصبح فيه العدالة ملكة ثابتة؛ لأنه ينبغي أن يحكم بالبديية الاقرب إلى العدل حينما تتزاحم هذه البدييات وتتعارض مع بعضها، وفي غير ذلك سيميل نحو الظلم والتجاوز.

وعلى القائد أيضاً أن يكون شجاعاً لا تهزه الاحداث ولا تهزمه التهديدات. كما ينبغي للقائد أن يتحلّى بالتقوى لكي تحول أمام اهوائه النفسية سدود حديدية من المبادئ الاخلاقية في الحالات التي لا يمكن أن يحده قانون أو يقيد قرار.

ومن خصائص القائد أيضاً القدرة على التدبير والادارة والقيام بمتطلبات القيادة والولاية.

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: هل الوصول إلى مثل هذا الشخص هو من قبيل «الاختراع» ام «الاكتشاف»؟

وهل تجتمع هذه الصفات في هذا الشخص فور أن ينتخبه الرأي العام؟ وهل يستطيع الشعب أن ي اخترع شخصاً يحمل مثل هذه الصفات؟ لقد أثبتت التجربة أن الرأي العام ليس بمقدوره خلق مثل هذه الظاهرة، بل لابد من اكتشافه أولاً ومن ثم ايداع المسؤولية في عنقه. وهنا يبرز سؤال آخر: ما هي آلية هذا الاكتشاف؟

لا شك أن كل مجتمع يضم رجالاً يفوقون الآخرين في البصيرة والشجاعة والقدرة على الادارة وغيرها من الصفات اللازم توفرها في القائد. غاية الامر أنه يجب البحث عن مثل هؤلاء الاشخاص واكتشافهم وتسليمهم ادارة المجتمع.

وهذا هو السر الذي يكمن في طريقة انتخاب القائد في الجمهورية الاسلامية من قبل الشعب بطريقة غير مباشرة بواسطة مجلس الخبراء، وهذه هي اقرب الطرق للوصول إلى القيادة المطلوبة، وبالطبع فإن الوصول إلى مثل هذه القيادة لا يكفي أيضاً لتحقيق مفهوم «الديمقراطية»؛ ذلك أن النظام القائم على اسس ديمقراطية هو الآخر تحكم فيه الاكثرية على الأقلية.

ويعتقد اصحاب البصيرة النافذة والحكماء بأن الاقلية هي الحاكمة أيضاً

في الانظمة الديمقراطية المستندة على الاكثرية، وما المبادئ الديمقراطية إلا غطاء لحكم الاقلية المكونة من السياسيين والكارتلات الاقتصادية وعدد من جنرالات الجيش.

إن، فإذا قررنا حكم الانسان على الانسان، فينبغي أن يحكم رجل واحد على جمع كبير أو اقلية على أكثرية، أو أكثرية على أقلية إذا احسنّا الظن، وفي كل الاحوال تُسحق رسمياً حقوق عدد من الناس في الانظمة الديمقراطية. أما إذا قررنا أن الحكم لله تعالى على جميع بني البشر، فستزول هذه الظاهرة السلبية، ولهذا فإن النظام الذي أرسى في ايران هو نظام قائم على اساس الاسلام، يشارك فيه الجميع للوصول إلى حكم إلهي لإدارة شؤون البلاد على افضل وجه، وتقف القيادة فيه على رأس هذه المشاركة الجماعية، وليس هناك حاكم ومحكوم، بل يعتقد الكل بأن ما يحكم به الله تعالى يصب في مصلحة الجميع.

وعليه، لا يوجد اختلاف في الشكل بين الحكم القائم على الولاية والحكم القائم على النيابة في إعلان الحكم، والفرق الوحيد بين النظامين هو مصدر الحكم؛ ففي الأول هو الله تعالى وفي الثاني الانسان، ففي النظام القائم على الولاية هناك ثقة تامة بأن الحكم الصادر بعيد عن الاهواء مطابق للعدالة؛ لأن العلم والعدل هما من الشرائط الاولى لنظام الولاية.

ولا تتوفر مثل هذه الثقة في النظام الديمقراطي لأن العلم والعدل ليسا من الشروط الرئيسية للحاكم والأهم من ذلك أنه لا يمثل الله تعالى محور الحكم فيه، وإنما هي مجرد سلطة أكثرية على أقلية أو العكس.

إن طرق الوصول إلى الحق في نظامنا تختلف عنها في الانظمة التي تسمى بالديمقراطية؛ ذلك أن أية أزمة حقيقية في النظام الاسلامي لا تستطيع أن تهدد حاكمية الشعب، لأنها تجل للحكم الالهي. وهذا هو السر الذي يكمن في عدم وقوع تناقض جاد وتعارض حقيقي في الداخل؛ لأن مدارج السلطة في الجمهورية الاسلامية قائمة على اساس العدل والعلم والتقوى والشجاعة والتدبير وغيرها، ولا يمكن الدخول ضمن هذه المدارج دونما حق؛ لأنه سيُلفظ

ويُرفض تلقائياً، كما حدث لبني صدر الذي قطع بكل سهولة من جسد الأمة
السليم كما يقطع العضو الفاسد من الجسم البشري بعملية جراحية بسيطة.
وهذا أيضاً هو السبب الذي دفع الاعداء في الداخل والخارج إلى اختيار
اسلوب الاغتيالات والحروب؛ لأنه لا يمكن اسقاط وتقويض هذا النظام الالهي
بسبل التعامل الديمقراطي.
ومن جهة أخرى وضعت الجمهورية الاسلامية اكثر من علامة استفهام
أمام الفلسفة السياسية الغربية، لأن الإسلام يمتلك الأجوبة على الأسئلة التي
عجزت «الديمقراطية» عن الرد عليها.
ويعتبر النظام الالهي المستقر حالياً في ايران أفضل رد علمي وعملي على
تلك الاستفسارات.

دراسات

* الشيخ
مهي أحمد قاسم
(البحرين)

ثورة لا تموت وثورة تسع

المدخل

أطرح ابتداءً بعض النقاط المدخلية أمام يدي البحث الذي تستوعبه محاور محدّدة.



ما هي الثورة؟

الثورة حركة انسانية متقدمة ذات تمييز نوعي يخالف نوع مألوف فكري أو ديني أو اجتماعي مثلاً أو ما هو أعم وتعصف به، وهي تفجر هائل في بعد أو أكثر من أبعاد الذات الانسانية الخيرة يفجر جمود الأوضاع في الخارج وعند الآخرين؛ ليحلّ بديلاً إيجابياً ويدفع بحركة الحياة قدماً ويفتح لها آفاقاً جديدة ثرة واسعة.

فالثورة قد تكون فكرية تحطم جدران الفكر، وتطلقه من زنزانه الجمود والتحجر ليدخل عملية انتاج وابداع ضخمة، وتجارب حيّة جديدة، وآفاقاً من الآفاق البكر بمنهجية عملية صارمة، ورؤية دقيقة متحررة لياتي أكبر مما كان وأجود وأبصر، ويكون المبدع الخلاق المتبحر، الغواص المطلق المجدد

المخصب.

وقد تكون نفسية تحرر النفس البشرية من مخاوفها الوهمية، وتبعث قوقعة يأسها وقنوطها، وتطرد عنها الشعور بالانهزامية والتقزم أمام الأحداث والأخطار التي تقع على طريق الفعل الصاعد، لتعانق الطموحات الكبيرة والأهداف الضخمة متحملة مسؤولية الطريق، مستسيغة متاعب الدرب المحفوف بالمشاكل.

وقد تكون اجتماعية تكتسح العلاقات الظالمة فتحول الأعالي أسافل والاسافل أعالي كما ينبغي أن يكون، لتكون من هذا بداية التغيير الإيجابي الكبير والتحول الشامل في موازين العلاقات الاجتماعية من أصغر دائرة إلى أكبر دائرة في عالم النفس والاجتماع، وتدفع مسيرة هذه العلاقات في الطريق الصائب والخط الصاعد.

وقد تكون الثورة روحية تكسر كل حواجز الطين في الوجود الانساني، وتدوس الآمال والهواجس الأرضية المحدودة لتنتقل في حركة محلقة بعيداً عالياً لا يوقفها شيء، ليجد هذا الوجود نفسه واقعاً أكبر من المكان والزمان في شعور غني دائم حي حاضر فاعل مفعم بالتعلق والتدلي والشعاعية للجمال المطلق والكمال اللامحدود.

وهي لا تكون - هذه الثورة الأخيرة - إلا بأن تكون الثورة الشاملة العميقة في كل أبعاد الذات الانسانية الراقية، والحركة الهائلة في نفخة الروح القدسية في وجود الانسان بكل حيثياتها الفاعلة؛ وعندئذ تندفع الذات الانسانية والحياة بكل أبعادهما في حركة عرضية عاتية قوية جادة صاعدة إلى الله متخلقة بأخلاقه، مهتدية بهدى أسمائه، متسارعة في أشواطها إلى رضاه.

وهناك ما يسمى بحركات سياسية وانشابات عسكرية مما لا يستهدف إلا طلب المنصب، والقفز على كرسي الحكم، أو التكيل لحركة الحياة وحرفها عن المسار؛ فهذه أحداث دونية صغيرة، أو حركات عدوانية جائرة.

مقومات الثورة:

ركنان لا بد منهما في كل ثورة؛ قضية في رجل، ورجل حقيقته قضية؛ قضية هي قضية الانسان في فطرته الانسانية النقية المتنبهة النامية على خطها الأصل؛ قضية تحمل رؤية الفطرة ووجدانها وتوقها وتشوقها، وخلصها وطهرها، ولها غنى يزيد الفطرة إلى زادها الروحي والفكري والخلقي الطيب زاداً طيباً، ويمدها فوق نورها نوراً، ويثريها على هداها هدئ؛ قضية تملك أن تخاطب الانسان وتملك أن ترفده؛ تخاطبه بلغة انسانيته ووعيه ووجدانه وأشواقه الرفيعة التي هي من صميم ذاته، وترفده بما يزيد من تفجر وعيه، ويستثير من خرائن عقله، ويركز أصيل وجدانه، وينمي مغروس أشواق انسانيته، ويوظف استعداداته النبيلة ليلبغ به أقصى درجات هداة ورفعته.

وهذه القضية لا بد أن تكون الرجل السمع والبصر والفؤاد واليد والرجل؛ لكي تشخص للناس مشكلتهم، وتراقب فيهم مواضع صحتهم وسقمهم، ولتهتدي بمن تبتدئ وبمن تنتهي، وأين تخاطب ومتى تخاطب، ولتملك أن تحال للإصلاح والتغيير، وتتوفر على أسباب الثورة والمواجهة.

ولا بد من رجل هو تلك القضية. نعم كأنه ليس إلا العقل والقلب والسمع والبصر واليد والرجل لها؛ فليس له ما يرغب أو ما يرهب مما يصرف عنها، أو يجعله يعطي من نفسه له من دونها إلا ما صب مصبها وكان من أسباب نجاحها؛ رجل يرى سمو الفكرة في سموه، وعدلها في عدله، وتسامحها في تسامحه، وانفتاحها في انفتاحه، ونزاهتها في نزاهته، ودقتها في دقته، وحكمتها في حكمتها، وصفائها في صفائها؛ رجل يتحرك حيث تريد له الفكرة أن يتحرك، ويقف حيث تشير بالوقوف، ويرتفع بكيانه كله إلى مستوى الصلابة الذي تفرضه في اطار التعامل مع الذات والآخرين أقرباء وأصدقاء، وبعداء وأعداء، وإلى مستوى السماحة الذي تتطلبه وإن كان فيه تجاوز الذات ونسيانها.

ذاك هو الرجل الأمة الذي كان النبي إبراهيم عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلياً والحسن والحسين عليهما السلام وكل امام معصوم وكان بدرجة أخرى الخميني

(١) النحل: ١٢١.

الثائرة ﷺ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) أمة من الوعي والهدى ومواقف الايمان الصلبة والقيم الرسالية والخط الانساني الاصيل، أمة تطلعها إلى السماء وخطها خط الفطرة، وقصدها إلى الله عزوجل. نعم حين تتجسد القضية العملاقة في الرجل العملاق؛ الرجل الأمة الحية المتصلة بالله، القانتة إليه، المخلصة لوجهه الكريم، المستقيمة على الدرب تكون الثورة وتجد قوامها، وتبقى صوتاً حياً فاعلاً على مدى التاريخ. وقد بقي النبي ابراهيم ﷺ الفرد في حدوده المادية، الأمة روحاً أيمانية منطلقة، وبصيرة عميقة واسعة، ورؤية نافذة فسيحة، وإرادة صلبة خيرة، وعزماً ثابتاً ماضياً، وحكمة عالية راسخة، وقلباً كبيراً زاكياً، وكلمة رسالية واعية، وتوجهاً عبادياً مخلصاً، وصوتاً جهادياً ثائراً، وموقفاً مبدئياً مناضلاً؛ بقي يخرج أجيالاً، ويهدي أفواجاً، ويبني عقولاً ونفوساً وضمائر، ويثير عزائم، ويوقظ إرادات، ويشعل ثورات، ويحطم عروشاً من ضلال؛ بقي صوتاً مدوياً يشارك كفاحات الأنبياء والأولياء قبل وبعد في صناعة التاريخ وبناء الانسان وتصحيح المسيرة.

الركنان في الثورة: القضية الكبيرة في رجل، والرجل الكبير في القضية، قد تنضم إليهما نخبة وأمة من صنع القضية واشعاع الرجل وغيره من رجال القضية ومدرستها؛ وبهذا يكون التفجير أكبر، والنتائج أسرع وأكثر.

تفاوت الثورات:

لا تستوي الثورات عمقاً وسعة، ولا عظمة وسمو، ولا بقاء وخلوداً، ولا إشعاعاً وعطاء؛ وهي إذ تتفاوت في ذلك كله لا يأتي تفاوتها جزافاً، وإنما يعود لأسباب لعل ما يأتي أهمها:

١- أصالة القضية:

أول ما يتفاوت بين الثورات في مستوياتها القضية التي تتفجر الثورة في إطارها؛ فالثورة وهي تأخذ من ترسيخ القضية والتمكين لها هدفها الأخير لا

يمكن أن تكبر اطار قضيتها؛ وبمقدار ما يكون للقضية التي تمثل ضمير الثورة وهما ورسالتها من تأصل وامتداد في فكر الانسان، في استقامته وفطرته الأولى وروحه وضميره وضروراته وتطلعه؛ يمكن أن يكون للثورة التي تجسد تلك القضية وتحمل نداءها.

إن من الثورات ما ينطلق من هم تقويم الأوضاع واعادتها إلى نصابها وفقاً لموازين العدل والانصاف والاستقامة في مقطع زمني خاص، أو رقعة جغرافية معينة، أو في حدود قوم من بين الأقوام؛ وهذه الثورة تبقى لو تعالت وتوسعت ثورة داخل هذا الاطار ما لم تتجاوز همها هذا المحدود الصغير، ويكون اشعاعها واستقطابها غير قادر على الانتشار الكبير.

والقضية التي يمكن أن تحطم حدود المكان والزمان وتخلد إلى الأبد متجاوزة بموج الثورة إلى كل الأجيال والأمم في كل زمان وفي كل مكان، هي قضية تلتقي بصلاح الانسان وفلاحه، وبهم بنائه وعمارته في طريقها الصاعد إلى مرضاة الله عبر الانسجام الكامل مع نداء رسالته.

وهي قضية تستوعب أبعاد الانسان وواقعية الزمان والمكان وما يرتبط بهما وتدخلها في الحساب من دون أن تقف عندها في الهدف الأخير أو تتأطر بإطار هذه الحياة.

٢ - عظمة المثال:

لسان القضية المؤدي البليغ في الناس هو مثالها منهم، المجدد لها فيهم، الذي يشع بوعيا وأدبا وإحسانها وهداها وصدقها وأصالتها وسموها، ويوصل نداءها إليهم، ويلتقي في خطابها ولمحاته وإشارات وإيماءاته وإحساناته التي هي من خطابها وإحساناتها بعميق وجدانهم، وأصيل فطرتهم، وصادق همهم وطموحهم وتطلعهم. ولا يمكن للثورة أن يتأصل فيها وعي القضية وأخلاقيتها بأزيد مما يكون لمثالها في الناس الحامل لرسالتها؛ إذا كما لا يمكن أن يزيد حجم الثورة وعطاؤها على حجم قضيتها كذلك لا يزيد على مقدار القائد المفجر للثورة ونصيبه من وعي القضية وأدبها لأنه المقدار الذي

ستخوض به القضية صراعها، وتتشبع به الثورة في تفجرها.

فالقضية وإن تكن أكبر قضية لا يمكن أن تكون ثورة كبيرة بقدرها ما لـ تجد نفساً بشرية مثلاً تتسع لها، وتحمل قيمها وهداها ورسالتها في كل كلمة وفي كل موقف وفي كل منعطف، وعند كل منزلق؛ وبقدر ما يغيب من هدى القضية وقيمها في رجل القضية يغيب منها عن مرأى الناس ومسمعهم ونفوسهم وأفئدتهم، ويثلم من قدر الثورة، ويخسر من وزنها وفاعليتها وأثرها.

هذا الرجل الأول في القضية والثورة هو معبر وعيها وأدبها للناس؛ وأثره فيهم إنما هو بقدر ما تفيض به نفسه مما له منها من خير لا يقف عند مكان ولا زمان، ولا شعب ولا أمة، ومن هدى ونور وغوث ونصرة تنبسط بهما يد العطاء لكل طالب، بل يتفقد مواضع الحاجة اليهما منه قلب كبير يسع القريب والبعيد.

فكلما كان هناك مستوى انساني قافز له من اللحاق بمستوى القضية البعيدة المتميزة نصيب أكبر، وكان مثال القضية ورمز الثورة كان أمل لموج الثورة واشعاعاتها، وأكسبها قدرة على البقاء والتمرد على أعاصير الأيام وأحداثها المزمجرة؛ وإذا وجد المثال الانساني القمة الذي يقف مع القضية في سماء رفيعة واحدة غنيّة بالعطاء الذي تحتاجه الأرض ولا تستغني عنه أبداً أبى للثورة ان تذوب، وأن يجوز عليها ذبول أبداً.

وكلما كان للقضية نخب تضم صوتها إلى بطلها، كان أعطى للثورة أن تفهم وتمتد بدرجة أكبر في العقول والقلوب والنفوس، وأن تُتمثل أفكاراً هادية، وقيماً عملية، ومشاعر ايجابية واقعة في ذوات الكثيرين.

٣- تجاوز التوقعات:

قد تولد الثورة في ظروف محسوبة لدى الكثير من المراقبين للأوضاع بلحاظ ما يقدمه لهم سيرهم وتجاربهم وتحليلهم الاجتماعي والنفسي والسياسي وحاسبتهم الفنية في هذه المجالات، فيكون مجيئها على تقدير

مرئي للعديد من، وفي وسط من الترقب المتشائم للأعداء، والتفاؤل الضاحك للأصدقاء؛ وقد تأتي تقديراً ينفرد به قائد لا يسمح لغيره مستواه أن يرى رؤيته، ويقدر تقديره؛ تقديراً لا تقع عليه إلا عين البصير المتفرد، ولا ترقى إليه النخب، ولا يكتشفه النظر الحديد مما عند الآخرين.

وقد يفجر الثورة ابتداء عزم تلاقت معه عزوم على تسلق القمة، ومقارعة الموت ومواجهة نتائج البركان، وقد لا يفجرها ابتداء إلا عزم واحد متفرد من بين العزوم وإن تابعه منها ما يتابعه أثناء الطريق؛ هذا العزم يكون من اقدامه أن يواصل الطريق وحده غير مستوحش ولا آبه لفقد النصير، غير معلق مضيق على الدرب الصعب على عدة ولا عدد؛ نعم شدة هذا العزم وتلحظه يولدان عزوماً أخرى لاحقة تشارك في البذل والعطاء، وشق الطريق إلى النتائج.

ومن التحركات ما يأتي رد فعل تدفع إليه محاصرة الظروف التي تفقد الفرد أو الجماعة كل خيارات النجاة، وتجعل صاحبها في زاوية الموت الحادة التي لا تنفتح على طريق ترجى منها السلامة إلا طريق تفجير الأوضاع. ومنها ما يأتي به خيار حرّ طليق من خيارات العقل والمروءة والدين، يقدم التعب على الراحة، وشرف الشهادة على ذل الحياة، وإن كانت الشهادة صورة من أشد صور المأساة وآلام البدن، وكانت الحياة أنعم حياة وأرفه حياة؛ خيار من وحي الوعي الخالص، والتقدير الدقيق، والرؤية المتنبئة، والروحانية الشفافة، والتصميم الغولاندي الهائل، بلا محاصرة خانقة في الخارج، ولا انفعال هائج في الداخل، ولا غياب لأكداس المحن المترتبة عن النظر الحديد.

وقد تبدأ الثورة اعصاراً عاتياً وبركاناً هائجاً، إلا أنها من بعد حين وحينما تصطدم بصلابة الأحداث وهول المشاق تعود جؤاً هادئاً، وحالة وادعة، وتسكن ريحها وينتهي كل شيء وليكن ما يكن من نتائج يحصل معها على الراحة وتسلم الحياة. وقد لا تزيد الثورة أيامها الصعاب المثقلة بالهموم، ودربها الطويل المليء بالتحديات إلا اصراراً وعزيمة، وإلا شدة وصرامة.

ومن الصور أن تجد الثورة أول انطلاقتها، وقبل انطلاقتها رأياً عاماً داعماً

يستثير الهمة، ويشد العضد ويدفع على الطريق وخلاصة من آراء أهل المواقع تتفاءل لمستقبلها؛ وعلى خلافه قد لا تواجه الثورة عند بدء تفجرها إلا سخرية عدو، واشفاق صديق، وتخديراً وتخذيلاً من أصحاب الرأي وأهل المشورة؛ إلا أن وعي القائد، ورؤيته الثاقبة، وروحه المضحية، وقيمه العليا وصرامة بأسه، وصلابة عزمه تجعله يتجاوز كل الآراء القاصرة، والمشاعر الواجفة، والحسابات الصغيرة ليمضي قدماً على هدى من ربه، ويقيم من دينه، وسلامته من نيته، وعلم بربح تجارته التي لا تبتغي دنيا، ولا تهدف إلى حطام، ولا يهتمها أن تحتفظ بحياة؛ إنما كل همها نجح القضية ونصرها؛ يمضي قدماً لتأتي النتائج كما رأى في أول الطريق عزاً وغلبة للقضية التي آمن بها؛ سواء سقط شهيداً في سبيلها، أم صار حاكماً يرعى مصالحها.

والثائر ليس واحداً في كل صورتين متقابلتين مما تقدم، فالبطولة أكبر، والعظمة أبين حين تأتي الثورة من منبع رؤية يتفرد بها القائد، وتصميماً لا يشاركه ابتداء تصميم الآخرين، وخياراً حراً واعياً من قضاء العقل والدين، لا موقفاً يدفع إليه حصار خانق من الخارج، أو يسوق إليه هياج متهور من الداخل، ويحث عليه تشجيع وتزيين وترغيب من هنا وهناك. ولا بطولة ولا عظمة إلا بأن تثبت قدم القائد على المداخض، لتثبت به الأقدام، وبأن ينتهي تراجع وتذبذب، ويكون الاصرار والمواصلة والاستقامة.

ولنقف الآن أمام ثورتين عملاقتين خالديتين - أم وشعاع - ثريانا مكانهما من هذه المقاييس، وثائرين كبيرين - أستاذ وتلميذ - يُعلمانا التمسك بهذه القيم؛ على أن الثورة الشعاع والثائر التلميذ، فضلاً عن الثورة الأم والثائر الأستاذ، سيبقى محل تشوق الكثير من الثورات والثائرين، ولن يملك الكثير اللحاق به، حتى تنتهي المسيرة إلى بقية الله الأعظم أرواحنا فداه وعجل الله فرجه لترى الدنيا كل الدنيا فيه اليقين كله والصدق كله والعلم كله والشجاعة كلها والثورة أرفاها وأروعها وأعماها واشملها، وليريها الاسلام كاملاً في ثورته المجتاحة وعدله العميم.

تكون الوقفة مع الثورة الأم، ثورة الحسين السبط عليه السلام، ثورة الشهادة

والآباء، والثورة الشعاع؛ ثورة القائد الخميني عليه السلام في عدد من المحاور هي:

١ - القضية.

٢ - القيادة.

٣ - النخبة والأمة.

٤ - الظرف والأداة.

٥ - النتائج.

ومما سيعنى به في غالب هذه المحاور صفة الشعاعية والامتداد في الثورة الثانية للثورة الأولى الأصل الثابت والمعين الذي لا ينضب.

المحور الأول: القضية

تنطلق الثورتان المباركتان من محور واحد هو رضا الله سبحانه ببعدين متلازمين هما تأصيل الاسلام وتمكينه، وتحرير الانسان وتكميله. والحديث تحت هذا المحور يكون في نقاط:

١ - الاسلام.

٢ - الانسان.

٣ - بين الاسلام والانسان.

٤ - الهيمنة أو الشهادة. ما هو الطريق؟

وكلمة الامام الحسين عليه السلام عن منطلق الثورة: «رضا الله رضانا أهل البيت»^(٢).

«هوّن علي ما نزل بي أنه بعين الله»^(٣).

ويقول الامام الراحل عنه: «إن الله معنا، ونحن نعيش مع اسلامنا ونعمل لله،

ولماذا يخاف من يعمل لله، وممن يخاف من يسير في طريق الله؟»^(٤).

ويأتي فهم قائد الثورة الاسلامية في ايران من فهم سيده أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي يرى أن رضا الله سبحانه والعمل له انما يتم ببذل النفس والنفيس لتثبيت الاسلام الأصيل في العقول والقلوب، والتمكين له في الواقع العملي من حياة الناس انقاذاً لهم، ودفعاً بهم على طريق الكمال، طريق العبودية الخالصة لله سبحانه، في تحرر كامل من جميع الأوثان والعوائق.

(٢) انظر الوثائق الرسمية.

عبد الكريم القزويني: ٧٨، عن

مقتل الحسين للأمين: ٦٣.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام.

المقرّم: ٢٧٩.

(٤) رسالة الثورة الاسلامية:

٤٠، العدد ٢٧، ذو الحجة /

١٤٠٣ هـ.

ولتتابع عناية الثورتين بالاسلام والانسان والفهم الدقيق لعلاقة ما بينهما،
وما أكدته من طريق لانقاذ الاسلام وتحرير الانسان.
١- الاسلام:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٥)، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٧)،
﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٨)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٩).

(٥) آل عمران: ١٩.

(٦) آل عمران: ٨٥.

(٧) المائدة: ٤٧.

(٨) المائدة: ٤٥.

(٩) المائدة: ٤٤.

طريق الصعود إلى الله، والتأهل إلى مرضاته، والتأدب بأدبه طريق واحد لم
يترك الله عز وجل للعباد أمره، بل نص عليه نصاً، ورفض مما سواه رفضاً
قاطعاً، فلا غير الاسلام، ولا بديل عنه، ولا شيء يضاف إليه.
وليس إلا الاسلام الذي يعترف بحاكمية الله ويرد الأمر كله إليه، ويواجه من
يعطي لنفسه حق الحاكمية من دون الله.

هذا هو الاسلام الذي كانت من أجله عاشوراء مواجهةً للاسلام الأموي
اليزيدي المزيف وكانت من أجله الثورة الاسلامية في ايران رداً على الاسلام
الشاهنشاهي الأميري المكدوب.

انه التمييز الواضح للاسلام اللافتة التخديرية الاستغلالية الذي يعلو سوطاً
على ظهور المحرومين المقهورين، ويسوق تبريراً لتسلط الظلمة الجبارين؛ هذا
التمييز الذي حرصت نصوص الثورتين على تركيزه وعياً وشعوراً وموقفاً
عملياً في نفوس أبناء الأمة وجماهيرها العريضة؛ التمييز الذي أعطى قيمة
خاصة لكل قطرة دم تقدست بهذا الوعي من دم شهيد أو جريح.

ومن النصوص الصارخة بهذه الرسالة من الوعي لكل أجيال الأمة
وقوافلها ولكل من يريد حكماً على الاسلام من كل الناس هذه البيانات الساطعة
من سيد شباب أهل الجنة:

«وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في
أمة جدي ﷺ. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي
علي بن أبي طالب ﷺ»^(١٠)، «... على الاسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل

(١٠) مقتل الحسين عليه السلام، عبد
الرزاق الموسوي المقيّم،

(١١) الوثائق الرسمية لثورة

الامام الحسين عليه السلام، عبد

الكريم الحسيني القزويني:

٤٤٠، عن مقتل الحسين

للأمين: ٢٤.

(١٢) المصدر السابق: ١١١ -

١١٢، عن مقتل الحسين

للأمين: ٩٠، والطبري: ٣٠٦.

يزيد»^(١١)، «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإنني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(١٢).

إن الاسلام فهماً معيناً في فكر الناس، وشعوراً خاصاً في نفوسهم، وموقفاً محدداً في سلوكهم، وعلاقات عملية، وأوضاعاً سياسية واجتماعية واقتصادية، وقيماً تتلون بها ساحة الحياة، ونفسية تكبر أو تصغر، وروحية تسمو أو تهبط ليتبع اسلام الحاكمين مع خلو الجوّ لهم وتفردهم بالساحة، فإذا حكم يزيد ولم يكن من يفضحه فلن يكون إلا الاسلام اليزيدي والاسلام الأميركي المترشح عن ذوات من اسفل الذوات، ومنابع جائفة لا يندفعها إلا خبيث رديء آسن. وهو كفر يتبرقع بما قد يتراءى اسلاماً في البداية، فلا يلبث أن يسقط القناع ويعلنها كلمة كفر صريحة لا مواربة فيها.

لذا لا بد أن يقف الاسلام الصادق المنتزّل على قلب محمد صلى الله عليه وآله في رمزه الكبير وقدوته الأولى سيد الشهداء عليه السلام في وجه المؤامرة ليسقطها بدمه الفوار بنور الايمان، الزخار بشعلة الهداية؛ لا بد أن تكون الثورة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر في الدائرة الاسلامية الشاملة لصعيد الفكر والشعور والعمل والمنطلقات والأهداف والفرد والمجتمع، وإن يكون من هدف التحرك الثوري الضخم هذا الهدف المقدس المتمركز في سحق المؤامرة على الاسلام من الداخل، وتقديم الاسلام القرآني لكل الناس من خلال أوضاع حيوية متقدمة وعلاقات انسانية رائعة تكون المدرسة العملية الشاهدة على عظمة الاسلام وكفاءته في قيادة الحياة وايجابيته وعدله ونصفه؛ الأمر الذي لا يتكفله القرآن الكريم ولا أحاديث السنة المطهرة تكفلاً مباشراً فاعلاً، وإنما هو مهمة الممارسة العملية لحكومة العدل الالهي التي تحول المفاهيم والأحكام والأخلاق والمشاعر التي يدعو اليها الاسلام إلى واقع عملي حيّ شاخص، وتملاً مساحة الحكم الولائي بما ينطلق من روح العدل، ويستهدف الحفاظ على المصالح العليا للرسالة وأمتها، ملتزماً في ذلك كله خطى السيرة القدوة المؤسّسة؛ سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والسيرة القدوة الباعثة؛ سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي السيرة التي تروّ الناس إلى السيرة عن التشريق والتغريب

والميل عن الصراط ولو بمقدار. وما كان لكلمة الامام الحسين المعصوم عليه السلام بدّ من تأكيد السيرة الثانية والتقائها كاملاً مع سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهما لسانان ناطقان عملا على حدّ واحد بقيم الاسلام ومثله كما هي في النصّ الالهي المصون عن الزلل، ولتأكيد أن ما أعقب سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من دونها عدله نسبي، وتمثيله للسيرة القدوة مأخوذ عليه أنه منقوص.

نعم كان التقويض للاسلام اليزيدي، والتمكين للاسلام المحمدي الأصيل في أكبر مساحة ممكنة من عقول النّاس وأفئدتهم وأوضاعهم العملية الهدف المقدس الذي هبّ من أجله أبو عبد الله عليه السلام على طريق مرضاة الربّ العظيم. هذا الهدف الذي صرخت به كلمات الحسين الشهيد عليه السلام ونطق به جهاده المستميت نجده تماماً في كلمات تلميذه الأمين ومواقفه؛ يقول قدّس سره الشريّف: «إن شعبنا يعرف أننا نحارب من أجل الاسلام ومبادئ الاسلام، ونذود عن الاسلام» (١٣).

«نحن طردنا أميركا لنقيم دولة اسلامية، لا أن تأتي بالاتحاد السوفياتي محلها. شعارات شعبنا تظهر هذه الحقيقة. نحن قلنا دائماً لا غربيّة ولا شرقية» (١٤).

وهو الذي فجر الثورة العارمة من أجل الاسلام المحمدي الأصيل، مطلقاً تحذيراته المتوالية من الاسلام القشر الذي يختبئ فيه اللب المرّ الخبيث المنتن الأميركي، والذي لا يتفق إلا عن شجرة الكفر والالحاد الصريحين. يقول عليه السلام: «لن نسمح بعودة أميركا وروسيا إلى ايران، وسنطبق الاسلام الذي يريده الله» (١٥).

نعم هناك اسلام يريده الله وبه جاءت رسله ودعت إليه أولياؤه، وما زال ولا يزال يحمل رايته المخلصون من عباده، وهو علم وحكمة وصدق وعدل وتقدم ورخاء وتوحيد شامل، وعبودية خالصة لله تبارك وتعالى، فيها انطلاق الانسان إلى كماله، وفيها انعتاقه من كل الأغلال وتحرره من كل العبوديات المحقّرة المقرّمة.

وهناك اسلام يريده الشيطان ويدعو إليه أولياؤه ويجد أنصاره من

(١٣) رسالة الثورة الاسلامية:

٤١، العدد ٢٧، ذو الحجة /

١٤٠٣ هـ.

(١٤) الشهيد، العدد ٣٧: ٢٧.

(١٥) كيهان العربي، العدد

١٤٦، الخميس ٣ / ذو القعدة

١٤٠٣ هـ.

الأرائل والصغار من طلاب الحياة الدنيا وباعة الضمير وذوي العاهات الروحية والانسانية؛ إنه اسلام يزيد وأميركا وكل العملاء والأذئاب والقنوات القدرة لامتناس دماء الشعوب واقتنيات تقذرات الناس ومقذراتهم؛ إنه الاسلام الذي يقف مع الكفر على صعيد واحد في مواجهة صحوة الفكر والضمير في كل مكان، ويقف بالمرصاد لأي اطلالة نور للاسلام المحمدي الأصيل.

وإن القائد الراحل عليه السلام جدّ الجد كلّ على خطى سيده الامام الحسين عليه السلام ثائراً وعازماً أن يميّز للعالم كله بين اسلام تنزل من السماء علماً وعدلاً ورحمة وكرامة وأماناً وإحساناً، واسلام صنعتته شياطين الجن والانس فكان جهلاً وظلماً وقسوة وخوفاً واساءة وهواناً.

وبقي الهدف الاسلامي النبيل في الثورتين ماثلاً في كل كلمة، وفي كل موقف وحركة وسكون حتى آخر نفس مقدّس عند شهيد الطف سيد الشهداء عليه السلام، وآخر لحظة من حياة تلميذه الثائر البار الفقيه المجاهد.

٢- الانسان:

هذا هو البعد الثاني من بعدي قضية الثورة في كربلاء وفي ايران، فالهدف الثابت فيهما هو تجلية الاسلام وتمكينه، وتحرير الانسان وتكميله؛ وذلك في اطار ما فجر الثورتين من طلب مرضاة الله العزيز العظيم.

وللانسان والاسلام مصير واحد مشترك في الأرض، فلا يكون انسان بلا اسلام، ولا يبقى اسلام بلا انسان. الانسان السوي هو خريج مدرسة واحدة ومحضن واحد، هو محضن الاسلام، والاسلام أمانة ثقيلة كبرى إذا كان لأحد في الأرض أن يتحملها فلا يكون إلا انساناً محتفظاً بمقومات انسانيته؛ أمّا المصابون بالمسخ في لبّ انسانيتهم فلا ينهض بهم اسلام.

وما جاء الرسل وما تنزلت الرسالات وما كان جهاد الأنبياء والأولياء إلا لصناعة الانسان وتربيته وتكميله.

لذا فما من ثورة تصدق مع الاسلام إلا وتصدق مع الانسان؛ وآية الزور

في أي ثورة تحمل شعار الاسلام أن تستغل الانسان أو تهمله. والانسان كل مترابط لاتكاد تستقيم أخراه بلا اولاه، ولا اولاه بلا أخراه، لا يكاد يكمل في معزل تام عن دنياه، أو تستقر له حياة بدن في حالة من فوضى الروح وسقمها وتبعثرها.

وإنك لتجد نصوص الثورتين تنظر للاسلام والانسان شقي قضية واحدة، وتعطي من همها لهما على حد سواء؛ وإليك من هذه النصوص:

عن سيد الشهداء عليه السلام: «واني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً. وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام» (١٦). «... وحششتهم علينا ناراً اقتدحناه على عدونا وعدوكم فأصبحتم البأ لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم».

(١٦) مقتل الحسين عليه السلام عبد الرزاق الموسوي السمرقني: ١٢٩.

ويقول المستلهم بحق لدروس الثورة في كربلاء الامام الحسين عليه السلام ودروس الوعي في حكومة القرآن لأمر المؤمنين عليه السلام في نص القرار الذي سمي فيه محمد علي رجائي عليه السلام رئيساً للجمهورية في صباح يوم عيد الفطر الموافق ٢ / ٨ / ١٩٨١ م: «إن هذا الحكم يكون ساري المفعول طالما كان يسير في خط الاسلام العظيم وملتزمأ بأحكامه المقدسة... وساعياً لخدمة مصالح بلده وشعبه العظيم... وإذا لا سمح الله عمل خلاف ذلك فاسحب الثقة والمشروعية عنه».

ويضيف في نفس النص وفي سياق الالزام: «... وأن يفتخر ويعتز بخدمة عباد الله وبالأخص المستضعفين منهم فإن هؤلاء هم الأوفياء للاسلام وحماة جمهورية ايران الاسلامية» (١٧).

(١٧) صوت الأمة، العدد ٨٨، شوال / ١٤٠١ هـ.

ويقول: «من أعظم الخيانات أن يجعلوا طاقتنا الانسانية متخلفة ويحولوا دون اصلاحها ونموها» (١٨).

(١٨) رسالة الحرمين، العدد ٤٢: ٢٢.

وفي نص آخر: «إننا مع اعلاننا للبراءة من المشركين وما نزال مصممين على تحرير الطاقات المكبوتة للعالم الاسلامي» (١٩).

(١٩) منقولة من مصدر ضيعته بعد ذلك.

وفي ثالث: «انتصار القلوب أكبر من انتصار الحرب وفتح القلوب أكبر من فتح البلدان» (٢٠).

(٢٠) صوت الأمة، العدد ١٠ - ١٤٠١، ١٧: ١٤٠١ هـ.

وهو يرى أن مهمة الاسلام تتمثل في أنه «يربي الانسان ليكون انساناً في جميع الحالات» (٢١).

(٢١) رسالة الصرمين العدد

٤٢: ٢٢

تقف بنا نصوص الثائر الامام المعلم عليه السلام ونصوص الثائر التلميذ عليه السلام على الوعي الاسلامي الاصيل الذي يعمل من أجل أن يسمو بأوضاع الأرض والانسان لا ان يخلق منفصلاً عنها. أجل مفهوم يؤكد الاسلام، وهو مفهوم التوحيد الالهي، إنما يركزه في عقل الانسان وقبلة ليصنع له تفكيره ووجدانه وشعوره وواقعه وعلاقاته وكل أوضاعه لتكشف وترف وتسمو وتتعالى.

إنه ليستحيل أن يتحول التوحيد في ظل وعي اسلامي أصيل إلى قضية فلسفية جامدة تأكل العمر في اروقة الجدل المترف بعيداً عن أن تصنع وضعاً متقدماً للانسان في نفسه وواقعه الخارجي.

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ (٢٢).

(٢٢) الجمعة: ٢ - ٣.

لا نعرف من القرآن الكريم ولا من سنة المعصومين عليه السلام مفصلاً عن هموم الانسان ومشكلاته، ومنعزلاً عن قضايا الساحة العملية، وهارباً عن مواجهة التحديات وخوض معركة الحياة.

فالاسلام الذي يقرّر للإمام الحسين عليه السلام الثورة والشهادة هو الاسلام الذي يصلح أوضاع الأمة الفكرية والروحية والنفسية والعملية من اقتصادية وسياسية واجتماعية وصحية وغيرها.

«وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي» والتغيير الشامل والاصلاح الكامل للعالم كل العالم وللدنيا كل الدنيا هو محط النظر عند أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ واصلاح الأمة الاسلامية هو الطريق للتحرير الشامل الذي لا يهمل شعباً ولا ينسى أمة وهل يراد للناس جميعاً إلا أن يكونوا أمة واحدة مسلمة لله مستكملة وجودها على طريقه؟! ومن سيجلح الأرض أهلها وقيمتها وأوضاعها إذا لم يتم للأمة الاسلامية صلاحها؟! ومن أين سيعم الأرض الهدى وموازين القسط وقيم العدل إذا لم يتم نسف النقيض المتسلل على أيدي المخربين إلى ديار

الاسلام وربوعه؟! لا بد للامام الحسين (عليه السلام) أن يحطم الحكم الطاغوتي داخل الأمة أولاً، ويبعثها رساليّة، ويواجه عدو الله وعدوها وعدو الانسانية جمعاء ممن يسعى لإطفاء نور الله في الأرض في مهده ومنبعه، لتتشع الأرض كل الأرض بنور ربها من بعد حين.

ويأتي الانسان في كلمات الامام الراحل محطّ النظر للاسلام والثورة لا في جانب منه دون جانب ولا حيثية دون أخرى. الانسان كل مترابط بأبعاده الروحية والجسدية والاهتمام به لا يتجزأ لان هذه التجزئة المقابلة بتربط وجوده فاشلة حتماً في تربيته وتكميله؛ ومن هنا يكون السعي لخدمة مصالح البلد والشعب يعني محاولة الاثراء الشامل والاصلاح الكامل للوضع الانساني والمعيشي لأبنائه واحداث التغيير الايجابي في البنى التحتية والفوقية من وجود الانسان وحياته داخله وخارجه.

ولا يكون الاصلاح جاداً، بل لا صدق له أصلاً ما لم يكن المستضعفون والمحرومون محل العناية القصوى والاهتمام الشديد، وإلا فهو الشعار غير الوفي للأوفياء، والوعد المكذوب للمصادقين.

والانسان على ترابطه بكل أبعاد كيانه هو روح قبل أن يكون بدنأً، وهو بعقله وقلبه ونفسه أكبر منه برجله ويده، بل هو ذاك الروح والقلب والعقل؛ أمّا ما هو من البدن فوسائل اتصال وأدوات وفعل وآلات انتاج؛ لذا يكون من مهمّة الثورة وهي تحارب الفساد كله، وتستهدف الاصلاح كله أن تركز عنايتها كثيراً في معالجة عطب الداخل في كينونة الانسان وإصلاح الخلل فيما هو اللب منه وهو أصل انسانيته ومعناه؛ وأنت تجد هذا واضحاً في النصوص الأخيرة المنقولة للامام الراحل (عليه السلام) ولاسيما في ما ركّز على انتصار القلوب وفتحها وتربية الانسان ليحيي انسانيته وعيها وهدفها وقيمها غنياً ومفقراً مغلوباً وغالباً، محكوماً وحاكماً وفي جميع الأحوال.

٣- بين الاسلام والانسان

لا تزامم مطلقاً بين الاسلام بقائه وعزّه وظهوره، وبين انسانية الانسان،

فليس أكثر من أن يتطلب عزَّ الاسلام تضحية الانسان، وهو هنا انما يضحى ببدنه تقديمًا لانسانيته التي لا تجد ذاتها إلا في الاسلام؛ وليس من لحظة يشهد فيها الانسان حضوراً انسانياً غنياً، وغزارة وتدفعاً وفاعلية لهذا الوجود، ونضجاً وقفزة في مستواه كالحظة اقدمه على الشهادة في سبيل الله واعياً مختاراً مطمئناً مخلصاً؛ إذ لاشك أنها اللحظة التي يصغر فيها عند الشهيد كل شيء من دون الله، ولا يكون كذلك إلا بأن يكون الله قد فتح عليه باباً من اللطف والهدى وأسكن قلبه الطمأنينة بما أراه من جماله وجلاله وصادق وعده مما يريجه ويُرضيه ويرتفع بشعوره عن الدنيا وما فيها، وهي لحظة ترى انسانية الانسان فيها ذاتها صدقاً ظلاً لقدرة القدير ولطفه الكبير؛ وهل لانسانية الانسان غنى ونضج وبلوغ غير أن نرى هذه الرؤية فترايل الدنيا وتطيب وتطهر، وتستريح وتستقر، وتثق ويغمرها اطمئنان وفير؟!

وهذا الاتصال الحي المثري من الفاني بالباقي، ومن الذليل بالعزیز، ومن الفقير بالغني، يضاف إلى أنه يمثل القفزة الهائلة والنضج النهائي لانسانية الشهيد أنه يبقى منذ لحظة الشهادة الاتصال الحي الثابت الدائم الذي لا غياب له ولا فتور.

هذا وقد يحصل التزاحم بين مصلحة البقاء والعز للاسلام، وبين البقاء عدداً من سنوات في الحياة الدنيا لبعض من مجتمع أو أمة؛ وهو تزاحم بين انسانية الانسان وعزه وكرامته وبقائه الخالد الراغد من جهة، وبين أن يبقى بجسده قليلاً أو كثيراً من سني الدّل والهوان والخسّة في الفانين من جهة أخرى؛ وهو تزاحم لا يتردد فيه الاسلام بشهادة نصوصه الداعية إلى الجهاد، وتاريخه في الصراع المرير مع الكفر كله؛ لا يتردد أن يقدم عزَّ الايمان وانسانية الانسان وحياة السُعداء الخالدين على حياة الدّل والانسحاق في الأشقياء الفانين.

نجد هذا الفهم متجلياً في كلمة سيد الشهداء عليه السلام وهو يخاطب في رسالة له بني هاشم: «فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح» (٢٣) ما أروع تجسيد كلمته عليه السلام التي خطها بدمه الشريف في قلب الزمن وهو دم لا

(٢٣) انظر الوثائق الرسمية لشورة الامام الحسين عليه السلام، عبد الكريم الحسيني القزويني: ٤٧، عن كتاب عبرة المؤمن، جواد شير: ١٧.

يجف ولا يمحي! ما أروع تجسيدها لقيمة الشهادة في سبيل الله وتسليطها الضوء على ذلك الانتصار الهائل لحظة الشهادة على ضعف الذات وهلعها وحرصها وشحها، وعلى ذلك الانطلاق الكبير من سجن الذات الدنيا إلى الأفق الممتد للذات العليا، والتحرر الشامل من أسر الطين ومشاغله ومخاوفه ورغائبه الصغيرة، والانعقاد الضخم للروح من قوقعة الأرض وحساباتها إلى الأبعاد اللامتناهية وراء عوالم المادة وأكوانها! فالشهادة في سبيل الله أكبر نصر ويوم فتح تحققه الذات في عالم ذاتها، وأمضى سلاح يحقق للإسلام عزه وللأمة هيبتها، والتخلف عنها ذلة وهوان، وتقزّم في الذات الانسانية وانكماش في أبعادها.

والكلمة الأخرى لسيد الشهداء (عليه السلام) في هذا السياق: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإنني لآرئى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(٢٤). قالها كلمة لا يهدأ لهابها حرفاً، وقالها كلمة لا ينتهي تفجرها دماً.

ثم إنه لو كان موت بلا جنة ولا نار لما صبر الحر على الحياة يدفع ثمنها ذلة من نفسه وانسحاقاً أمام طاغية من الطواغيت؛ كيف والشهادة تعني فوز الأبد؟! فهذا أبو الاحرار وهو يحمل على ميمنة العدو يعبر عن إباءه وحميته من جهة وعن شدة تقواه ومبدئيته من جهة أخرى:

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار النار التي هي عنوان سخط الله ومقته، وعنوان الخسة والسقوط لمن كتبت عليه؛ العار وهو أشد من حرّ المدى والسيوف على الأبى مقدّم عليها. وهو العار الذي يعني ذلة الظاهر في احتفاظ كامل بعزة الباطن، والعيش في ظل سيطرة العدو حين يعني تفجير الأوضاع تضيقاً أكثر للمصلحة الاسلامية العليا.

من بعد ذلك تأتي كلمات القائد الراحل (عليه السلام) لتعبئ النفوس بالوعي التضحيوي وخيار الموت تقدماً للمصلحة الاسلامية العليا على كل شيء مقتضياً خط الوعي الذي رسمه دم الحسين الشهيد (عليه السلام): «فحفظ الاسلام هو أهم من جميع الواجبات ولأجله جاهد وضحى غاية التضحية الأنبياء العظام من آدم (عليه السلام) إلى

(٢٤) انظر المصدر السابق:

١١١ - ١١٢، عن مقتل

الحسين (عليه السلام) للأمين: ٨٠،

والطبري: ٣٠١.

خاتم الأنبياء ﷺ، لم يصدهم عن أداء هذه الفريضة الكبرى أي مانع؛ وتابع الأنبياء على ذلك الصحابة المؤمنون، وأئمة الاسلام عليهم صلوات الله؛ سعوا بكامل الجهد حتى التضحية بالنفس من أجل ذلك» (٢٥).

(٢٥) دراسات: ٥٥، العدد ٨١،

صفر / ١٤١١، أغسطس

١٩٩٠م، عن الوصية.

«إن حفظ حياة المسلمين أهم من كل شيء، وإن حفظ الاسلام أكثر أهمية من الحفاظ على حياة المسلمين» (٢٦).

(٢٦) صوت الأمة، العدد ٢٠،

١١٩، ذو القعدة / ١٤٠١ هـ.

«إن استشهاد أبناء الاسلام وذرية الرسول الكريم ﷺ وأبناء فاطمة والحسين ﷺ في سبيل الاسلام وتحقيق أهدافه السامية ليس بالأمر الجديد، أو الظاهرة الحديثة، فلقد قَدَّمت الأمة الاسلامية العظيمة في محراب مسجد الكوفة وصحراء كربلاء أرض العزة والفخر والشرف على امتداد التاريخ الشيعي المخضَّب بالدماء قرابين عظيمة في سبيل الله ورفعته الاسلام العزيز، وإن إيران الشهادة غير مستثناة من هذه الظاهرة السعيدة فالثورة الاسلامية قد قَدَّمت الكثير من الشهداء الذين اختطَّوا نهج امامهم الحسين عليه السلام» (٢٧).

(٢٧) رسالة الثورة الاسلامية،

العدد ٦٥، ربيع الأول /

١٤٠٢ هـ.

وهكذا تحمل كلمات القائد الكبير الوعي الاسلامي الأصيل بأمانة وإخلاص عبر الكلمات والمواقف الثورية اللاهبة إلى كل أجيال الأمة، وتغرس فيها الروح المبدئية الصادقة التي تجعلها تقدِّم كل شيء من أجل الاسلام وترى حياتها في الموت في سبيله.

ولقد نطقت دماء الأنبياء والأوصياء والصديقين وهي تسقي شجرة الاسلام عبر التاريخ المديد أن ليس من دم يمكن أن يبخل به على الاسلام؛ وكيف يعز دم على الاسلام وما شرف دم وما تقدس إلا بما انتمى للاسلام وجسده؟! وهل الدم الذي لا تسري فيه الروح المبدئية التضحية الفؤارة التي تتدود عن الاسلام وتجاهد بين يديه إلا دم من دماء الاغنام والأبقار؟! لا يعز الدم إلا بالايمان ولا يسمو إلا بالتشرب بمفاهيم العقيدة وقيمتها، ولا يكون كذلك أو يجوز عليه أن يحتفظ بتدفقه في العروق دون أن يتفجر خارجاً ليسقي شجرة المبدأ ويدفع عنها غائلة الاجتثاث.

نعم هذه هي العلاقة. الاسلام من أجل الانسان يربيهِ ويزكيهِ ويقوِّم مسيرته ويصح أوضاعه ويبلغ به غايته؛ والانسان يتحمَّل أمانة الاسلام

حتى الموت في سبيله، وهذا موت جسد فيه أشد حياة للروح وأكبر طفرة في الوجود، وأخصر طريق للغاية.

٤- ما هو الطريق؟

الثورتان الأم والشعاع تستهدفان عز الاسلام وحفظ انسانية الانسان، لكن ما هو الطريق الذي ترشحانه لتحقيق هذا الهدف؟ أهو النصر أم الشهادة؟ أم إن هذه كان لها طريق وتلك طريق ابتداء بالاختيار؟ هل اختارت الثورة الأم الشهادة من دون أن تطلب النصر وتخطط له؟ وهل اختارت الثورة الشعاع النصر من دون أن تقبل من الشهادة إلا ما يفرضه النصر العاجل؟

تاريخياً كان للامام الحسين (عليه السلام) أيام معاوية بعد وفاة الحسن الزكي (عليه السلام) لقاءاته السياسية التحضيرية ببعض النخب في المجتمع الاسلامي يوم ذاك، وإن لم ير التحرك قبل هلاك ذلك الطاغية لأكثر من وجه. واختار الامام (عليه السلام) مكة محلاً لاقامته بعد خروجه من المدينة لأسباب قد يكون في مقدمتها ما توقعه من فرص اللقاء بجماهير الأمة وطلائعها من كل نقاط البلاد الاسلامية، خاصة في موسم الحج الذي تزرخ فيه بأفواج الحجاج وجمعهم؛ وكانت بين أهل الكوفة وبينه مكاتبات تتصل بالثورة، وقد أرسل إليها بهذا الشأن ثقته وابن عمه مسلم بن عقيل، وكتب كما ذكر إلى زعماء في البصرة يذكّرهم مقام امامته (عليه السلام) ويستحثهم أن يسمعوا قوله ويمطيعوا أمره؛ فكان سلام الله عليه بصدد تحشيد الأمة خلف قيادته المعصومة للاطاحة بالحكومة الطاغوتية المفسدة انقاداً للدين وتخليصاً للأمة، وإن كانت ملاحظات الحكم الأموي وتخطيطاته للقضاء السريع على حياته الشريفة إن لم يعط يد الذلة لم تترك له الفرصة للتحرك الواسع على هذا الطريق.

في ضوء هذه المعطيات وما يترتب على تسلم قيادة المعصوم لزام الأمور في الظروف المهيأة لنجاح التجربة الاسلامية من نتائج لا تقاس عظمة لصالح الدين والمؤمنين، يكون النصر العسكري الذي يمكن لكلمة الله في الأرض ويضع أمانة الحكم والحفاظ على مصلحة الدين والأمة باليد الأمانة

الكفوء التي لا تتحرك حركة ولا تتوقف إلا من منطلق العلم والحكمة والايمان؛ يكون النصر العسكري مطلوباً للثورة، وشهادة من يستشهد من أجل تحقيق النصر لقيام الحكومة الاسلامية في الأرض حتى تشرق بثور ربها العظيم وتعمر زاكية ومن عليها.

وإذا شحّت الظروف بالنصر وكان الانتظار مَحَقّاً للاسلام، وقضاء على فرص النهوض للأمة يتعين دور الشهادة المنقذة التي تضع الحكم الطاغوتي المفسد على برميل من الزيت يحترق به قبل أن يدمر الأمة ويجتث جذور مبدئها، ويتعين أن يسقط أقدس رأس لا يملك غير دمه الأزكى أن يرسم درب البعث والتحرير ويثير الحياة من جديد في عروق الأمة.

وهذا النصر الطولي له عدته كما أن للنصر الابتدائي عدته. ومن عدة النصر بالشهادة في كربلاء ما دخل في خطط الثورة من اصطحاب أبي عبد الله عليه السلام الحرم والصبيبة من بيت النبوة، إعداداً للفصل الثاني في مواجهة الجاهلية، بعد فصل الشهادة حيث تأتي مهام التبليغ والاعلام والتوعية واستثمار ظروف الأماسة، واكتشاف جماهير الأمة ولو جزئياً لشناعة جرمها بالمشاركة أو السكوت على خلق وجودها بقتل رجلها الكبير ومنقذها الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، ومن العدة هنا أيضاً ما حرص عليه سيد الشهداء عليه السلام من أن تكون المواجهة لجيش الضلال في المرتبة الطولية بصفوة تتميز بالوعي والمبدئية والصلابة، ولذا سعى جداً لتخليص جبهة الحق من كل النفعيين والمترددين الذين لا يستطيعون أن يسهموا في نصر الشهادة وإن استطاعوا الاسهام في نصر الغلبة؛ ولذا تراه سلام الله عليه يخطب في من تبعه مرة بعد اخرى ويعطيهم فرصة الانسحاب حتى ينقي الصف من الضعيف وتبقى النخبة القادرة على تسجيل موقف مبدئي صارخ بالكلمة والدم والصمود وعنفوان الايمان. وإنك لتراه من جانب آخر يستصرخ الأحرار للحاق بقافلة الأمجدين.

انقاذ الاسلام وتحرير الانسان هو المطلوب على طريق الهدف الأكبر المتمثل في رضوان الله؛ إن يتحقق هذا بنصر الغلبة فذاك، وإلا فنصر الشهادة، والطريقان معاً على طوليتهما محل التفات الثورة وتخطيطها المبكر.

وكتاب أبي عبد الله عليه السلام إلى بني هاشم يغريهم بالنصر في صورة الشهادة، وهو نصر الأمة والدين ولو من بعد حين، ونصرٌ عاجل ظافراً لذات الشهيد التي تحقق أكبر انطلاقة تحريرية في ذاتها بالشهادة: «فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام» (٢٨).

وما هي كلمته عليه السلام في أصحابه الانشأوس تعطي شهادتهم مضمونها الحي في بعدين: بعد التحرر الذاتي الهائل الذي لا يبقى معه قصور في الذات يحول بينها وبين مواقع النبيين وملأ الجنة أبدأ، ويُعد الذود عن دين الله فيما يعنيه دم الشهيد من تهديد جذّي للطغاة وحكم الجاهليين في إيقاظه وإلهابه واستثارتة للمخزون الثوري المظمور تحت الأتربة السوداء من افساد الطغاة المجرمين: «يا كرام، هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها، وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم فحاموا عن دين الله ودين نبيه وذبوا عن حرم رسول الله» (٢٩).

وتأتي الثورة الشعاع وهي لا تستهدف إلا عزّ الاسلام وتحرير الانسان لتطلب هذا الأمر بنصر الغلبة أو نصر الشهادة.

يقول السيد الامام عليه السلام: «إني أدعو لكم بالنصر ولكم ثواب الشهداء» (٣٠). يقول ذلك لعشاق الشهادة الذين يسألونه الدعاء أن يُرزقوا إياها: «إن الباعث على الفخر والاعتزاز هو هذه المعنويات العالية والقلوب المليئة بالايمان والاخلاص وطلب الشهادة الموجود لدى هؤلاء الأفراد الجنود الحقيقيين لولي الله الأعظم. وإن هذا لفتح الفتوح» (٣١).

«بل يجب أن نقلق فيما لو لم نتمكن من أداء واجبنا الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به، يجب ألا نقلق فيما إذا هزمنا من قبل الشرق أو الغرب أو الداخل أو الخارج، لأن الخسارة الحقيقية هي عدم التزامنا بالواجب الالهي» (٣٢). نستفيد هنا فكرياً اسلامياً نيراً خالصاً مقتطفاً من شجرة النبوة والامامة، ومن ثورة كربلاء الوعي والتخطيط، والدم والشهادة.

الجواب لعشاق الشهادة من المستهام فيها أنه علينا أن نحمل روح الشهادة بين جنبينا، وأن تكون أرواحنا على الأكف في سبيل الله ليكون لنا ثواب انشهداء، ولكن علينا ألا نفوّت فرصة واحدة لتحقيق نصر عسكري ساحق

(٢٨) انظر الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين عليه السلام.
عبد الكريم الحسيني
القزويني: ٤٧.

(٢٩) انظر المصدر السابق: ٢١٨.

(٣٠) صوت الأمة، العدد ٣٦، صفر ١٤٠٢ هـ.

(٣١) جريدة حرس الثورة الاسلامية، العدد ٣٧، ٥ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ.

(٣٢) الشهيد، العدد ٦٨، ١٨ / شوال ١٤٠١ هـ.

يمكن لحكومة الاسلام وأطروحاته في الناس من أجل أن يُصنعوا على عين الاسلام وفي رحابه الطاهرة التي تعبق بالعدل والعلم والمحبة والإخاء وكل المعاني الخلقية الرفيعة وأسباب التقدم والكمال؛ علينا ونحن نسترخس الحياة في سبيل الله وعلو الاسلام أن نطلب النصر العسكري ونخطط له بأقل الأثمان. ويبقى الاستعداد للموت المبدئي، وحب الشهادة والسعي لها بقدم راسخة وياقين أكيد، والتخطيط للفوز بها عندما تتطلب ذلك مصلحة الاسلام، يبقى كل ذلك مفخرة المفاخر ومادة النصر على المدى الطويل وضمانة العز للدين والمؤمنين في كل التاريخ؛ وإنه لفتح الفتوح كما تقول كلمته رضوان الله عليه. ولم لا ولا نصر إذا لم تكن الروح التضحية وحب الموت في سبيل الله؟ وإنه لا يدوم نصر بعد حدوث إلا بدوام هذه الروح وسريانها في أبناء الأمة وتغلبها على حب الدنيا وكل ما يغري وكل ما يستهوي من سحرها وزينتها.

نعشق الشهادة فتح الفتوح للأمة من منطلق الايمان والاخلاص، وهو فتح الفتوح لكل من كان له هذا العشق الجليل؛ فإنه يعني السمو في التفكير، والرفعة في الشعور، والتحرر من أسر الدنيا، وله القلب بالله؛ وفي ذلك العشق انفتاح بصيرة وانطلاقة روح وزكاة قلب وعظمة ذات.

لذا فإن أمة تتوفر على هذا العشق لا تكون خاسرة وإن حالت الظروف القاهرة دون تحقيق النصر المادي أو كتبت عليها هزيمة الظاهر؛ فمن ربح ذاته فقد ربح كل شيء، ومن خسر ذاته فقد خسر كل شيء، والنفس التي تقدّم الله سبحانه على ما دونه قد بلغت نضجها؛ وخسائر الخارج لا تنال من هذا النضج والكمال ولا تنلّمه.

ولنخرج إلى صورة تضع الفكرة في كلمات يسيرة؛ فالثورة إذا كانت اسلامية فهي لا تستهدف إلا عز الاسلام وتحكيمة من أجل الانسان وتكميله، وهي تدفع بالانسان لحماً ودماً ثمناً لهذا العز والنصر، محققاً لنفسه بهذه التضحية أكبر قفزة وجود في ذاته، وأكبر فرصة بيده لنصر دينه وأمتة بعد أن لا يكون نصر إلا بالشهادة؛ والحصيلة أن الاسلام يضحي بالانسان بدنأ من أجله انسانيةً وروحاً؛ تقديماً للباقي على الفاني، والأهم على المهم.

أَمَلُ كَبَيْتِ الشَّاعِرِ الْعَرَبِيِّ

فنون وآداب

الشيخ

* عبد المجيد فرج الله

(العراق)

كَفَيْتُ الدِّينَ الْحِلْمَ
شَاعِلُ الْوَلَاءِ الصَّادِ

أيا رب قد عودتني منك نعمة أجود بها للوافدين بلا من
فأقسم ما دام عطاياك بركة ونعمتك لا تبيت ذا الظن بالمن
إذا بليت كفي بنعمة منعم فقد ساء في تكرار نعمته ظني
قد يرسم التعجب علامة كبيرة على وجوه عدد من قراء هذا العنوان،
ونخص منهم أولئك الذين سمعوا وقرأوا شعر الشاعر الكبير صفي الدين
الحلي، المبتوث في كتب الفكاهة والمجون والهجاء، لأنهم عرفوه من خلال
أبيات مثل هذه:

عَبِتَ النِّسِيمَ بِقِيهِ فَتَأَوَّدَا وَسَرَى الصَّيَاءُ بِفِيهِ فَتَوَرَّدَا
قَمَرٌ هَدَى أَهْلَ الضَّلَالِ بِوَجْهِهِ وَاضْطَلَّ بِالْفِرْعِ الْأَثِيثِ مَنْ اهْتَدَى
قَاسُوكَ بِالْغَصَنِ الرَّطِيبِ بِهَالَةٍ تَالَهُ قَدْ ظَلَمَ الْمَشَبَّةَ وَاعْتَدَى
حَسْرَتُ الْغُصُونِ إِذَا اكْتَسَتْ أَوْرَاقَهَا وَنَرَاكَ أَحْسَنَ مَا تَكُونُ مَجْرَدَا
ولولا «سلي الرماح العوالي عن معالينا» لما عُرفَ عن هذا الشاعر غير ذلك،
ولُتُسِيتَ قصائد ومقطوعات جميلة تقطر بالولاء والاستغفار من قبيل:

(*) هكذا ورد في الديوان، وفيه خلل عروضي، وربما كان الصواب «ويخشى لسوء منقلبه».

يَا رَبِّ أَنِّي بَدَلْتُ بَيْتَكَ وَالِدَاؤُنِي فِي بَيْتِ الْكَرِيمِ فِي قَسِيَّةٍ
لَا يَفْتَشِي سُلْطَةً عَلَيْهِ وَلَا يَنْزُرُ مِنْ مَكْرِهِ وَلَا غَضَبِهِ
فَكَيْفَ يَرْتَأَى مِنْ إِنْجَافِكَ الرَّقْلَ وَيَفْشَى مِنْ سُوءِ مَنَقَلِيَّةٍ (*)
لَا يَسْأَلُ الْعَبْدُ غَيْرَ مَنْ هُوَ بِالْعَفْوِ جَدِيرٌ وَأَنْتَ أَجْدَرُ بِهِ
بَلْ لِفَاتِنَتُنَا آيَاتٌ تُنَبِّئُ عَنْ إِيْمَانٍ رَاسِخٍ، وَشُعُورٍ عَمِيقٍ بِالْأَطْمِنَانِ وَالْخُلُودِ
إِلَى الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهِيَ تَحْتُ بِذَكَاءٍ أَدْبِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ الرَّجَاءِ وَالنُّورِ،
ضَمَنَ تَضَمِينَ رَائِعٍ لِلآيَاتِ الشَّرِيفَةِ. مِثَالُ ذَلِكَ:

تُبُّ وَتُبُّ وَإِدْعُ ذَا الْبَلَالِ بِصَدَقِي تَجِدُ اللَّهَ لِلدَّعَاءِ سَمِيعًا
لَا تَلَفَّ مَخْرَجَ رِجَاءٍ رَتَلْتَ ذَنْبًا إِنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
وَلَا عَجَبٌ إِذَا عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ مَتَمَسِّكٌ بِالْوَلَاءِ الصَّادِقِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا هُوَ مَحْوَرُ بَحْثِنَا الْأَصْلِيِّ فِي شِعْرِ «عَبْدِ الْعَزِيزِ
بْنِ سَرَايَا» - الْأَسْمِ الْحَقِيقِيِّ لِلشَّاعِرِ - وَقَدْ يَظُنُّ أَحَدُنَا بِقَوْلِنَا هَذَا نِدَافِعَ عَنِ
الرَّجُلِ، وَنَبْزِي سَاحَتِهِ بِدَوَافِعٍ عَاطِفِيَّةٍ. كَلَّا، وَلَكِنَّا لَا نُرِيدُ أَنْ نَظْلِمَ أَحَدًا، فَقَدْ
يَكُونُ مُقْتَرَفًا أَخْطَاءً وَذُنُوبًا فِي فِتْرَةٍ مِنْ فِتْرَاتِ حَيَاتِهِ ثُمَّ تَابَ كَمَا تَصْرَحُ بِذَلِكَ
آيَاتُهُ (١).

(١) ليس فيها تصريح
بارتكابه للذنوب، إذ كثير من
المستزمين في مقام المثل
امام الله تعالى تصدر منهم
مثل هذه الأقوال. (التحرير)

لَمَسِيْتُ ذَا ضِرٍّ وَفِي يَدِكَ الشِّفَا لَمَّا غَدَوْتُ مِنَ الذُّنُوبِ عَلَى شَفَا
وَعَلِمْتُ أَنَّ الصَّفْحَ مِنْكَ مُؤَمَّلٌ وَالْعَفْوُ مِنْ رَبِّكَ لَدَيْكَ لِمَنْ هَفَا
جَعَلْتُ عَذْرِي (الْإِعْتِرَافَ بِرَلَّتِي إِذْ مَا بِهَا فِي طَيِّعِ عِلْمِكَ مِنْ شَفَا
فَإِذَا انْتَقَمْتَ فَإِنَّ ذَنْبِي مُوجِبٌ وَلِلَّيْنِ عَفْوَتُ فَإِنَّكَ مِثْلُكَ مَنْ عَفَا
لَكِنِ الثَّابِتُ هُوَ الْوَلَاءُ الصَّادِقُ الَّذِي كَانَ يَعْمُرُ قَلْبَهُ فَيُغْدِقُ عَلَيْهِ الْإِيْمَانَ
وَالْأَطْمِنَانَ، وَهُوَ حِينَ يَنْسَابُ مِنْ قَرِيحَتِهِ فَإِنَّهُ يَتَدَفَّقُ بِهَدْوٍ نَاعِمٍ تَرَى فِيهِ
الرِّقَّةَ وَالْبَسَاطَةَ وَالْبَعْدَ عَنِ التَّكَلُّفِ وَالتَّزْوِيقِ اللَّفْظِيِّ وَالْبِدِيعِي، وَتَعْرِفُ أَنَّهُ
شَاعِرٌ يَمْتَلِكُ ثِقَافَةً عَقِيدِيَّةً وَتَارِيخِيَّةً كَبِيرَةً، وَقَدْ أَبْدَعَ فِي إِدْخَالِ الْجَدْلِ الْعَقِيدِيِّ
إِلَى أَشْعَارِهِ دُونَ أَنْ يَحْسَ الْمَتَلَفِي بِنَفْرَةٍ مِنْ هَذَا الْجَدْلِ الْهَادِي، الَّذِي يَأْتِي مِنْ
بَابِ خَلْفِي مُقْتَحِمًا بِوَدَاعَةٍ هَادِنَةِ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ مَعًا، لِيَرْسُخَ أَخِيرًا فِكْرَةَ الشَّاعِرِ
فِي الذَّهْنِ وَالرُّوحِ بِخَفَةِ وَذَكَاءٍ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى لُوحَاتِهِ الْجَمِيلَةِ جَدًّا، وَلِفَاتِنَاتِهِ

الابداعية المحببة، فإن جوانب بلاغية شفافة تُريك مقدرة الشاعر وخفة ريشته وهو يوشّي خطوطه الأسيرة بلمساته البديعية الأخيرة، تلك التي اشتهر بها شعر هذا الرجل، وهي جذابة - بشرط البعد عن الاغراق والتكلف - لكن لا مجال للحديث عنها في هذا البحث.

ودعنا نلتقط الابيات التي ضمت بعضاً مما قلناه في قصيدته التي يمدح بها الرسول ﷺ:

تشرفتِ الاقدامُ لما تابعتِ اليكُ طاهاً وامسّتمُ مريزها
وفافرتِ الافولة نورَ عيوننا بترككُ لما قبلتهُ غورها
فضائلُ رامتِها (الرؤوسُ) فقصرتِ (لم تَرَ للتقصيرِ بُزّت شعورها^(٢))
فالشفاه والعيون في مناظرة افتخار، فالعيون ترى مرقدَ الرسول، ومسجدَ الرسول، والاشياء المقدسة التي شمّت رائحةَ الرسول، ولا مست بشرته الشريفة وملابسته الطاهرة. والشفاه تفتخر بهذه القبل التي تطبعها على ارض المرقد المطهر، الموصلي بين حرقتها وبين حرارة جسده الموارى على مقربة من هذه اللهفة العارمة المستعرة مع الزفرات.

وتأمل هذه الصورة، حيث يرسل الشاعر أمانيه الجميلة مائدة رقابها الصافية كأنها تشكو فقدان شيء، فإذا بها تعود بعدما يوشّخها الرسول الكريم بالورد والحلي والجمال:

بعثتُ الاماني عاطلاتٍ لتبتغي نذاك فجاءت صالياتٍ نورها
ولا ينسى الشاعر أبداً ان يذكر صنو رسول الله ﷺ والمفضل عنده، وهو ابن عمه الامام علي عليه السلام، فيوجه نحوهما معاً مشاعره الصادقة، مازاً على مناقبهم. فهذا رسول الله ينشق له القمر نصفين، ثم يلتئم مرة اخرى ليعود من جديد إلى عيون الناس الحائرة، وهو يبارك الأمة برسولها، وهذه آية من آيات نبوته. والامام علي رُدّت له الشمس بعد غروبها، وهاتان المعجزتان مذكورتان بالتفصيل في كتب التاريخ. فلننظر من أية زاوية اختار صفي الدين الحلي صورته التي التقطها لهذين العظيمين:

مدينة علمٍ وابسُّ عميكُ بأبها فمن غير ذلك الباب لم يُؤت سورها

(٢) التفسير: امد واجبات الصبح وهو قص الشعر والاذفار، وكان الشاعر حاجاً حينما قال هذه القصيدة.

شموهت لكم في الغرب ردت شموهها بدور لكم في الشرق شئت بدورها
جبال إذا ما الهضب دكت جبالها بشار إذا ما الأرض غارت بصورها
كذلك لابد للحديث ان يتطرق الى آل الرسول صلى الله عليه وعليهم:

فألك خير الأك والعترة التي مبعثها نعيم قليل شكورها
إذا بولست للبلد نك نضارها وإن سويلت في الفضل عز ظيورها^(٢)

(٢) النضار: الذهب.

على ان الشاعر أبا المحاسن صفي الدين ينتبه ويثبه إلى نقطة جوهرية
مهمة، هي المحافظة والحرص على تجنب إثارة شيء من البغضاء العمياء التي
تضطرم في نفوس المغفلين من الناس، الذين ضلّهم الإعلام الأموي
والعباسي، وبقي تأثيره ممتداً حتى أيام الشاعر، بل حتى زماننا هذا.

ويا للأسف، فقد نجحوا في توظيف ذلك من أجل ان يُنفروا الناس من كلّ
شاعر يذكر أهل البيت بخير، وبالتالي يُنفروهم حتى من أهل البيت ومن كلّ
إشارة إليهم قريبة أو بعيدة.

ولقد تنبّه شاعرنا ونبه إلى ذلك، واستطاع ان ينتصر لأنه كان يريد - كما
نستشف ذلك من أشعاره - ان يرى المسلمين امة واحدة لا تفرّقها المذاهب.
وهو يقول معلناً عن ولائه الصادق لأمر المؤمنين وإبنائه عليه السلام، ومعبراً عن
فوز محبيهم ومواليهم، ومؤكداً على وجوب توليهم بنص حديث الغدير
المتواتر:

توالى علياً وإبنائه تفر في المعاد وأهواله
إماته له عقد يوم الغدير بمنّي النبي وأقواله
له في التشهد بعد الصلاة مقام يُثبّر عن ماله
فهو بعد ذكره إلى السماء وذكر النبي سوى آله
ويتبين ولاء شاعرنا الصادق لأهل البيت عليه السلام وإطلاعه على العقائد

ومعرفته بمعاني الآيات والاحاديث من خلال مقطوعات عديدة منها:

يا عترة المختار يا من بهم يسفور عبد يتولاهم
أعرف في العشر بُعبي لكم إذ يُعرف الناس بسيماهم

وكذلك هذه المقطوعة:

يا عترة المختار يا من بهم اربو نجاتي من عذاب اليم
حديث تبني لكم سائر وسر وتحي في هواكم مُقيم
قد فرئت كل الفور إذ لم يزل صراط ديني بكم مُستقيم
فمن اتى الله بعرفانكم فقد «اتى الله بقلبي سليم»
والملاحظ على هذه المقطوعات تميزها بالسهولة والعذوبة والابتعاد عن
التعقيد والغموض والإغراق في التصنع والتكلف والهالات والمحسنات
البديعية، ولعل السبب في ذلك عائد إلى أن الشاعر قالها في حالات هي اقرب
إلى الارتجال، أو إلى حديث النفس - بتعبير ادق - حيث تفيض دون سابق قصد
واختيار طافحة على لسانه من أغوار ذاته، حيث تتنفس هناك من سماء روحه،
وتنبض في قطرات دمائه، لتخرج في اجلى لحظات الصفاء والصدق مع الذات،
وهذا يدل على تمكن عقيدته بأهل البيت من نفسه ووجدانه الفيّاضين بالشعر
والولاء وحب الخير والحياة النيرة.

والرسول الكريم مكانة خاصة في روح الشاعر، فهو يبوح له وحده بما
يجيش في صدره، وهو يتوسل إلى الله ان يُنبئه شفاعته رسوله الكريم، فقد
اثقلت ذنوبه كاهله، وقد جاء للاستغفار والانابة والتوبة:

بكم يهتدي يا نبي الهدى وليّ إلى مُبَكِّمٍ ينتسب
به يكسب الأجر في بعثه ويظلم من هوى ما يكتسب
وقد أتم نورك مستشفعاً الى الله موقفاً إليه تُسب
سلي الله يجعل له مقرباً ويرزقه من حيث لا يمتسب،

وقصيدته المشهورة المسماة (الكافية البديعية في المدائح النبوية) التي
جمعت أنواع المذهب البديعي في الشعر العربي وأسراره هي تُغني عن كثير
من الكتب المطوّلة المؤلفة في هذا العلم، وهي خير دليل على اتصاله الروحي
برسول الله ﷺ. ونحن هنا لا نتناولها من جانب اشتغالها على علم البديع
ودقائقه، لأن ذلك يستدعي وضع كتاب كامل لشرحها وكشف أسرارها
ومخابئها، ولكننا نتناولها من زاوية اتصالها برسول الله ﷺ، فالشاعر نظمها

بعد ما «أراد ان يؤلف كتاباً يُحيط بِجُلِّ انواع البديع، فعرته علّة طالت مدتها، واشتدت شدتها، فاتفق أنه رأى في منامه رسالة من النبي ﷺ يتقاضاه المديح ويعده البرء من سقمه، فعدل عن تأليف ذلك الكتاب إلى نظم قصيدة تجمع اشئات البديع، وتتطرز بمدح محتده الرفيع، فنظم قصيدة عدتها مائة وخمسة وأربعون بيتاً في بحر البسيط، تشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع» (*) .

(*) مقدمة القصيدة مثبتة في

الديوان بقلم الشاعر نفسه.

والذي يُهمنا هو هذا الاتصال بين شاعرنا وبين سيده الرسول الكريم، ذلك الاتصال الذي انتج هذه القصيدة النادرة بفنّها وأفكارها ولمساتها الإبداعية الجميلة، وهي تكشف الغطاء عن شاعرية فذة، ومقدرة أدبية كبيرة، يتمتع بها هذا الرجل، إضافة إلى سيطرته القوية على الألفاظ، وسعة اطلاعه على الاسرار اللغوية، ودقة تصرّفه بمفرداتها.

لنتنقِ أبياتاً منها، كي نستدل بها على ما نقول:

لا لَقِبْتَنِي (المعالي) بَابِنْ بِجِدَّتِهَا يَوْمَ الْفَارِ وَلَا بِرِّ الْتَقَى قَسَمِي
انْ لَمْ اِدْعُ مَطَايَا الْعَرَمِ مَثْقَلَةً مِنْ الْقَوَافِي تَوْهُمُ الْمَجْدِ عَنْ أُمِّ
فِيَارُ لَفْظِي إِلَى هَوَاقِ الْقَبُولِ بِهَا مِنْ لُبَّةِ الْفَكْرِ تُهْدِي جَوْهَرَ الْكَلِمِ
مَنْ كُلِّ مَعْرَبَةِ الْأَفْظَاظِ مَعْجَمَةٍ يَرْبُئُهَا مَدْحُ ثَيْرِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ
مَعْمَدِ الْمَصْطَفَى الْهَادِي النَّبِيِّ إِذْ لَحَ الْمُرْسَلِينَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ نَبِيَّ الْكَرَمِ
ثَيْرِ النَّبِيِّينَ وَالْبَرْهَانُ مَقْصُوعٌ فِي الْعَبْرِ عَقْلًا وَنَقْلًا وَاضِعُ اللَّقَمِ
كَمْ بَيَّنَّ مَنْ اقْسَمَ اللَّهُ الْعَلِيُّ بِهِ وَبَيَّنَّ مَنْ جَاءَ بِاسْمِ اللَّهِ فِي الْقَسَمِ
إِدْعُ الْعَجَائِبِ فَلَا عَمَلُ بِنَفْتِهِ غَدَا بِصِيرَاوَفِي الْعَرَبِ الْبَصِيرُ عَمِي
عَزِيزُ جَارِ لَوْ اللَّيْلُ اسْتَبَارَ بِهِ مِنْ الصَّبَاحِ لِعَاشِ النَّاسِ فِي الظُّلَمِ

فما أروع هذه اللوحة الفنية التي تضمّنها هذا البيت؟

عَزِيزُ جَارِ لَوْ اللَّيْلُ اسْتَبَارَ بِهِ مِنْ الصَّبَاحِ لِعَاشِ النَّاسِ فِي الظُّلَمِ
ولا ينسى الشاعر آل البيت، فحبهم يُغعم قلبه، لهذا فإنه بعد أبيات كثيرة نراه يستسلم لذاك الحب قائلاً:

وَأَلَّهُ (هنا) اللَّهُ مَنْ شَهِدَ لِقَدْرِهِمْ سُورَةُ الْأَنْزَابِ بِالْعَظَمِ

أَلَمْ يَرْسُلْ مَتَّى الْعِلْمَ مَا حَكَمُوا اللَّهُ إِلَّا وَكَانُوا سَادَةً الْأُمَمِ
هُمُ النُّجُومُ بِهِمْ يُهْدَى الْأَنَامُ وَيَنْجَبُ الظَّلَامُ وَيَهْمِي صَيْبُ الدِّيمِ
وقصيدته النونية (٥٧ بيتاً) التي قالها في ذكرى مولد الرسول الكريم ﷺ
دليل آخر على مدى التواصل والاتصال بين شاعرنا وبين الرسول الحبيب،
وقد جمعت باقة زاهرة من معاجزه وفضائله في أسلوب شعري جذاب، وإن
كان قد تأثر بالمباشرة التي لا بد من أن تطفح على وجه قصيدة تأخذ على
عاتقها إحصاء مناقب وحوادث تاريخية تحتاج وصفاً ولغةً نثرية مُضَرَّةً بلغة
الشعر الرقاقة:

فمدت لفضلي ولادك النيرانُ وأنشَقَّ من فرج بك (الايوانُ)
نُسُفْتُ بمظهرك المظاهر بعدما نُسُفْتُ بملة دينك الأديانُ
وبك استغاث الأنبياءُ جميعهم عند الشدائد ربهم ليعانوا
وبك استغاث الله آدمُ عندما نُسب الثلاف إليه والعصيانُ
وبك التبا نوحٌ وقد مات به دسر السفينة إذ طغى الطوفانُ
وبك اغتدى إيوهُ يسألُ ربه كشف البلاء فرالت الأكرانُ
إلى أن يقول:

فعليك من رب السلام سلامة والفضل والبركات والرضوانُ
وعلى صراط الحق ألك كلما هب النسيم ومالت الأغصانُ
واثيك في يوم الغدير وقد بدا نور الهدى وتأفت الأقرانُ
وعلى صاحبك الذين تَبَّعُوا طُرُقَ الهدى فهداهم الرحمنُ
على أن قصيدته القافية (٥٠ بيتاً) فيها الكثير من الفنية والجمال، وهي
تصب بعد مقدمة وصفية ذكية الخطوط والألوان في غرضه الأصلي، وهو
المدح الولائي للرسول وأهل بيته ﷺ. وانت تلمس منذ البيت الأول فنيتهما
الرائعة ودفقات ريشته الناعمة، وانغام ظلالها الهامسة باتساق حلو، وهي
تكشف عن مقدرة تصويرية كبيرة من خلال مساحات ضرباته الدقيقة التي
تجود بها ريشته المبدعة على لوحات فياضة بالفن والسحر الحلال:
فيرورُ الصبح أم ياقوته الشفق بدتْ هَيْبَتُ الرِّقَاءِ فِي الرِّقِّ

لم صارمُ الشرقِ لما راجَ مقتضياً كما بدا السيِّفُ محمراً من العلقِ
ومالت القُضْبُ إذ مرَّ النسيمُ بها سكرى كما بُثَّه الومسانُ من أرقِ
وكلَّ الطلَّ أوراقَ الغصونِ ضعتْ كما تكلَّلَ ثُدُ الفودِ بالعرقِ
والظلُّ يسرقُ بينَ الدوحِ خُطوتَهُ وللسمياءِ ديبٌ غيرُ مسترقِ
وقد بدا الورْدُ مفترراً مباسمُهُ والنرجسُ الغضُّ فيها شائضُ التدقي
ففي كل بيت لوعة فنية رائعة تستحق التأمل والاستنطاق، تراها غنية
بإشعاع الضوء وانكسارات الظلال الآسرة، كلما أغرقت في تصورها
واستحضارها في خيالك. كل ذلك من أجل أن يوصلك الى عالم الرسول
الطاهر، المشرق بالنور والربيع الاخضر، وصفاء السماء الزرقاء الحبلنى
بقصاصات سحب بيضاء صغيرة هنا وهناك. إلى ان يقول:

وفاج من ارج الارها منتشراً نشرَ تطر منه كل منتشقى
كان ذكر رسول الله مر بها فأكسبت ارجاً من نشره العبق
محمد المصطفى الهادي الذي اعتصمت به الورى فهداهم اوضح الطرق
ومن له ائذ الله العهود على كل النبيين من باد وملتقى
ثم يعدد مآثره النبوية وكراماته الشريفة، وأنه كيف كان الانبياء يتقربون
الى الله سائلين الفرج والنصر، وهم يقدمون اسم النبي الحبيب بين يدي
حاجاتهم في اثناء مناجاتهم رب العالمين.

وتستوقفنا ابيات وصور في اثناء رحلتنا في عالم هذه القصيدة العصماء.

منها:

بود تكفلت اوراق العباد به فتاب فيهم مناب العارض الغدقي
لو ان جودك للطوفان حين طمت امواله ما نبا (نوع) من الغرق
لو تعلق النقع يوم الحرب متصلاً بالليل ما كشفته غرة الفلق (٤)
وفي احدى قصائده يكتشف الشاعر «سر النبي»، فيا ترى ما هو، أو

بالاخرى من هو سر النبي؟

جمعت في صفاتك الأضداد فلهذا عزت لك الأنداد
أهدى حاكم حليم شجاع ناسك فاتك فقير جواد

(٤) النقع: الغبار، والضمير
في «كشفته» يعود إلى الليل،
أي لما كشفت الليل غرة الفجر.

(٥) اسماء سور قرآنية

نزلت آيات منها في فضل

الامام علي عليه السلام.

شيعة ما جتمعن في بشر قط ولا صار مثلهن العباد
 خلق يتجل النسيم من العطف وبأهن يذوب منه الجماد
 فلهذا تعمقت فيك اقوام بأقوالهم فزادوا وزادوا
 وغلت في صفات فضلك (باميرن) و(صاد) وآل حسين وصاد(٥)
 ظهرت منك للورى معجزات فأقرت بفضلك المساء
 ان يكذب بها عدك فقد كذب من قبل (قوم لوط) و(عاد)
 انت سر النبي والصنو وابن العدم والصهر والاخ المستجاد
 لو رأى غيرك النبي لآفاه وإلا فاضطأ الإنستقاد
 بكم باهل النبي ولم يلف لكم فامسأ - سواة - يزداد
 كنت نفساً له وعرضك وابنك لدية النساء والأولاد
 جل معنك أن يحيط به الشعر وتوصي صفاته النقاد
 إنما الله عنكم اذهب الرجس فزرت بغيظها الأتقاد
 ذاك مدح الاله فيكم فانه في مدح فذلك قول معاد
 وفي شعر صفي الدين الحلي أشكال وزوايا أخرى تعبر عن ولاء هذا
 الشاعر وصدق عقيدته بأهل البيت عليه السلام، من قبيل رثائه احد السادة ينتهي
 نسبه إلى الرسول الكريم ﷺ كان قد توفي يوم العاشر من المحرم، ومن خلال
 قوة انفعال الشاعر مع ذكريات ملحمة الطف، خرجت القصيدة منبئة عن قلب
 ملتهب، فوار الحسرة، لأنه كان يعيش تلك الذكريات بقلبه وخياله وعواطفه
 الملتاعة، وحينما يسمع خبر وفاة أحد ابناء الحسين فإنه يفرغ نفثه في طيات
 قصيدته تشير إلى ذلك:

اليوم زعزع ركن المجد وانهدما فوق للخلق أن تذري الدموع دما
 ما من وفي بكى دمعاً بغير دم (أأغدا في صفاء الود متهما
 إلى ان يقول:

ياد الأئمة والقوم الذين سمعوا على الانام فكانوا للهدى علما
 ملوك في يوم عاشوراء يُتبرنا بقر اصلك من آبائك الكراما
 هذه اغلب المناحي التي ترجم فيها ابو المحاسن عبد العزيز بن سرايا من

خلال قابليته الشعرية الفذة ولاءه وحبّه وعقيدته.

المهم أنّ هذا الشاعر في حقيقة وجدانه، وبواطن ضميره شاعرٌ يحمل في قلبه وحنائيه أماكن أنارتها عقيدته الإسلامية الطافحة بالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين آمنوا، وهو شاعرٌ وحدة لا بوقٌ فرقة، ما خدش شعور طائفة من المسلمين في الوقت الذي صرّح به عن مذهبه الذي طبع آثاره الرقيقة واضحة على معالم شعره الشفافة الآسرة.

ويسبق التاريخ يشكو بمرارة أفعال كثير من المزيّفين والمحرفين والمتطاولين على تراث امتنا العظيمة وإبداعها.

قال الرسول الكريم :

مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ حُبَّ الدُّنْيَا
أَهْلَ بَيْتِي فَقَدْ أَصَابَ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، فَلَا يُسَكَّنُ أُنَّةً فِي الْجَنَّةِ
وَإِنَّ فِي حُبِّ أَهْلِ بَيْتِي عَسِيرَ
خَصْلَةٍ عَسْرُ فِي الدُّنْيَا وَعَسْرُ
فِي الْآخِرَةِ . مسند الأئمة .

صفحة ٨١



أهل البيت
في روايات الصحابة

* ناصر البهدهندي

٣٦- عن الحسين بن علي عن أبيه قال : «لما كان يوم النبي صلى الله عليه



[رواه] وسلم الذي قبض فيه كشف الكساء عن رأسه عند التسوية! فقال : ...

ادعوا لي أخي فأرسلت فاطمة إلى علي فلما سمع النبي صلى الله عليه [رواه] وسلم الخشف كشف الكساء عن رأسه فلما رأى علياً أدناه إليه قال علي: فأعاد رسول الله صلى الله عليه [رواه] وسلم الكساء علينا ثم أتى على يده ثم التقم أذني فما زال يناديني ويوصيني حتى وجدت برد شفتيه حتى قبض.

قال: وكان فيما أوصى إلي أن لا يغسلني أحد غيرك فإنه إن رأي أحد مجزئاً غيرك عمي بصره. فقلت: يا رسول الله وكيف أقوى عليك؟ قال: بلى إنك ستعان علي ذلك. قال: فقال علي: ما أردت أن ألقب من رسول الله صلى الله عليه [رواه] وسلم عضواً إلا لقب لي قال: فأردت أن أنزع قميصه فنوديت أن دع القميص.

فلما رجع علي قال له عمر - ووجده على الباب -: أنتشدك بالذي ولأك منه ما لم يول أحداً هل استخلفك رسول الله صلى الله عليه [رواه] وسلم؟ قال: نعم^(١).

٣٧- عن علي عليه السلام قال: «لما نزل رسول الله صلى الله عليه [رواه] وسلم بغدير خم وثم ماء مالح مثل ماء البحر فعضش المسلمون عضشاً شديداً... فقال رسول الله صلى الله عليه [رواه] وسلم: انتوني بعلي فما لبث أن طلع هو وخوات بن جبير الأنصاري. قال: فقال له:

(١) مناقب الإمام أمير

المؤمنين علي بن أبي

طالب عليه السلام للحافظ محمد بن

سليمان الكوفي ١: ٣٣٦.

ما خلفك؟ قال: يا رسول الله، اعتلت ناقة خوات فأعقبته ناقتي وكان يرجي بناقته حتى بلغنا. قال: فقال له: خذ هذه الروايا والإبل ومن شئت من أصحابي ثم انطلق إلى الخزار (*) فأتنا منه بماء. قال: فخرج حتى إذا بلغ مبلغ أصحابه طلع ومعه الروايا والإبل. قال: فكان بعض أصحابه يقول: كأي أنظر إليه حين احتزم على جبة له من صوف بعمامته وتقلد سيفه فما لبث أن طلع بالروايا مملوءة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كيف صنعت؟ فقال: خضيت أن يكون قريش على الماء فخلفت أصحابي والروايا وسللت سيفي، فلما أتيت الماء فلم أجد عنده أحداً رجعت إليهم فجثت بهم ففتحوا أفواه الروايا وملأت عليهم. قال: فشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرب المسلمون وارتووا، ثم دعا بدوحات -يعني شجرات- فقم ما تحتهن ثم صاح بالناس فاجتمعوا فقال: أيها الناس، أليست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: فأخذ بيد علي فأقامه فرفع يده بيده حتى رثي ما تحت مناكبهما -يعني الإبط- ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه» (٢).

(٢) مناقب الإمام أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ٢: ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٣) تفسير نور الثقلين ٢:

٣٦٠، والخصال ٢: ٥٧٣.

٣٨ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، مثلك في أمتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» (٣).

٣٩ - عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله وانصر من نصره» (٤).

(٤) اثبات الهداة ٢: ١٠٣.

٤٠ - عن علي عليه السلام قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تؤتي يوم القيامة بناقة من نوق الجنة وركبتك مع ركبتي، وفخذك مع فخذي حتى ندخل الجنة جميعاً» (٥).

(٥) كنز العمال ٦: ٣٩٦.

٤١ - عن علي بن الحسين عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله قد فرض عليكم طاعتي، ومنعكم عن معصيتي، وأوجب عليكم اتباع أمري، وفرض عليكم من طاعة علي بن أبي طالب بعدي كما فرض عليكم من طاعتي، ونهاكم عن معصيته كما نهاكم عن معصيتي، وجعله أخي ووصيي ونفسي ووارثي، وهو مني وأنا منه. حبه إيمان وبغضه كفر. محبه محبة، ومبغضه

(٦) أخرجه صاحب المناقب عن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام. راجع ينابيع المودة ج ١ الباب الحادي والأربعون في حديث «حق علي على المسلمين حق الوالد على ولده» ص ١٢٣.

(*) هكذا وردت في المصدر، وقد تكون «قصوراً».

(٧) دلائل الإمامة: ٢٥٤.

(٨) صحيح الترمذي ٢: ٢٠١، وتاريخ بغداد ٣: ٢٨٧، وتهذيب التهذيب ١٠: ٤٢٠، وكنز العمال ٦: ٢١٧، ومسند أحمد بن حنبل ١: ٧٧، وأسنن المطالب: ١٢١، ونزل الأبرار: ١٠٧.

(٩) الهيثمي في معجمه ٩: ١٨٥، وفضائل الخمسة ٣: ٢٠٨.

(١٠) فيض القدير ٥: ١٩.

(١١) كنز العمال ٥: ٢٨٢، و١٥٨ فضائل الخمسة ٢: ١٨٤.

(١٢) صحيح الترمذي ٢: ٢٩٨، ومستدرک الصحيحين ٣: ١٢٤، والتفسير الكبير للفخر الرازي في ذيل تفسير البسملة، وفضائل الخمسة ٢: ١٠٨.

مبغضي، وهو مولى كل مسلم ومسلمة، وأنا وهو أبوا هذه الأمة»^(٦).

٤٢ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال لي رسول الله: رأيت ليلة أسري بي إلى قصور (*) من ياقوت احمر، إلى أن قال: فقال لي جبرئيل: هذه القصور وما فيها خلقها الله عز وجل كذا وأعد فيها ما ترى ومثلها اضعاف مضاعفة لشبيعة أخيك علي وخليفتك من بعدك على امتك، يدعون في آخر الزمان باسم يراود به غيرهم، يسفون الرافضة وإنما هو زين لهم لأنهم رفضوا الباطل وتمسكوا بالحق وهم السواد الاعظم، ولشبيعة ابنه الحسن من بعده ولشبيعة ابنه الحسين من بعده ولشبيعة ابنه علي بن الحسين من بعده ولشبيعة ابنه محمد بن علي من بعده ولشبيعة ابنه جعفر بن محمد من بعده ولشبيعة ابنه موسى بن جعفر من بعده ولشبيعة ابنه علي بن موسى من بعده ولشبيعة ابنه محمد بن علي من بعده ولشبيعة ابنه علي بن محمد من بعده ولشبيعة ابنه الحسن بن علي من بعده ولشبيعة ابنه محمد المهدي من بعده، فهؤلاء الأئمة من بعدك اعلام الهدى ومصباح الدجى»^(٧).

٤٣ - أخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد حسن وحسين عليهما السلام فقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٨).

٤٤ - أخرج الهيثمي قال: «عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحسين بن علي عليه السلام: من أحب هذا فقد أحبني»^(٩).

٤٥ - روى الطبراني في الأوسط عن علي عليه السلام مرفوعاً فقال: «كل دعاء محجوب حتى يصلني على محمد وآل محمد»^(١٠).

٤٦ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق: اللهم إنك أخذت عبيدة بن الحارث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وهذا علي فلا تدعني فرداً وأنت خير الوارثين»^(١١).

٤٧ - أخرج الترمذي عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار»^(١٢).

٤٨ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتاني ملك فقال: يا محمد، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنني قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي

(١٣) ذخائر العقبى: ٣١.

وفضائل الخمسة: ٢: ١٣١.

(١٤) كنز العمال: ٣: ١٣١.

وفضائل الخمسة: ٣: ١٣١.

وذخائر العقبى: ٨٦.

(١٥) صحيح الترمذي: ٨: ٥٨.

ومسند أبي داود الطيالسي: ٨.

٢٥، ومسند أحمد بن حنبل: ٨.

١٤٦، وسنن الدارقطني: ٤٤.

وكنز العمال: ٤: ٢٢٩.

(١٦) نهج البلاغة الخطبة: ٩٥.

(١٧) كشف الغمة: ١: ٤٧٢.

(١٨) مناقب علي بن أبي

طالب عليه السلام: ٣٥٥، وبهذا

المضمون في مستدرک

الصحيحين: ٣: ١٥٣.

(١٩) مستدرک الصحيحين: ٣.

١٥١، نزل الأبرار بما صنع من

مناقب أهل البيت الأطهار:

١٠٩، ومسند فاطمة

الزهراء عليها السلام للسيوطي: ٤٥،

والصواعق: ١٥١، وذخائر

العقبى: ١٢٢، وكنز العمال: ٦.

٣٧٨٧ ج.

(٢٠) مستدرک الصحيحين: ٣.

١٥٣، وأسد الغابة: ٥: ٥٢٢.

وتهذيب التهذيب: ١٢: ٤٤١،

وكنز العمال: ٧: ١١١، ونزل

الأبرار: ٨٧، والذرية الطاهرة

لأبي بشر محمد بن أحمد

الأصباري الرازي (٢٢٤هـ -

٣١٠هـ): ١٦٨، والأصباة: ٨.

١٥٩.

(٢١) الدر المنثور في تفسير

سورة محمد وآله عليه السلام وقال

طالب في الملأ الأعلى فزوجها منه في الأرض» (١٣).

٤٩ - عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا علي، إن الله أمرني أن أتخذك صهرًا» (١٤).

٥٠ - عن علي عليه السلام قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، أحب لك ما أحب لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي» (الحديث) (١٥).

٥١ - وقال عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيكم، فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوك من هدى، ولن يعيدوك في ردى، فإن لبوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا» (١٦).

٥٢ - روي عن علي عليه السلام عن فاطمة عليها السلام قالت: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة، من صلى عليكم غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنة» (١٧).

٥٣ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا أهل الحجب: يا أهل الجمع غضوا ابصاركم ونكسوا رؤوسكم فهذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم تريد أن تمر على الصراط» (١٨).

٥٤ - أخرج ابن سعد، والحاكم، عن علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أول من يدخل الجنة أنا وأنت وفاطمة والحسن والحسين. قلت: فمحبونا؟ قال: من ورائكم» (١٩).

٥٥ - وأخرج أبو يعلى والطبراني والحاكم وأبو نعيم في فضائل الصحابة، وابن عساكر كلهم عن علي عليه السلام، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: «يا فاطمة، إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك» (٢٠).

٥٦ - عن علي عليه السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعت الله عز وجل رجلاً منا يملأها عدلاً كما ملئت جوراً» (٢١).

٥٧ - عن علي عليه السلام قال: «المهدي رجل منا من ولد فاطمة» (٢٢).

٥٨ - روى الحافظ البحراني عن الفقيه الشافعي إبراهيم بن محمد الحموي بإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أتاني جبرئيل عن ربِّي عز وجل وهو يقول: ربك يقرؤك السلام ويقول لك: بشر المؤمنين الذين يعملون بالصالحات ويؤمنون بك وبأهل بيتك الجنة فلهم عندي جزاء الحسن» (٢٣).

أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد
وابو داود عن علي عليه السلام.

(٢٢) كنز العمال ٧: ٣٦١.

(٢٣) غاية المرام: ٥٨٤.

(*) الرعد: ٢.

(٢٤) روح المعاني ١٣: ١٣٤.

وكنز العمال ١: ٢٥١، والدر

المنثور في ذيل قوله تعالى:

﴿الذين آمنوا وتطمئن

قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله

تطمئن القلوب﴾.

(٢٥) ذخائر العقبين: ١٨.

وفضائل الخمسة ٢: ٧٣ و ٨٠.

(٢٦) تاريخ بغداد ٢: ١٤٦.

وفضائل الخمسة ٢: ٧٥.

(*) النمل: ٨٩ - ٩٠.

(٢٧) مناقب مرتضوي: ٦٠.

(باللغة الفارسية).

(٢٨) نور الأبصار: ١٠٣.

وفضائل الخمسة ٢: ٨٠.

(٢٩) الرياض النضرة: ٢.

١٧٧، وفضائل الخمسة ٢:

٨٠١.

(٣٠) ملحقات إحقاق الحق ٢٤:

٥٩٢، وأمل البيت: ٦٨ ط.

٥٩ - روى العلامة الحنفي محمود الكوسي عند تفسير هذه الآية الكريمة
قال: «وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية:
﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (*) قال: ذاك من أحب الله ورسوله، وأحب أهل بيته
صادقاً غير كاذب» (٢٤).

٦٠ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: يرد الحوض أهل
بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبايتين» (٢٥).

٦١ - عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم:
شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيته وهم شيعتي» (٢٦).

٦٢ - أخرج العلامة المير محمد صالح الترمذي الحنفي قال: «روي عن
علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
آمنون * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم
تعملون﴾ (*) قال: الحسنة حينما أهل البيت، والسيئة بغضنا أهل البيت. من جاء بها
أكبه الله على وجهه في النار» (٢٧).

٦٣ - عن علي عليه السلام قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مغضباً حتى
استوى على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال رجال يؤذوني في أهل بيتي؟
والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني، ولا يحبني حتى يحب ذريتي» (٢٨).

٦٤ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إنك سيد المسلمين،
وامام المتقين، وقائد الغر المحجلين، ويعسوب الدين» (٢٩).

٦٥ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا تفارق روح
جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة أو من شجر الزقوم، وحتى يرى ملك الموت
ویراني ويرى علياً وفاطمة والحسن والحسين، فإن كان يحبنا قلت: يا ملك الموت ارفق
به فإنه كان يحبني وأهل بيتي، وإن كان يبغضني ويبغض أهل بيتي قلت: يا ملك الموت
شدد عليه فإنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي. لا يحبنا إلا مؤمن، ولا يبغضنا إلا
منافق» (٣٠).

٦٦ - عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: الاثمة بعدي اثنا عشر، أولهم علي بن
أبي طالب وآخرهم القائم. هم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أمتي

(٣١) كفاية الأثر: ١٤٦، وإكمال

الدين ١: ٢٥٩.

(٣٢) مستدرك الصحيحين ٣:

١٤٢، وفيه: «هذا حديث

صحيح الاسناد» وتاريخ

بغداد ١١: ٢١٦، وكنز العمال

٦: ٧٢ و ١٥٧، ومسنند احمد بن

حنبل ١: ١٠٢، ومجمع الزوائد

٩: ١٣٧، والرياض النضرة ٢:

٢٢٣، نقلاً عن نزل الابرار ٦١

و ٦٢.

بعدي...» (٣١).

٦٧- أخرج الدارقطني في الافراد والحاكم والخطيب كلهم عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال له: «إن الأمة ستغدر بك من بعدي، وأنت تعيش على ملتي، وتقتل على سنتي من احبك احبني، ومن ابغضك ابغضني، وإن هذا سيخضب من هذا يعني لحيته من رأسه» (٣٢).

٦٨- عن علي عليه السلام قال: «كنت أنا ورسول الله ﷺ في المسجد بعد أن صلّى الفجر ثم نهض ونهضت معه، وكان إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلمني بذلك فكان إذا أبطأ في الموضع صرت إليه لأعرف خبره لأنه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة واحدة. فقال لي: أنا متجه إلى بيت عائشة فمضى ومضيت إلى بيت فاطمة عليها السلام، فلم أزل مع الحسن والحسين وهي وأنا مسروران بهما، ثم إنني نهضت وصرت إلى باب عائشة فطرفت الباب فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي، فقالت: إن النبي ﷺ راقد، فانصرفت ثم قلت: النبي راقد وعائشة في الدار؟ فرجعت وطرقت الباب، فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علي، فقالت: إن النبي ﷺ على حاجة فانتظيت مستحياً من دقي الباب ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً، فرجعت مسرعاً فطقت الباب دقاً عنيفاً فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علي، فسمعت رسول الله ﷺ يقول لها: يا عائشة افتحي له الباب، ففتحت فدخلت، فقال لي: اقعد يا أبا الحسن أحدثك بما أنا فيه أو تحدثني بإبطائك عني، فقلت: يا رسول الله، حدثني فإن حديثك أحسن، فقال: يا أبا الحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع، فلما دخلت بيت عائشة وأطلت القعود ليس عندها شيء تأتي به مددت يدي وسألت الله القريب المجيب، فهبط علي حبيبي جبرائيل عليه السلام ومعه هذا الطائر - ووضع إصبعه على طائر بين يديه - فقال: إن الله عز وجل أوحى إلي أن أخذ هذا الطائر وهو أطيب طعام في الجنة فأنتيك به يا محمد، فصمدت الله كثيراً وعرج جبرائيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت: اللهم يسر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي هذا الطائر، فمكنت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب فرفعت يدي ثم قلت: اللهم يسر عبداً يحبك ويحبني وتحبه وأحبه يأكل معي هذا الطائر، فسمعت طرقك للباب وارتفاع صوتك فقلت لعائشة: ادخلي علياً فدخلت، فلم أزل حامداً لله حتى بلغت إلي إذ كنت تحب الله وتحبني ويحبك الله واحبك، فكل يا علي» (٣٣).

نقاط حول المنهج المتبع في مجال إعداد القواعد الأصولية والفقهية لدى الإمامية

تقرير

* الأمين العام للمجمع
العالمي لأهل البيت (عليه السلام)

تقرير عن حضور الولد الإيراني في ندوة القواعد الفقهية المتعلقة بجدة في
(٢٥- ٢٧ شعبان سنة ١٤١٧ هـ - ٤- ٦ يناير ١٩٩٧ م).

بدعوة من مجمع الفقه الإسلامي قام ولد مكون من سماحة الشيخ محمد علي
التسخيري وسماحة السيد جعفر الحسيني بحضور هذه الندوة والمشاركة في
أعمالها وقدم تقريراً عن نشاط اللجنة الفقهية للمشكلة في مدينة قم العلمية لاستقراء
القواعد الفقهية لدى الإمامية وكتابتها، والمشاكل التي تعترضه، على النحو التالي:

مقدمة

اننا نعتقد ان من افضل المؤسسات التي انشأتها منظمة المؤتمر
الإسلامي هذا المجمع الكريم لما يتمتع به من خصائص وعوائد،
كما اننا نعتقد أيضاً ان لاعمال هذا المجمع الاهمية الخاصة سواء في مجال
الفتوى أو البحوث أو التوصيات أو في مجال المشاريع التي وافق عليها، ومنها
مشروع معلمة القواعد الفقهية ... هذا المشروع العميم الفائدة الذي نرجو ان
يرى النور قبل غيره من المشاريع، وكلها مهمة وحساسة.



وقد كُلفت من قبل الامين العام للمجمع الاستاذ الشيخ الحبيب بن الخوجة للقيام بمهمة كتابة القواعد الفقهية في المذهب الامامي، ورغم ان العمل كبير، وانشغال البال بالمسؤوليات الاخرى واسع إلا انني قبلت المسؤولية بعد ان تعهد فريق من الاخوة الافاضل بمساعدتي في هذا المجال.

وتبدو صعوبة هذه المهمة من خلال ملاحظة الأمرين التاليين:

اولاً: ان الفقه الامامي لم يعرف منذ بدأ في اول العصور الاسلامية حتى اليوم ما يسمى بانغلاق باب الاجتهاد. ولم نشهد مجتهداً - مهما عظم وسما فكره واجتهاده - يفرض رأيه على الآخرين إلا لفترة لا تكاد تذكر، حيث فرضت آراء الشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ للهجرة الشريفة نفسها لقوتها وسعتها على كل الجامعات العلمية ثم تم كسر هذا الطوق من قبل حفيده المرحوم ابن ادريس الطلي المتوفى عام ٥٩٨ للهجرة... وهذا يعني ان هناك تراثاً فقهياً وأصولياً ضخماً للامامية يجب ان يراجع اجمالاً لمعرفة هذه القواعد الاصولية والفقهية.

وقد قمنا باختيار حوالي اربعين كتاباً من اهم الكتب القديمة والحديثة في هذا المجال، وتصل مجلدات بعض هذه الكتب إلى اكثر من اربعين مجلداً (وقد ذكرنا اسماءها في قائمة مرفقة) كما ركزنا على أهم الكتب الاصولية الامامية (وهو ما ذكر في قائمة اخرى).

ثانياً: ان الكتب الامامية التي ألقت في مجال جمع القواعد الفقهية ليست كثيرة بحيث تغنينا عن الرجوع إلى امهات الكتب الفقهية المفصلة. الامر الذي يجعل المهمة شاقة بلا ريب.

وعلى أي حال، فقد بدأ العمل تحت اشراف مجمع فقه اهل البيت، وهو مؤسسة اسست في مدينة قم لتقوم بدعم النشاطات الفقهية وخصوصاً في المسائل الجديدة والمستحدثة، وقد قطع شوط لا بأس به في هذا المجال، فقد انتهينا من المسائل الاصولية والتخطيط للمسائل الفقهية.

بعض السمات المنهجية التي تمت مراعاتها:

أولاً: لم يتم الاعتماد على كتاب واحد، وإنما لوحظ أهم الكتب الامامية لـتستخرج القواعد المشهورة بين العلماء وذلك تجنباً للتكرار، وتأكيداً على المشهور، وملاحظة لأهم الاستدلالات واستقراءً للالفاظ الأخرى، وملاحظة أيضاً للاستثناءات، وبالتالي متابعة للتطبيقات الفقهية.

ثانياً: التفريق بين القواعد الاصولية والفقهية، باعتبار ان القاعدة الاصولية هي التي يرجع اليها المجتهد فقط، في حين يرجع إلى القاعدة الفقهية المجتهد والعامي في عملهما، وكذلك باعتبار ان القواعد الاصولية هي منطق الفقه، كما المنطق في كل مجالات الفكر، وبملاحظة انها تشكل اسساً للاستنباط الفقهي والعناصر المشتركة في كبريات عمليات الاستنباط في ابواب مختلفة من الفقه. على ان هناك قواعد مشتركة بين الفقه والاصول كالاستصحاب وكقاعدة لا ضرر حسب بعض المباني في معنى الضرر، وسوف نقوم بتقديم بحث مسهب في هذا الموضوع إلى المجمع الكريم.

ثالثاً: تم السعي لطرح الرأي المشهور بين العلماء ولم يُتعرض للآراء الشاذة إلا بالاشارة احياناً.

رابعاً: تم التعرض للاستدلال بل وربما ذكر استدلال الطرفين عند الاختلاف في عموم قاعدة، وخصوصها، ثم ذكر الترجيح.

خامساً: تم التركيز على قاعدية القاعدة ولم يتعرض إلى الفروع الفقهية، اما الضوابط التي يبدو منها أنها تخص باباً دون آخر فإن اشتهر الاستناد اليها كقاعدة وكان لها آثار على الابواب الأخرى كقاعدة الرضاع المؤثرة في الرضاع كما هي مؤثرة في باب النكاح وقاعدة الاقرار المؤثرة في ابواب أخرى، فإنها تذكر كقاعدة.

سادساً: الملاحظ في كتب الامامية خلوها من طرح قواعد المقاصد الشرعية وربما كان ذلك للأمور التالية:

- أ- ان المقاصد العامة واضحة لا تحتاج إلى بحث كحفظ المال والنفس.
- ب- ان هذه القواعد إذا دخلت إلى المجال العملي تحولت إلى فقهية أو

اصولية، من قبيل أن المشقة تجلب التيسير وهي تعبير آخر عن ما يسمى بقاعدة (لا حرج) وهي قاعدة ثانوية مقدمة على الاحكام الاولية.
ج - ربما لأن الامامية يرفضون التركيز على العلل إلا إذا كانت قطعية، وإذا كانت قطعية تحولت إلى قاعدة عامة ولم تبق في حيّز القياس.

سابعاً: عندما تعرضنا للتطبيقات لم نشأ التفصيل ولم ندخل في الاستدلالات الموضوعية، وانما اردنا ان نشير إلى نوع الاعتماد على القواعد والاستفادة منها، وإلا فقد يطول البحث الفقهي في التطبيق إلى أكثر من البحث في القاعدة نفسها.

ثامناً: هناك قواعد يتصدى لها الباحثون من خلال استقراء التطبيقات الكثيرة، الامر الذي يوجب اطمئنانهم بكيّتها، من قبيل: قاعدة (العمل اساس الملكية) في مرحلة ما قبل الانتاج البشري. أو قاعدة (كل عمل محرك جنسياً خارج اطار الزواج ممنوع).

ولم نتعرض لها لأنها لم تبحث فقهياً رغم ورودها في الكتب الفكرية، فإذا شاء المجمع قمنا بالتعرض اليها.

هذا وقد قمنا بالإشارة إلى اهم مصادر هذه القواعد في الكتب وذكرناها في الهامش.

والله تعالى نسأل ان يوفقنا لاتمام هذا المشروع النافع.
وبعد التداول والاستماع إلى كلمات العلماء المشاركين في الندوة اصدرت الندوة المحضر التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

محضر اجتماع لجنة الصياغة لندوة معلمة القواعد الفقهية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وبعد

انعقدت في رحاب مقر مجمع الفقه الإسلامي بجدة في الفترة من ٢٥ - ٢٧ شعبان ١٤١٧هـ (٤ - ٦ يناير ١٩٩٧م) ندوة معلمة القواعد الفقهية، حضرها عدد كبير ممن كلفوا بكتابة واستخراج القواعد من الكتب الفقهية والأصولية، وكتب القواعد لمختلف المذاهب الفقهية، إضافة إلى الأساتذة الآخرين الذين كلفوا بمراجعتها، أو شاركوا في إعداد البرنامج الخاص بها.

وخلال خمس جلسات مطولة خصصت لعرض الآراء والتجارب وتقويمها والملاحظات والمداومات والمناقشات توصل السادة العلماء الحاضرون للندوة إلى نتائج وتوصيات أثرت بها الموضوع.

هذا وقد شكلت لجنة تحضيرية مكونة من:

- أ. د. عمر عبد العزيز الشيلخاني.

- أ. د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان.

- أ. د. محمد مصطفى الزحيلي.

- أ. د. سعود بن مسعد الثبيتي.

- د. عبد الله إدريس أبو بكر ميجا.

- أ. د. أحمد بن عبد الله بن حميد.

- د. عبد الستار أبو غدة.

- أ. د. علي محي الدين القره داغي.

وقد استحضرت اللجنة المحاضر السابقة لمشروع معلمة القواعد، وبالأخص محضر جلسة حول مشروع معلمة القواعد الفقهية في يوم ٦ محرم ١٤٠٨هـ، ومشروع معلمة القواعد الذي أقر في الدورة التاسعة للمجمع الموقر.

وقد لاحظت اللجنة كل ما دار في الجلسات الخمس للندوة، وتوصلت إلى ما يأتي:

١- الإشادة بهذا المشروع الرائد، مشروع معلمة القواعد الفقهية، لما له من

أهمية قصوى متعددة الجوانب والسبق الإسلامي في هذا المجال.

٢- الإشادة بالجهود المباركة المكثفة من قبل أمانة المجمع، وبدقة مشروع

معلمة القواعد الفقهية، والخطة العملية المقترحة للشروع في إعداد هذه المعلمة.

٣- التنويه بما أنجز من مشروع معلمة القواعد.

* * *

التوصيات

توصي الندوة بما يأتي:

١- أن يقسم المشروع إلى أربع مراحل:

أ- استخراج القواعد من الكتب الفقهية المعتمدة.

ب- جمع كتب القواعد المطبوعة والرسائل الجامعية في القواعد لكل مذهب.

ج- يكون العمل في كل مذهب من خلال المرحلتين السابقتين.

د- إصدار معلمة جامعة للقواعد الفقهية.

٢- بقاء الخطة المقترحة لمشروع معلمة القواعد مطبقة فيما يخص

المستكتبين السابقين، حتى يكون المنهج واحداً، ولكن فيما يخص المستكتبين

اللاحقين تقترح الندوة أن تبقى الخطة السابقة هي الأصل مع مراعاة ما يأتي:

أ- تزويد المستكتب الجديد بما أنجز من الأعمال المقدمة في المذهب الذي

كلف باستخراج القواعد منه في كتاب آخر.

ب- أن يقوم بدور المستكمل المعقب حتى لا يكرر ما كتبه سابقه في

الموضوع نفسه، فيترك شرح القواعد التي شرحت بصورة جيدة ويكتفي

بمجرد النص، إلا أن يرى نقصاً أو تعديلاً، وأن يشير إلى أماكن وجود القاعدة

المتكررة.

٣- نقل نص القاعدة كما هي في الكتاب دون تصرف من زيادة أو نقص أو

تعديل.

٤- استبعاد القواعد التي تخالف النصوص الشرعية إن وجدت، وكذلك

القواعد التي يضعف مستندها (في المرحلة الثالثة).

٥- إحالة مؤلفات كل عالم إلى مستكتب واحد ما أمكن.

٦- تكليف الأستاذة المستكتبين أنفسهم بتجريد القواعد الفقهية بنصها

دون زيادة أو نقصان مع التوثيق العلمي.

- ٧- تقسيم المشروع إلى أربعة أعمال مستقلة وهي: القواعد الفقهية، والضوابط، والقواعد الأصولية، والمقاصد الشرعية العامة.
- ٨- تكون طريقة التوثيق للمصادر والمراجع كالآتي: عنوان الكتاب بالكامل، اسم المؤلف، اسم المحقق (إن وجد)، الطبعة (مكانها وتاريخها).
- ٩- يكون توثيق القاعدة والمعلومات الأخرى بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة في الصلب.
- ١٠- أن يراعي المستكتب أصول البحث العلمي والاخراج في أثناء الكتابة مع ضبط الفهارس النظرية والعلمية.
- ١١- أن تقدم الأمانة العامة للمجمع إلى المستكتبين وثيقة موحدة تبين فيها حقيقة القاعدة الفقهية، والقاعدة الأصولية، والضوابط والمقاصد الشرعية العامة، وخصائص كل منها.
- ١٢- بخصوص مرحلة المراجعة أولى الحاضرون أهمية كبرى لهذه المرحلة، لذلك يوصون بمايلي:
- أ- أن تكون المراجعة دقيقة وشاملة.
- ب- أن يختار العلماء الأثبات لهذه المرحلة.
- ج- أن يلاحظ المراجع مدى المطابقة ومدى استقراء المستكتب للقواعد والضوابط.
- د- إرسال جميع ملاحظات المراجع إلى المستكتب وتكليفه بتفاديها واستكمال النقص إن وجد (كما هو الشأن في البحوث المحكمة).
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد ومولانا وعلى آله وصحبه وسلم.

ملحق رقم ١

فهرس القواعد الاصولية

القواعد التمهيدية لعلم الاصول:

امكان التمسك بالاطلاق في المعاني الحرفية.

قاعدة تتبعية للدلالة للارادة.

قاعدة علامات الحقيقة وهي: التبادر وعدم صحة السلب وصحة الحمل.

قاعدة اصالة الظهور.

تطبيقاتها: اصالة الحقيقة، اصالة العموم، اصالة الاطلاق، اصالة عدم القيد.

قاعدة امكان استعمال اللفظ في اكثر من معنى.

قاعدة ثبوت الحقيقة الشرعية.

وضع الالفاظ الشرعية للاعم.

المشتق حقيقة في المتبسط ومجاز في غيره.

* * *

قواعد الاوامر:

«دلالة الامر بمادته وهيئة على الوجوب» وينبه على ان الامر بعد الحظر أو

توهمه لا يدل على ذلك..

الجملة الخبرية في مقام الطلب تدل على الوجوب.

دلالة الامر بالأمر على الوجوب.

امكان التمسك باطلاق الامر في التقسيمات الاولى دون الثانية.

الاصل في الامر هو التوصلية.

اطلاق الامر يقتضي كون الوجوب نفسياً عينياً تعيينياً.

عدم دلالة الامر على المرة أو التكرار.

عدم دلالة الامر على الفور أو التراخي.

نسخ الوجوب لا يدل على الجواز.

قاعدة الاجزاء.

الامر بشيء مرتين يقتضي التداخل.

قاعدة الملازمة بين وجوب الشيء ومقدمته.

الملازمة بين استحباب الشيء واستحباب مقدمته.

الملازمة بين كراهة الشيء وكراهة مقدمته.

الملازمة بين حرمة الشيء وحرمة مقدمته.
انقسام الشرط إلى متقدم ومتأخر ومقارن.
اقتضاء الامر بالشيء النهي عن ضده.
الترتب

تعلق الاوامر والنواهي بالطبائع أو الافراد.
امكان تعلق الامر باحد شيئين (ويتفرع عليه التخيير بين الاقل والاكثر).

قواعد النواهي:

دلالة النهي - بمادته وهيئته - على الحرمة.
اقتضاء النهي لترك تمام افراد متعلقه الطولية والعرضية.
اجتماع الامر والنهي في موضوع واحد.
قاعدة التزاحم (ويتفرع عليه ان دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة).
اقتضاء تعلق النهي عن العبادة الفساد.

قواعد المفاهيم:

ظهور الجملة الشرطية في المفهوم.
تداخل الاسباب والمسببات.
مفهوم الوصيف.
مفهوم الغاية (ويتفرع عليه: دخول الغاية في المغنيين).
مفهوم الحصر.
مفهوم اللقب.
مفهوم العدد.

قواعد العام والخاص:

اصالة العموم.
(تعريف العموم - الفاظه - اقسامه و...).

حجية العام المخصص في الباقي.
سراية إجمال المخصص المتصل إلى العام دون المنفصل.
عدم جواز التمسك بالعام في الشبهة المصداقية للمخصص.
عدم حجية أصالة العموم لخراج الفرد المشكوك موضوعاً بعد خروجه حكماً.

عدم جواز العمل بالعام قبل الفحص عن المخصص.
تقديم الخاص على العام.
جواز التخصيص بالمفهوم الموافق والمخالف.

* * *

قواعد المطلق والمقيد والمجمل والمبين:

أصالة الإطلاق.

(تعريف الإطلاق، كيفية الدلالة، تقسيمه إلى الإطلاق اللفظي والإطلاق
المقامي، والإطلاق بملك ترك الاستفصال. تقسيمه إلى الإطلاق الشمولي
والبدلي).

قاعدة احترازية القيود.

حمل المطلق على المقيد:

(في المتخالفين والمتوافقين سواء في الأحكام الوضعية أو التكليفية).

انصراف المطلق إلى بعض أفرادهِ.

حمل المجمل على المبين.

* * *

مصادر الشريعة الإسلامية:

١ - الكتاب.

٢ - السنة (سنة النبي وأهل بيته المعصومين عليهم السلام).

٣ - العقل.

٤ - الإجماع.

قواعد القطع:

حجية القطع.

(يشار فيه إلى أن حجيته هل تقتضي الموافقة الالتزامية؟ وإلى بحث

التجري.

منجزة العلم الاجمالي.

سقوط التكليف بالامتنال الاجمالي.

امتناع اخذ القطع أو الظن بحكم في موضوعه.

قيام الامارات مقام القطع.

قيام الاصول العملية مقام القطع.

حجية الخبر المتواتر.

حجية السيرة العقلائية والمتشرعية.

(ويبحث في ذيل السيرة العقلائية عن العرف).

قواعد الظن:

الاصل في الظن عدم الحجية.

(ويشار في مقدمتها إلى امكان التعبد بالامارات).

حجية الظواهر (ويتفرع عليها حجية ظواهر الكتاب).

حجية خبر الواحد.

حجية لوازم الامارات.

حجية الاجماع المنقول.

حجية الشهرة الفتوائية.

القياس.

الاستحسان.

المصالح المرسلة.

سد الذرائع.

قول الصحابي.

شرع من قبلنا.

قواعد الاصول العملية:

الاستصحاب.

تعريفها، اقسامها والاقوال فيها، القواعد المشابهة للاستصحاب (قاعدة
المقتضي والمانع، وقاعدة اليقين، الاستصحاب القهقرائي).

قاعدة اصالة عدم النقل.

اصالة البراءة العقلية.

ويشار في ذيلها إلى اصالة الحظر أو قاعدة حق الطاعة.

اصالة البراءة الشرعية.

وجوب دفع الضرر المحتمل.

قاعدة التسامح في أدلة السنن.

اصالة التخيير عند دوران الامر بين وجوب شيء وحرمة.

اصالة الاشتغال.

الاضطرار مانع عن فعلية التكليف.

عدم حجية لوازم الاصول.

* * *

قواعد التعادل والترجيح:

الجمع مهما امكن اولئ من الطرح (ويتفرع عليه تقديم الخاص على العام
والمقيد على المطلق والورود والحكومة و...).

الاصل في التعارض التساقط عند فقد المرجح.

مرجحات باب التعارض (موافقة الكتاب و...).

تقديم ظهور العموم على الاطلاق وعلى التقييد.

تقديم التخصيص على النسخ.

انقلاب النسبة.

* * *

ملحق رقم ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

اهم المصادر المعتمدة لاستخراج القواعد الفقهية

لدين الشيعة الإمامية

أ- كتب الفقه :

ت	اسم الكتاب	المؤلف	سنة وفاته	عدد المجلدات	الناشر
١	المقنعة	الشيخ المفيد	٤١٣ هـ	١	مؤسسة النشر الاسلامي - قم
٢	الانتصار	الشيخ المرتضى	٤٣٦	١	مؤسسة النشر الاسلامي - قم
٣	النهاية	الشيخ الطوسي	٤٦٠	١	دار الانتلس - بيروت
٤	المبسوط	الشيخ الطوسي	٤٦٠	٨	دار الكتب العلمية - النجف
٥	الخلاف	الشيخ الطوسي	٤٦٠	٢	دار الكتب العلمية - النجف
٦	السرائر	ابن ادريس الحلبي	٥٩٨	٣	مؤسسة النشر الاسلامي - قم
٧	شرائع الاسلام	المحقق الحلبي	٦٧٦	٤	مؤسسة المعارف الاسلامية - قم
٨	المختصر النافع	المحقق الحلبي	٦٧٦	١	مؤسسة المعارف الاسلامية - قم
٩	قواعد الاحكام	العلامة الحلبي	٧٢٦	٢	منشورات الرضي - قم
١٠	مختلف الشيعة	العلامة الحلبي	٧٢٦	٧	مؤسسة النشر الاسلامي - قم
١١	تذكرة الفقهاء	العلامة الحلبي	٧٢٦	٢	مؤسسة آل البيت (ع) - قم
١٢	الدروس	الشهيد الاول	٧٨٦	٢	الصادقي - قم
١٣	اللمعة الدمشقية	الشهيد الاول	٧٨٦	١	دار الفكر - قم
١٤	جامع المقاصد	المحقق الكركي	٩٤٠	١٥	مؤسسة آل البيت (ع) - قم
١٥	مسالك الافهام	الشهيد الثاني	٩٦٦	٢	مؤسسة المعارف الاسلامية - قم
١٦	لروضة البهية	الشهيد الثاني	٩٦٦	١٠	مكتبة الداوري - قم
١٧	مجمع الفائدة	المحقق الاردبيلي	٩٩٢	٨	مؤسسة النشر الاسلامي - قم
١٨	مدارك الاحكام	السيد محمد العاملي	١٠٠٩	١٢	مؤسسة آل البيت (ع) - قم
١٩	كشف اللثام	الفاضل الهندي	١١٣٥		
٢٠	للعقائق الناضرة	المحقق البحراني	١١٨٦	٢٥	مؤسسة النشر الاسلامي - قم
٢١	رياض المسائل	السيد علي الطباطبائي	١٢٣٨	٢	مؤسسة آل البيت (ع) - قم
٢٢	جواهر الكلام	الشيخ محمد حسن النجفي	١٢٦٦	٤٣	دار الكتب الاسلامية - النجف

٢٣	المكاسب	الشيخ مرتضى الانصاري	١٢٨١	١	الامانة العامة لمؤتمر الشيخ الانصاري - قم
٢٤	الطهارة	الشيخ مرتضى الانصاري	١٢٨١	١	الامانة العامة لمؤتمر الشيخ الانصاري - قم
٢٥	الصلاة	الشيخ مرتضى الانصاري	١٢٨١	١	الامانة العامة لمؤتمر الشيخ الانصاري - قم
٢٦	الخمسة	الشيخ مرتضى الانصاري	١٢٨١	١	الامانة العامة لمؤتمر الشيخ الانصاري - قم
٢٧	الزكاة	الشيخ مرتضى الانصاري	١٢٨١	١	الامانة العامة لمؤتمر الشيخ الانصاري - قم
٢٨	مستمسك المعرفة الوثقى	السيد محسن الحكيم	١٣٩٠	١٤	مؤسسة اسماعيليان - قم
٢٩	المكاسب والبيع والخيارات	الامام الخميني	١٤١٠	٧	مؤسسة اسماعيليان - قم
٣٠	فقه السيد الخوئي <small>رحمته الله</small> (التنقيح، المعتمد، المباني، مصباح الفقاه، المستند)	تقرير محاضرات السيد الخوئي <small>رحمته الله</small>	١٤١٣	٣٠	مؤسسة انصاريان - قم

ب - كتب القواعد:

ت	اسم الكتاب	المؤلف	سنة وفاته	عدد المجلدات	الناشر
١	نضد القواعد الفقهية	الفاضل المقداد	٨٢٤	١	مكتبة آية الله المرعشي - قم
٢	القواعد والفوائد	الشهيد الاول	٧٨٦	٢	مكتبة المفيد - قم
٣	تمهيد القواعد	الشهيد الثاني	٩٦٦		
٤	الفوائد الحائرية	الوحيد البهبهاني	١٢٠٧		مجمع الفكر الاسلامي - قم
٥	عوائد الايام	النراقي	١٢٤٥		
٦	تحرير المجلة	كاشف الغطاء	١٣٧٣	٢	مكتبة النجاح - طهران
٧	العناوين	ميرفتاح المراغي			مؤسسة النشر الاسلامي - قم
٨	القواعد الفقهية	البجنوردي		٧	مؤسسة اسماعيليان - قم
٩	مستتنيات الاحكام الفقهية	السيد احمد الزنجاني	١٣٩٣		

الأسلام

في أذربيجان

استطلاع

* أحمد الواسطي
(العراق)

السكان والموقع:

تقع أذربيجان في القسم الجنوبي الشرقي من المنطقة المعروفة بما وراء القوقاز حيث كانت تؤلف بالإضافة إلى أذربيجان جورجيا وأرمينيا جمهورية ما وراء القوقاز السوفياتية الاتحادية الاشتراكية.



وتحدّها من الشمال داغستان، ومن الشمال الغربي جورجيا، ومن الجنوب الغربي أرمينيا وتركيا، ومن الجنوب كردستان، فهي تجاور حدود إيران جنوباً وجورجيا وأرمينيا غرباً.

تبلغ مساحة أذربيجان زهاء ٨٦٦٠٠ كيلو متر مربع. ومركزها مدينة (باكو) خامس مدينة كبرى في الاتحاد السوفياتي سابقاً من حيث السكان حيث يبلغ عدد سكانها ١,٧٤١,٠٠٠ نسمة حسب إحصائية عام ١٩٩٠م.

وتشتمل أذربيجان على جمهورية نخجوان المستقلة ذاتياً والتي تأسست عام ١٩٢٤م وعلى مقاطعة ناغورنو -قرباغ التي تشكل جمهورية مستقلة ذاتية منذ عام ١٩٢٣م.

(*) يراد به جنوب أذربيجان الذي كان بلاد الإخمينيين، وألبانيا القوقازية إحدى الدول القديمة في شرق ما وراء القوقاز.

M.S. Ivanov, (١)
ochirk., p.68 - 69 .

والأذربيون من السكان الأصليين للمنطقة المعروفة قديماً بـ (باتروباتينا) و(ألبانيا القوقازية) (*).

وفيما بين الألف الأول قبل الميلاد والأول بعده اختلط هؤلاء بجماعات إيرانية وتركية الأصل^(١) وكونت أمة حضرية، كانت بعض قبائلهم بدوية أو شبه بدوية عاشت واحتفظت بهويتها الخاصة.

وفيما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين تكوّنت اللغة الأذرية الموحدة بانتقال موجات من عشائر ناطقة بالتركية إلى أذربيجان، وكانت لغاتها أسهل نطقاً وتركيباً من لغات كانت سائدة هناك، فحدث نوع من التفاعل الطبيعي فيما بينها.

وبدأت اللغة الأذرية الأوروبية تنمو وتتطور منذ القرن الرابع عشر وازدهرت في القرن الخامس عشر حتى القرن السابع عشر.

لقد حظيت أذربيجان بموقع متميز في الشرق القديم، ففي سهولها ووديانها آثار تمدّن تعود إلى ما قبل الميلاد، وكان لسكانها أبجدية ذات (٥٢) حرفاً إبان القرن الخامس الميلادي، وفي تلك الفترة كان فيها اقتصاد مزدهر ومدن عامرة على حسب مقاييس ذلك الزمان منها: شيايران وشماخا وكبالا وشمخور وشكي وبردة وكنجة وتبريز وسواها، وقد تحولت هذه المدن إلى مراكز إسلامية بعد انتشار الإسلام في أذربيجان في القرن السابع الميلادي. وفيما بين منتصف القرن التاسع ومنتصف القرن العاشر الميلاديين ظهرت في أذربيجان إمارات شبه مستقلة منها الإماراتان المعروفتان السالارية والشدادية وسواهما من إمارات شهدت مدن أذربيجان في ظلّها تطوراً ملحوظاً، فبلغ عدد السكان في قسم منها عشرات الألوف كباكو مثلاً^(٢).

هذه الجمهورية المسلمة والتي تبلغ نفوسها اليوم سبعة ملايين نسمة تقريباً تحولت في ٢٨ من نيسان عام ١٩٢٠م إلى إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي بعد أن قضى الجيش الأحمر على جمهورية أذربيجان المستقلة.

وفي عام ١٩٧٩ كان يعيش من مجموع الأذريين ٨٦ % في أذربيجان و ٤,٧ % في جورجيا وفي حدود ٣ % في أرمينيا و ١,٢ % في داغستان، و ٢,٤ %

(٢) (Istoria Azerbajj
ana) T.I., p.270 - 275.

في سائر الجمهوريات المسلمة و ٢,٧ ٪ في سائر مناطق الاتحاد السوفياتي السابق وعلى أثر التطورات الأخيرة والاشتباك الشديد بين الأرمن والأذربيين، اضطر كثير من الأرمن إلى الهجرة من أذربيجان، وهكذا هجر عدد كبير من الأذربيين من أرمينيا وقدر عددهم في حدود ٣٠٠,٠٠٠ شخص من المهجرين بلا مأوى بعيدين عن بيوتهم ودورهم ووطنهم الأصلي يعيشون في أذربيجان السوفياتية^(٣).

(٣) المصدر السابق.

السلطات المتوالية على الحكم في أذربيجان:

منذ القدم اتجهت أنظار الطامعين من مختلف الملل والنحل إلى غنى أذربيجان فاستولوا عليها الساسانيون في بداية القرن الثالث الميلادي وتحولت إلى ميدان صراع بين الساسانيين والروم في القرن الرابع الميلادي. ولم يقف الأذريون مكتوفي الأيدي إزاء مضطهديهم، بل انتفضوا على الساسانيين مراراً في السنوات ٤٥٠ - ٤٥١ م و ٤٥٧ م و ٤٨١ - ٤٨٤ م و ٥٧١ - ٥٧٢ م.

وفي أواسط القرن الحادي عشر الميلادي غزا السلاجقة أذربيجان، وغزاها المغول في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الميلادي وبقيت جزءاً من دولة المغول حتى العقد السابع من القرن الرابع عشر الميلادي، ثم تحولت إلى جزء من دولتي (قره قوينلو) و (آق قوينلو) المعروفتين ثم أصبحت جزءاً من الدولة الصفوية^(٤).

(٤) (Vseмирnaga

Istoria) Vol. IV, 240-

247.

والجدير بالذكر أنَّ أذربيجان الحاضرة والتي كانت مسكونة منذ العهد الحجري، كانت إلى ما قبل سيطرة النظام الشيوعي عليها تحت سلطة حكومات من الماديين والهخامشيين الفرس الأوائل، وتحت رعاية الاسكندر المقدوني والساسانيين حتى فتح ما وراء القوقاز بيد المسلمين^(٥).

(٥) المصدر السابق.

تاريخ دخول الاسلام في أذربيجان :

دخل الاسلام إلى أذربيجان منذ أواسط القرن السابع الميلادي في عهد

خلافة عمر بن الخطاب، واعتنق أهلها الاسلام ما عدا مجموعة صغيرة من المسيحيين يطلق عليها الاودين موجودة إلى يومنا هذا، وقد بلغ عددهم في احصائية سنة ١٩٧٠م قرابة ٥٤٩٠ نسمة في حين لم يظهر لهم عدد في احصائية سنة ١٩٧٩م، كذلك يوجد عدد قليل جداً من اليهود.

وقد جعل الصفويون أذربيجان - سابقاً قبل ان تنقسم إلى قسمين احدهما في حدود ايران والآخر في حدود روسيا - عاصمة مملكتهم واستطاع الشاه عباس عملياً أن يحبط هجمات العثمانيين إلى هذه الأراضي ويوطد حكومة الصفويين فيها، وقد انتشر التشيع بين الاذريين في حدود السنوات المتعاقبة منذ عام ١٦٠٠م تقريباً.

وكانت لاذربيجان قديماً علاقات تجارية بإمارة (موسكو) حتى صمّم بطرس الكبير على اخضاعها كلياً لانه كان يراها بوابة إلى الشرق الأدنى. وعليه سيطر الروس في سنة ١٧٧٢م على (باكو) و (دربند)، وعلى إثر هجمة الأفاغنة وانتشار الفوضى في ايران سيطر الروس على نواحي بحر الخزر (قزوين) والعثمانيون على ما وراء القوقاز، أي: تفليس وايروان وكنجة ونخجوان.

وأخيراً على عهد نادر شاه ردّت هذه الأراضي إلى ايران من جديد^(٦).

وبعد نادر شاه احتفظ محمد خان القاجار بسلطة ايران على أذربيجان حتى سنة ١٨٠٥م، حيث سيطرت القيصرية كاترين الثانية على قسم من هذه الأراضي وجعلتها تحت راعيتها، وفي سنة ١٨١٣م وبناء على معاهدة (الكستان) انضم القسم الأكبر منها إلى روسيا، وفي سنة ١٨٢٨م وسع الروس على أساس معاهدة (تركمان چاي) حدودهم حتى نهر أرس، وفي هذه الحوادث انشطرت أذربيجان إلى النصفين الشمالي والجنوبي كما كان على عهد المغول^(٧).

(٦) المصدر السابق.

الاسلام في الاتحاد السوفياتي منذ القرن السابع وحتى نهاية ١٩٠٠م
إن انتشار الاسلام في المناطق التي كانت تابعة للاتحاد السوفياتي السابق

بدأ منذ القرن السابع الميلادي - الأول الهجري - بالنفوذ إلى المناطق الشرقية مما وراء القوقاز، حيث دخل عسكر المسلمين إلى آسيا الوسطى التي كانت تتمتع بحضارة قديمة، ولكنها كانت عرضة لنفوذ السنن البوذية والمانوية والمسيحية والنسطورية. وهكذا فتح العرب المسلمون في عام ٦٣٩م أذربيجان وتوغلوا في داغستان بين عامي ٦٤٢ - ٦٤٣ وفي عام ٦٨٥م فتحوا بلد دربند إلى أن ساد الاسلام ديناً عاماً في الشرق الاوسط في القرن العاشر الميلادي.

وفي أوائل القرن الرابع عشر الميلادي أسلم (اردوي زرين) رئيس قبائل الأوزبك. وإلى جانب هذا التطور بدأت اتصالات مباشرة بين الروس والأتراك المسلمين، وعليه فقد كان للمسلمين خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين تفوق على الروس بسبب سلطة قوانين (أردوي زرين)^(٨).

وبعد ذلك وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين حصل نوع من توازن القوى في المنطقة وحينما أصبح التشيع المذهب الرسمي للسلسلة الصفوية في القرن الخامس عشر، تبعت أذربيجان إيران، فاختارت التشيع مذهباً بغالبية المسلمين في ما وراء القوقاز، وبقيت القوقاز الشرقية حتى توسع الروس في القرن السابع عشر الميلادي قسماً من أقسام الخلافة العثمانية والسلطات الإيرانية، وفي سنة ١٩١٧م كانت (باكو) و (سمرقند) لا تعتبران قسماً من دار الاسلام وكانتا أقرب إلى (تبريز) و (أصفهان) منها إلى (موسكو) أو (بلغراد)، حتى ارتفعت الجدران الفاصلة في ١٩٢٤، فبقي العالم الاسلامي أكثر من نصف قرن بعيداً عن إحدى اجزائه الحية.

ان توسع الامبراطورية الروسية في الاراضي الاسلامية قد استمر نحواً من ٣٤٨ عاماً منذ ١٥٥٢م وبدأ بالسيطرة على قازان، وتوقف في سنة ١٩٠٠ بالسيطرة على (يامير) سيطرة مؤقتة^(٩).

وبالامكان تقسيم هذا التوسع الامبراطوري الروسي إلى ثلاثة أدوار هي

كالتالي:

١- التوسع القيصري من موسكو منذ عام ١٥٥٢م حتى ١٦٠٥م، حيث

(٨) تاريخ الحروب الايرانية
لـروسية - صفحة من
العلاقات الدولية في الشرق
الوسط / من ٩٢ - ٩٨.

(٩) المصدر السابق.

تحقق بالتوسع الروسي على الأكثر في الاتجاه الجنوبي، أي: إلى شمال القوقاز (منطقة القبارطة) وداغستان والسيطرة على وادي (قولاكا) وبإمكاننا أن نلخص نتائج هذه المرحلة بما يلي:

١ - انتصار كبير للروس في القولاكا وغرب سيبيريا، ولكنهم هزموا هزيمة نكراء في القوقاز.

ب - انتصار تام للإسلام في القبارطة ضمن المقابلة مع المسيحية.

ج - تعمق وتجدد اسلامي في القوقاز، حيث أصبحت هذه المنطقة وحتى القرن التاسع عشر سداً اسلامياً مقاوماً وعظيماً أمام تقدم الروس نحو الجنوب.

٢ - بدأ التوسع الروسي في الاتجاه الغربي واستمر حتى عهد سلطة كاترين الثانية، وفي هذه المرحلة التي استمرت منذ عام ١٦٠٥م حتى ١٧٧٠م، اتسع نفوذ روسيا في الأراضي الاسلامية ابتداءً من قولاكا الوسطى وأورال وغرب سيبيريا إلى المناطق الأدنى من القولاكا وبحر قزوين اتساعاً مستمراً. وبفعل توطین الفلاحين الهاربين من النظام الاقطاعي السائد في روسيا المركزية، تحوّل الفلاحون المسلمون الأصليون إلى أقلية دينية وصاروا في معرض الذوبان.

ومنذ أن توصل إلى السلطة أول ملك روسي (القيصر رومانوف ميخائيل) حتى عهد كاترين الثانية، تهدمت مساجد كثيرة أو تعطلت عن الصلاة والعبادة.

(فبين عام ١٧٣٨م حتى ١٧٥٥م وهي فترة حكم القيصرية (آنا) - وهي اشد حقبة مأساوية على المسلمين - هدم ٤١٨ مسجداً من بين ٥٣٦ مسجداً).

وصودرت الاوقاف الاسلامية وافتتحت مدارس جديدة للأطفال المبشرين بالمسيحية تحت نشاط تبشيري شديد للمسيحية ولم يكن للمسلمين في مقابلة هذه الاوضاع أي مصير سوى الموت، وفي هذا المضمار أخرج السكان المسلمون من القرى المتنصرة حديثاً.

وعليه فمن الممكن أن نقيس النصف الأول من القرن الثامن عشر، أي أيام

حكومة بطرس الكبير وخلفائه ولا سيما (تزارينا آنا) من حيث ايداء المسلمين بأدوار الكفاح ضد الدين ايام حكم ستالين وانصاره في عام ١٩٣٠م.

٣- الفتوحات التي بدأت منذ عهد القيصرية كاترين الثانية وحتى عام ١٩٠٠م، حيث توسعت روسيا في هذه المرحلة باتجاه آسيا كالاتي:

أ- في عام ١٧٧١م سيطرت روسيا على شبه جزيرة (كريمة).

ب- وفي ١٧٨٢م انضمت أراضي التتر إلى روسيا مع نفي آخر أمراثم شاهين كراي^(١٠).

(١٠) المصدر السابق.

ج- وفي سنة ١٧٨٣م بدأ الاستيلاء على شمال القوقاز وقد واجه مقاومة شديدة من قبل سكان الجبال، وكان الدور الأساسي في تعبئة المسلمين في هذه الناحية للصوفية النقشبندية، ولكن انتهت أخيراً حروب القوقاز مع استسلام الامام شامل آخر قائد للنقشبندية في عام ١٨٥٦، وبعد ذلك سلكت روسيا سبيل السيطرة المنتظمة على مناطق آسيا الوسطى، وبدأت السيطرة على هذه النواحي - التي طالت حتى نصف قرن - بالسيطرة على جمكنت في سنة ١٨٥٥م، مما أدى بعد عشر سنين إلى السيطرة على طاشقند، وإلى أن اضطر أمير بخارى في سنة ١٨٦٨م بعد استسلام قواته للتوقيع على معاهدة الحماية الروسية على بلاده وعلى طول الخط هذا سيطرت روسيا سنة ١٨٧٣م على خيوه وبعد سنتين أيضاً سيطرت على خوقند وانحلت حكومة أمراء خوقند في سنة ١٨٧٠م فدخلت أراضيهم باسم «قائمقامية تركستان» تحت السيطرة المباشرة للجيش الروسي وأخيراً انتهت هذه المرحلة من فتوحات روسيا في آسيا الوسطى مع السيطرة على المناطق التي يقطنها التركمان بين العامين ١٨٧٣م و١٨٨٤م والحاك القسم الشرقي من پامير في سنة ١٩٠٠م. والجدير بالذكر أنه في هذه المدة من حكومة الروس على المسلمين التي بلغت أكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن (١٥٥٢م - ١٩١٧م) وضعت موسكو وبطرس بورخ اساليب مختلفة من التعامل مع المسلمين من أجل استمرار امبراطوريتها الاستعمارية^(١١).

التوجه الديني والعلمي:

أما عن الوضع الديني فنجد أن اتباع أهل البيت (الامامية) يؤلفون ما بين ٧٠ و ٧٥ ٪ من شعب أذربيجان حسب احصائية عام ١٩٧٩م، وأما النسبة الباقية (٢٥ ٪ - ٣٠ ٪) فهم من اتباع المذهب الحنفي وبعض الأقليات الدينية والمذهبية الاخرى.

وبلدة (باكو) هي مقر المركز الديني للقوقاز ولها الاشراف على أمور المسلمين في ارمينيا واذربيجان وجورجيا. وبحسب الأعراف السابقة يكون رئيس هذا المركز من الشيعة وله معاونان احدهما من السنة والآخر من الشيعة.

ويوجد في أذربيجان أكثر من ألفي مسجد حتى قبل عام ١٩٢٠م ولم يبق منها حتى التطورات في عام ١٩٨٧م أكثر من عشرين مسجداً مفتوحاً للناس. ان اكبر وأهم مسجد للشيعة هو مسجد (تازه پير) في باكو، ويُعد مسجد آجاريك أيضاً من أشهر مساجد أهل السنة في باكو.

ويتعلم الشباب في جميع هذه المساجد القرآن والآداب الاسلامية، وقد تم تسجيل أكثر من ٨٠٠,٠٠٠ شخص في الصفوف التعليمية.

ويشتغل حالياً ما يقارب ٨٦ طالباً بتحصيل العلوم الدينية في مسجد (تازه پير)، ومن المقرر أن يتابعوا دراستهم في مدينتي قم وتبريز.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ظاهرة التعصب المذهبي تكاد تكون معدومة بين السنة والشيعة بسبب الوعي الاسلامي والتزاور المتواصل لمساجد كلا الطائفتين (١٢).

كما يوجد في أذربيجان مساجد وآثار تاريخية ومقدسة وقبور للصالحين تزار.

ويقال: إن عدد الآثار التاريخية الاسلامية في هذه البلاد يقدر بخمسة آلاف أثر. وأقدم مساجد باكو مسجد محمد ﷺ الذي يعود تاريخه إلى عام ٤٧١ هجري (١٠٧٨م)، ومرقد السيد ابراهيم ابن الامام محمد الباقر عليه السلام المتوفى في سنة ١٢٠ هـ في كنجة. ومن أشهر المراقد التي تزار مرقد السيدة حكيمة أخت

(١٢) المركز الثقافي في
أذربيجان، ١٩٩٠ (تقرير).

الامام الرضا عليه السلام في محلة (بي بي هيبت)، وقد هدمت البقعة بأيدي البلاشفة قبل هذا.

وعلى الرغم من مرور (٧٠) عاماً على التظليل الاعلامي والدعايات المعادية للاسلام والضعف الكثرة على المسلمين، لازالت باكو تتنفس صحوً اسلامياً مع وجود التعاليم الشيوعية.

أما على الصعيد العلمي فيوجد في هذه الجمهورية جامعة واحدة و ١٧ معهداً تقوم بتعليم أكثر من مائة ألف طالب.

وتعد أكاديمية العلوم بأذربيجان من أكبر المراكز الأكاديمية بالاتحاد السوفياتي السابق، إذ تشتمل على (٣٠) مؤسسة علمية و (١٢) مؤسسة تنفيذية وثلاثة حصانج تجريبية. ومن مجموع ١٥,٠٠٠ كادر في هذا المركز يحمل (٥٠٠) منهم شهادة الدكتوراه ويحمل (٣٠٠٠) شهادات تجريبية أو بكالوريوس (١٣).

(١٣) المصدر السابق.

ويدرس في هذه المراكز: الطب والمعادن والتكنولوجيا النفطية والكيمائية وعلوم أخرى.

وقد نجحت أول عملية جراحية في العالم لتوصيل المخ، في أحد هذه المراكز من قبل سيدة مسلمة أذرية تركية.

ملامح الاقتصاد الأذربيجاني:

تعتبر معادن النفط، ولا سيما النفط المائي (السائل) من أهم المعادن في هذه الجمهورية.

وان اكتشاف هذه المعادن واستخراجها جعل من هذه المدينة في مدة معينة أهم منطقة لانتاج النفط في العالم.

ومن المعادن المهمة في أذربيجان بالإضافة إلى النفط: أحجار الحديد والالونيت والباريت والكبالت والموليبدن والارسينك والاحجار المعدنية، ونوع خاص من النفط يعرف بالنفتالين أو النفط الطبي وهو من المعادن الاساسية في هذه الأراضي.

كما يوجد فيها الذهب والفضة والنحاس والزنابق والرصاص وملح الطعام ومختلف معادن المواد الإنشائية. وبسبب استخراج النفط وإيجاد السكك الحديدية منذ عام ١٨٨٣م وعلى إثر ارتباط هذه المنطقة بسواحل البحر الاسود والقسم المركزي الروسي في أوروبا أصبحت من المراكز الاساسية الصناعية للاتحاد السوفياتي في العالم.

وأقيمت في أذربيجان مصافي النفط ومصانع بتروكيماوية و ٧٠٪ من التقنيات الصناعية المرتبطة بالصناعة النفطية للاتحاد السوفياتي وهي تصدر إلى كثير من الدول في العالم.

وفيها بالاضافة إلى ذلك صناعات الكترونية ومعدنية وألومينيومية وحديدية وفولاذية ونسيج الأقمشة والسجاد والمواد الإنشائية وغيرها^(١٤). ومن المحاصيل الأساسية في هذه الجمهورية القطن، ولها موقع ممتاز من هذه الناحية.

ويزرع في هذه الاراضي أنواع الفاكهة، ولا سيما العنب والزيتون والحمضيات كما يزرع التبن والشاي والزعفران والحبوب.

وفيما يتعلق بتربية المواشي والدواجن في هذه الجمهورية، فان لتربية الأغنام والجمال ذات السنم والابقار ودود القز وصيد الاسماك سهماً كبيراً في اقتصاد هذه الجمهورية.

والجدير بالذكر أنه عقدت مؤخراً اتفاقيات بين أذربيجان الشرقي من ايران وجمهورية أذربيجان المستقلة حديثاً تتعلق بتبادل السلع والبضائع التي تعادل قيمتها (٢٥) مليوناً من الدولارات. وعلى الرغم من هذه الامكانيات الاقتصادية فان هذه الجمهورية تواجه حالياً فقراً اقتصادياً ذلك ان الدخل الشهري للمواطن في هذه الجمهورية إنما يكفي لثلاث أيام الشهر، وان الحوانيت والمتاجر تخلو من السلع والمواد الغذائية^(١٥).

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل أصبحت أذربيجان ساحة لصراع وتنافس كثير من الدول نظراً إلى وجود الروابط والعلاقات في الماضي والحاضر وما يرمى إليه من ارادة استمرار هذه العلاقات في المستقبل.

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) المصدر السابق.

وأهم هذه الدول: أميركا، وتركيا، والعربية السعودية.

ومن جانب آخر كان للجمهورية الاسلامية في ايران دور ايجابي في ذلك التناقص، يبتنى على اساس من سياسة مد يد العون والمساعدة، وإحلال الأمن والسلام ومنع الاقتتال داخل أذربيجان، كما تربطها بها من علاقات أخوية ودية على مستوى الحكومة والشعب.

ونفذ تركيا واميركا والسعودية في بلدة باكو اكثر بكثير من سائر المدن، ولم يقع الناس في سائر المدن حتى الآن تحت تأثير الحملات الثقافية الأجنبية إلا قليلاً وان علاقتهم بالنسبة إلى الامور الدينية والجمهورية الاسلامية في ايران أكثر من أهالي بلدة باكو. ولكن يمكن اعتبار ان أهالي بلدة باكو هم الذين يرسمون سلوك البلاد في المستقبل وهم الذين يضعون سياسات أذربيجان الروسية. وعلى هذا الاساس فقد وضعت الدول الأجنبية أكثر رساميلها في مدينة (باكو) وان رجال الدولة الفعليين وفي المستقبل من هذه المنطقة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن تركيا تقوم بتأمين أهداف ومطالب اميركا والسعودية من خلال اتحاف أذربيجان بالعلمانية مع الدعم الموجه من قبل المثقفين والمفكرين على عهد الحكومة الشيوعية. واستبدال الحروف اللاتينية بالخط المرسوم في تركيا، وفي الحقيقة أن هذه الاهداف هي بدورها مؤمنة لأهداف ومنافع ومصالح وسياسات عالمية ومحلية لتركيا^(١٦).

(١٦) مجلة نيوزويك ٢ /

شباط / ١٩٩٢.

العقبة الكؤود:

المشكلة التي تواجهها أذربيجان الآن هو أن هناك اتهامات ضد الحكومة الأذرية من أنها تريد طرد الأرمن من اقليم «ناغورني قره باغ» وهو ما تنفيه الحكومة مطلقاً.

ويقول مسؤولون في الحكومة الأذرية: «إن الخلاف يتعلق بحكم القانون والكرامة الوطنية، فوجود متمردين من الارمن المسلحين أمر غير مقبول».

وما يدعم وجهة النظر الأذرية هو ما أعلنته مجموعة الدول المستقلة (الكومونولث) والامم المتحدة ومؤتمر الأمن والتعاون الاوربي (C.S.C.E) من

أنه لا يمكن تغيير الحدود بالقوة.

والجدير بالذكر أن أرمينيا وأذربيجان عضوان في هذه المجموعات الثلاث: الكومونولث والأمم المتحدة ومؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي.

وعندما كان الاتحاد السوفياتي قائماً أقنع رئيساً روسياً وكازاخستان الطرفين بالقبول بتنازلات تهدف إلى كسر حاجز العداء بينهما، حيث وعدت أذربيجان بإعادة الحكم الذاتي إلى (ناغورني قره باغ) وبالمقابل وافق الأرمن على عدم المطالبة بأراضٍ في أذربيجان (الايكونوميست).

ولكن البرلمان الأرمني كان قد صوت ثلاث مرات على قرارات تدعو إلى ضم (ناغورني قره باغ) إلى أرمينيا.

أما ما يتعلق بدور «الكومونولث» فهو يتحاشى الدخول في عمق المشكلة بين أذربيجان وأرمينيا لحلها، لأن هناك الكثير من المشاكل المماثلة ضمن دول (الكومونولث) وضمن روسيا بالتحديد، حيث توجد مشاكل «كريميا»، (تاتارستان) ومناطق (الشيشان) و (الانغوش)^(١٧).

(١٧) المصدر السابق.

إن حل هذه المشاكل العرقية يعني تغييراً في الجغرافية السياسية للدول الاعضاء، وهذا غير مسموح به حالياً لذا فإن المتحاربين يختلفان في الوسطاء الذين سيقبلان بهم وفي دخول (ناغورني قره باغ) ضمن المفاوضات مباشرة. ويبدو أن أرمينيا تسعى إلى تصعيد المواقف ولا سيما بعد قيامها بإسقاط طائرة مروحية تحمل مسؤولين من (الكومونولث).

وعندما لم يتمكن الرئيس الأذري السابق عياض مطاليبوف من مواجهة التصعيد الأرمني أدنى به الأمر إلى الاستقالة تحت ضغط الشعب الأذري الذي اعتبره متساهلاً جداً مع الأرمن.

ويتضح على صعيد الحلول الخارجية أنه منذ اندلاع المعارك العسكرية سعت عدة دول إلى ضبط الأوضاع كل من منظاره الخاص.

فالبداية كانت مع إيران التي سعت إلى وقف إطلاق النار، وقد بررت الصحافة الغربية حركة إيران لتحقيق هذا الأمر بوجود قرابة (١٥) مليون أذري على أراضيها بالإضافة إلى مليون أرميني، ومن جهة أخرى فإن إيران

تريد إبراز نواياها السلمية لبقية دول آسيا الوسطى والعالم.

ثم جاءت تركيا التي حاولت اللعب على عامل اللغة والثقافة اللتين تربطانها بأذربيجان في حين لا يوجد لها أي رابط مع أرمينيا ومن ثم كانت المساعي التركية أحادية الجانب.

ثم سعت مجموعة الدول الأوروبية إلى تنشيط الوساطة الروسية الكازاخستانية ولكن هذه المساعي لم تؤت ثمارها حتى الآن.

قَالَ الْمُهَاجِرُ الصَّدَاقُ (ع) :

اللَّهُمَّ
يُحَقِّقْ بِهِ الدِّمَ
وَتُؤَدِّي بِهِ الدِّمَانَةَ
وَسَيِّجِلْ بِهِ الْفَرْجَ
وَالثَّوَابَ عَلَى الْإِيمَانِ

عَنْ الزُّنَّارِ ٦٨ : ٢٤٣

هَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ

من غرر حكم

أهل البيت عليهم السلام

• اصداؤه •

سيد الخادم فرج الله

في هذا الباب نحاول أن نوجه أنظار القراء الكرام إلى مفهوم أو فكرة معينة من طريق التركيز عليها والتجميع الموضوعي لما أثير من نصوص كلمات المعصومين عليهم السلام فيها، لما تمتاز به تلك النصوص من رؤية واقعية صادقة وبيان شمولي بليغ يرتبط بمعين القرآن الكريم الذي لا ينحسب تصديقاً لقولهم عليهم السلام: «شركاً أو قراباً فمن تجلداً علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت».

التحرير

الحب عروة في الدين وثقى

١ - قال رسول الله ﷺ: «أوثق عرى الإسلام أن تحب في الله وتبغض



في الله»^(١).

(١) ميزان الحكمة ٢: ٣٣٣.

٢ - وعنه ﷺ: «الحب في الله فريضة والبغض في الله فريضة»^(٢).

(٢) ميزان الحكمة ٢: ٣٣٣.

٣ - وعنه ﷺ: «ودَّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شُعب الإيمان. ألا ومن أحب

(٣) بحار الأنوار ٦٩: ٢٤٠.

في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله»^(٣).

٤ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن من كان حبه لله وبغضه لله وأخذه لله وتركه

(٤) غرر الحكم ١: ٨٧.

الله»^(٤).

- ٥ - قال الباقر عليه السلام: «الإيمان حب وبغض»^(٥). (٥) بحار الأنوار ٧٨: ١٧٥.
- ٦ - وعنه عليه السلام: «الدين هو الحب، والحب هو الدين»^(٦). (٦) ميزان الحكمة ٢: ٢١٥.
- ٧ - قال الصادق عليه السلام: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فهو مقن كمل إيمانه»^(٧). (٧) بحار الأنوار ٦٩: ٢٣٨.
- ٨ - وعنه عليه السلام: «من حب الرجل دينه حبه لإخوانه»^(٨). (٨) بحار الأنوار ٦٩: ٢٣٧.
- ٩ - وعنه عليه السلام: «لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب أبعد الخلق منه في الله، ويبغض أقرب الخلق منه في الله»^(٩). (٩) بحار الأنوار ٧٨: ٢٥٢.
- ١٠ - وعنه عليه السلام: «هل الدين إلا الحب؟ إن الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾»^(١٠). (١٠) بحار الأنوار ٦٩: ٢٣٧.
- ١١ - وروى الحسين بن سيف قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يمحص رجل الإيمان بالله حتى يكون الله أحب إليه من نفسه وأبيه وأمه وولده وأهله وماله ومن الناس كلهم»^(١١). (١١) بحار الأنوار ٧٠: ٢٤٤.
- ١٢ - وعن فضيل بن يسار قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض أمن الإيمان هو؟ فقال: وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿حَبِّ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانُ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾»^(١٢). (١٢) الكافي ٢: ١٢٥.
- ١٣ - روى الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم لبعض أصحابه: «يا عبد الله، أحب في الله وأبغض في الله ووال في الله فإنه لا يُنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد الرجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك...»^(١٣). (١٣) بحار الأنوار ٦٨: ٧٩.

موجبات حب الله لعبده

- ١٤ - قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل رحيم يحب كل رحيم»^(١٤). (١٤) بحار الأنوار ٧٤: ٣٩٤.
- ١٥ - قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف»^(١٥). (١٥) الكافي ٢: ١١٢.
- ١٦ - وعنه عليه السلام: «ثلاثة يحبهم الله عز وجل: رجل قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجل تصدق بيمينه يخفيها عن شماله، ورجل كان في سرية فانهزم أصحابه فاستقبل

العدو» (١٦).

(١٦) ميزان الحكمة ٢: ٢١٧.

١٧ - وعنه عليه السلام: «ثلاثة يحبها الله: قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام...» (١٧).

(١٧) ميزان الحكمة ٢: ٢٢٠.

١٨ - وعنه عليه السلام: «ثلاثة يحبها الله سبحانه: القيام بحقه، والتواضع لخلقه،

(١٨) ميزان الحكمة ٢: ٢٢٠.

والإحسان إلى عباده» (١٨).

١٩ - وعنه عليه السلام: «إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق في الأمر كله» (١٩).

(١٩) ميزان الحكمة ٤: ١٥٩.

٢٠ - وعنه عليه السلام: «وجبت محبة الله على من أغضب فحلم» (٢٠).

(٢٠) ميزان الحكمة ٢: ٢١٥.

٢١ - وعنه عليه السلام: «من أكثر ذكر الموت أحببه الله» (٢١).

(٢١) بحار الأنوار ٧٥: ١٢٦.

٢٢ - وعنه عليه السلام عن الله عز وجل: «... وإنه ليتقرب [أي العبد] إلي بالنافلة حتى

(٢٢) بحار الأنوار ٧٥: ١٥٥.

أحبه...» (٢٢).

٢٣ - وسأله عليه السلام رجل فقال: «أحب أن أكون من أحب الله ورسوله. قال:

(٢٣) ميزان الحكمة ٢: ٢١٦.

أحب ما أحب الله ورسوله، وأبغض ما أبغض الله ورسوله» (٢٣).

٢٤ - وفي حديث له عليه السلام عن جبرئيل عن الله عز وجل قال: «ولا يزال عبدي

(٢٤) بحار الأنوار ٧٠: ١٦٦.

يبتهل إلي حتى أحبه، ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً وموئلاً» (٢٤).

٢٥ - وعنه عليه السلام في حديث المعراج: «يا محمد، وجبت محبتي للمحتاجين في،

(٢٥) بحار الأنوار: ٧٧: ٢١.

ووجبت محبتي للمتعاطفين في، ووجبت محبتي للمتواصلين في، ووجبت محبتي

للمتوكلين علي...» (٢٥).

٢٦ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تحبب إلى الله تعالى بالرغبة فيما لديه» (٢٦).

(٢٦) غرر الحكم ١: ٣١٢.

٢٧ - قال السجاد عليه السلام: «إن الله يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور» (٢٧).

(٢٧) الكافي ٢: ٩٩.

٢٨ - قال الباقر عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانتظر إلى قلبك، فإن كان يحب

(٢٨) بحار الأنوار ٦٩: ٢٤٧.

أهل طاعة الله عز وجل ويبغض أهل معصيته ففك خير والله يحبك، وإن كان يبغض أهل

طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك. والمرء مع من أحب» (٢٨).

٢٩ - وعن الصادق عليه السلام قال: «قال الله تبارك وتعالى: ما تحبب إلي عبدي بأحب مما

(٢٩) بحار الأنوار ٧١: ١٩٦.

افترضت عليه» (٢٩).

٣٠ - وعنه عليه السلام: «طلبت حب الله عز وجل فوجدته في بغض أهل المعاصي» (٣٠).

(٣٠) ميزان الحكمة ٢: ٢١٦.

٣١ - وعنه عليه السلام: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال والتجمل، ويكره البؤس

والتبؤس. فإن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى عليه أثرها. قيل:

وكيف ذلك؟ قال: يتغلف ثوبه، ويُطيب ريحه، ويحسن داره، ويكنس أفنيته. حتى إن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق» (٣١).

(٣١) بحار الأنوار ٧٦: ١٤٦.

٣٢ - ومن حديث له عليه السلام: «من سرّه أن يعلم أن الله يحبّه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا. ألم يستمع قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾...؟» (٣٢).

(٣٢) بحار الأنوار ٧٨: ٢٢٤.

أحبّ العباد وأعمالهم إلى الله:

٣٣ - قال رسول الله ﷺ: «أحبّ عباد الله إلى الله جلّ جلاله أنفعهم لعباده، وأقومهم بحقه، الذين يحبّ إليهم المعروف وفعاله» (٣٣).

(٣٣) بحار الأنوار ٧٧: ١٥٢.

٣٤ - وعنه عليه السلام: «يقول الله تعالى: إن أحبّ العباد إليّ المتحابون بجلالي، المتعلّقة قلوبهم بالمساجد، المستغفرون بالأسفار. أولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم» (٣٤).

(٣٤) بحار الأنوار ٨٣: ٣٧٠.

٣٥ - وفي حديث له عليه السلام: «إن أحبّكم إلى الله جلّ ثناؤه أكثركم ذكراً له...» (٣٥).

(٣٥) بحار الأنوار ٧٧: ٨٦.

٣٦ - وعنه عليه السلام: «الخلق عيال الله، فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله، وأدخل على أهل بيت سروراً» (٣٦).

(٣٦) الكافي ٢: ١٦٤.

٣٧ - وعنه عليه السلام: «أحبّ المؤمنين إلى الله من نصب نفسه في طاعة الله، ونصح لأمة نبيه، وتفكر في عيوبه، وأبصر وعقل وعمل» (٣٧).

(٣٧) ميزان الحكمة ٢: ٢١٩.

٣٨ - وعنه عليه السلام من حديث له عن الله عز وجل: «... وما تقرب إلي عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه...» (٣٨).

(٣٨) بحار الأنوار ٧٥: ١٥٥.

٣٩ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض الدعاء» (٣٩).

(٣٩) بحار الأنوار ٩٣: ٢٩٥.

٤٠ - ومن خطبة له عليه السلام: «وأحبّ العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتض لأثره» (٤٠).

(٤٠) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٩.

٤١ - وعنه عليه السلام: «ما من عمل أحبّ إلى الله تعالى من ضرّ يكشفه رجل عن رجل» (٤١).

(٤١) غرر الحكم ٢: ٢٧٥.

٤٢ - ومن خطبة له عليه السلام: «عباد الله، إن من أحبّ عباد الله إليه عبد أعان الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلّبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه...» (٤٢).

(٤٢) نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

- ٤٣ - قال الصادق عليه السلام: «من أحب الأعمال إلى الله زيارة قبر الحسين عليه السلام» (٤٣).
 ٤٤ - وعنه عليه السلام: «ألا وإن أحب المؤمنين إلى الله من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه، ومن أعان ونفع ودفع المكروه عن المؤمنين» (٤٤).
 ٤٥ - وعنه عليه السلام: «أحب العباد إلى الله عز وجل رجل صدوق في حديثه، محافظ على صلواته وما افترض الله عليه مع أدائه الأمانة» (٤٥).
 ٤٦ - وعنه عليه السلام: «قال الله عز وجل: الخلق عيالي، فأحبهم إليّ أطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم» (٤٦).
 ٤٧ - وعنه عليه السلام: «من أحب الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن: إشباع جوعته، أو تنفيس كربته، أو قضاء دينه» (٤٧).
 ٤٨ - بحار الأنوار ١٠١: ٤٩.

(٤٤) بحار الأنوار ٧٨: ٢٦٠.

(٤٥) بحار الأنوار ٨٣: ١١.

(٤٦) الكافي ٢: ١٩٩.

(٤٧) بحار الأنوار ٧٤: ٢٩٧.

ثمار حبّ الله لعبده

- ٤٨ - من حديث لرسول الله ﷺ عن الله عز وجل: «إذا أحببت [أي العبد] كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطلن بها. إن دعاني أجبت، وإن سألني أعطيت»... (٤٨).
 ٤٩ - وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً من أمتي قذف في قلوب أصفيناه وأرواح ملائكته وسكان عرشه محبته ليحبوه، فذلك المحب حقاً طوبى له ثم طوبى له، وله عند الله شفاعة يوم القيامة» (٤٩).
 ٥٠ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً ألهمه حسن العباد» (٥٠).
 ٥١ - وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله سبحانه عبداً حبب إليه الأمانة» (٥١).
 ٥٢ - وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً ألهمه الصدق» (٥٢).
 ٥٣ - وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً زينته بالسكينة والحلم» (٥٣).
 ٥٤ - وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً ألهمه رشده ووفقه لطاعته» (٥٤).
 ٥٥ - وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً خطر عليه العلم» (٥٥).
 ٥٦ - وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً بغض إليه المال وقصر منه الآمال» (٥٦).
 ٥٧ - وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً رزقه قلباً سليماً وخلقاً قويمًا» (٥٧).
 ٥٨ - وعنه عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً وعظه بالعبر» (٥٨).
 ٥٩ - بحار الأنوار ٧٠: ٢٤.

(٥٠) غرر الحكم ١: ٢٧٩.

(٥١) غرر الحكم ١: ٢٨٠.

(٥٢) غرر الحكم ١: ٢٨٢.

(٥٣) غرر الحكم ١: ٢٨٢.

(٥٤) غرر الحكم ١: ٢٨٩.

(٥٥) غرر الحكم ١: ٢٨٢.

(٥٦) غرر الحكم ١: ٢٨٣.

(٥٧) غرر الحكم ١: ٢٨٣.

(٥٨) غرر الحكم ١: ٢٧٨.

٥٩ - قال الصادق عليه السلام: «إذا أحب الله عبداً ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه في الدين وقواه باليقين، فاكتفى بالكفاف واكتسب بالعفاف، وإذا أبغض الله عبداً حبب إليه المال، وبسط له وألهمه دنياه ووكله إلى هواه، فركب العناد وبسط الفساد وظلم العباد» (٥٩).

(٥٩) بحار الأنوار ١٠٣: ٢٦.

فضل الحب في الله

٦٠ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله تعالى» (٦٠).

(٦٠) ميزان الحكمة ٢: ٢٣٣.

٦١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الموثة في الله أكد من وشيخ الرحم» (٦١).

(٦١) غرر الحكم ١: ٧٦.

٦٢ - قال السجاد عليه السلام: «إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين قام متاب فتادى يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله؟ فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب. فتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب. فيقولون: فأني ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله. فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله. فيقولون: نعم أجر العاملين» (٦٢).

(٦٢) الكافي ٣: ١٢٦.

٦٣ - قال الباقر عليه السلام: «لو أن رجلاً أحب رجلاً لله لأثابه الله على حبه إياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أن رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إياه وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة» (٦٣).

(٦٣) الكافي ٢: ١٢٧.

٦٤ - قال الصادق عليه السلام: «ما التقى مؤمنان قط إلا كان أحدهما أشدهما حباً لأخيه» (٦٤).

(٦٤) بحار الأنوار ٧٤: ٣٩٨.

٦٥ - وعنه عليه السلام: «من فضل الرجل عند الله محبته لإخوانه، ومن عرفه الله محبة إخوانه فقد أحبه الله، ومن أحبه الله أوفاه أجره يوم القيامة» (٦٥).

(٦٥) بحار الأنوار ٧٤: ٣٩٧.

٦٦ - وعنه عليه السلام: «كل من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له» (٦٦).

(٦٦) الكافي ٢: ١٢٧.

ما يورث محبة الناس

٦٧ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الهدية تورث الموثة» (٦٧).

(٦٧) بحار الأنوار ٧٧: ١٦٦.

٦٨ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثلاثة يوجبن المحبة: حسن الخلق، وحسن الرفق،

والتواضع» (٦٨).

(٦٨) غرر الحكم ١: ٢٢٦.

٦٩ - وعنه عليه السلام: «ثلاثة يوجبن المحبة: الدين والتواضع والسخاء» (٦٩).

(٦٩) غرر الحكم ١: ٢٢٦.

٧٠ - وعنه عليه السلام: «بالتؤد تكون المحبة» (٧٠).

(٧٠) غرر الحكم ١: ٢٩١.

٧١ - وعنه عليه السلام: «ما استجلبت المحبة بمثل السخاء والرفق وحسن الخلق» (٧١).

(٧١) غرر الحكم ٢: ٢٦٥.

٧٢ - وعنه عليه السلام: «النصح يثمر المحبة» (٧٢).

(٧٢) غرر الحكم ١: ٣٤.

٧٣ - وعنه عليه السلام: «من حسن ظنه بالناس حاز منهم المحبة» (٧٣).

(٧٣) غرر الحكم ٢: ٢١٧.

٧٤ - وعنه عليه السلام: «يكتسب الصادق بصدقه ثلاثاً: حسن الثقة [به]، والمحبة له،

والمهابة منه» (٧٤).

(٧٤) غرر الحكم ٢: ٣٨٨.

٧٥ - وعنه عليه السلام: «حسن الصحبة يزيد في محبة القلوب» (٧٥).

(٧٥) غرر الحكم ١: ٣٣٧.

٧٦ - وعنه عليه السلام: «طلاقة الوجه بالبشر، والعطية وفعل البر، وبذل التحيّة

(*) داع إلى محبة البرية» (٧٦).

صوابها «داعية».

٧٧ - وعنه عليه السلام: «من لانت عريكته وجبت محبته» (٧٧).

(٧٦) غرر الحكم ٢: ١٣.

٧٨ - وعنه عليه السلام: «من تألف الناس أحبّوه» (٧٨).

(٧٧) غرر الحكم ٢: ١٧٥.

(٧٨) غرر الحكم ٢: ١٦١.

٧٩ - وعنه عليه السلام: «عود لسانك لين الكلام وبذل السلام يكثر محبوك ويقلّ

مبغضوك» (٧٩).

(٧٩) غرر الحكم ٢: ٣٣.

٨٠ - وعنه عليه السلام: «تحتب إلى الناس بالزهد فيما بين أيديهم تفرّ بالمحبة منهم» (٨٠).

(٨٠) غرر الحكم ١: ٣١٢.

٨١ - قال الباقر عليه السلام في حديث له: «البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة

للمحبة...» (٨١).

(٨١) ميزان الحكمة ٢: ٢٠٥.

٨٢ - قال الصادق عليه السلام: «ثلاثة تورث المحبة: الدين والتواضع والبذل» (٨٢).

(٨٢) بحار الأنوار ٧٨: ٢٢٩.

٨٣ - وعنه عليه السلام: «رحم الله عبداً اجتزّ مؤدة الناس إلى نفسه فحدثهم بما يعرفون

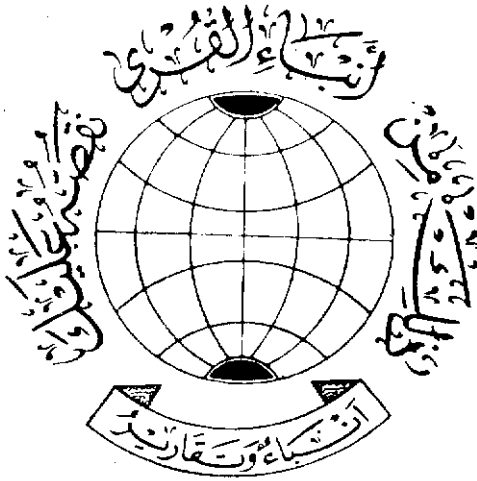
وترك ما ينكرون» (٨٣).

(٨٣) ميزان الحكمة ٢: ٢٠٦.

٨٤ - وعنه عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا. تهادوا فإتّها تذهب

بالضغائن» (٨٤).

(٨٤) الكافي ٥: ١٤٤.



من أجداء الغرب

نأخذ نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليه السلام) في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير.

■ الجمهورية الإسلامية

سياسة الفوس الأميركي

تجاه إيران الاسلام



إن إيران الإسلام تنفرد وحدها اليوم خلافاً لما هو مألوف في العالم بالتصدي لمطامع الاستكبار، وإن سياسة الجمهورية الإسلامية هذه واجهت منذ انتصار الثورة الإسلامية موقفاً عدوانياً من قبل الولايات المتحدة الأميركية، مما دعاها للتركيز على الاستقلال السياسي والاقتصادي واعتبار ذلك من الأولويات؛ لذا كانت هذه المواجهة الشاملة تتطلب

من الجمهورية الإسلامية وقيادتها أن توضع برنامجاً اقتصادياً، يقوم على قاعدة إلغاء كل الوان الارتباط والتبعية للأجنبي، والتخطيط لعملية تنموية مكثفة تعتمد على الامكانيات الذاتية للبلد. وقد سعت إيران الإسلام بعد نهاية الحرب المفروضة إلى التسريع ببرنامج التنمية الاقتصادية، إلى جانب تعزيز التعاون مع الدول الإسلامية وباقي دول العالم الثالث من أجل الوقوف بوجه الهيمنة الأجنبية أولاً، والاستغناء عن الخبرات الأجنبية ثانياً؛ لذا فقد سعت

الشيوخ؛ ويلزم قانون «داماتو» رئيس الولايات المتحدة بفرض عقوبتين يختارهما من لائحة تتضمن ستة بنود، ضد كل شركة أجنبية تستثمر على الأقل ٤٠ مليون دولار خلال فترة عام واحد في قطاعي النفط والغاز في الجمهورية الإسلامية في إيران وليبيا. علماً أن مجلس النواب الأميركي أقر بالإجماع قانون «داماتو» بعد اسبوع واحد من مصادقة مجلس الشيوخ عليه.

إن مثل هذه العقوبات تتنافى ومبدأ التجارة الحرة، فإذا فرضنا أن من حق أميركا منع شركاتها من التعامل مع هذه الدولة أو تلك، فهل يحق لها إملاء أوامرها على الشركات الأجنبية التابعة للدول المستقلة الأخرى؟

ردود الفعل العالمية

إن محاولة أميركا الانفراد في تقرير العلاقات التجارية العالمية أثارت ردود فعل سلبية من قبل الكثير من دول العالم؛ بسبب أن إقرار قانون «داماتو» جاء في أجواء يسودها التوتر بين الولايات المتحدة من جهة وبين حلفائها الغربيين من جهة أخرى، وذلك بعد فرض قانون «هيلمز - برورتون» الموجه ضد كوبا؛

واشنطن بعد إحساسها بخطر سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية هذه أن تضع العراقيل أمام التطور الاقتصادي فيها، فأعلنت حربها الاقتصادية ضدها.

إن توالي الإجراءات الأميركية القاصدة إلى فرض حصار اقتصادي مشدد ضد إيران الإسلام، ما هو في الحقيقة إلا دلائل واضحة على مخاوف البيت الأبيض من تزايد قدرة الجمهورية الإسلامية على مختلف الأصعدة، ولا سيما على صعيد التحرر الاقتصادي، وكلما حققت إيران الإسلام خطوة ملموسة في طريق سياسة الاكتفاء الذاتي، صعدت الولايات المتحدة الأميركية من سياستها العدوانية؛ وقد كان من سلسلة الإجراءات التي اتخذتها أميركا ضد الجمهورية الإسلامية تحت ذريعة أنها داعمة وممولة للإرهاب الدولي، ومعارضة لمسيرة السلام في الشرق الأوسط، أن وقع الرئيس الأميركي على ما اصطلح على تسميته بقانون (داماتو)، وهو القانون الذي وضعه عضو مجلس الشيوخ لولاية نيويورك الفونسو داماتو المعروف بميوله اليهودية الليكودية، ونسب القانون إليه بعدما نال موافقة مجلس

لذلك فقد لاقى القانون الجديد ضد ايران وليبيا معارضة قوية من قبل مختلف دول العالم، حيث شجبت دول اوربية وآسيوية طبيعة القانون الاميركي الذي يفرض قانون دولة على دول اخرى، وجاءت اقوى ردود الفعل من قبل دول المجموعة الاوربية؛ فقد أعلن الاتحاد الاوربي على لسان رئيس المفوضية «جاك سانثير» أن الاتحاد سيتحدى القانون الاميركي تهدياً جاداً، إذا لم تكف أميركا عن سياستها المضادة لمصالح أوربا؛ لأن الأخيرة بحكم برامجها الاقتصادية الضخمة لا يمكنها أن تتحمل في الوقت الراهن أزمة نفطية تنتج عن تقليص استثماراتها في إيران وليبيا.

علماً أن الاتحاد الأوربي له علاقات اقتصادية واسعة مع الجمهورية الاسلامية الايرانية؛ لذا فإنه دعا أميركا إلى إجراء دراسة جديدة للنتائج والآثار المترتبة على تنفيذ هذا القانون على نظام التجارة العالمية، وعليه فمن المتعذر السكوت أو اتخاذ موقف مرن حيال اجراءات اميركا العدوانية.

كما رفضت فرنسا وعلى لسان وزير خارجيتها الانصياع للعقوبات الاميركية ضد الجمهورية الاسلامية

الايرانية، مؤكداً أن أوربا وفرنسا خاصة لن تتراجعا أمام التحرك الاميركي الفردي ضد الجمهورية الاسلامية الايرانية. وأضاف: «إن سياسة فرض العزلة على دولة كإيران ذات الأهمية الاستراتيجية ليست سياسة حكيمة، وإن مثل هذا القرار الفردي لا تتحمل تبعاته غير تلك الدولة؛ لذا فإن فرنسا لن تتراجع بهذا الشأن».

واعتبرت الصين أن واشنطن تمارس سياسة فرض القوة، وكتبت صحيفة «الشعب» الصينية في تعليق لها على هذا القانون: «هذه قضية أخرى تشير إلى ممارسة الولايات المتحدة سياسات القوة».

أما اليابان فقد عبرت هي الأخرى عن قلقها أيضاً من إقرار قانون «داماتو»، وقال المتحدث باسم الخارجية اليابانية: «من المؤسف أن الولايات المتحدة وقعت قانوناً يفرض تشريعات خارج أراضيها؛ أضف إلى ذلك أنه قد يتعارض مع اتفاق منظمة التجارة العالمية».

كما جاء تأكيد ماليزيا على لسان رئيس الوزراء لعلاقات بلاده المتطورة مع الجمهورية الاسلامية الايرانية، وأنها لن تتعاون مع أميركا على تنفيذ قانون

واليوم أصبح واضحاً أن ثقل إيران

الإسلام السياسي والاقتصادي قد تحول إلى حقيقة ملموسة في الحسابات الدولية والعلاقات القائمة؛ وفي إطار ذلك ترى الجمهورية الإسلامية الإيرانية من جانبها أن تعزيز موقعها السياسي والاقتصادي الذي تطمح إليه يمكن أن يبرز من خلال تبادل الخبرات الفنية بينها وبين محيطها الإقليمي الآسيوي، وتنشيط التبادل التجاري بعيداً عن هيمنة واشنطن وابتزازها السياسي.

فعلى الصعيد الآسيوي انبثقت منظمة التعاون الاقتصادي «أكو»، وانضمت إليها عشر دول هي الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتركيا وباكستان وأفغانستان، وست دول من الجمهوريات المسلمة التي استقلت عن الاتحاد السوفياتي السابق؛ وجاء الإنجاز الإيراني الكبير بإحياء طريق الحرير القديم من خلال ربط شبكة خطوط سكك الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي تصل إلى ميناء بندر عباس الذي يطل على الخليج الفارسي من الجنوب، مع شبكة خطوط سكك آسيا الوسطى التي تربط بدورها الصين بأوروبا وقد جاء هذا الإنجاز ليترجم

داماتو.

كما نددت سلطنة عمان بالقانون الأميركي؛ فقد جاء على لسان وزير الدولة للشؤون الخارجية تأكيد بلاده التمسك بالاتفاقيات الاقتصادية والتجارية مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

إن سياسة الضغط الاقتصادي والمقاطعة الاقتصادية لن تؤدي إلى تراجع إيران الإسلام عن مواقفها المبدئية الثابتة، وعن خطها السياسي الواضح في مجابهة الاستكبار العالمي ومناصرة المستضعفين في العالم.

واليوم نرى حقيقة الجمهورية الإسلامية في إيران قد اتضحت للعالم كله؛ فدول العالم وشعوبها ووسائل الاعلام فيها قد أخذت تندد بصوت واحد بالنزعة السلطوية الأميركية؛ لأنها ترى عدوان أميركا على القواعد والأصول الدولية.

وبات واضحاً أن ما أرادته الولايات المتحدة لم يتحقق، ولم يكن بداً أن ينعكس ذلك على العلاقات الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، سواء على صعيد دول العالم الثالث أو على صعيد الدول الأوروبية وروسيا واليابان.

عملياً طموح ايران الاسلامية في خلق
تكتل اقتصادي آسيوي مبني على روح
التعاون والثقة، يمهد لمزيد من التعاون
بين دول المنطقة ويدفع بأوضاعها
الاقتصادية نحو النمو المطرد، في حين
وجدت الولايات المتحدة الاميركية
نفسها فاشلة وذليلة امام هبة
الجمهورية الاسلامية الايرانية على
المستوى الاقليمي والعالمي وفي كافة
المجالات.

إن ما يعزز دور الجمهورية
الاسلامية الايرانية في إقامة تعاون مع
محيطها الاقليمي، هو أنها تتمتع بثقل لا
يمكن تجاهله على صعيد المنطقة،
مضافاً إلى أنها دولة ذات إمكانات هائلة
وخبرات مهمة؛ وما حققته من مشاريع
اقتصادية واستراتيجية كان دليلاً عملياً
على نجاح برنامجها التنموي، الذي
جعلها قادرة أيضاً على نقل تجاربها
 وخبراتها في المجالات الاقتصادية
 المتنوعة إلى جميع الدول التي ترتبط
 معها بعلاقات تعاون.

لقد أكدت المشاريع الاقتصادية التي
تنفذها الجمهورية الاسلامية الايرانية
في اكثر من دولة آسيوية، وفي مقدمتها
باكستان، إصرار سياستها على خلق

البديل المناسب للعلاقات الاقتصادية
غير المتكافئة مع القوى الدولية
المهيمنة؛ وعلى هذا الاساس نرى دولاً
افريقية كثيرة قد وثقت علاقاتها
السياسية والاقتصادية معها.

ومن المؤكد أن تطوّر الصراع
الاميركي - الإيراني إلى المستوى الذي
وصل اليه حالياً كان بسبب اصرار ايران
الاسلامية على التمسك باستقلالها
وتحررها، وهو حق لها مشروع لا ريب
قبالة سعي اميركي لإحباط تجربة
التحرر الاسلامي في ايران؛ ولذا شهد
الصراع بروز مناهجين مختلفين
ومتناقضين كلياً؛ ففي حين تسعى
السياسة الاميركية إلى محاصرة
الجمهورية الاسلامية الايرانية، بادرت
الاخيرة إلى توسيع قاعدة تعاونها مع
الدول، ومن الطبيعي أن تحظى الدول
التي تحترم استقلالها بأولوية خاصة.

واخيراً نقول: إن (داماتو) سيكون
نقطة البداية لعلاقات دولية جديدة، كما
سيؤدي ذلك إلى فشل السياسة الأحادية
التي تحاول الولايات المتحدة الاميركية
فرضها على العالم.

السلوك والسيرة له.

ومن المعروف أن هذا الإرهابي أصدر قبل ثلاث سنوات كتاباً تحت عنوان «إسرائيل والعالم»، يتحدث فيه ويؤكد أن إسرائيل هي البلد الوحيد الذي يطبق الديمقراطية على مستوى العالم أجمع. كما دعا فيه إلى تطبيق السلام مع العرب بالردع؛ بزعم أن العالم العربي لا ينوي تطبيق الديمقراطية، وأنه يرفض بدء عملية حقيقية لاضفاء الطابع الديمقراطي على أنظمتهم.

إن مثل هذه الفكرة والنظرة كانت ولا زالت لدى هذا الإرهابي الذي تشرب الأفكار الصهيونية منذ الصغر، على يد والده «بن صهيون نتن ياهو» البولندي الذي هاجر إلى فلسطين عام ١٩٢٠م، واستقر في تل أبيب، وأصبح الأب بن صهيون عضواً ناشطاً في مجموعة «جابو تنكي» الصهيونية التي انشقت عن الحركة الصهيونية الأم، واتخذت خطأ صهيونياً أكثر تزمناً وتطرفاً ففي عام ١٩٤٩م وفي مثل هذه الأجواء التي تفوح تطرفاً وعنصرية ولد وترعرع «نتن ياهو» في تل أبيب، وفي الرابعة عشر من عمره التحق بأبيه في اميركا، وبعد بضع سنين رجع إلى إسرائيل لينشئ مركزاً

■ فلسطين

«نتن ياهو» سياسة تكريس

الانهازم والاستسلام العربي

لقد وصلت رسائل التهريب والترغيب الأميركية لمصر قبل أن يصل إليها الإرهابي نتن ياهو، وكانت إحدى هذه الرسائل هي ورقة المساعدات الأميركية الموعودة بها مصر من أجل ألا يفكر المسؤولون في هذا البلد بشيء يعكر صفو زيارة المسؤول الصهيوني، علماً أنه يحمل معه جميع شروط واقتراحات الحكومة الليكودية، مسندة بالموافقة الأميركية ودعم البيت الأبيض اللامحدود.

وقد تأكد للجميع أن الإرهابي نتن ياهو جاء بشروطه المعروفة مسبقاً وغادر مصر ولم يتنازل عن أي منها.

أما الحكومة المصرية فإن أول عمل قامت به هو نسف جميع مقررات القمة العربية الأخيرة التي كانت تدعو إلى توحيد الصف العربي ومواجهة إسرائيل كمثيلاتها السابقة.

ومن المعتقد أن العمل المقبل الذي ستقوم به هو الدفاع عن هذا الإرهابي، وقد تدعو الشعوب العربية عامة والحكومات خاصة لتقديم شهادة حسن

لدراسات الإرهاب عام ١٩٨٠م.

إن التعنّت الصهيوني والانحياز الاميركي المعهود ما كان لهما أن يتعاديا إلى هذا الحد، لولا هذا الضعف البادي لكل ذي بصيرة في الموقف العربي، هذا الضعف الذي ينخر في جسم المنطقة ويشجّع أعداء الأمة الإسلامية على كل هذا التماذي والتعنّت والتفرعن.

ولا يخفى أن سر هذا الوهن والضعف هو عدم تحكيم الإسلام والتزامه منهجاً متكاملأ في ادارة الامور، وكذلك الهوة السحيقة التي تفصل بين الانظمة العميلة وجماهير الأمة الإسلامية، كما أن أنظمة التطبيع تفتقر إلى الشرعية الحقيقية، والتسلط هو المنطق الوحيد المسيطر على العلاقة مع شعوبها؛ علماً أن الجماهير لم يؤخذ رأيها في أية قضية مصيرية كانت أو غير مصيرية، لذا لم تحظ العملية التساومية بأدنى دعم حقيقي من قبل جماهير الأمة العربية المسلمة؛ وأميركا والكيان الصهيوني الغاصب يعرفان هذه الحقيقة قبل حكام أنظمة التطبيع.

فماذا يتوقع الحكام العرب من حكومة نتن ياهو، هل يصار إلى إقامة

سلام شامل وعادل حسب مفهومهم؟

إنها التنازلات العربية واحدة تلو أخرى أمام التعنّت الصهيوني، وضياح الحق الاسلامي وانتهاك وتدنيس مقدسات المسلمين والمسيحيين على حد سواء في تلك البقعة المباركة من الأرض.

ومن جانب آخر اصبح واضحاً للجميع أن الأخطبوط الصهيوني تغفل في مراكز القرار السياسي الغربي، ففي هيكل الحكومة البريطانية الجديدة التي شكلها مؤخراً رئيس الوزراء جون ميجور، حاز اليهود أهم الوزارات وهي الداخلية والخارجية وشؤون الشرق الاوسط؛ وهذا يعني أن الصهاينة هم الحاكمون الفعليون في هذا البلد. وهكذا شأن اغلب الحكومات الأوروبية كهولندا وألمانيا وغيرها.

أما على صعيد الولايات المتحدة الاميركية فقد بدا هذا التغفل فاضحاً إلى درجة - أنك - تجد ستة من كبار مستشاري الرئيس الاميركي كلينتون هم من اليهود الصهاينة، علماً أن العدد الكلي لكبار المستشارين للرئيس هو ثمانية.

فمتى يعني الحكام العرب الحقيقة

تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ قائلًا: إن المتجهدين لا يقر لهم قرار وهم في فراشهم؛ لأن فيهم شوقاً للقاء الله والقيام بين يديه. واستشهد بكلمات لأمير المؤمنين علي عليه السلام، حينما ودع فيها فاطمة الزهراء عليها السلام بعد شهادتها والانتهاه من دفنها مخاطباً رسول الله ﷺ قائلًا: «السلام عليك يا رسول الله وعلى ابنتك النازلة في جوارك والسريعة للحقوق بك. قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورقّ عنها تجلدي، على أن لي بفادح مصيبتك موضع تعزٍّ؛ فقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين صديري ونحري نفسك» وهذا تأكيد من هذا المفسر الشهير أن النبي قضى نحبه وهو على صدر علي عليه السلام، حسب الروايات الموثقة الواردة عن اصحاب رضي الله عنهم والأئمة عليهم السلام، بخلاف آراء البعض الشاذة التي تدعي غير ذلك.

ثم أكمل الشيخ قول الإمام علي عليه السلام: «وستخبرك ابنتك عن حال أمتك وتظاferها على هضمها. هذا والعهد قريب ولم يخل منك الذكر».

ويعد هذا الاستشهاد الحق من قبل

وينتشلون أنفسهم من قاع بركة التساوم والذل.

■ مصر

سقام أهل البيت عليه السلام

لسان أحد علماء التفسير المصريين

يكن الشعب المصري المسلم مشاعر خاصة وصداقة لأهل البيت عليه السلام؛ ولا غرو أن تطالعا وسائل الإعلام بين الحين والآخر بتصريحات وآراء جديدة لعلماء الدين والمفكرين الاسلاميين في مصر، حول أحقية ومظلومية أهل البيت عليه السلام.

وليس من شك أن أهل البيت عليه السلام هم أفضل الخلق بعد النبي ﷺ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد قرن طاعته بطاعتهم ومحبه بمحبتهم، ولا أدل على ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حول منزلتهم ومودتهم.

وفي إحدى حلقات تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد متولي الشعراوي في مسجد الشيخ سليمان في الهرم (محافظة الجيزة)، التي تذييعها القناة الفضائية المصرية ظهر كل يوم جمعة، تحدث الشيخ عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في معرض تفسيره لقوله

الشيخ الشعراوي مفردة تضاف إلى أمثالها من آراء وشهادات علماء ومفكري مصر الاسلاميين لاسيما وأن الحركة الإسلامية في مصر تشهد تصاعداً ونمواً على كافة الأصعدة. وإن هكذا آراء وتصريحات لا تمر عابرة إلا أن تترك آثارها على مجمل التوجه الإسلامي الذي يعم الساحة المصرية، لاسيما وأن مثل هذه التصريحات تحمل بين طياتها بيان مظلومية الزهراء (عليها السلام) وأحقية أهل البيت (عليهم السلام) واتباعهم.

بعد ذلك أتى الشيخ الشعراوي في حديثه بموضع الشاهد من قول الامام (عليه السلام): «أما حزني فسرمد وأما ليلي ففسهه، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم. والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا ستم؛ فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين».

والمعروف أن المسلمين المصريين مع مثل هذه المفاهيم والآراء؛ لرسوخ حبيبهم لأهل بيت النبي (عليهم السلام) وأنسهم الاصيل بذكرهم وذكر فضائلهم.

احصائية جديدة من العالم الاسلامي

ذكر تقرير صادر عن المركز الدولي للدراسات السكانية بجامعة الازهر، أن

نصف سكان العالم الاسلامي يعيشون في سبع دول، والنصف الآخر موزعون في بلدان العالم.

والدول السبعة هي اندونيسيا (٢٠٠ مليون) وباكستان (١٣٠ مليوناً) وبنغلاديش (١١٢ مليوناً) ونيجريا (٩٠ مليوناً) وايران (٦٠ مليوناً) وتركيا (٥٩ مليوناً) ومصر (٥٢ مليوناً).

أما في الدول الأخرى فإن الهند فيها أكثر من ١٥٠ مليوناً من ٨٨٢ مليوناً عدد نفوسها في حين يبلغ عدد المسلمين في الصين ١٠٠ مليون من مجموع مليار نسمة عدد نفوسها، وفي الاتحاد السوفياتي السابق ٧٠ مليوناً.

علماً أن عدد المسلمين كان لا يتجاوز ٣٥٠ مليوناً في العام ١٩٢٥م، وقد تضاعف هذا العدد حتى بلغ ١٢٥٠ مليوناً في العام ١٩٩٢م، أي إن الرقم الأول بلغ زهاء ٤ أضعاف خلال ربع قرن من الزمن، ومن المنتظر أن يتضاعف هذا الرقم خلال الربع الأول من القرن القادم ليصل إلى ٢٥٠٠ مليون في العام ٢٠٢٠م، وهو أعلى معدل للتزايد في العالم حيث تصل نسبة التكاثر الإسلامي ٣٪.

وأكدت الدراسة أن دخول أفراد جدد

الخفاء، بل على العكس من ذلك إنهم بحاجة إلى الظهور علناً بعد أن انتشر المذهب الشيعي في جميع أنحاء مصر، وجذب إليه مواطنين من مختلف الفئات الاجتماعية».

وفي غياب إحصاء رسمي أو من هيئة مستقلة، يؤكد المتتبعون أن عدد الشيعة في مصر يناهز نصف مليون شخص.

ويتجمع الشيعة بشكل خاص كل يوم جمعة للصلاة في مسجد السيدة زينب عليها السلام، الذي أقيم تكريماً لابنة الامام علي عليه السلام وحفيدة الرسول ﷺ في وسط القاهرة، كما توجد أعداد كبيرة منهم في طنطا والمنصورة والزقازيق في الدلتا شمال العاصمة.

وهناك العديد من الشيعة المصريين كتبوا عن مذهب أهل البيت عليهم السلام والتشيع في مصر، وإن النشاطات التي يقوم بها أتباع أهل البيت عليهم السلام هناك يتم تمويلها من قبل أبناء المذهب أنفسهم.

استغلاله ضد أتباع أهل البيت عليهم السلام

ومع بروز هذه المطالبات وانتشار أفكار ومبادئ مدرسة أهل البيت عليهم السلام والمذهب الشيعي بين اوساط الشعب

إلى الاسلام بصورة منتظمة يؤدي إلى زيادة عدد المسلمين. واقترحت السعي لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية في العالم الاسلامي، وزيادة الرقعة الزراعية واعتماد التقنية في مجالات الزراعة والتجارة والصناعة والاقتصاد.

مصر وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

يوماً بعد يوم يمتد وينمو تيار أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مصر. هذا التحول يدعو إلى إيجاد وسيلة للتعبير عن آرائهم وبيان معتقداتهم والدفاع عنها، وفعلاً شرع المهتمون بهذا الامر بذلك، ولكنهم جوبهوا بتصدي السلطات لهم بحجة أنها تخشى من أن يؤدي ذلك إلى تقوية نفوذ الجمهورية الاسلامية الايرانية في البلاد.

وفي هذا الإطار تقدم الشيعة في مصر قبل عدة شهور بطلب للحصول من وزارة الشؤون الاجتماعية على ترخيص بإنشاء «المجلس الشيعي المصري»، الذي يؤمل أن يكون جمعية تعمل للحفاظ على مصالح الشيعة وتمثلهم أمام الهيئات الرسمية.

وقد علّق بعضهم على ذلك قائلاً: «إن الشيعة لم يعودوا بحاجة إلى العمل في

المصري قامت أجهزة الأمن المصرية بمهاجمة عدد كبير من المكتبات لمصادرة أي كتاب يتحدث عن المذهب الشيعي.

وفي هذا الاتجاه تم إلقاء القبض على عدد من الناشرين الذي قاموا بإصدار بعض هذه الكتب وللتصويه على هذه الممارسات وصيغها بصيغة أمنية بحتة ادعت وزارة الداخلية المصرية عن قيامها بضبط «تنظيم شيعي مصري».

وفي إطار هذه الحملة قامت الأجهزة الأمنية في مصر بإلقاء القبض على إمام مسجد «كوبري الجامعة» الشيخ حسن شحاتة، وكانت وزارة الداخلية قد أكدت سابقاً إلقاء القبض على «٥٦» شيعياً مصرياً في خمس محافظات مصرية، وقد ادعت مصادر دبلوماسية في العاصمة المصرية أن السبب الحقيقي وراء حملة الاعتقالات، هو انزعاج سفارة الكيان الصهيوني في القاهرة من الخطب المناوئة لإسرائيل التي يلقيها إمام جامع كوبري الجامعة الشيخ حسن شحاتة الذي يتبنى فكر أهل البيت (عليه السلام)، علماً أن الجامع هذا يقع قبالة مبنى السفارة الصهيونية ويرتاده المسلمون الشيعة.

ومما يذكر بهذا الصدد أن مجلة روز

اليوسف المصرية كشفت عن ملابسات الأزمة التي تفتعلها سلطات الأمن المصرية مع أبناء الطائفة الشيعية في مصر، وذلك من خلال لقاء أجرته المجلة مع الشيخ حسن شحاتة، حيث أدلى بأجوبة صريحة عن بعض الاستفهامات المطروحة حول سبب اعتقاله من قبل أجهزة الأمن المصرية، فقال: «إن سبب اعتقالي هو ليس فقط هجومي على إسرائيل والصهاينة، بل إن موقعي من الجماعات الصوفية والوهابية وتصريحاتي المكررة ضدهم وفضحي لأفكارهم المزيفة التي شوهوا بها الاسلام، كانت السبب الحقيقي وراء ما حدث ضدي».

وأضاف الشيخ شحاتة: «أن هذه الجماعات ليست إسلامية، وأن الأفضل أن نسميهم خوارج، وأنهم مرض أصاب المجتمع الإسلامي كالإيدز في اميركا والدول الغربية».

ولا يخفى أن هناك دولة خليجية وراء هذا التيار وهي تنفق أموالاً طائلة على انتشار أفكار هذه الجماعات، وقال الشيخ: «لقد صحبت هذه الجماعات الصوفية مدة عشرين عاماً، فلاحظت أنهم انقسموا في هذا العصر إلى فرق

من فضله لنصدقن ولكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴿ كذلك فإن القرآن حكم في الصحابة وأكد أن هناك من يخلف العهد منهم، كما أن منهم من يفي بالعهد ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن تكث فإنما ينكث على نفسه ﴿ إذن هناك من ينكث كما قال تعالى ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴿ وهذه الآية نزلت في أحد الصحابة ».

وأضاف الشيخ حسن شحاتة: «أن الأحاديث والروايات بحاجة إلى تنقيح، وهناك ميزان لذلك، فما وافق القرآن والعقل نقبله وما خالفه نرفضه».

■ العراق

استثمار المماناة

ارتفاع وفيات الاطفال، سوء التغذية، امراض مزمنة، تسول، تفشي الجرائم والسرقات، هجرة العقول العلمية... الخ، هذه هي حصيلة سنوات الحظر الست التي وضعت العراق، البلد النفطى الذي كان في أوج الازدهار، في مصاف الدول الأكثر فقراً في العالم.

وتقدم الأمم المتحدة وصفاً للوضع

متعددة، منهم من ادعى سقوط التكليف عنهم فتركوا الصلاة تحت ادعاء أنهم وصلوا إلى الله، وفرقة اخرى تفننت في سرقة الأموال من جيوب المريدين والأتباع، وفرقة ثالثة لا تعرف عن الصوفية إلا الطبل والمزمار. وهؤلاء لا يعرفون أدنى قواعد المنطق والحديث، وقد هاجموني في إحدى الصحف لأنني قلت: معاوية بن ابي سفيان لعنة الله عليه قد بغى على الحق وخرج على طاعة الامام علي عليه السلام وشنت شمل المسلمين وفرق كلمتهم، فأساس فرقة المسلمين الآن هو معاوية بن أبي سفيان».

وعندما سئل عن أن هذا الكلام يردده الشيعة أجاب: «نحن غرضنا هو الحق بغض النظر عن اي شيء، أو من يردد الكلام، ثم إن الشيعة يقولون لا إله إلا الله، فهل نمتنع عن قولها؟ وهل نمتنع عن الصلاة؟ ثم إن كلمة شيعة معناها خاصة الأحباب، وهناك آية في القرآن غفلوا عنها تقول: ﴿ وإن من شيعته لإبراهيم ﴾ ». وفي معرض اجابته عن سؤال حول الصحابة قال: «إن الصحابة ليس كلهم عدولاً، فمن الصحابة من أخطأ»، واستشهد بآية من سورة التوبة على ذلك: ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا

الانساني في العراق على قدر كبير من الدلالة؛ فال تقرير المقارن بين الوضع عام ١٩٩٠م والفصل الاول من عام ١٩٩٦م، الذي نشره مؤخراً مكتب تنسيق الأنشطة الانسانية التابع للأمم المتحدة، يتحدث عن وضع مقلق يتدهور باطراد على الرغم من المساعدات الانسانية الدولية التي بلغت مجملها أكثر من مليار دولار.

فخلال ست سنوات تضاعف معدل الوفيات بين الأطفال في بغداد، وارتفع من ٨٠ إلى ١٦١ من كل ألف مولود.

ويذكر التقرير نفسه أنه في منطقة بغداد وحدها يعاني ٦٠٪ من الأطفال من سوء التغذية بدرجات مختلفة، كما ظهر مرض القزامة، إضافة إلى أن ٧٠٪ من الحوامل أو الامهات حديثات الولادة مصابات بفقر الدم.

ويضيف التقرير أن طاقة المستشفيات العلاجية انخفضت إلى ٤١٪ عما كانت عليه قبل الحظر، وهي تفتقر إلى كل شيء من تجهيزات وأدوية لاسيما تلك المخصصة للمصابين بالسكري وارتفاع الضغط والسرطان والاضطرابات القلبية، وغالباً ما تجري العمليات الجراحية من دون تخدير.

وأما في مجال النظافة فإن هناك ٤٤٪ فقط من السكان في المناطق الريفية تصلهم المياه الصالحة للشرب، وإن مياه الصرف تصب مباشرة في الأنهار.

وتقول منظمة الصحة العالمية إن عدد حالات الإصابة بالمalaria في مناطق شمال العراق وحدها ارتفع من ٣٠٨٠ حالة عام ١٩٩١م، إلى ٦٠٠٠٠ حالة عام ١٩٩٥م.

وأدى نقص التجهيزات والمبيدات الحشرية إلى انخفاض الإنتاج الزراعي بنسبة ٥٠٪ في بعض المناطق.

ويعاني نظام التعليم نقصاً في التجهيزات الضرورية لتأهيل المعلمين، وإن معدل الاقبال على التعليم الابتدائي لا يتجاوز حالياً ٤٢٪ استناداً إلى التقرير.

ويعزو مسؤول في منظمة اليونيسيف هذا الوضع المنذر بالخطر إلى اختفاء الموارد التي يشكل النفط ٩٥٪ منها؛ وأشار إلى أن الوضع أخطر أيضاً في قطاع الخدمات العامة، وأوضح أن ميزانية وزارة الصحة انخفضت إلى ما بين خمسة وعشرة في المئة مما كانت عليه قبل الحظر.

التقرير الخاص الذي رفعه إلى اجتماع الدورة الاولى لمجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية، الذي أنهى أعماله مؤخراً في مقر الأمم المتحدة في فينيا، أن الافتراض الذي يشير إلى مقدرة العراق على إنتاج وتصنيع الأسلحة النووية هو السبب الأساسي لمواصلة تنفيذ وتطوير خطة الوكالة للرصد، واستقصاء الحقائق النووية استقصاء مستمراً في العراق.

ويسرد تقرير المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية مفصلاً تطبيق قرارات مجلس الأمن ٦٨٧ و ٧٠٧ و ٧١٥ بشأن العراق، والأنشطة المختلفة التي قام بها فريق التفتيش الدولي التابع للوكالة في بغداد طوال العام ١٩٩٥م، وحتى الثامن من شهر اذار ١٩٩٦م.

ولم تعثر الوكالة منذ صدور التقرير الأخير على حالات تفيد بوجود أنشطة أو معدات أو مواد تحظرها تلك القرارات في العراق، في الوقت الذي يدعي فيه العراق أن لدى رئيس لجنة الأمم المتحدة الخاصة بنزع أسلحة الدمار الشامل العراقية (يونيسكوم) شكوكاً حول اسلحة وصواريخ العراق ووثائقه المتعلقة ببرنامجه التسليحي والحقيقية

وأكد ممثل اليونيسيف أن استمرار هذا الوضع سيكون له اثر تراكمي يندرج بالتسبب في أضرار دائمة للفئة الأضعف من السكان وهي الاطفال. لكن مسؤولي منظمات غير حكومية يتحدثون بصراحة عن «ضياع جيل كامل بسبب الحظر»، علماً أن العراق يملك أكبر الاحتياطات النفطية في العالم بعد المملكة العربية السعودية.

تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية

على صعيد آخر فإن الخلاف بين بغداد والأمم المتحدة حول الاسلحة النووية لا يزال قائماً، فقد واصلت الوكالة الدولية للطاقة الذرية عملها من أجل تنفيذ خطتها للرصد والتحقق المستمرين لامتثال العراق لتعهداته بموجب قرارات مجلس الأمن.

وأكد الدكتور هانز بليكس المدير العام للوكالة أن العراق ما يزال يحتفظ بالقدرات العلمية والتقنية لإنتاج مواد تصلح للاستخدام في الاسلحة النووية، بالإضافة إلى تصميم نظام القذائف الصاروخية البعيدة المدى وإنتاجها وتطبيقها.

وأوضح الدكتور هانز بليكس في

أن رولف إيكبوس ليس عنده أدنى شك، بل إنه متيقن أن العراق لا زال يملك صواريخ بعيدة المدى يمكن تزويدها برؤوس كيميائية وجرثومية.

حكم كردستان العراق والمعادلات السياسية

لمعرفة واقع ما جرى ويجري في كردستان العراق لابد أن نتساءل عن الأسباب الحقيقية التي دفعت بالنظام الحاكم في بغداد، إلى أن يزج بأكثر من خمسة وأربعين ألفاً من مرتزقته وجيشه معززين بأسلحة الدمار والموت؛ ليهاجموا مدينة أربيل.

وما هي أهداف هذا الهجوم الوحشي الذي تم خلاله إعدام الأبرياء وإحراق البيوت والمحلات؟ ولم تنته المأساة الفاجعة عند هذا الحد، وإنما عمدت الولايات المتحدة الأميركية إلى قصف مدن البصرة والناصرية وبغداد ومناطق أخرى بصواريخ بعيدة المدى، وقد جاء هذا القصف رداً على الهجمة الصدامية في شمال العراق حسب ادعاء وزارتي الدفاع والخارجية في واشنطن.

ولكن اللافت للنظر إلى حد التعجب أن القصف الأميركي طال مناطق جنوبية لا علاقة لها أصلاً بتطور الأحداث،

بالإضافة إلى أن أكثر من علامة سؤال تطرح بشأن السر الكبير وراء إحجام الإدارة الأميركية، التي تدعي الدفاع عن قرارات الأمم المتحدة، عن توجيه ضربة عسكرية إلى الحشود الصدامية قبل هجومها على مدينة أربيل، أو قيامها بتحذير القوات العراقية من مغبة التحشد على الحدود للمنطقة الآمنة في الشمال أو الهجوم عليها، لاسيما وأن الجهات العسكرية والمخابراتية والدبلوماسية الأميركية كانت مسبقاً على علم واطلاع تامين بهذا التحشد والهجوم الصداميين.

وإذا تفحصنا ودققنا جيداً نجد أن هناك معادلة رياضية سياسية، طرفاها أميركا من جهة والنظام الحاكم في بغداد من جهة أخرى، وأن هذه المعادلة تسير وفق منهج وزمن محددين لها من قبل الولايات المتحدة الأميركية.

وقد جاء تدخل القوات العراقية في اجتياح أربيل بخضوع أخضر من قبل أميركا لتحقيق مايلي:

١ - إعادة المنطقة الشمالية برمتها إلى سيطرة حكومة بغداد.

٢ - إضعاف جناح مهم من أجنحة المعارضة الكردية وهو الاتحاد الوطني

من أميركا المحور الأساسي الذي يمسك بخيوط الحركة والقرار في المنطقة، ويحد من النفوذ السياسي للجمهورية الإسلامية الإيرانية والقوى والحركات المنسقة معها أو الموالية لها كالحركات والقوى الإسلامية، ولا سيما بعد أن أصبح لإيران الإسلامية شعبية واسعة في كردستان العراق، بحيث راح أبناء المنطقة يرون فيها سنداً حقيقياً لهم ولمظلوميتهم من منطلق الرؤية الإسلامية المبدئية التي تتعامل بها هذا من جهة، ومن جهة أخرى سعت أميركا من خلال ما جرى في كردستان العراق إلى تضييف فاعلية اللجنة الثلاثية المكونة من دول الجوار لكردستان العراق (الجمهورية الإسلامية الإيرانية وسوريا وتركيا)، وتقوية موقع تركيا باعتبارها سنداً أميركياً في تنفيذ سياساتها المرسومة في المنطقة.

٣ - كسب سياسي بالدرجة الأولى ولا سيما أن أميركا كانت مقبلة على الانتخابات الرئاسية، وهذا مما عزز موقف الرئيس الأميركي كلينتون داخل المجتمع الأميركي. وإلا فكيف يفسر رد الفعل الأميركي ضد حكومة بغداد بعد ثلاثة أيام من اجتياح مدينة أربيل؟

على يد الحزب الديمقراطي، ومن ثم يكون القضاء على هذا الأخير مستقبلاً أمراً ليس بالصعب.

٣ - القضاء على المعارضة العراقية الموجودة في أربيل، مثل: المؤتمر الوطني والوفاق الوطني والحركات الإسلامية الأخرى، ولا سيما بعد تنامي قوة الأخيرة سياسياً وعسكرياً في كردستان العراق.

٤ - عملية الاجتياح ستكون سبباً في سيطرة بغداد على كامل عملية تصدير النفط، ومن ثم ستمكن من فرض شروطها على توزيع الغذاء الوارد مقابل النفط في كردستان العراق وتوطيد نفوذها في هذه المنطقة.

وقد سعى النظام في بغداد إلى تحقيق جميع هذه الأهداف خلال ثلاثة أيام، أما الطرف المقابل أميركا فكان هدفها مايلي:

١ - تثبيت وجودها العسكري في المنطقة واتخاذ تدخل القوات العراقية ذريعة لذلك، وإدامة مخاوف الدول العربية المجاورة من الخطر العراقي، وأنه يهدد وجودهم.

٢ - إعادة موازنات القوى السياسية الفاعلة في كردستان العراق، بما يجعل

إنها لعبة قذرة تقوم بها الولايات المتحدة الأميركية، وينفذ فصولها النظام الحاكم في بغداد، مستخفين بشعوب العالم العربي والإسلامي عامة وبالشعب العراقي خاصة، وستبقى أميركا تمارس هذه اللعبة ما دام النظام في بغداد موجوداً، لا من أجل إذلال العراقيين فحسب، بل من أجل إذلال شعوب المنطقة قاطبة، وتحكيم سياستها الاستكبارية ذات المحور الواحد في بلدان الذهب الأسود.

الحزام الأمني

ومن نتائج هذا الاجتياح جاء طرح المشروع التركي بإقامة منطقة «حزام أمني» داخل الحدود العراقية بعمق ١٠ كم؛ بهدف الحد من اختراقات حزب العمال الكردي المناهض لأنقرة للاراضي التركية. ولاشك أن هذا العنوان الأمني العام لهذا الحزام يستبطن الكثير من العناوين التفصيلية، التي لبعضها - بكل تأكيد - علاقته بالاطماع التركية المعروفة بشمال العراق.

إن فكرة الحزام الأمني هي فكرة إسرائيلية، وقد ساهم عدد من ضباط

«الموساد» في بلورتها في تركيا، وذلك خلال اجتماعات مشتركة بين ضباط من الجهاز السري الصهيوني وضباط من الاستخبارات العسكرية التركية. ولم تستبعد مصادر تركية أن يتولى ضباط صهاينة مهمة الإشراف على تنفيذ المنطقة الأمنية.

وتقول مصادر عسكرية تركية إن الجيش التركي يخطط لإقامة الشريط الحدودي، عن طريق توغل القوات التركية مسافة ١٠ كم داخل الأراضي العراقية، واتخاذها لنفسها مواقع قتالية مشرفة على الطرق الجبلية يمكن من خلالها مراقبة الأراضي العراقية الواقعة خارج الشريط الأمني.

إن القوات التركية أخذت الضوء الأخضر من الحلف الأطلسي والولايات المتحدة الأميركية، وسوف تقوم بعد تثبيت قواعدها الأمنية وبالتعاون مع القوى الكردية الموالية لها، بتشكيل ميليشيات محلية من الأكراد لمساعدتها في ملاحقة حزب العمال الكردي.

إن فكرة المشروع الأمني بما تحمل من بذور الحرب الأهلية، هي ثمرة التعاون الأمني الصهيوني التركي، وإن تطبيق منطلق «احتلال أراضي الغير

العدو الصهيوني ويأخذ شكلاً عسكرياً
سافراً.

إن التحالف الصهيوني - التركي في
خطوته الجديدة تَوَجَّ مؤخراً بتوقيع
«أولتان سانغولا» وزير دفاع تركيا مع
الجانب الصهيوني، اتفاقاً للتعاون
الحربي يتم بموجبه انتقال جزء من
سلاح الطيران الصهيوني إلى تركيا إزاء
انتقال جزء مماثل من سلاح الطيران
التركي إلى الكيان الصهيوني، ويستعمل
الطيران الحربي لكلا الطرفين مطارات
وأجواء البلد الآخر، وله حق التدريب
فيها، وإجراء المناورات، والقيام بطلعات
تجسس تهدد أمن البلدان العربية،
والإسلامية المجاورة، وطبقاً للبنود
السرية لاتفاق التعاون المشترك بين
تركيا والكيان الصهيوني، سيقوم جهاز
الموساد الصهيوني بنشاطات تجسسية
معادية للجمهورية الإسلامية الإيرانية
وسوريا انطلاقاً من الأراضي التركية.

كما سيقوم الكيان الصهيوني
بتدريب الجنود الأتراك على حرب
العصابات للتصدي لمقاتلي حزب
العمال الكردي.

كما أن الاتفاق غير محصور
بعمليات التدريب في الأجواء التركية،

لحماية أراضي» الذي تنتهجه تركيا، لن
يجلب الأمن لجنوب شرق الأناضول؛
لأنه مخالف للإرادة الدولية، ولأن قسماً
كبيراً من الأكراد ومن العراقيين سوف
ينخرطون في مقاومة التدخل التركي.

■ تركيا

النوايا والأهداف

يثير التحالف العسكري الصهيوني
التركي في عهد الحكومة السابقة
لحكومة حزب الرفاه ردود فعل موازية
في المنطقة، نظراً لتهديده الأمن الأقليمي
عامة، وأمن كل من سوريا ولبنان
والعراق والجمهورية الإسلامية
الإيرانية خاصة.

ومن جانب آخر كان هذا التحالف قد
أثار مشاعر المسلمين لما يعنيه من
استفزاز صارخ لعواطف المسلمين قد
جدد خيبة آمال الأمة الإسلامية في
حكوماتها؛ فهذا التحالف الذي ترعاه
الولايات المتحدة الأميركية، يهدف إلى
تكريس سياسة الاستفزاز بالدول
العربية والإسلامية، وإشغال كل دولة
بهمومها المحلية والأمنية، في حين يقوم
على الضفة الأخرى نظام وليد تحت
مظلة «الشرق الأوسط الجديد»، يتزعمه

سياسة إيران الإسلامية، ومواقفها
المعادية لاسرائيل والصهيونية
العالمية.

من جهة أخرى جاء هذا التحالف على
اعتاب انتخابات الحكومة التركية وفوز
حزب الرفاه الاسلامي في هذه
الانتخابات، مما سيؤدي إلى خلق أزمة
سياسية للحكومة الجديدة من حيث
ترتيب العلاقات السياسية التركية مع
الدول الاسلامية ولاسيما المجاورة
منها.

إن الاتفاق التركي الإسرائيلي أثار
ردود فعل دولية وإقليمية ومحلية، فكان
رد دمشق الأقوى من بين الأطراف
العربية التي أدانت هذا الاتفاق؛ أما
الجمهورية الاسلامية الايرانية فقد جاء
ردها قوياً ومنسجماً مع مواقفها
السابقة، مما أعطى للموقف الإقليمي
المضاد للحلف العسكري التركي
الإسرائيلي ثقلأً سياسياً مؤثراً.

إن تركيا قبل الرفاه لعبت بالنار لأنها
بتصرفها هذا استفزت مشاعر الأمة
الإسلامية، ومشاعر شعبها المسلم الذي
عبر في أكثر من مناسبة عن تعاطفه مع
قضايا المسلمين في العالم الاسلامي،
وقد كانت المسيرات الضخمة وصلوات

وإنما يتناول كذلك استخدام التقنية
والأنظمة الجوية الإسرائيلية، وشراء
الاسلحة والقيام بمناورات عسكرية
مشتركة، وكذلك يشمل بنوداً تخص
إيجاد تنسيق وأنشطة مشتركة فيما
يتعلق بالسياسات الخارجية
والاقتصادية والتجارية بين تركيا
والكيان الصهيوني.

وبموجب الاتفاق المذكور تتحول
قاعدة «قونيا» التركية إلى قاعدة للطيران
الحربي الصهيوني، ويتولى العدو
الصهيوني إعادة تأهيل سلاح الطيران
التركي.

وتبلغ كلفة هذا المشروع حسب
بعض المصادر التركية حوالي «٥٠٠»
مليون دولار تدفعها انقرة للكيان
الصهيوني.

إن السماح باستخدام القواعد الجوية
التركية ومجالها الجوي من قبل
الطائرات الإسرائيلية، هو بمثابة إتاحة
المجال أمام التجسس الصهيوني
للاقتراب من الجمهورية الإسلامية
وجمع المعلومات عنها، ومن ثم اختراق
المنطقة عسكرياً، وهذا ما يلبي طموحات
اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية
في مجال الحيلولة دون امتداد تأثيرات

والتفاني في سبيله، كفيلة بتوحيد المسلمين والعرب منهم خاصة رؤية وموقفاً في مقابل الأعراب والطائرين، من إسرائيليين وغيرهم من الذين ليس لهم حظ في النجاح في فك عرى التعاون والعمل المشترك بين أبناء الأمة الاسلامية المتعاضدين إلا فترة مؤقتة عابرة وزائلة؛ لأن هذه الأرضية الطيبة سبق لها أن لفظت مثل هذه النباتات الغريبة، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

ومن هنا تأتي أهمية أن تتخذ سوريا موقفاً مناهضاً لعملية الاستسلام التي تمارسها بعض دول المواجهة مع اسرائيل حيث تعتبر سوريا القطب المهم في خارطة المواجهة السياسية مع الكيان الصهيوني.

والتفكير بمثل هذا الأمر يزعج الإسرائيليين ويدعوهم للتخطيط للضغط على سوريا لزعتها عن مثل هذه المواقف المبدئية وتحويلها عن انتهاج السياسة الراقضة لعملية ما يسمى بالسلم.

وفي مبادرة إيجابية لترسم هذا النهج الرفض للطلول الاستسلامية صرح السفير السوري في عاصمة الجمهورية الاسلامية الايرانية قائلاً:

الغائب التي جرت في المناطق التركية استنكاراً للمجازر التي يرتكبها الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني واللبناني، دليلاً على أن سياسة الحكومة التركية السابقة هي عكس تطلعات وتوجهات شعبها، ومن ثم سيكون الفشل والسقوط نتيجة حتمية لمثل هذه السياسات.

والآن وبعد فوز حزب الرفاه الإسلامي وتشكيل الحكومة التركية الحالية، ينبغي ألا يغيب عن الأذهان أن حكومة حزب الرفاه ستواجه تحديات صعبة وخطيرة. والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل اقتربت هذه الحكومة بتركيا إلى الحكم الإسلامي؟ وهل ستحقق المصادقية الإسلامية التي تعلنها هوية لاتجاهها؟ هذا ما ستكشفه الايام القادمة، فالحزب الان أمام محك وامتحان صعبين، لاسيما وأن الحكومات السابقة كانت بوجه أو آخر تابعة لأوروبا وأميركا فترات طويلة.

■ سوريا

الضغوط الصهيونية

إن الحضارة الإسلامية الواحدة وصدق الانتماء للإسلام والذويان فيه

«بعد قمة شرم الشيخ يبدو أن الموساد الاسرائيلي أخذ على عاتقه مهمة البحث في الملفات القديمة وبالتعاون مع الدوائر الصهيونية المتواجدة في الغرب؛ وذلك لإلصاق تهم الإرهاب بدول مثل سوريا وإيران من أجل الضغط على سوريا لانتزاع تنازلات معينة منها، وممارسة الضغط على مجموعات تصفها اسرائيل بالإرهابية وهي المجموعات التي نسميها نحن بالقوى الرافضة للسلام الاسرائيلي».

وهذا يعني أن اسرائيل تبني آمالاً وتراهن على قيام سوريا بخطوات من شأنها ان تدفع بعملية السلام المزعومة إلى الأمام، والخطوات هي:

١ - فك الارتسباط بينها وبين الجمهورية الإسلامية فيما يتعلق بموقف البلدين من عملية السلام في الشرق الأوسط الجارية حالياً في إطارها الجديد بعد قمة شرم الشيخ.

٢ - رفع اليد نهائياً عن حزب الله في لبنان فيما يتعلق بعمليات المقاومة الإسلامية انطلاقاً من الجنوب اللبناني.

٣ - رفع اليد نهائياً عما تبقى بيدها من الورقة الفلسطينية المتمثلة بالمجموعات المناهضة لعملية السلام

الحالية، والتي تتخذ جميعها من دمشق مقراً لإقامة قاداتها أو ساحة اعلامية لمواجهة الطول الاستسلامية.

والسؤال المطروح هو إلى أي مدى ستحقق الضغوط الصهيونية والأميركية أهدافها في تغيير الموقف السوري واخضاعه لمعادلة سياسات الاستسلام المشؤومة؟ وهل يمكن جر سوريا إلى طاولة التخاذل والتراجع التي يجتمع حولها - ويا للأسف - بعض الحكام العرب؟

لقد اكتشف الزعماء العرب الخطر الذي جلبوه لبلدانهم بأنفسهم من وراء لا مبالاتهم وتصرفاتهم غير المدروسة بل إن بعضهم استيقظوا بعد الانتخابات الصهيونية فوجدوا انفسهم امام لعبة اميركية صهيونية.

ويبدو أن سوريا أكثر الأطراف العربية إدراكاً لهذه المسألة، وإن لم يُصرح بها تصريحاً مباشراً حيث جاء على لسان رئيسها قوله: «نحن ليس لدينا إحساس بأن الأمور تسير في الاتجاه الايجابي، لذلك علينا أن نكون يقظين وأن نستنفر أنفسنا حتى لا نغفل ولا نُستغفل». وأضاف: «إن المشاكل في منطقتنا في هذا العصر ليست من النوع

في حد ذاته إعلان حرب على المساعي الدولية وعملية «السلام» المزعوم.

إن على الحكام العرب التخلي عن الأوهام انطلاقاً من الحرص على الأمة العربية المسلمة ومستقبلها، والعمل بجدّ وصدق لمواجهة الواقع الذي فرضته المستجدات إن كان في فلسطين المحتلة أو غيرها، ووضع برنامج متكامل يمكن الأمة من تحقيق ما هو مفترض.

■ لبنان

حزب الله هم الفالكون

بعد ان شهدت الساحة اللبنانية حملات انتخابية جرت على خمس مراحل تمخضت عن تشكيلة برلمانية جديدة الفت المجلس النيابي اللبناني ظهرت التشكيلة الجديدة وهي لا تختلف عن التشكيلة السابقة إلا بفروق طفيفة مع تعزز اتجاهات ومواقع أقطاب السلطة «الهاوي والحريري وبري».

إن الهدف من العملية الانتخابية السليمة هو اختيار النواب الأكثر تمثيلاً من قبل الشعب لما يمتازون به من الكفاءة والإخلاص، لكن بعض رموز السلطة جعل من هذه الممارسة فرصة

الذي كان يحدث في السابق، ولكنها تشمل مساحات مختلفة بما فيها مساحة الوجود».

وفي الواقع إن التشاؤم السوري والقلق العربي بوجه عام في محله.

والخلاصة إن برنامج الحكومة الإسرائيلية مليء بالحقد على المسلمين، ويتضمن إصراراً مطلقاً على الاحتفاظ بالأراضي الإسلامية المحتلة، وعدم قيام الدولة الفلسطينية، واستمرار مصادرة المزيد من الأراضي الإسلامية لاجل الاستيطان والتمسك بالقدس عاصمة أبدية لإسرائيل؛ كل ذلك يكفي لإقناع من لم يقتنع بعد بأن سياسة إسرائيل العدوانية التوسعية مستمرة وفي تصاعد، كما أن كتاب الارهابي نتن ياهو «مكان تحت الشمس» هو بمثابة البرنامج الفكري والسياسي الذي استند إليه زعيم الليكود في كسب ود الاسرائيليين، وهو في الوقت نفسه ينضح حقداً على المسلمين ويصفهم بأنهم ليسوا أهلاً للثقة، وأنهم دمويون ويميلون إلى العنف ويحقّدون على الآخرين.

وحين يجاهر نتن ياهو بعزمه على الاحتفاظ بالجلولان والقدس، فهذا يعني

سانحة لتصفية الحساب مع المعارضين، بمعنى إلغائهم كلياً من الميدان، أو تذويبهم تماماً في نسيج المعادلة القائمة. بل يمكن القول أيضاً: إن هذه الرموز التي تؤيد المقاومة اضطراراً طمعت في تصفية «حزب الله» سياسياً وانتخابياً عبر مقولة الفصل بين الحزب والمقاومة، وهو فصل مختلق مفروض ليس المقصود منه سوى الطعن في المقاومة نفسها، من خلال تفكيك أجهزتها السياسية أولاً، والاعلامية والاجتماعية لاحقاً.

إن أهم ما يميز الانتخابات التي جرت هو التدخل المباشر وغير المباشر لأقطاب السلطة لتغيير نتائجها وتحديد اتجاهاتها بشكل يخدم المشروع السلطوي للحكومة اللبنانية الحالية، فقد مورست عمليات التسوية إلى حد الابتذال والخروج عن المألوف، وأغدقت الأموال إلى حد لا يوصف، كما مورست عمليات التشويه والتزوير ضد «حزب الله» القوة السياسية والعسكرية التي تعتبر بحق أبرز القوى الرئيسية والمهمة في لبنان، وقد سعت الأطراف المناوئة له، والتي لا يروق لها صعوده ليحتل مقاعد في المجلس النيابي، إلى

اختلاق التهم والافتراءات ضده، ومنها ترويج مسألة الطائفية وإصاقها به افتراءً، وهي تهمة باطلة ولا تصمد أمام الواقع، لأن برنامج الحزب السياسي والجهادي واضح، وقد وضع لخدمة كل اللبنانيين بل خدمة الأمة الإسلامية، ويمكن القول إنه الجهة الوحيدة التي تجاوزت حدود الطائفية المصطنعة، وانفتحت على كل الجهات بما فيها من مسيحية، فحزب الله جاء لخدمة لبنان بكل طوائفه، فهو يعتبر الجهة الوحيدة التي تدافع وتقدم الدماء سخية في سبيل حفظ السيادة اللبنانية من السحق الصهيوني، ومن التحديات الصهيونية الحضارية والسياسية والجغرافية، وهو الجهة الوحيدة التي أجبرت إسرائيل على الاعتراف بالهزيمة في الجنوب والرضوخ إلى خيار الانسحاب من الأرض، في حين أن العدو الصهيوني جاء إلى الجنوب ليبقى إلى الأبد إذا لم يتمدد باتجاه الأرض اللبنانية ويقضم مساحات واسعة أخرى.

لهذا فالولايات المتحدة الأميركية تعارض صعود وتنامي حزب الله في البرلمان اللبناني، وهي تسعى وترغب في تحجيم قوته في البرلمان وتصفيته

اللبناني: «إن حزب الله أحبط محاولات السلطة، وخصوصاً محاولات رئيس الحكومة رفيق الحريري لتقليص تمثيلنا السياسي وإقفال الطريق إلى المجلس أماننا، وهذا يكون مقدمة لتقليص دورنا العسكري».

كما حمل الشيخ محمد يربك عضو الشورى المركزية لحزب الله على مواقف الحكومة اللبنانية تجاه حزب الله والمقاومة الإسلامية وقال: «إذا كانت معارضة حضور المحتل في بلادنا، وبناء مجتمع حر صامد ومرفوع الرأس تعني تطرفاً بنظرهم، فنحن نعتبر ذلك عين الاعتدال».

ودعا جميع القادرين على تأدية المهام والمسؤوليات الدينية والوطنية ألا يتركوا ساحة المجابهة مع المغتصب الصهيوني.

إن حزب الله يحظى بتأييد واسع النطاق داخل الوسط اللبناني، وقد أدنى هذا التأييد إلى فشل المشروع الأميركي الرامي إلى إقصاء حزب الله عن المسرح السياسي، ولو أجريت الانتخابات إجراءً نزيهاً لكان التمثيل النيابي لحزب الله أكثر مما هو عليه الآن.

سياسياً ومن ثم القضاء عليه عسكرياً، وهدف أميركا هذا يدخل في إطار الاستراتيجية الأميركية في حماية الكيان الصهيوني، وفي مواجهة المد الإسلامي والصحو الإسلامية علماً أنها تعلم جيداً مكانة هذا الحزب في قلوب المستضعفين من أبناء الأمة الإسلامية في عموم الوطن الإسلامي.

وقد أدركت قيادة حزب الله طبيعة المشروع الأميركي الخبيث وعرفت اللعبة، لذا فإن الحزب أصبح أمام خيارين: إما الاستمرار في المعركة التي بدأت تتطور من مواجهة انتخابية إلى مواجهة سياسية فاشلة؛ ليدفع بالتالي حزب الله وحده الثمن الذي سيشمل حجم حزب الله ودم ابنائه، أو أن يأخذ بالخيار الآخر هو التحالف والائتلاف، فيقدم الأهم على المهم والأصل على الفرع فيحفظ المقاومة.

لذلك فما كان من حزب الله إلا أن قطع الطريق على المتآمرين من خلال استجابته للدخول في ائتلاف انتخابي مع بري، رغم الموقف المعروف له من حزب الله.

وفي هذا الإطار قال الشيخ نبيل فاروق مسؤول حزب الله في الجنوب

الإسلام اللبناني بعد الانتهاء من

تشكيل المجلس النيابي

ما كادت السلطة السياسية في لبنان تفرغ من معركة الانتخابات وهي مطمئنة إلى نجاحها في الإتيان ببرلمان موالٍ، حتى أصدرت قانون تنظيم الإعلام المرئي والمسموع.

إن أهم عاملين في تحريك الشارع وتنوير الرأي العام في ظل ما يجري ويدور، ويكشف أخطاء وعيوب السلطة، هما المجلس النيابي ووسائل الإعلام، خصوصاً المرئية والمسموعة لوجودهما في كل بيت وفي متناول كل إنسان.

إن خطة السلطة تقضي بإبعاد المعارضة عن البرلمان والإعلام، واستخدامهما من قبلها فقط لتوجيه الرأي العام والتحكم في مواقفه حسب مبتغاهما، لذلك فقد أقدمت على السماح بترخيص الوسائل المرئية والمسموعة للإعلام ترخيصاً محدوداً وجعله حكراً لأقطاب التحالف السلطاني.

إن هذه الممارسات تعبر عن ضيق صدر هذه السلطة عن تقبل وجود معارضة، وعن تعدد المواقف والآراء، وعن رفضها المطلق لتقد ممارساتها أو

الاعتراض على طريقة أدائها، وعن ارتباك كبير في كيفية التعاطي مع ظاهرة المقاومة، وفي سبيل التخلص من هذا الإزعاج تخرب بعرض الحائط قضايا الوطن وتشوّه صورته ليكون مسخاً لبعض الكيانات القائمة.

■ أفغانستان

الشعب الأفغاني

يقف الثمن باهضاً

إن مسلسل العنف والحرب والتناحر قد انتهك الشعب الأفغاني المظلوم، وقد أثبتت الأحداث وطبيعة الوضع في أفغانستان أن الحرب ليست السبيل المناسب لحل مشاكلها.

إن أهم أسباب استمرار القتال في الساحة الأفغانية يعود إلى أطراف النزاع الداخلي ذاتها، بعد أن أعرضت بمسامعها عن كافة نداءات السلام ومساعي الخير، التي ظلت تنطلق من حين لآخر من قبل المخلصين لأفغانستان والحريصين على وحدتها، ولا سيما الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

بالإضافة إلى ذلك كان التدخل الأجنبي، سواء الاقليمي أو الدولي، في

مثلاً كان الرئيس رباني محط زحف حركة الطالبان.

٢ - الأطراف الدولية والإقليمية التي تقف وراء عدم استقرار الأوضاع في أفغانستان، مثل الولايات المتحدة الأميركية التي لها الدور البارز والكبير في إثارة الفتنة في أفغانستان، فقد سعت جاهدة إلى تقليص فرص التوصل إلى حل سياسي للزمة بعد أن كان وشيكاً. إن أميركا تعارض بشدة وجود حكومة إسلامية - بالمعنى الحقيقي - في أفغانستان؛ لأن مثل هذه الحكومة قد تشكل عمقاً معنوياً للمسلمين، وحافزاً لتكرار النموذج الإسلامي في أفغانستان بعد رسوخ النموذج الإسلامي في إيران، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ينهي استقرار الأوضاع في أفغانستان مبررات التدخلات الأميركية في شؤون هذا البلد أو في شؤون الدول المجاورة. وإلى جانب ذلك فإن السعودية بادعائها القيمومة على المسلمين في العالم وأنها الدولة الإسلامية الوحيدة التي لها حق الزعامة على العالم الإسلامي، لا يروق لها وجود منافس في بلد إسلامي آخر، لاسيما في أفغانستان التي إن تشكلت فيها حكومة إسلامية،

الشؤون الداخلية لأفغانستان قد ضاعف دون شك من تعقيد الأزمة من سيء إلى أسوأ، فبسقوط العاصمة كابل بيد ميليشيات حركة الطالبان، ومن خلال المراهنة على الخيار العسكري تكون الأزمة الأفغانية قد دخلت متاهات خطيرة، قد يكون من الصعب على أبناء الشعب الأفغاني أن يجد مخرجاً مناسباً منها في المستقبل القريب، قبل أن يدفع هذا الشعب المسلم الممتحن الثمن باهضاً من دماء أبنائه نتيجة للمغامرة الطائشة للطالبان.

إن الأوضاع لا يمكن أن تستقر في أفغانستان بعد سيطرة حركة الطالبان على العاصمة كابل؛ وذلك لعدة أسباب:

١ - وجود الميليشيات والفصائل المتعددة، فكل منها يشكل حكومة منفردة، مما يجعل هناك مقاطعات وزعامات متعددة، فرشيد دوستم يسيطر على الشمال ويدين له الأوزبكيون بالولاء، وشاه أحمد مسعود يدين له الطاجيكون، وهناك البشتون التي تتوزع الولاء بين حكمتيار والطالبان.

لذا فإن كابل ستكون مرة أخرى محط زحف واحدة من هذه الميليشيات،

فإنها ستصبح منافساً للنظام الحاكم في السعودية، ومن ثم ستكون كاشفة لادعاءاتها الإسلامية الكاذبة، ولهذا لا يمكن أن تكف عن التدخل في شؤون أفغانستان من خلال أموالها الطائلة، إلا إذا دان لها حكام أفغانستان بالولاء واتبعوا مذهبها الوهابي.

٣ - التذمر لدى سائر القوميات الأفغانية من سيطرة البشتون على أمور البلاد، فالطاجكيون والأوزبكيون يعارضون الهيمنة الكاملة للبشتون على شؤون البلاد، وهذا الأمر يجب أن يحسب له حساب في أية توقعات لمستقبل الوضع الأفغاني.

وفي ضوء هذه التعقيدات المحلية والاقليمية، وكذلك عدم قناعة زعماء فصائل المعارضة بوضع حد لما تعاني منه البلاد من مأساة، فإن الشعب الأفغاني المسلم سيظل وحده يدفع ثمن هذه المأساة.

ان الباكستان، المتهمه بدعم وتمويل حركة الطالبان، تحاول السيطرة والهيمنة على الشؤون الأفغانية من خلال نظام موالٍ لها؛ وذلك لدوافع اقتصادية وسياسية معروفة، ولعل ذلك يفسر دعمها المتواصل لهذه الحركة،

وقد سمحت لنفسها بالتدخل السافر والمكشوف لصالح فصيل أفغاني لم يعرف عنه حتى الآن سوى ارتباطه المشبوه بالمخابرات الاميركية، وتبنيه لفكر متزمت لا يمت للإسلام بصلة لا من قريب ولا بعيد، بل إن الإجراءات والممارسات المتخلفة والجاهلية التي عمدت إلى تطبيقها ميليشيات الطالبان بعد دخولها كابل أساءت للإسلام والمسلمين إلى حد بعيد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عناصر ميليشيات الطالبان قد درسوا في مدارس دينية في مخيمات أفغانية بولاية بيشاور الباكستانية، فضلاً عن تلقيهم للتدريبات العسكرية من قبل أجهزة المخابرات الباكستانية، لذلك لم يكن من الغريب أن تبادر الإدارة الأميركية إلى تكثيف اتصالاتها بحكام كابل الجدد، بعد أن كانت قد قدمت لهم كل أشكال الدعم المادي والإعلامي، فضلاً عن الدعم العسكري بواسطة حلفائها في إسلام اباد.

رحمة فصل الجوار على

الوضع الأفغاني الجديد

ومما يعقد المسألة على حركة

طرد الروس وتصفية الاحتلال الروسي، أو أن تترك الفصائل الأفغانية الشعب الأفغاني المسلم يقرر مصيره بيده، من خلال إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية يتولى فيها بناء مؤسساته بنفسه.

■ السعودية

بلاد الحرمين والحسابات الأميركية

لقد أثبتت الانفجارات المتوالية في السعودية والتي استهدفت القوات الأميركية هناك أن الاحتياطات الأمنية المتخذة من قبل القوات الأميركية وقوى الامن السعودي قد تم نسفها من الأساس، وهذا يعني أن التهديدات التي يسمعها الاميركيون من أسلاك الهاتف ستبقى قابلة للتحويل إلى حدث مذهل في أي لحظة.

الشيء الذي لا تستطيع أن تنكره الإدارة الأميركية، هو أن التهديدات القوية حصلت في دولة تعتبرها واشنطن - إلى وقت قريب - من أكثر دول المنطقة العربية استقراراً، ولأن أميركا حساباتها الخاصة التي قد لا تتفق والحسابات السعودية، فإن إجراءات واشنطن قد تتعارض وإجراءات الرياض

الطالبان هو دول آسيا الوسطى الأعضاء في مجموعة البلدان المستقلة، حيث عقدت هذه الدول في عاصمة قازاخستان «الماتتا» قمة طارئة مخصصة للوضع في أفغانستان بعد استيلاء الطالبان على السلطة، ناقش فيها المشاركون الانعكاسات المتوقعة بعد الأحداث الأخيرة على منطقة آسيا الوسطى، وبعد سيطرة الطالبان على ثلثي أراضي أفغانستان، وسبل تجنب زعزعة الاستقرار في مناطق أوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان التي تحاذ أفغانستان شمالاً.

مضافاً لذلك تقدم نواب الدوما - البرلمان - الروسي بطلب القيام بإجراءات دولية بحق حركة الطالبان، وفرض حظر كامل وغير مشروط على عمليات تسليم الأسلحة إلى أفغانستان حتى الوقف الكامل للعمليات العسكرية، وتجميد الأموال الأفغانية في المصارف الأجنبية وفرض حصار جوي على كابل. إن الطريق الوحيد لحل القضية الأفغانية هو التخلي عن لغة القوة، والجلوس على طاولة المفاوضات والاتفاق على صيغة لإشراك كل الأطراف في أفغانستان التي ساهمت في

حتى إذا افترضنا أن إحداهما بحاجة إلى الأخرى؛ ذلك لأن العامل المتمرّد على حسابات الاثنين معاً، وهو المعارضة الإسلامية الداخلية للوجود الأميركي في المنطقة، يدفع بكل طرف لاتخاذ احتياطات معينة قد تتعارض في النقطة الحساسة، وهي وجود خمسة عشر ألف جندي أميركي بعُددهم الحربية أو رحيلهم نهائياً.

إن من أوضح الواضحات التي كشفها انفجار الخبر والانفجارات التي سبقته هو أنّ أميركا شيء والمنطقة شيء آخر تماماً، وبعبارة أدق: إن السياسة الأميركية لا تستطيع على الإطلاق أن تحتوي العوامل المضادة لها في المنطقة.

من جانب آخر أعلن وزير الدفاع الأميركي ويليام بيرري، أنه سيعاد النظر في مجمل الإجراءات الكفيلة بحماية القوات الأميركية في الخليج الفارسي بعد هذه الانفجارات، وأكد أنه يلزم اتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من إمكانية حصول انفجارات مشابهة أخرى.

إن السعودية تلعب دوراً مهماً في السوق النفطية العالمية، لذا لا يروق للاميركيين أن تكون عرضة لعدم

الاستقرار أو مسرحاً لقلب المعادلات الاستكبارية، لذلك تسعى الإدارة الأميركية لاحتواء حالة السخط وعدم الارتياح التي تنتاب المسلمين في بلاد الحجاز، من جراء تزايد النفوذ الأميركي في منطقتهم.

إن موجة الاستياء العام التي تجتاح هذا البلد ناجمة عن الفساد الحكومي والوجود الأميركي، وسياسات حكومة الرياض السائرة في ركاب الغرب؛ والنتيجة الطبيعية لهذه الحالة هي تحرك المجموعات الإسلامية لمواجهة هذه الأوضاع والمشاكل المتصاعدة، لذلك فإن أحد أسباب خوف آل سعود من إجراء انتخابات ديمقراطية حرة، هو فوز ممثلي المجموعات الإسلامية وترشيحهم لعضوية البرلمان.

إن شعب الحجاز المسلم يُمقت الاميركيين ويستاء من وجودهم العسكري في هذا البلد، وينظر إلى أميركا نظرة سلبية بسبب دعمها للنظام الصهيوني، لذلك فهو يطالب بخروج هذه القوات من بلد يحتضن أقدس الأماكن الإسلامية ويتهمهم بإشاعة سلوك استعماري جديد يهدف إلى السيطرة التامة على ثروات المنطقة النفطية.

إسرائيل في الهيكل السياسي والاقتصادي والأمني في المنطقة. أملنا أن تحول المنطقة بيقظة شعوبها دون تمرير السياسة الاستكبارية الخبيثة لأميركا ورببيتها إسرائيل؛ لإحداث الفجوة بين الدول الإسلامية تعبيراً عن تهافت حساباتهم وخطلها، والتمويه على الإرادة الإسلامية لشعوب المنطقة الرافضة لوجودهم العسكري والسياسي في بلاد المسلمين، ولا سيما بلد الحرمين الشريفين في الحجاز.

■ البحرين

الشعب المسلم والمطالبة

بعودة الحياة الدستورية في البلاد

يشهد البحرين منذ شهر كانون الأول عام ١٩٩٤م احتجاجات شعبية واضطرابات مناوئة للحكومة، أسفرت عن سقوط عدد من الضحايا، سواء في أثناء الاحتجاجات أو تحت التعذيب الذي تمارسه السلطات البوليسية ضد أبناء الشعب البحريني.

وتشير الوقائع أن جذور الأحداث في البحرين محلية وداخلية تكمن في النظام السياسي المتروكي، وغياب مشاركة

ويذكر أن الانفجارات التي وقعت كانت جريئة ودقيقة ومؤثرة، فحادث الخبر مثلاً وقع قرب مبنى تابع لوزارة الدفاع والطيران السعودية في المنطقة الشرقية، وأوقع ثلاثة وعشرين قتيلاً أميركياً وثلاثمئة وخمسة وأربعين جريحاً بينهم مئة وخمسة أشخاص إصاباتهم خطيرة، وقد أحدث الانفجار فجوة بطول أربعة عشر متراً وعمق يزيد عن عشرة أمتار؛ وقد حاولت التحليلات الأميركية أن تسبق نتائج التحقيق، وتسوق جملة من الافتراضات التي تضرب على وتر واضح، وهو اعتبار الانفجار ناتجاً عن (تقنية) دقيقة، وأن هذه التقنية غير موجودة داخل السعودية، وكعادتها وجهت أصابع الاتهام إلى جمهورية إيران الإسلامية.

وجاء رد إيران الإسلامية أن أميركا والكيان الصهيوني يدبران مؤامرة مشتركة لخدش صورة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وأن الصاق مثل هذه التهم بها إنما يرجع إلى حقد أميركا وإسرائيل المشترك على الاسلام ودولته الرائدة، كما أن هناك محاولات مشبوهة لإشاعة أجواء التوتر وانعدام الثقة في المنطقة؛ بقصد التمهيد لتوسيع نفوذ

الشعب في القرارات وحرمانه من كثير من حقوقه المشروعة، إلى جانب الفساد الإداري، والمشاكل الاقتصادية.

إن الشيعة في البحرين يشكلون غالبية السكان، لكنهم محرومون من أبسط الحقوق الدستورية التي يجب أن يتمتع بها المواطن؛ فقد شعروا خلال العشرة أعوام أو الخمسة عشر عاماً الماضية بالظلم الذي حاق بهم، ولا سيما بعد محاولة الحكومة عزلهم عن الساحة السياسية وإبعادهم عن التأثير في الحياة الاجتماعية، فهم لا يتمتعون في هرم السلطة إلا بوجود رمزي هزيل الدور والنفوذ والاعتبار وهم في موطنهم وعلى أرضهم في البحرين؛ لهذا لجأت الجماهير إلى الاحتجاج والاعتراض والاعتصام الهادئ السلمي مطالبة بعودة العمل بالدستور في البلاد الذي علق منذ عشرين عاماً تقريباً، وبدلاً من أن تلجأ السلطات البحرينية إلى حل هذه المشكلة الداخلية سلمياً لجأت إلى العنف والقمع، ولم تحتكم إلى العقل والمنطق بل سعت إلى توسيع رقعة المشكلة وخلق أزمة اقليمية، متهمة بعض اطراف المنطقة بالتدخل في الشؤون الداخلية وتأجيج الوضع في البلاد؛ فقد اتهمت

الحكومة في البحرين الجمهورية الاسلامية الايرانية بأنها وراء الاحداث الجارية في البلاد، ودعمت ادعاءها هذا بالإعلان عن اكتشافها لتنظيم داخلي زعمت أنه مدعوم من الخارج، وقد بالغت في هذه التهمة وضخمتها ووضعتها في اطار دعم الارهاب دون أن تقدم أي دليل على ذلك.

إن تصريحات المسؤولين غير موثقة وغير دقيقة وتأتي في إطار الحملات الاميركية والاسرائيلية المغرضة ضد الجمهورية الاسلامية الإيرانية وقد عجزت الحكومة عن الكشف عن أية وثيقة تشير إلى علاقة إيران الاسلامية بالأحداث الداخلية في البحرين وقد ردت حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية هذه التهمة سريعاً مفندة جميع الادعاءات والمزاعم البحرينية.

من جانب آخر أثبت الشعب المسلم في البحرين شيعة وسنة انه متمسك في موقفه صلب في مطالبته بعودة العمل بالدستور، وأنه أكثر وعياً من أن تنال من همته دعايات السلطة وأساليبها الارهابية، وأثبت للعالم أن الارهابيين الحقيقيين هم الذين يقتلون الابرياء

العزل بغير حق.

إن الشعب المسلم في البحرين شعب
مسالم يحب الخير والعدل والحرية
والسلام، ويرفض تدخل الاجنبي في
شؤونه الداخلية ويدعو إلى قطع يد
اميركا وبريطانيا وردعهما عن التدخل
والتصرف في شؤون البحرين.

على صعيد آخر تحدت الجبهة
الاسلامية لتحرير البحرين السلطات أن
تسمح بإجراء تحقيق يتولاه مراقبون
مستقلون؛ للتحقق ميدانياً من الاعترافات
التي تحصلت تحت التعذيب من
المواطنين البحرينيين، والتي تثبت
الحكومة من خلالها أنهم خططوا لقلب
النظام الحاكم بالقوة.

كما دعت المعارضة الإسلامية
البحرينية السكان إلى إحياء اسبوع
«المقاومة المدنية السلمية» احتجاجاً
على القمع الذي تمارسه السلطات، ودعا
البيان الذي يحمل توقيع علماء الدين
المبعدين إلى تنظيم تجمعات ومجالس
لإحياء ذكرى الشهداء الذين سقطوا على
يد الأمن البحريني، وأوضح البيان أن
هذا الاحتجاج السلمي يأتي تضامناً مع
المعتقلين والمعتذبين في ظلم السجون
واستنكاراً لأحكام الإعدام الجائرة

الصادرة بحق الشباب الأبرياء.

وفي بيان آخر دعت حركة احرار
البحرين إلى إعلان اسبوع المقاومة
المدنية السلمية، مؤكدة أنه يجسد
الشعور الشعبي بلزوم تحقيق المطالب
الدستورية التي ليس هناك مجال
للمساومة فيها.

ويمكن القول إن من يعايش الوضع
البحريني يدرك إلى أي مدى وصل
إصرار هذا الشعب المسلم لتحقيق
أهدافه ولو خاض بحراً من الدماء؛
ويدرك ما سيؤول إليه الوضع وإلى أي
جهة سترجع كفة الميزان.

ومهما حاولت السلطة التنصل من
المطالب الشرعية والشعبية فلن تفلح في
الخروج من دائرة الاضواء المسطرة
عليها، ولن تفلح أساليبها في الهروب من
هذه المطالب.

■ ذكرى كمنصتان

تعريس القرآن الكريم

والحديث النبوي الشريف

بعد ٧٠ عاماً من الكبد والحرمان
والظلم، تزدهر حركة بناء المساجد من
أجل نشر تعاليم الدين الاسلامي في
ربوع هذا البلد المسلم، حيث بلغ عدد

المساجد التي افتتحت في مختلف أنحاء البلاد خلال السنوات الخمس الاخيرة اكثر من «٢٥٠» مسجداً، وكذلك تم افتتاح ثلاث مدارس للعلوم الدينية في مدن عشق آباد، وداش حوض، وجارجو يدرس فيها حالياً «٢٦٢» طالباً من الذكور والاناث، وتبلغ فترة التحصيل في هذه المدارس الدينية ٣ سنوات؛ وقد خرجت حتى الآن «٢٥» مبلغاً إسلامياً، وقد تم توزيعهم في مختلف مناطق تركمنستان من أجل تعليم وإرشاد السكان.

وتؤكد الإحصاءات أن مناطق تركمنستان تشهد افتتاح خمسة مساجد في الشهر الواحد معدلاً أوسط، وذلك منذ استقلالها قبل خمس سنوات حتى الآن؛ علماً أن المساجد والمدارس الدينية تشهد حالياً تدريس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكذلك دروس في التاريخ والجغرافية إلى جانب تعلم اللغتين العربية والانجليزية.

وقد كان لأصحاب المال والثروة من أبناء الشعب التركمنستاني المسلم دور كبير في المساهمة الفعالة في بناء هذه المساجد، حيث إنهم لا ييخلون في تقديم المساعدات المالية لإنشاء هذه المدارس

والمساجد في مناطق تركمنستان. وكذلك كان للمساعدات العينية المقدمة من قبل الجمهورية الاسلامية الايرانية لهذه المشاريع المباركة الاثر الواضح في نفوس هذا الشعب المسلم، حيث شملت إهداء نسخ من القرآن الكريم والكتب الاسلامية التي تحتاجها هذه المدارس الدينية.

وتمتاز العلاقات الايرانية - التركمنستانية - بأهمية خاصة على كافة الاصعدة؛ ففي المجال الثقافي حظي تشكيل صفوف لتعليم اللغة الفارسية في تركمنستان بترحيب الشباب والجامعيين بالدراسة في هذا الفرع، وانضم لهذه الصفوف اكثر من «٤٥٠» تلميذاً وجامعياً، وهناك «١٢٥» جامعياً يواصلون دراستهم في فرع اللغة والأدب الفارسي بجامعة دولت محمد آزادي في عشق آباد.

وسيتم في القريب العاجل إجراء تسجيل المزيد من التلاميذ والجامعيين الراغبين بالانضمام للموسم الجديد.

وقد قامت المستشارية الثقافية الايرانية بتزويد طلبة اللغة والأدب الفارسي بالكتب اللازمة مجاناً.

وعلى صعيد آخر تم في اجتماع

■ اوزبكستان

أتباع أهل البيت في سمرقند

مع انحلال الدولة الشيوعية وتحرر الشعوب الاسلامية في آسيا الوسطى من قيود النظريات المادية والإلحادية، تنتشر بقوة رياح الصحوة الإسلامية في تلك الأصقاع العطشة لكل ما هو إسلامي. ومن نتائج وآثار هذا الحدث على التاريخ الاسلامي وعلى المسلمين في هذا القرن، هو انكشاف حقائق جديدة عن المسلمين وتاريخهم والاطلاع على احوالهم وآثارهم الحضارية الإسلامية.

وسمرقند إحدى المدن المغمورة والمنسية في عمق التاريخ الاسلامي في جمهورية اوزبكستان وقد وقفنا على بعض ما يجهله جُلّ المسلمين عن تاريخها وتاريخ أتباع أهل البيت (عليه السلام) فيها بكل ما فيه من عراقه وأصاله؛ فقد دخل الاسلام إلى سمرقند على يد القثم ابن العباس (ابن عم النبي ﷺ) الذي كان معه عدد من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). ولذلك نجد أول مقبرة للمسلمين في سمرقند موجودة بيد الشيعة، وهي ملاصقة لمسجدهم الكبير الذي جدده آغا مير حسن فسمي باسمه، ويقع هذا المسجد في منطقة

بمناسبة الذكرى العطرة للمولد النبوي الشريف يوم الجمعة السادس عشر من شهر ربيع الثاني من العام الجاري، اتخاذ كبار علماء تركمنستان قراراً منحوا بموجبه السيد صفر مراد نيازوف رئيس الجمهورية شهادة الدبلوم الفخرية؛ نتيجة للخدمات الكبيرة التي قدمها في سبيل توسيع النشاطات الاسلامية وتعزيزها في مختلف مناطق البلاد.

ويذكر أن هذه الشهادة تمنح للمرة الثانية في تركمنستان، حيث كانت قد منحت أول مرة إلى الحاج ايشانقلي مجيدوف امام جمعة عشق آباد بسبب خدماته الإسلامية الكبيرة.

وعلى صعيد آخر وافق رئيس الجمهورية على إعفاء طلبة العلوم الدينية من الخدمة العسكرية في أثناء التحصيل الفعلي، كما وافق على اقتراح تقدم به العلماء يتضمن أن يقضي طلبة العلوم الدينية فترة تجنيدهم الإلزامية وهي ثلاث سنوات في التبليغ الإسلامي وتشر العلوم في مختلف مناطق البلاد.

الجانب التبليغي.

أما المجالس الحسينية فهي مزدهرة وتزداد كثرة يوماً بعد يوم، ولا سيما بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، ولولا هذه المجالس الحسينية لفقد أبناء سمرقند ارتباطهم بالاسلام؛ وإن كان الشيعة هناك لا يعرفون عن التشيع إلا الظواهر بسبب الهيمنة الشيوعية؛ ولذا فهم بحاجة إلى مبلغين يعلمونهم دينهم ويدرسون أطفالهم مبادئ الشقافة الإسلامية الضرورية ومبادئ مدرسة أهل البيت (عليه السلام).

وفي سمرقند منطقة شيعية راقية اسمها «باغ شمال» أي حديقة النسيم، تتضمن مقاماً أقيم على قبر أحد السادة المعروف بالسيد يحيى وهو من الصالحين، كما أن هناك مسجداً للشيعة بدأوا يقيمون فيه صلاة الجمعة بعد سقوط الحكم الشيوعي.

وعلى صعيد آخر نجد علاقة المسلمين في هذه الجمهورية تتعزز يوماً بعد يوم مع مسلمي العالم، ومع الجمهورية الإسلامية التي ترتبط معها بمشتركات ثقافية وتاريخية وعلاقات حسنة وجيدة.

معروفة باسم «بنج آب» أي العيون الخمس، وهي محلة كبيرة يقطنها أتباع أهل البيت (عليه السلام) ولهم فيها مدرسة كبيرة تاريخية تسمى مدرسة «بنج آب»، وتعد هذه المدرسة مركزاً دينياً وحضارياً وتراثياً لأتباع أهل البيت (عليه السلام) في سمرقند، فتراهم يعقدون حفلات الزواج والختان ويقىمون مراسمهم وشعائهم في مناسباتهم الإسلامية فيها.

وقد ثبت أتباع أهل البيت (عليه السلام) على شعائهم وعاداتهم الإسلامية الأصيلة في أحلك ظروف الارهاب الشيوعي، ومحاولات الأجهزة القمعية أيام التسلط الشيوعي مسخ العادات والتقاليد الإسلامية.

ولغة الشيعة الأساسية في سمرقند هي اللغة الأوزبكية مضافة إلى اللغة الروسية التي يعرفها كل الناس هناك باعتبارها لغة الاتحاد السوفياتي الرسمية.

وسمرقند كغيرها من بلاد ما وراء النهر تفتقر إلى علماء الدين، إلى درجة يمكن معها القول إنه لا يوجد في المنطقة عالم ديني خلاشخاص يأمّن المصلين في المساجد، دون تمكن منهم في دراسات الحوزة العلمية أو تخصص في

الانحطاط المجتمعي الغربي

النمسا

يوماً بعد يوم تتضح هشاشة وانحلال المجتمع الغربي؛ وذلك بسبب ابتعاده عن القيم الاخلاقية والاصول الانسانية، واندكائه في الممارسات الفاسدة وغرقه في احوال المادية واطلاق العنان للشبهوات المفرطة التي لا تحدها حدود، الذي يكشف لنا عن مدى الانحطاط الاخلاقي الذي وصل إليه هذا المجتمع في ظل انعدام القيم الروحية وفقدان الروابط العائلية.

وتطالعنا الصحف الغربية يومياً بالكثير من نماذج هذا الانحلال والانحطاط اللذين يحيقان بالمجتمع الغربي؛ ومن نماذج الانحطاط هذا سلسلة الجرائم التي ارتكبتها امرأة نمساوية، والتي ذهب ضحية لها أكثر من خمسة من كبار السن من رجال ونساء، وجاء في التفاصيل التي وزعتها السلطات النمساوية المختصة أن المدعوة «الفريدا بلاونشتاير» التي اطلق عليها لقب «الارملة السوداء» قتلت منذ العام ١٩٨١م حتى نهاية العام ١٩٩٥م اربعة رجال وامرأة خلال فترات

متفاوتة، بالاضافة إلى ارتكاب العديد من جرائم السرقة والنصب والاحتيال والابتزاز؛ وأوضحت وكالة الانباء النمساوية التي بثت نبأ اعتقال «الارملة القاتلة» أنها اعترفت أمام رجال الأمن والمحقق العدلي بأنها قتلت أو تسببت بمقتل خمسة اشخاص من بينهم زوجها. وتؤكد مصادر الشرطة حسب الوكالة النمساوية أن سلطات الأمن تتشكك في اعتراف الفريدا بمقتل خمسة اشخاص فقط، ولا تستبعد أن يكون عدد الضحايا أكثر من ذلك، ولا سيما بعدما تبين أنها محترفة قمار وحاقدة على الرجال، وبعد أن خسرت أكثر من ١٤ مليون شلن نمساوي أي ما يعادل أكثر من مليون دولار في ألعاب القمار.

المانيا: تسليمه نسرين في الإعلام الغربي

وعلى صعيد آخر نرى سذاجة وسطحية الكاتبة البنغالية المرتدة تسليمه نسرين، التي كشفت عنهما مجلة موكوس الالمانية في ميونخ بعد اجراء مقابلة معها؛ حيث إنها لم تصمد أمام اسئلة الأدباء وأرباب الفكر ورجال الصحافة، وأظهرت واضحاً جهلها الفاضح والكامل بالإسلام الذي هاجمته

بدون علم ودراسة، متعاملة عليه بدوافع الوصول إلى الشهرة السريعة والثراء على حساب كرامة هذا الدين، وقدسية مبادئه التوحيدية.

وقد فضح الكاتب الالماني بوركار مولر هذه حينما قدم جملة من الأدلة التي تثبت أن نسرين لم تكن يوماً كاتبة أو مثقفة بالمعنى الحقيقي للكلمة، وكل ما في الأمر أنها لجأت إلى الحيل والاكاذيب للحصول على المال والشهرة، وأنها كذبة كبيرة من نسيج وسائل الاعلام الغربي، حيث تتصاعد الضغوط والاتهامات في هذه الايام ضد الاسلام والدول الاسلامية في وسائل الاعلام هذه.

لقد أدرك أعداء الإسلام أهمية الصوحة الاسلامية المعاصرة، فعملوا جاهدين لضرب المقدسات الإسلامية، والنيل من معتقدات المسلمين.

ووسائل الاعلام الغربي الحاقد هي إحدى وسائل الضغط، لذا نراها تدافع عن كل من يسيء للإسلام والمسلمين امثال نسرين ورشدي.

ولكننا نقول: إن زوبعة الإشاعات والاتهامات الكاذبة سرعان ما تزول، وتكون نتيجتها النهائية هي الفشل

والهزيمة امام منطق الحق ونهج العقل الذي يثبت بالدليل القاطع حقيقة العقيدة الحق للانسان السوي.

بريطانيا: تحفيز للمجتمع البريطاني

نشرت إحدى الصحف البريطانية أن كبير الأساقفة في بريطانيا يحذر من التردّي الخلقي وضياع المعايير الإنسانية بين الشباب البريطاني. وحمل الاسقف على النظام التعليمي وإهمال المناهج الدينية في المدارس وقال: «الدين والعقيدة الدينية تحولاً إلى ملهة في أفكار الرأي العام»، وأضاف: «إن معايير الحسن والسيء والمعصية والنزاهة اتخذت داخل المجتمع البريطاني مفاهيم مختلفة» وحذر من تدهور الموازين الخلقية على الصعيدين الخاص والعام.

ويذكر أن جرائم السرقة وحملات العنف ارتفعت في جميع مناطق بريطانيا بنسبة بلغت ٨-٩ بالمئة.

السويد: استغلال الاطفال جنسياً

عقد في السويد المؤتمر الدولي الاول حول استغلال الاطفال جنسياً حضره نحو ١٢٠٠ مشاركاً من بينهم

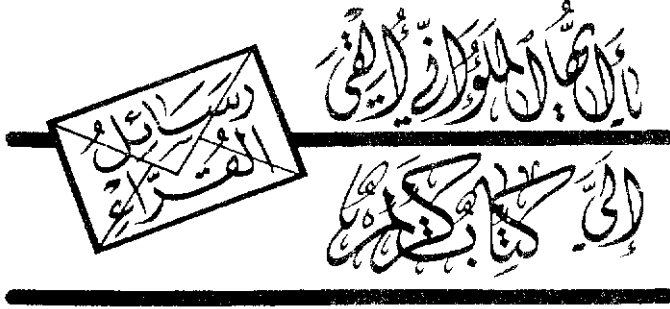
والبوسنة، مستغلين الفقر والجوع
 وغياب الرقابة الشعبية والحكومية.
 ويذكر أنه في اميركا قد تفشت
 ظاهرة استخدام المخدرات بين الأحداث
 الذين تتراوح اعمارهم بين ١٢ و ١٧
 سنة؛ حيث بلغت النسبة ٧٨ بالمئة خلال
 الفترة ما بين عامي ١٩٩٢م و ١٩٩٥م.
 هذا غيض من فيض، وتبقى الشعوب
 والمجتمعات مرهونة بثقافتها
 وحضارتها وعقيدتها.

العشرات من الحائزين على جائزة نوبل
 للسلام، وكشفت التقارير التي قدمت في
 المؤتمر عن مخاطر كبيرة وحقيقية تهدد
 العالم بشكل عام والطفولة بشكل خاص
 بالرغم من التطور المدني الذي يفتخر به
 المجتمع الغربي، كما تؤكد التقارير عن
 تورط عصابات غربية وخاصة ايطالية
 وبريطانية بالمتاجرة باطفال من دول
 اسلامية في شرق اسيا والجمهوريات
 السوفياتية الاسلامية السابقة

قال امير المؤمنين (ع) :

إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ
 جَعَلَ الْإِسْلَامَ صِرَاطًا، نَبِيًّا وَالْعِلْمَ
 مَشْرِقًا وَالْمَنَاسِكَ
 فِيهِ تَأْنِيفُ الْقُلُوبِ وَعَلَيْهِ نَأْخِ الْأَخْوَانُ

شرح السادة ٣ : ٢٠٨



مع قرأه الثقلين

باب ننتفع منه على عوالم قرأه مجلة «رسالة الثقلين» بكل ما تزخر به هذه
العوالم من آراء، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلّتهم فكرياً وثقافة
ومعرفة، ولئلا يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة :
التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

• يهمنّا الحصول على

مجلّتكم الغراء

مجلة «ينابيع الحكمة» التي

تصدر عن مركز الدراسات

والتوثيق الاسلامي مجلة فصلية تصدر

باللغة الفرنسية وتهتم بشؤون الفكر

الاسلامي.

ومن أجل تطوير العلاقة فيما بيننا،

وليتسنى لنا متابعة كل شؤون الفكر

الاسلامي خاصة والانساني عامة



وعكسها بالاسلوب اللائق على الناطقين

باللغة الفرنسية، يهمنّا تماماً الحصول

على مجلّتكم الغراء حصولاً منتظماً، إما

على سبيل التبادل أو على سبيل الاهداء،

كما يهمنّا أيضاً الحصول على مجلدات

الاعداد الماضية إن وجدت، أو بعضها

على الاقل وذلك حسب حسن تقديركم

واهتمامكم.

ندعو لكم بالتوفيق والنجاح في

مهامكم الكبيرة، وننتظر ردكم الايجابي

التوفيق والنجاح في خدمة مدرسة اهل البيت عليه السلام وتطوير هذه المؤسسة العلمية والدينية التي ليس لها هدف إلا مرضاة الله عزوجل ونبيه وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

اعزائي، لقد قطنت في السويد مع عائلتي منذ عشر سنوات تقريباً ونحن هنا نفتقد إلى الكثير من الكتب الاسلامية والفكرية التي تنشر فكر مدرسة أهل البيت عليه السلام؛ فارجو منكم متفضلين أن لا تحرمونا من نتاجاتكم وما يصدر عن مؤسساتكم الغراء، واكون شاكراً لو تكرمت وارسلتم لي الصحيفة السجادية كذلك، واعلموا بأن ما سترسلونه لنا من كتب واصدارات سيكون ذا أهمية كبيرة جداً لنا، لا سيما ونحن نقطن في أبعد بقعة من دول الشمال.

هذا وأرجو أن يستمر التواصل بيننا والله من وراء القصد.

الحاج قيس باقر النقاش
السويد

* * *

● جلب انتباهي تعريف مجلتكم

في احد مساجد مدينة هوستون احدى مدن ولاية تكساس في اميركا كنت اتصفح مجلة الوحدة وقد جلب انتباهي تعريف مجلتكم على الصفحة

وتعاونكم الفعال.
عادل عبد المهدي
مدير المركز ورئيس تحرير مجلة ينباع الحكمة
فرنسا

* * *

● نحن بحاجة إلى الدعم

الروحي والمعنوي

نحن من مواطني الجمهورية اليمنية من محافظة صعدة نود مراسلتكم وإطلاعكم على رغبتنا بالاتصال بمجلتكم، ونظراً لوضعنا ومتطلباتنا في اليمن وحاجتنا للدعم الروحي والمعنوي، نطلب منكم أن تمدونا بالكتب القيمة المفيدة التي تلي حاجة شبابنا وترفع من شأن النهضة العلمية الناشئة في بلدنا لا سيما وأنكم قد اخذتم على عاتقكم الاهتمام بشؤون الاسلام والمسلمين في كل مكان، فنرجو منكم ألا تبخلوا علينا بما يفيدنا ويفيد نهضتنا وحركتنا العلمية.

منصور سالم يادي
الجمهورية اليمنية / صعدة

* * *

● نأمل منكم ان ترسلونا ما سيكون

ذا أهمية كبيرة

عظم الله اجورنا واجوركم بمصاب ابي عبد الله الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام.
اكتب لكم أول مرة وارجو لكم

والمعارف الإسلامية؛ لذلك نطلب منكم
أن تدرجوا اسمنا متفضلين ضمن قائمة
مشترككم الدائمين؛ لكي يتسنى
لطلابنا واساتذتنا الاستفادة من مقالات
ومواضيع مجلتكم الغراء.
قسم المعارف الإسلامية في جامعة الشهيد
البهبشتي للعلوم الطبية
ايران

* * *

● «مجلة الثقلين» كاملة

النفخ طيبة النهار

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ * وَأَنْ
سعيه سوف يرى﴾.

الحمد لله وصلى الله على رسوله
والائمة الطاهرين من آله ولعن الله اعداءه
ظالميه من الأولين والآخرين.
وبعد، السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

لا أدري من اين ابدأ بكلامي وكيف
اشكر لكم جهودكم الجبارة، وإنني في
الوقت الذي اشكر الله سبحانه أن قيض
لدينه الحنيف بعد الرسول والعترة
الطاهرة ﷺ نخبة من الكتاب المدافعين
عن حياض الاسلام والقائمين بنشر
الافكار والمفاهيم الاسلامية الاصيلية
البناءة، على هدي ما جاء في القرآن
الكريم وسنة النبي ﷺ وأهل بيت

الاولى مما ساقني إلى مراسلتكم راجياً
ارسال مجلة رسالة الثقلين، وكذلك ما
صدر من كتاب الثقلين، وكذا أرجو
ارسال ما يمكن تيسره من الكتب
والمجلات الاسلامية الصادرة باللغة
الاسبانية والعربية؛ لأنني متزوج من
امراة مكسيكية مسلمة وإن لغتها الام
هي اللغة الاسبانية علماً بأن الحياة هنا
صعبة جداً، والأصعب من ذلك الحصول
على الكتب والمجلات الاسلامية. أرجو
عدم اهمال رسالتي هذه أو نسيانها فانا
بحاجة ضرورية جداً إلى مطبوعاتكم.

أحمد السعدي

هوستون - اميركا

* * *

● ختمني لكم التوفيق في

نشر المعارف الاسلامية

مع تمنياتنا لكم بالتوفيق يوماً بعد
يوم في نشر وتعميق العلوم والمعارف
الاسلامية، نحيطكم علماً بأن قسم
المعارف الاسلامية في جامعة الشهيد
البهبشتي للعلوم الطبية قد أخذ على عاتقه
مسؤولية المحافظة على سلامة الخط
الفكري، ونشر المعارف الاسلامية في
الوسط الجامعي؛ وعليه فنحن بحاجة
فائقة للتعرف والاطلاع على آخر
التحقيقات العلمية والفكرية حول العلوم

● «رسالة الثقلين» دور يضي،

الطريق أهامي

إنها رسالتي الاولى إلى مجلتي
العزيزة رسالة الثقلين. ومن خلال هذه
الرسالة أمل أن تكون بداية علاقة وطيدة
بيني وبين المجلة، وأنا اطمح أن تكون
هذه المجلة معيناً لي ونوراً يخزيء
الطريق أهامي من خلال ما تنشره من
مقومات الفكر الاسلامي الاصيل الكفيل
بإضاءة كل غرف فكري المظلمة؛ فقد
اهتديت إلى طريق الاسلام القويم من
خلال مشاركتي في مجالس عزاء الامام
الحسين (عليه السلام) في عاشوراء المنصرم،
حيث اخذت اتردد على هذه المجالس
التي يقيمها اتباع اهل البيت (عليهم السلام) من
الاخوة اللبنانيين الموجودين في ساحل
العاج، فكانت البداية حيث انار الله لي
الطريق واخذت بالاستفسار والسؤال
عما كنت أجعله من الأخ الخطيب في
المجلس الحسيني، وقد استفدت منه
كثيراً فجزاه الله خير الجزاء، وقد
ارشدني إلى مجموعة من الكتب أطلب
من مجلتي العزيزة أن تسعى مشكورة
عن طريق المؤسسات العلمية
والاعلامية لتسهيل تلبية هذا الطلب
وارسال هذه الكتب وهي:

الرحمة (عليه السلام)، اتقدم بالشكر الجزيل لكل
العاملين في مجلة رسالة الثقلين
الاسلامية وبخاصة هيئة التحرير التي
تبذل قصارى جهدها في اخراج هذه
المجلة الغراء كاملة النفع طيبة الثمار،
كما اتقدم بوافر الشكر والتقدير للعلماء
والكتاب والادباء وغيرهم ممن يشجع
البحوث المدونة فيها تحقيقاً وتدقيقاً.

علي ابو حسن الربيعي
دزفول - ايران

* * *

● جهودكم عظيمة في سبيل

نشر الاسلام

تحية طيبة مباركة من عند الله.
يسعدني جداً أن اوجه اليكم هذه
الرسالة لأخبركم بأن الكتب القيمة التي
ارسلتموها قد وصلت الي والحمد لله؛
وقد تسلمتها ببالح الشغف والسرور
لاهميتها لي لما تحمله من مواد علمية
مثمرة.

أقدر جداً جهودكم العظيمة في سبيل
نشر الفكر الاسلامي.

ايدكم الله ونصركم وسهل لكم
السبل لتتمكنوا من أداء رسالة الاسلام
على احسن وجه ﴿إن الله لا يضيع أجر
المحسنين﴾.

الشيخ عبد الرحمن لوح
ايطاليا

١- عقائد الامامية.

٢- المراجعات.

٣- تحرير الوسيلة.

٤- منهاج الصالحين.

كذلك ارجو أن لا تنقطع عني مجلة
رسالة الثقلين فهي الكفيلة بإثرائني في
المجالات الفلسفية والثقافية وغيرها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
أحمد بن أمير
ساحل العاج

* * *

● المجلة زاخرة بمواضيع

جيدة ومفيدة

الأخوة المشرفين على مجلة رسالة
الثقلين وفقهم الله وسددهم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فعظم الله أجوركم وأجورنا
بمصاب سيد الشهداء أبي عبد الله
الحسين عليه السلام هذا المشعل الوضاء الذي
لولاه لما بقي من الاسلام شيء.

لقد وصلتني الأعداد الثلاثة (٨، ٩، ١٠)،
من هذه المجلة القيمة الزاخرة
بمواضيعها الجيدة والمفيدة فكرياً
وروحياً (وفق الله كاتبها)، لاسيما ونحن
في هذه الديار الكافرة والبعيدة عن قيم
الاخلاق الانسانية. ولا يسعنا هنا إلا أن
نقول: إن مثل هذه الكتابات تغذي

نفوسنا، وتساعدنا على تقوية إيماننا
والوقوف بصلابة بوجه التحديات التي
تواجهنا، لذا أرجو من العلي القدير أن
يوفقكم أن تلبوا حاجتنا إلى ما فاتنا من
الأعداد الأولى (١ - ٨) وملحقها مجلة
الفتى التي لن تكون أقل قيمة مما وصلنا
بالتأكيد.

وفقكم الله لما تصبون إليه والسلام
عليكم

عدنان الواسطي
كندا

* * *

● «رسالة الثقلين» خرج معطاً،

للثقافة الاسلامية

(رسالة الثقلين) هي المجلة المحببة
الينا والتي نراها النبع المعطاء للثقافة
الاسلامية الاصيلية التي تزداد الحاجة
اليها يوماً بعد يوم.

نحن هنا في بلاد الاغتراب في
البرازيل، فكم نحن بحاجة لكتب
ومجلات من هذا النوع؛ ولكن مما يؤسف
له شديداً أننا لا نجد أي تعاون منكم،
وإذا ما وصلتنا مجلتكم فإنها تصل
متأخرة فلماذا هذا الجفاء.

لماذا تشعرون أننا وحدنا في
المعركة لا نملك سلاحاً وليس معنا فئة
تحميننا.

تطهيراً ﴿ صدق الله العلي العظيم.

أنا طالب في معهد أهل البيت (عليه السلام) في
غانا، يسرني أن اكتب لكم هذه الرسالة
طالباً منكم المساعدة بإرسال بعض
الكتب ولا سيما تفسير القرآن الكريم،
وبحكم عملي في مدرسة فاطمة
الزهراء (عليها السلام) حيث أقوم بالتدريس
والتبليغ لفكر مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فأنا
أحتاج إلى بعض المصادر التي تعينني
في إنجاز مهمتي تلك. ومن هذه
المصادر:

- ١ - مجلة رسالة الثقلين.
- ٢ - نهج البلاغة.
- ٣ - كتاب الشيعة هم أهل السنة.
- ٤ - الامام علي في القرآن والسنة
- (١ - ٣).
- ٥ - تحرير الوسيلة للامام
الخميني (عليه السلام) (١ - ٢).

أرجو أن ترسلوا لي هذه الكتب أو
بعضها هذا وفقكم الله لخدمة اخوانكم
المسلمين في أنحاء العالم الاسلامي

كافة. والحمد لله رب العالمين
الاستاذ سراقا عاقب نني
غانا

* * *

• شكراً للاهتمام والتعاون •

تحية إسلامية وبعد.

نحن نشهد حركة اسلامية كبيرة في
هذا البلد ولكن نشهد ضعفاً في
الامكانيات. فهل أجبتونا...؟

السيد بلال وهبي
امام مسجد الامام علي بن ابي طالب (ع)
البرازيل

* * *

• بارك الله في جهودكم •

نسأل الله أن يبارك في جهود
المسلمين وأن يوفقهم وإياكم لما يحبه
ويرضاه. وبعد، فقد سعدت كثيراً عندما
وقعت نسخة من مجلتكم الغراء «رسالة
الثقلين» في يدي عن طريق الصدفة،
وأخبركم بأنني صحفي حر أعمل
مراسلاً لأكثر من صحيفة ومجلة عربية
دون الارتباط والتقييد بواحدة بعينها.
وكلي أمل ورجاء في أن تزودوني
بنسخة من مجلتكم للاستفادة منها
وتعريف زملائي الصحفيين بها عسى
أن تكون هناك فائدة مشتركة.
وفقكم الله وسدد على درب الخير
خطاكم.

أحمد بركات
البكستان

* * *

• «رسالة الثقلين» تفيدني في التبليغ •

قال تعالى: ﴿ إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

مسألة إلى الكتب الدينية والإسلامية الهادفة والحضارية المتوفرة في جمهورية إيران الإسلامية محط الانظار لنا ولجميع المؤمنين.

فنحن لنا الرغبة الشديدة لأن نتسلح بسلاح الإيمان والمبادئ والقيم التي تحويها مدرسة مذهب الحق مذهب أهل البيت عليه السلام، ولا سيما أن مجتمع العالمي سمي بهذا الاسم الشريف الطاهر؛ لذا نرجو من إحسانكم أن تمدونا بما ينفعنا للدار الآخرة من زاد لانفاد له من الكتب والاصدارات القيمة، لتتسلح بالسلاح الرادع في وجوه أعداء الاسلام عامة وأعداء أهل البيت عليه السلام خاصة. ونحن لا نحدد الكتب لكم؛ لأنكم أجدر بمن يقتني ويختار الكتاب المناسب وذا الفائدة للتبليغ الرسالي عسى أن يكون حصناً لنا من الأعداء ونوراً لظلمة القبر في المعاد.

للدكتورة مها بلال

لندن

* * *

• في محبتكم ما يحقق

اهنيتي وضالتي المنشودة

السادة الكرام في مجلة رسالة

الثقلين.

اكتب رسالتني هذه ويفرني الشعور بالفرح والاعتزاز لحصولي على

بداية نشكر لكم اهتمامكم بتزويدنا بمنشورات ومطبوعات مجتمعكم طوال الفترة الماضية، كما يسرنا إحاطتكم علماً أن كافة المطبوعات التي أرسلت إلى نادي المستقبل قد حولت بمجملها إلى مكتبة مؤسسة الثقافة والعلوم، هذه المؤسسة التي تُعنى بتربية الناشئ من خلال تقديم المنح والمساعدات للطلبة المحتاجين، ومن خلال المكتبة العامة التي بدأنا بإنشائها.

لذلك نرجو من حضرتكم الاستمرار بتزويد مكتبتنا العامة بكافة مطبوعاتكم ومنشوراتكم.

شاكرين لكم تعاونكم الدائم معنا.

ماهر السائيس

مؤسسة الثقافة والعلوم

صيدا - لبنان

* * *

• ايران الإسلامية محط الانظار
لجميع المؤمنين

السلام عليكم يا من كرستم أنفسكم من أجل احياء الإسلام ونشر مبادئه. السلام عليكم وعلى جميع المؤمنين العاملين من أجل رفع راية الإسلام خفاقة إلى الابد. أخوة الايمان، نحن أخوتكم المغرّبون في بقاع العالم من ظلم وجور الطواغيت، والمشرّدون عن أوطانهم ومقدساتهم المشرفة بحاجة

دينهم ومستابعة الاوضاع الراهنة
لاخوانهم المسلمين في العالم، لذلك
نطلب منكم مد يد العون وامدادنا بما في
وسعكم من المطبوعات الاسلامية التي
تنفعنا وتعرفنا امور ديننا ودياننا، اسأل
الله ان يوفقكم ويسدد خطاكم لما فيه
خير الاسلام والمسلمين.

بابا فال
السنغال

* * *

• نحن عطشى لعلوم

آل محمد (ص)

لا يخفى على مقامكم ان طلب العلم
فريضة على كل مسلم ومسلمة فقد جاء
عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: «اطلبوا
العلم ولو بغوض اللجج وشق المسجع»،
ولكن هنالك عوارض دنيوية تحول دون
حصول الانسان على غاياته وطموحاته
ومن هذه العوارض الصعوبات المادية،
لذا فاكتب اليكم رسالتي هذه مشفوعة
برغبة في ان تلبوا طلبي بعد ما وصلت
رسائل من أعزة علينا يسكنون ديار
الغربة وهم عطشى لعلوم آل
محمد صلى الله عليه وآله، ولما كان يصعب علي ان
البي طلباتهم احول الطلب اليكم والامل
يحدوني أن اذنأ صاغية منكم سوف
تستمع لطلبي وتلبي رغبة اخواننا في

المجلة التي تعنى بالفكر الاسلامي
الاصيل والكلمة الهادفة الصادقة وكل ما
يهم الامة الاسلامية من الاخبار والرؤى.
انني شاب مسلم مولع بمطالعة
مؤلفات الشيعة وكتبهم ومستابعة
نشاطات اتباع أهل البيت عليه السلام ومواقفهم
المحمودة تجاه القضايا الاسلامية،
وكلي امل في ان تسود مبادئ الثورة
الاسلامية في اقطار العالم كافة وان
يستتير المسلمون ويهتدوا ويقتدوا
بالمبادئ السامية والقيم الاسلامية
النبيلة التي احيائها وارسنى دعائمها
مؤسس الجمهورية الاسلامية الامام
الخميني عليه السلام.

لقد اطلعت على مجلة رسالة الثقلين
وطالعت بعض موضوعاتها فرأيت فيها
ما يحقق أمنيتي وضالتي المنشودة،
وها انا اكتب لكم لتساعدوني في
الاشتراك بمجلتكم وأن أنهل من هذا
المنبع الصافي الاصيل.

اخواني الاعزاء ان اغلب وسائل
الاعلام اليوم ولاسيما وسائل اعلام
الدول الاسلامية المرتبطة بالاستكبار
العالمي تسعى لتشويه الحقائق وابعاد
المسلمين عن دينهم، مما جعل الكثير من
شباب المسلمين بعبيدين عن معرفة امور

بلاد الهجرة الذين يتعرضون لضغوط
الافكار الصليبية والمعادية للاسلام
ولأهل البيت عليه السلام.

ابو امين الاسدي
كرمانشاه - ايران

* * *

● إصداركم لرفع الاخسان

إلى المستوي الذي اراده الله له

تحياتنا الطيبة لكم ولجميع العاملين
في المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام. ان
ما يصدر من مجمعكم من مجلة «رسالة
الثقلين» ومطبوعات ومؤلفات اخرى
لجديرة بالتقدير والحقاوة لما تحمله من
مواضيع حيوية ترفع الانسان إلى
المستوى الذي اراده الله له، وذلك برفده
بتلك المعطيات الفكرية والعلمية البعيدة
عن المبالغات فجزاكم الله خير الجزاء عن
الاسلام واهله.

يودنا أن يرفدنا المجمع بما يمكن
من كتب ومطبوعات بما ينتفع به
المؤمنون ويقربهم إلى الله بمحبة
واقتراف آثار آل بيت رسوله صلوات الله
عليهم اجمعين، لاسيما ونحن في اشد
الحاجة لمثل هذه المطبوعات القيمة التي
يفتقر اليها هذا البلد الذي نعيش فيه.
اخيراً وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير
والصلاح وتقبلوا فائق احترامنا

وتقديرنا.

علاء محمد حسين
بولونيا

* * *

● مجلتكم خير معين

للفكر الاسلامي الاصيل

انه لشرف عظيم ان ارسل أول مرة
مجلة «رسالة الثقلين» الصادرة من
المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام التي
تحمل لواء الاسلام الاصيل وتدعو
بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الحق
والاحسان والعمل بهما.

ان مكتبتنا العامة الموسومة بمكتبة
الزهراء عليها السلام تهتم بتلبية حاجة الطلاب
والمراجعين المتعطشين للحق وللکلمة
الصادقة وللفكر الاسلامي الاصيل
ومجلتكم خير معين في هذا الجانب، فهي
تأخذ بأيدي العاملين في ميادين التبليغ
وتعينهم على أداء مهمتهم الرسالية الا
وهي احقاق الحق وازهاق الباطل. نسأل
الله أن يجزي الاخوة العاملين فيها
بالخير وان يشرح بها القلوب والصدور
وينفع بها كل من اطلع عليها انه نعم
المولى ونعم النصير.

الفقيه مولاي اسماعيل جارا

مدير مدرسة بقية الله (عج) ومكتبة الزهراء (ع)

مالي

* * *

• نرغب في التعاون وتوحيد

الموقف الاسلامي معكم

الاخوة في المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، يسر المكتب التنفيذي ان يعلمكم بتأسيس منظمة ثقافية اسلامية تدعى منظمة الكتاب باللغة العربية ويتألف اعضاؤها من حملة الشهادات العليا في العلوم الاسلامية والادبية في اكثر من عشر دول اسلامية، وتهدف المنظمة إلى اثراء المكتبة الإسلامية بالتأليف والترجمة وتحقيق المخطوطات باللغة الانجليزية والفرنسية واللهجة الوطنية ودعوة السنغاليين بالحكمة والموعظة الحسنة. وحقاً قد انجزنا بعض الانجازات كانشاء

صحيفة شهرية اسلامية تسمى «المنبر» وغيرها.

وبهذه المناسبة يرغب المكتب التنفيذي ان يتعاون مع مجمعكم المهارك في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية وان يشارككم في جميع نشاطاتكم رغبة في ان يكون موقفنا موقفاً موحداً في جميع قضايا الامة الاسلامية. واخيراً يدعوكم المكتب إلى اثراء مكتبة المنظمة بالمصادر والمراجع الاسلامية في التفسير والمقائد والفقه والحديث والتاريخ.

الدكتور سريمن جاو

رئيس منظمة الكتاب باللغة العربية
السنغال

• • •

قَالَ الرَّسُولُ (كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ) :

بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ
يَحْصُلُ الصِّفَاءُ

تنبيه المراهق : ٣٦٠

مؤسسة الفكر الاسلامي

الصف	فترة الاصدار	اسم المجلة	اللغة
شهرية	مجموعية	الانكليزية	شهرية
شهرية	فصلية	كوتور	الاسبانية
شهرية	شهرية	الطبعة	العربية
شهرية	شهرية	اكو آوف اسلام	الانكليزية
شهرية	شهرية	پیام اسلام	الفرنسية
شهرية	شهرية	الوحدة	العربية
شهرية	شهرية	صولي ياله	المواحدة
غير محددة	ساكون مسلمونجي	الهوسا	شهرية
فصلية	رسالة التقلين	الانكليزية	متخصصة
فصلية	رسالة التقلين	العربية	متخصصة
فصلية	اهل بيت	التركية	متخصصة
فصلية	لقلين	الاسبانية	متخصصة
فصلية	پیام لقلين	الاوردية	متخصصة
شهرية	لقلين	الهندية	متخصصة
فصلية	التوحيد	الانكليزية	متخصصة
فصلية	حكمت	الانكليزية	متخصصة
فصلية	رسالة التقريب	العربية	متخصصة
فصلية	AUX SOURCES DE LA SAGESSE	الفرنسية	متخصصة
كل شهرين مرة	التوحيد	العربية	متخصصة
كل شهرين مرة	التوحيد	الاوردية	متخصصة
كل شهرين مرة	آش	الفارسية	متخصصة
شهرية	زوم	الانكليزية	للاحداث
شهرية	الهدى	العربية	للاطفال
شهرية	صدف مع ملحق مرواريد (للاطفال والاحداث)	الفارسية	للاطفال
شهرية	معصوم	الاوردية	للاطفال

تقوم مؤسسة الفكر الاسلامي من خلال نشاطها المستمر باصدار ٢٥ مجلة تخاطب مختلف المستويات وبلغات عديدة، وهي على استعداد لايصال اعلاناتكم الى انحاء العالم بلحاظ الانتشار الواسع الذي تحظى به مجلاتها في اصقاع الارض.

وفيما يلي قائمة بالاسعار المقترحة للاعلانات:

تعرف الاعلان في مجلات مؤسسة الفكر الاسلامي

الصفحة الرابعة للغلاف (ملون)	٢,٠٠٠,٠٠٠ ريال
الصفحتان الثانية والثالثة للغلاف (ملون)	١,٨٠٠,٠٠٠ ريال
الصفحات الداخلية للمجلة ملون لوان	$\frac{١,٣٠٠,٠٠٠}{١,٠٠٠,٠٠٠}$ ريال
نصف صفحة ملون لوان	$\frac{٨٠٠,٠٠٠}{٥٠٠,٠٠٠}$ ريال
ربع صفحة ملون لوان	$\frac{٥٥٠,٠٠٠}{٢٥٠,٠٠٠}$ ريال

ملاحظة: الاسعار المذكورة للمجلات التي لا يزيد عدد نسخها عن ١٠,٠٠٠ نسخة، و تضاف نسبة ٢٪ على السعر لكل ١٠٠٠ نسخة اضافية.

العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - خيابان ولي عصر نرسيد به خيابان

دكتور فاطمي - نبش كوجه كامران - پلاك ٧٦٦

هاتف: ٨٧٥٨٢٩٦ فاكس: ٨٩٢٧٢٥

مؤسسة الفكر الاسلامي

قسمة الاشتراك

سم اللقب المستوى الدراسي المهنة

وان الكامل

الهاتف الرمز البريدي ص.ب

نوع	فترة الاصدار	اسم الصفحة	اللغة	الاشتراك لمدة سنة الشهر بالريال	عدد النسخ	الاشتراك السنوي بالريال	عدد النسخ	الكمية المطلوبة
وبه	شهرية	محبوبة	الانكليزية	١٠٠٠	٦	١٨٠٠٠	١١	
	شهرية	الطاهرة	العربية	١٠٠٠	٦	١٨٠٠٠	١٢	
	فصلية	كوثر	الاسبانية	٩٠٠٠	٦	١٨٠٠٠	١٢	
امة	شهرية	اكوأف اسلام	الانكليزية	٩٠٠٠	٦	١٨٠٠٠	١٢	
	شهرية	پیام اسلام	تفرسية	٩٠٠٠	٦	١٨٠٠٠	١٢	
	شهرية	الوحدة	العربية	٩٠٠٠	٦	١٨٠٠٠	١٢	
	شهرية	صوتی ما امة	السواحلية	٤٥٠	٣	٩٠٠٠	٦	
	غير محددة	ساكون مسلمونجي	الهوسا	٢٥٠٠	٣	٩٠٠٠	٦	
	فصلية	رسالة التفنين	الانكليزية	٤٠٠٠	٢	٨٠٠٠	٤	
صحة	فصلية	رسالة التفنين	العربية	٤٠٠٠	٢	٨٠٠٠	٤	
	فصلية	اهل بيت	التراكية	٤٠٠٠	٢	٨٠٠٠	٤	
	فصلية	پیام تفنن	الاوردية	٤٠٠٠	٢	٨٠٠٠	٤	
	فصلية	التفنين	الاسبانية	٤٠٠٠	٢	٨٠٠٠	٤	
	فصلية	التوحيد	الانكليزية	٥٠٠٠	٢	١٠٠٠٠	٤	
	فصلية	حکمت	الانكليزية	٥٠٠٠	٢	١٠٠٠٠	٤	
	فصلية	رسالة التفريب	العربية	٦٠٠٠	٢	٨٠٠٠	٤	
	فصلية	AUX SOURCES DE LA SAGESSE	الفرنسية	٤٠٠٠	٢	٨٠٠٠	٤	
	كل شهرين مرة	التوحيد	العربية	٦٥٠٠	٢	٩٠٠٠	٦	
	كل شهرين مرة	التوحيد	الاوردية	٥٥٠٠	٣	٩٠٠٠	٦	
	كل شهرين مرة	أشنا	الفارسية	٦٥٠٠	٢	٩٠٠٠	٦	
	شهرية	تفنين	الهندية	٤٠٠٠	٦	٨٠٠٠	١٢	
معال	شهرية	زمزم (الأحداث)	الانكليزية	٩٠٠٠	٦	١٨٠٠٠	١٢	
	شهرية	الهندی (للأطفال)	العربية	٨٠٠٠	٦	١٦٠٠٠	١٢	
	شهرية	صدف مع منق مروارید	الفارسية	٩٠٠٠	٦	١٨٠٠٠	١٢	
	شهرية	معصوم	الاوردية	٩٠٠٠	٦	١٢٠٠٠	١٢	

مبلغ الاشتراك او يحول على الحساب الجاري - رقم (٢٥٦٣-٣١٧) بانك تجارت شعبه دكتور فاطمي (٣١٧ طهران) باسمه وبياد اندسته اسلامي. ويرسل الحوالة المضمونة مع هذه القسيمة بعد على العنوان التالي:

بهرية الاسلامية في ايران - طهران - ص.ب ٣٨٩٩-١٤١٥٥ مؤسسة الفكر الاسلامي.

ان اشتركت حتى الان في احدى المجلات الصادرة عن المؤسسة؟

اكر تاريخ الاشتراك واسم المجلة رجاء

ف تعرفت للمرة الاولى على مجلات المؤسسة؟

ف حصلت على قسيمة الاشتراك؟

الصفحة	فترة الإصدار	اسم المجلة	اللغة	السعر بالريال
نسوية	شهرية	محجوبة	الانكليزية	١٥٠٠
	شهرية	الطاهرة	العربية	١٥٠٠
	فصلية	كوثر	الاسبانية	١٥٠٠
عامة	شهرية	اكو أوف اسلام	الانكليزية	١٥٠٠
	شهرية	پیام اسلام	الفرنسية	١٥٠٠
	شهرية	الوحدة	العربية	١٥٠٠
	شهرية	صوتی یا امه	السواحلية	١٥٠٠
	غير محددة	ساكون مسلمونجی	الهوسا	١٥٠٠
متخصصة	فصلية	رسالة الثقلين	الانكليزية	٢٠٠٠
	فصلية	رسالة الثقلين	العربية	٢٠٠٠
	فصلية	اهل بيت	التركية	٢٠٠٠
	فصلية	پیام ثقلين	الأوردية	٢٠٠٠
	فصلية	ثقلين	الاسبانية	٢٠٠٠
	فصلية	التوحيد	الانكليزية	٢٥٠٠
	فصلية	حكمت	الانكليزية	٢٥٠٠
	فصلية	رسالة التقريب	العربية	٢٠٠٠
	فصلية	يتابع الحكمة	الفرنسية	٢٠٠٠
	كل شهرين مرة	التوحيد	العربية	١٥٠٠
	كل شهرين مرة	التوحيد	الأوردية	١٥٠٠
	كل شهرين مرة	اشنا	الفارسية	١٥٠٠
للأطفال	شهرية	ثقلين	الهندية	٢٠٠٠
	شهرية	زمزم (للأحداث)	الانكليزية	١٥٠٠
	شهرية	الهدى (للأطفال)	العربية	١٣٠٠
	شهرية	صدف (للأطفال والأحداث) مع ملحق مواريد	الفارسية	١٥٠٠
	شهرية	معصوم (للأطفال)	الأوردية	١٠٠٠





* If you want to know the muslim world better, you need to become familiar with the publication of Islamic Thought Foundation
* The mentioned amount is considered for 12 issues of each magazine, but we can offer a discount of 5% - 20%
for orders over 12 issues.
* The amounts are in dollar
* Postage & handling are included.
* Subscription will start one month after the foundation receives your order.
* Please send this form along with the bank receipt to :
TEHRAN, I.R. IRAN P.O.BOX 14155 - 3899
TEL. 892725, 8897663.
bank Account No.s:
1 - Bank Saderat, Hamburg 6232 - 32 - 1005
2 - Banque Libano - France Aise - Beyrouth - Mazraaad un Compte credité : 602429 - 78
Destinataire : Beheshti Jou Mourtada 3 - Bank Mellat, Iran J1/CAC/120/25

☐ Yes. Please send me _____ Mr./Mrs./Miss/Ms. _____

Address : _____

Postal Code : _____ City : _____ State : _____ Country : _____

Total Price : _____ Signature : _____

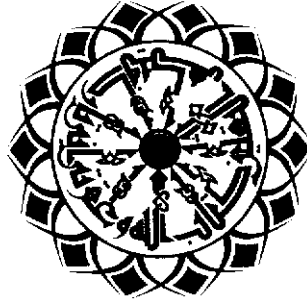
Please debit my ☐  ☐  ☐ Coupons _____

Card No.

Chosen Bank Account No :

Expiry Date :

Authorization No. Posting Date



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

الصفحة الاولى : لوحة فنية بالخط الجلي الديواني تتضمن : حديثاً لخاتم الانبياء وسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الصفحة الثانية : آية من روائع الزخرفة الاسلامية على واجهة من الحجر المنقور في مدخل أحد المساجد الاندلسية.